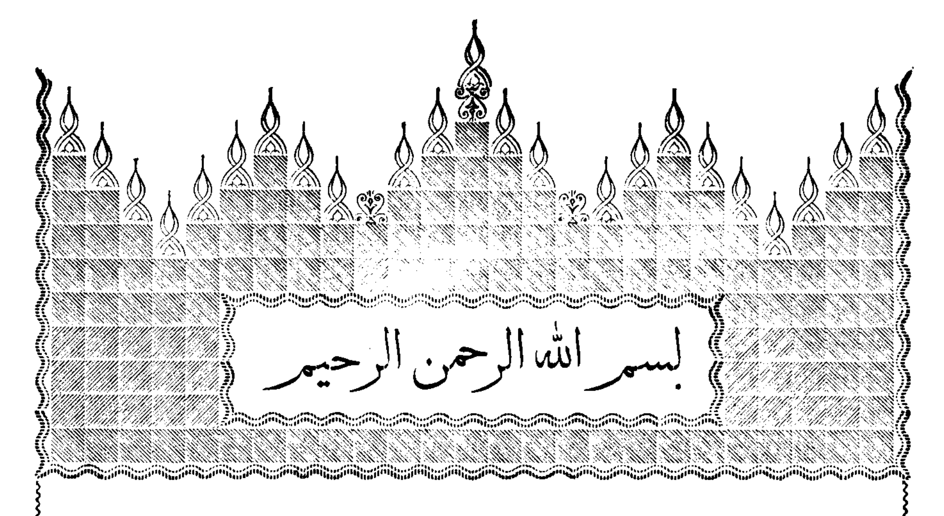
تفسير الثعالبي

الموسوم

بجواهر الحسان في تفسير القرآن

الجزء الثاني

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب. ٧١٢٠



سورة الاعراف مكية كلها قاله الضحاك وغيره وقال مقاتل هي مكية الا قوله سبحانه واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله من ظهورهم ذرياتهم فان هذه الآيات مدنية

قوله جلت عظمته المص كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمومنين تقدم القول فى تفسير الحروف المقطعة فى اوائل السور والحرج الضيق ومنه الحرجة الشجر الملتف الذى قد تضايق والحرج هاهنا يعم الشك والخوف والهم وكل ما يضيق الصدر والضمير فى منه عائد على الكتاب اي بسبب من اسبابه * وقوله سبحانه فلا يكن فى صدرك حرج منه اعتراض فى اثناء الكلام ولذلك قال بعض الناس ان فيه تقديما وتاخيرا * وقوله وذكرى معناه تذكرة وارشاد * وقوله سبحانه اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم امر يعم جميع الناس ولا تتبعوا من دونه اي من دون ربكم اولياء يريد كل من عبد واتبع من دون الله وقليلا نعت لمصدر نصب بفعل مضمر وقال مكي هو منصوب بالفعل الذى بعده وما فى قوله ما تذكرون مصدرية * وقوله سبحانه وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون قالت فرقة المراد وكم من اهل قرية وقالت فرقة اللفظ يتضمن هلاك القرية واهلها

وهو اعظم فى العقوبة والفاء فى قوله سبحانه فجاءها بأسنا لترتيب القول فقط وقيل المعنى اهلكناها بالخذلان وعدم التوفيق فجاءها بأسنا بعد ذلك وبياتا نصب على المصدر فى موضع الحال وقائلون من القائلة وانما خص وقتي الدعة والسكون لان مجيء العذاب فيهما افظع واهول لما فيه من البغتة والفجأة قال ابو حيان او للتفصيل اي جاء بعضهم بأسنا ليلا وبعضهم نهارا انتهى * وقوله عز وجل فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الاان قالوا انا كنا ظالمين هذه الآية يتبين منها ان المراد فى الآية قبلها اهل القرى والدعوى فى كلام العرب تاتى لمعنيين احدهما الدعاء ومنه قوله عز وجل فما زالت تلك دعواهم والثانى الادعاء وهذه الآية تحتمل المعنيين ثم استثنى سبحانه من غير الاول كانه قال لم يكن منهم دعاء او ادعاء الا الاقرار والاعتراف اي هذا كان بدل الدعاء والادعاء واعترافهم وقولهم انا كنا ظالمين هو فى المدة التى ما بين ظهور العذاب الى اتيانه على انفسهم وفى ذلك مهلة بحسب نوع العذاب تتسع لهذه المقالة وغيرها وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما هلك قوم حتى يعذروا من انفسهم * وقوله سبحانه فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين الآية وعيد من الله عز وجل لجميع العالم اخبر سبحانه انه يسأل الامم اجمع عما بلغ اليهم عنه وعن جميع اعمالهم ويسأل النبيين عما بلغوا وهذا هو سؤال التقرير فان الله سبحانه قد احاط علما بكل ذلك قبل السؤال فاما الانبياء والمومنون فيعقبهم جوابهم رحمة وكرامة واما الكفار ومن نفذ عليه الوعيد من العصاة فيعقبهم جوابهم عذابا وتوبيخا (ت) وروى ابو عمر بن عبدالبر فى كتاب فضل العلم بسنده عن مالك انه قال بلغنى ان العلماء يسألون يوم القيامة كما تسأل الانبياء يعنى عن تبليغ العلم انتهى وخرج ابو نعيم الحافظ من حديث الاعمش عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخطو خطوة

الايسأل عنها ما اراد بها وقد ذكرنا حديث مسلم عن ابي برزة فى غير هذا الموضع وخرج الطبراني بسنده عن ابن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله انتهى وروى مالك عن يحيي بن سعيد قال بلغني ان اول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة فان قبلت منه نظر فيما بقي من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر فى شيء من عمله وروى ابو داود والترمذي والنساءي وابن ماجه معنى هذا الحديث مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يحاسب بـه الناس يوم القيامة من اعمالهم الصلاة قال يقول ربنا عز وجل للملائكة انظروا فى صلاة عبدى اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شيء قال الله انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان له تطوع قال اتموا لعبدى فريضته من تطوعه ثم توخذ الاعمال على ذلك انتهى واللفظ لابي داود وقال النساءي ثم سائر الاعمال تجرى على ذلك انتهى من التذكرة * وقوله سبحانه فلنقصن عليهم بعلم اي فلنسردن عليهم اعمالهم قصة قصة بعلم اي بحقيقة ويقين وما كنا غائبين * وقوله عز وجل والوزن يومئذ الحق التقدير والوزن الحق ثابت او ظاهر يومئذ اي يوم القيامة قال جمهور الامة ان الله عز وجل اراد ان يبين لعباده ان الحساب والنظر يوم القيامة هو فى غاية التحرير ونهاية العدل بامر قد عرفوه في الدنيا وعهدته افهامهم فميزان القيامة له عمود وكفتان على هيئة موازين الدنيا جمع لفظ الموازين اذ فى الميزان موزونات كثيرة فكانه اراد التنبيه عليها قال الفخر والاظهر اثبات موازين فى يوم القيامة لاميزان واحد لظواهر الآيات وحمل الموازين على الموزونات او على الميزان الواحد يوجبان العدول عن ظاهر اللفظ وذلك انما يصار اليه عند تعذر حمل الكلام على ظاهره ولا مانع هاهنا منه فوجب اجراء اللفظ على

حقيقته فكما لم يمتنع اثبات ميزان له كفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة وما الموجب لتركه والمصير الى التاويل انتهى قال ابو حيان موازينه جمع باعتبار الموزونات وهذا على مذهب الجمهور فى ان الميزان واحد وقال الحسن لكل واحد ميزان فالجمع اذن حقيقة انتهى والآيات هنا البراهين والاوامر والنواهى * وقوله سبحانه ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش الآية خطاب لجميع الناس والمعايش بكسر الياء دون همز جمع معيشة وهي لفظة تعم جميع الماكول الذى يعاش به والتحرف الذى يؤدى اليه وقليلا نصب بتشكرون * ويحتمل ان تكون ما مع الفعل بتاويل المصدر وقليلا نعت لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا شكركم او شكرا قليلا تشكرون * وقوله سبحانه ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية هذه الآية معناها التنبيه على مواضع العبرة والتعجب من غريب الصنعة واسداء النعمة واختلف العلماء فى ترتيب هذه الآية لان ظاهرها يقتضى ان الخلق والتصوير لبنى آدم قبل القول للملائكة ان يسجدوا وقد صححت الشريعة ان الامر لم يكن كذلك فقالت فرقة المراد بقوله سبحانه ولقد خلقناكم ثم صورناكم آدم وان كان الخطاب لبنيه وقال مجاهد المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم فى صلب آدم وفى وقت استخراج ذرية آدم من ظهره امثال الذر فى صورة البشر ويترتب فى هذين القولين ان تكون ثم على بابها فى الترتيب والمهلة وقال ابن عباس والربيع بن انس اما خلقناكم فآدم واما صورناكم فذريته فى بطون الامهات وقال قتادة وغيره بل ذلك كله فى بطون الامهات من خلق وتصوير وثم لترتيب الاخبار بهذه الجمل لا لترتيب الجمل فى انفسها * وقوله سبحانه فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك

قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم تقدم الكلام على قصص الآية فى سورة البقرة وما فى قوله ما منعك استفهام على جهة التوبيخ والتقريع ولا في قوله الا تسجد قيل هي زائدة والمعنى ما منعك ان تسجد وكذلك قال ابو حيان انها زائدة كهي فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب قال ويدل على زيادتها سقوطها فى قوله تعالى ما منعك ان تسجد فى ص انتهى وجواب ابليس اللعين ليس بمطابق لما سئل عنه لكن لما جاء بكلام يتضمن الجواب والحجة فكانه قال منعنى فضلى عليه اذ انا خير منه وظن ابليس ان النار افضل من الطين وليس كذلك بل هما فى درجة واحدة من حيث انهما جماد مخلوق ولما ظن ابليس ان صعود النار وخفتها يقتضى فضلا على سكون الطين وبلادته قاس ان ما خلق منها افضل مما خلق من الطين فاخطأ قياسه وذهب عليه ان الروح الذى نفخ فى آدم ليس من الطين وقال الطبري ذهب عليه ما فى النار من الطيش والخفة والاضطراب وفى الطين من الوقار والاناة والحلم والتثبت وروي عن الحسن وابن سيرين انهما قالا اول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالقياس وهذا القول منهما ليس هو بانكار للقياس وانما خرج كلامهما نهيا عما كان فى زمانهما من مقاييس الخوارج وغيرهم فارادا حمل الناس على الجادة * وقوله سبحانه فاهبط منها الآية يظهر منه انه اهبط اولا واخرج من الجنة وصار فى السماء لان الاخبار تظاهرت انه اغوى آدم وحواء من خارج الجنة ثم امر آخرا بالهبوط من السماء مع آدم وحواء والحية وقوله انك من الصاغرين حكم عليه بضد معصيته التى عصى بها وهي الكبرياء فعوقب بالحمل عليه بخلاف شهوته وامله والصَّغار الذل

قاله السدي ومعنى انظرنى اخرنى فاعطاه الله النظرة الى النفخة الاولى قاله اكثر الناس وهو الاصح والاشهر فى الشرع وقوله فبما يريد به القسم كقوله فى الآية الاخرى فبعزتك واغويتنى قال الجمهور معناه اضللتنى من الغي وعلى هذا المعنى قال محمد بن كعب القرظي قاتل الله القدرية لابليس اعلم بالله منهم يريد فى انه علم ان الله يهدى ويضل وقوله لاقعدن لهم صراطك المعنى لاعترضن لهم فى طريق شرعك وعبادتك ومنهج النجاة فلاصدنهم عنه ومنه قوله عليه السلام ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه نهاه عن الاسلام وقال تترك دين آبائك فعصاه فاسلم فنهاه عن الهجرة فقال تدع اهلك وبلدك فعصاه فهاجر فنهاه عن الجهاد فقال تقتل وتترك ولدك فعصاه فجاهد فله الجنة الحديث * وقوله سبحانه ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين مقصد الآية ان ابليس اخبر عن نفسه انه ياتى اضلال بنى آدم من كل جهة فعبر عن ذلك بالفاظ تقتضى الاحاطة بهم وفى اللفظ تجوز وهذا قول جماعة من المفسرين قال الفخر وقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم اي على صراطك اجمع النحاة على تقدير على فى هذا الموضع انتهى وقوله ولاتجد اكثرهم شاكرين اخبر اللعين ان سعايته تفعل ذلك ظنا منه وتوسما فى خلقة آدم حين رأى خلقته من اشياء مختلفة فعلم انه ستكون لهم شيم تقتضى طاعته كالغل والحسد والشهوات ونحو ذلك قال ابن عباس وقتاده الا ان ابليس لم يقل انه ياتى بنى آدم من فوقهم ولاجعل الله له سبيلا الى ان يحول بينهم وبين رحمة الله وعفوه ومنّه وما ظنه ابليس صدقه الله عز وجل ومنه قوله سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الافريقا من المومنين فجعل اكثر

العالَم كفرة ويبينه قوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح يقول الله عز وجل يا آدم اخرج بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة ونحوه مما يخص امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما انتم فى الامم الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود وشاكرين معناه مومنين لان ابن آدم لايشكر نعمة الله الا بان يومن قاله ابن عباس وغيره وقوله سبحانه اخرج منها اي من الجنة مذءوما اي معيبا مدحورا اي مقصيا مبعدا لمن تبعك بفتح اللام هي لام قسم وقال ابو حيان الظاهر انها الموطئة للقسم ومن شرطية فى موضع رفع بالابتداء وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه ويجوز ان تكون لام ابتداء ومن موصولة فى موضع رفع بالابتداء والقسم المحذوف وجوابه وهو لاملأن فى موضع خبرها انتهى وقال الفخر وقيل مذءوما اي محقورا فالمذءوم المحتقر قاله الليث وقال ابن الانباري المذءوم المذموم وقال الفراء اذأمته اذا عيبته انتهى وباقى الآية بين اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء وسوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء * وقوله جل وعلا ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين اذا امِر الانسان بشيء وهو متلبس به فانما المقصد من ذلك ان يستمر على حاله ويتمادى فى هيئته وقوله سبحانه لآدم اسكن هو من هذا الباب وقد تقدم الكلام فى سورة البقرة على الشجرة وتعيينها وقوله سبحانه هذه قال (م) الاصل هذى والهاء بدل من الياء ولذلك كسرت الذال اذ ليس فى كلامهم هاء تانيث قبلها كسرة انتهى * وقوله عز وجل فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما الوسوسة الحديث فى اخفاء همسا واسرارا من الصوت والوسواس صوت الحلي فشبه الهمس

به وسمى القاء الشيطان فى نفس ابن آدم وسوسة اذهي ابلغ الاسرار واخفاه هذا فى حال الشيطان معنا الآن واما مع آدم فممكن ان تكون وسوسة بمحاورة خفية او بالقاء فى نفس واللام في ليبدي هي فى قول الاكثرين لام الصيرورة والعاقبة ويمكن ان تكون لام كي على بابها وما ووري معناه ما ستر من قولك وارى يوارى اذا ستر والسوأة الفرج والدبر ويشبه ان يسمى بذلك لان منظره يسوء وقالت طائفة ان هذه العبارة انما قصد بها انها كشفت لهما معائبهما وما يسوءهما ولم يقصد بها العورة وهذا القول محتمل الاان ذكر خصف الورق يرده الاان يقدر الضمير فى عليهما عائد على بدنيهما فيصح * وقوله سبحانه وقال مانها كما الآية هذا القول المحكي عن ابليس يدخله من التاويل ما دخل الوسوسة فممكن ان يقول هذا مخاطبة وحوارا وممكن ان يقولها القاء فى النفس ووحيا والاان تقديره عند سيبويه والبصريين الا كراهية ان وتقديره عند الكوفيين الاان لاعلى اضمار لا ويرجح قول البصريين ان اضمار الاسماء احسن من اضمار الحروف وقرأ جمهور الناس ملكين بفتح اللام وقرأ ابن عباس ملكين بكسرها ويؤيده قوله وملك لايبلى وقال بعض الناس يوخذ من هذه الالفاظ ان الملائكة افضل من البشر وهى مسئلة اختلف الناس فيها وتمسك كل فريق بظواهر من الشريعة والفضل بيد الله يوتيه من يشاء وقاسمهما اي حلف لهما بالله وهي مفاعلة اذ قبول المحلوف له اليمين كالقسم * وقوله عز وجل فدلاهما بغرور قال (ع) يشبه عندى ان تكون هذه استعارة من الرجل يدلى آخر من هوة بحبل قد ارم اوسبب ضعيف يغتر به فاذا تدلى به وتورك عليه انقطع به وهلك فيشبه الذى يغر بالكلام حتى يصدقه فيقع فى مصيبة بالذى يدلى من هوة بسبب ضعيف * وقوله سبحانه بدت قيل تمزقت عنهما ثياب الجنة وملابسها

وتطايرت تبريا منها ويخصفان معناه يلصقانها والمخصف الاشفى وضم الورق بعضه الى بعض اشبه بالخرز منه بالخياطة قال البخاري يخصفان يؤلفان الورق بعضه الى بعض انتهى وهو معنى ما تقدم وروى ابيٌّ عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام كان يمشي فى الجنة كانه النخلة السحوق فلما اكل من الشجرة وبدت له حاله فر على وجهه فاخذت شجرة بشعر راسه فقال لها ارسلني فقالت ما انا بمرسلتك فناداه ربه جل وعلا امني تفر يا آدم فقال لا يا رب ولكن استحييك فقال اما كان لك فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يارب ولكن وعزتك ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا * وقوله عن تلكما يريد بحسب اللفظ انه انما اشار الى شجرة مخصوصة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين اشارة الى الآية التى فى طه فى قوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وهذا هو العهد الذى نسيه آدم على مذهب من جعل النسيان على بابه وقولهما ربنا ظلمنا انفسنا اعتراف من آدم وحواء عليهما السلام وطلب للتوبة والستر والتغمد بالرحمة فطلب آدم هذا فاجيب وطلب ابليس النظرة ولم يطلب التوبة فوكل الى سوء رأيه قال الضحاك وغيره هذه الآية هي الكلمات التى تلقى آدم من ربه * وقوله عز وجل قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو المخاطبة بقوله اهبطوا قال ابو صالح والسدي والطبري وغيرهم هي لآدم وحواء وابليس والحية وقالت فرقة هي مخاطبة لآدم وذريته وابليس وذريته قال (ع) وهذا ضعيف لعدمهم فى ذلك الوقت (ت) وما ضعفه رحمه الله صححه فى سورة البقرة فتأمله هناك وعداوة الحية معروفة روى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم ماسالمناهن منذ حاربناهن * وقوله سبحانه يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم الآية خطاب لجميع الامم وقت النبي صلى الله عليه وسلم والسبب والمراد

قريش ومن كان من العرب يتعرى فى طوافـه بالبيت قال مجاهـد ففيهم نزلت هـذه الاربـع آيات وقوله انزلنا يحتمـل التدريج اي لمـا انزل المطـر فكان عنـه جميـع مـا يلبس ويحتمـل ان يريـد بانزلنـا خلقنـا كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد ولباسا عام فى جميـع مـا يلبس ويوارى يستر وقرأ الجهور وريشـا وقرأ عاصم وابو عمرو ورياشا وهما عبارتان عـن سعـة الرزق ورفاهة العيش وجودة الملبس والتمتع وقال البخاري قال ابن عبـاس وريشا المـال انتهى وقرأ نافع وغيره ولبـاس بالنصب وقرأ حمـزة وغيره بالرفع وقوله ذلك من آيات الله اشـارة الى جميع مـا انزل الله مـن اللبـاس والريش وحكى النقـاش ان الاشـارة الى لبـاس التقوى اي هـو فى العبـد آيـة اي علامة وامارة مـن الله تعالى انه قـد رضي عنـه ورحمـه وقال ابن عباس لباس التقوى هو السمت الحسن فى الوجه وقاله عثمان بن عفان على المنبر وقال ابن عباس ايضا هو العمل الصالح وقال عروة بن الزبير هو خشية الله وقيـل هـو لباس الصوف وكل ما فيه تواضع لله عز وجل وقال الحسن هو الورع وقال معبد الجهني هو الحياء وقال ابن عباس ايضا لباس التقوى العفـة قال (ع) وهذه كلها مثل وهي من لباس التقوى ولعلهم ترج بحسبهم ومبلغهم من المعرفة وقوله عز وجل يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية خطاب لجميع العالم والمقصود بهـا فى ذلك الوقت من كان يطوف من العرب بالبيت عريانا قيل كانت العرب تطوف عراة الا الحمس وهم قريش ومن والاها وهذا هو الصحيح ثم نودي بمكة فى سنة تسع لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان والفتنـة فى هذه الآية الاستهواء والغلبة على النفس واضاف الاخراج فى هذه الآية الى ابليس تجوزا لما كان هو السبب فى ذلك قال ابو حيـان كما اخرج كما فى موضع نصب اي فتنـة مثل فتنـة اخـراج ابويكم

انتهى * وقوله سبحانه انه يراكم الآية زيادة فى التحذير واعلام بان الله عز وجل قد مكن ابليس من بنى آدم فى هذا القدر وبحسب ذلك يجب ان يكون التحرز بطاعة الله عز وجل وقبيل الشيطان يريد نوعه وصنفه وذريته والشيطان موجود وهو جسم قال النووى وروينا فى كتاب ابن السني عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين اعين الجن وعورات بنى آدم ان يقول الرجل المسلم اذا اراد ان يطرح ثيابه بسم الله الذى لا اله الا هو انتهى وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين الجن وعورات بنى آدم اذا دخلوا الكنف ان يقولوا بسم الله رواه الترمذي وقال اسناده ليس بالقوي قال النووي قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم يجوز ويستحب العمل فى الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكون مضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح او الحسن الا ان يكون فى احتياط فى شيء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عنه ولكن لا يجب انتهى ونحوه لابى عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم ثم اخبر عز وجل انه صير الشياطين اولياء اي صحابة ومتداخلين للكفرة الذين لا ايمان لهم * وقوله واذا فعلوا وما بعده داخل فى صفة الذين لا يومنون والفاحشة فى هذه الآية وان كان اللفظ عاما هي كشف العورة عند الطواف فقد روي عن الزهري انه قال ان فى ذلك نزلت هذه الآية وقاله ابن عباس ومجاهد * وقوله عز وجل قل امر ربى بالقسط تضمن معنى اقسطوا ولذلك عطف عليه قوله واقيموا حملا على المعنى والقسط العدل واختلف فى قوله سبحانه واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فقال مجاهد

والسدي اراد الى الكعبة والمقصد على هـذا شرع القبلة والتزامها وقيل اراد الامر باحضار النية لله فى كل صلاة والقصد نحوه كما تقول وجهت وجهى لله قاله الربيع وقيل المراد اباحة الصلاة فى كل موضع من الارض اي حيث ما كنتم فهو مسجد لكم تلزمكم عند الصلاة اقامة وجوهكم فيه لله عز وجل * وقوله سبحانه كما بدأكم تعودون قال ابن عباس وقتادة ومجاهد المعني كما اوجدكم واخترعكم كذلك يعيدكم بعد الموت والوقف على هذا التاويل تعودون وفريقا نصب بهدى والثانى منصوب بفعل تقديره وعذب فريقا وقال جابر بن عبد الله وغيره وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد الاعلام بان من سبقت له من الله الحسنى وكتب سعيدا كان فى الآخرة سعيدا ومن كتب عليه انه من اهل الشقاء كان فى الآخرة شقيا ولا يتبدل من الامور التى احكمها ودبرها وانفذها شيء فالوقف فى هـذا التاويل فى قوله تعودون غير حسن وفريقا على هذا التاويل نصب على الحال والثانى عطف على الاول ويحسبون انهم مهتدون معناه يظنون قال الطبري وهذه الآية دليل على خطإ من زعم ان الله لايعذب احدا على معصية ركبها اوضلالة اعتقدها الا ان ياتيها على علم منه بموضع الصواب * وقوله سبحانه يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية هذا خطاب عام لجميع العالم كما تقدم وامروا بهذه الاشياء بسبب عصيان حاضرى ذلك الوقت من مشركى العرب فيها والزينة الثياب الساترة قاله مجاهد وغيره وعند كل مسجد اي عند كل موضع سجود فهي اشارة الى الصلوات وستر العورة فيها (ت) ومن المستحسن هنا ذكر شيء مما جاء فى اللباس فمن احسن الاحاديث فى ذلك واصحها ما رواه مالك فى الموطإ عن ابى سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أُزْرَة المومن الى انصاف ساقيه لاجناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما اسفل من ذلك ففى النار قال ذلك

ثلاث مرات لا ينظر الله عز وجل الى مـن جر ازاره بطرا وحدث ابو عمر فى التمهيد بسنده عن ابن عمر قال فيما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الازار فهو فى القميص يعني ما تحت الكعبين من القميص فى النار كما قال فى الازار وقد روى ابو خيثمة زهير بن معاوية قال سمعت ابا اسحاق السبيعي يقول ادركتهم وقمصهم الى نصف الساق اوقريب من ذلك وكم احدهم لايجاوز يده انتهى وروى ابو داود عن اسماء بنت يزيد قالت كانت يد كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسـغ واما احب اللباس فما رواه ابو داود عن ام سلمة قالت كان احب الثياب الى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم القميص انتهى وجاء فى المسبل وعيد شديد وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل اسبل ازاره ان هذا كان يصلي وهو مسبل ازاره وان الله لايقبـل صلاة رجل مسبـل ازاره رواه ابو داود انتهى * وقـوله سبحانه وكلوا واشربوا اباحة لما التزموه من تحريم اللحم والودك فى ايام المـواسم قاله ابن زيد وغيره ويدخل فى ذلك البحيرة والسائبة ونحو ذلك نص على ذلك قتادة * وقوله سبحانه ولا تسرفوا معناه لا تفرطوا قال اهل التاويل يريد تسرفوا بان تحرموا ما لم يحرم الله عز وجل واللفظة تقتضى النهي عن السرف مطلقا ومن تلبس بفعل مباح فان مشى فيه على القصد واوسط الامور فحسن وان افرط جعل ايضا من المسرفين وقال ابن عبـاس فى هـذه الآية احل الله الاكل والشرب ما لم يكن سرفا اومخيلة قال ابن العربي قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا الاسراف تعدى الحد فنهاهم سبحانه عن تعدى الحلال الى الحرام وقيل لايزيد على قدر الحاجة وقد اختلف فيه على قولين فقيل حرام وقيـل مكروه وهو الاصح فان قدر الشبع يختلف باختلاف البلدان والازمان والانسان والطعمان انتهى من احكام القرآن * وقوله سبحانه قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده اي قل لهم على جهة التوبيخ

وزينة الله هي ما حسنته الشريعة وقررته وزينة الدنيا كل ما اقتضته الشهوة وطلب العلو فى الارض كالمال والبنين والطيباتُ قال الجمهور يريد المحللات وقال الشافعي وغيره هي المستلذات اي من الحلال وانما قاد الشافعي الى هذا تحريمه المستقذرات كالوزغ ونحوها فانه يقول هي من الخبائث (ت) وقال مكي المعنى قل من حرم زينة الله اي اللباس الذى يزين الانسان بان يسترعورته ومن حرم الطيبات من الرزق المباحة وقيل عنى بذلك ماكانت الجاهلية تحرمه من السوائب والبحائر انتهى * وقوله سبحانه قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ابن جبير المعنى قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ينتفعون بها فى الدنيا ولا يتبعهم اثمها يوم القيامة وقال ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة وغيرهم المعنى هو ان يخبر صلى الله عليه وسلم ان هذه الطيبات الموجودات هي فى الحياة الدنيا للذين آمنوا وان كانت ايضا لغيرهم معهم وهي يوم القيامة خالصة لهم اي لا يشركهم احد فى استعمالها فى الآخرة وقرأ نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب * وقوله سبحانه كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كما فصلنا هذه الاشياء المتقدمة الذكر نفصل الآيات اي نبين الامارات والعلامات والهدايات لقوم لهم علم ينتفعون به * وقوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الآية لما تقدم انكار ما حرمه الكفار بآرائهم اتبعه بذكر ما حرم الله عز وجل والفواحش فى اللغة ما فحش وشنع واصله من القبح فى النظر وهي هنا انما هي اشارة الى ما نص الشرع على تحريمه فكل ما حرمه الشرع فهو فاحش والاثم لفظ عام فى جميع الافعال والاقوال التى يتعلق بمرتكبها اثم هذا قول الجمهور وقال بعض الناس هي الخمر وهذا قول مردود لان هذه السورة مكية وانما حرمت الخمر بالمدينة بعد اُحد والبغي التعدى وتجاوز الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون من انه حرم البحيرة

والسائبة ونحوه * وقوله سبحانه ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون المعنى ولكل امة اجل موقت لمجيء العذاب اذا كفروا وخالفوا امر ربهم فانتم ايتها الامة كذلك قاله الطبري وغيره وقوله ساعة لفظ عين به الجزء القليل من الزمان والمراد جميع اجزائه والمعنى لا يستاخرون ساعة ولا اقل منها ولا اكثر وقوله عز وجل يا بنى آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولائك اصحاب النار هم فيها خالدون الخطاب فى هذه الآية لجميع العالم وان هي الشرطية دخلت عليها ما موكدة وكان هذا الخطاب لجميع الامم قديمها وحديثها هو متمكن لهم ومتحصل منه لحاضرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا حكم الله فى العالم منذ انشأه ويأتينكم مستقبل وضع موضع ماض ليفهم ان الاتيان باق وقت الخطاب لتقوى الاشارة بصحة النبوءة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا على مراعاة وقت نزول الآية واسند الطبري الى ابى سَيَّار السلمي قال ان الله سبحانه خاطب آدم وذريته فقال يا بنى آدم اما ياتينكم رسل منكم الآية قال ثم نظر سبحانه الى الرسل فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون الحديث قال (ع) ولا محالة ان هذه المخاطبة فى الازل وقيل المراد بالرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكره النقاش ويقصون اي يسردون ويوردون والآيات لفظ جامع لآيات الكتب المنزلة وللعلامات التى تقترن بالانبياء ونفي الخوف والحزن يعم جميع انواع مكاره النفس وانكادها * قوله سبحانه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اوكذب بآياته الآية هذه الآية وعيد واستفهام على جهة التقرير اى لا احد اظلم منه والكتاب هو اللوح المحفوظ فى قول الحسن وغيره وقيل ما تكتبه الحفظة ونصيبهم من ذلك هو

الكفر والمعاصي قاله مجاهد وغيره وقيل هو القرآن وحظهم فيه سواد الوجوه يوم القيامة وقال الربيع بن انس وغيره المعنى بالنصيب ما سبق لهم فى ام الكتاب من رزق وعمر وخير وشر فى الدنيا ورجحه الطبري واحتج له بقوله تعالى بعد ذلك حتى اذا جاءتهم رسلنا اي عند انقضاء ذلك فكان معنى الآية على هذا التاويل اولائك يتمتعون ويتصرفون فى الدنيا بقدر ما كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسلنا لموتهم وهذا تاويل جماعة وعلى هذا يترتب ترجيح الطبري وقالت فرقة رسلنا يريد بهم ملائكة العذاب يوم القيامة ويتوفونهم معناه عندهم يستوفونهم عددا فى السوق الى جهنم * وقوله سبحانه حكاية عن الرسل اين ما كنتم تدعون استفهام تقرير وتوبيخ وتوقيف على خزي وتدعون معناه تعبدون وتؤملون وقولهم ضلوا عنا معناه هلكوا وتلفوا وفقدوا ثم ابتدأ الخبر عن المشركين بقوله سبحانه وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين * قوله سبحانه قال ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار هذه حكاية ما يقول الله سبحانه لهم يوم القيامة بواسطة ملائكة العذاب نسأل الله العافية وعبر عن يقول بقال لتحقق وقوع ذلك وصدق القصة وهذا كثير وخلت حكاية عن حال الدنيا اي ادخلوا فى النار فى جملة الامم السابقة لكم فى الدنيا الكافرة (ت) وكذا قدره ابو حيان فى جملة امم قال وقيل فى بمعنى مع اي مع امم وتقدم له فى البقرة ان فى تجيء للمصاحبة كقوله تعالى ادخلوا فى امم قد خلت انتهى وقدم ذكر الجن لانهم اعرق فى الكفر وابليس اصل الضلال والاغواء وهذه الآية نص فى ان كفرة الجن فى النار والذى يقتضيه النظر ان مومنيهم فى الجنة لانهم عقلاء مكلفون مبعوث اليهم آمنوا وصدقوا وقد بوب البخاري رحمه الله بابا فى ذكر الجن وثوابهم وعقابهم وذكر عبد الجليل ان مومنى الجن يكونون ترابا كالبهائم وذكر فى ذلك حديثا مجهولا وما أراه يصح والله اعلم

والاخوة فى هذه الآية اخوة الملة قال (ص) فى النار متعلق بخلت او بمحذوف وهو صفة لامم اي فى امم سابقة فى الزمان كائنة من الجن والانس كائنة فى النار ويحتمل ان يتعلق بادخلوا على ان فى الاولى بمعنى مع والثانيــة للظرفية واذا اختلف مدلول الحرفين جاز تعلقهما بمحل واحد انتهى وادار كوا معناه تلاحقوا اصله تداركوا ادغم فجلبت الف الوصل وقال البخاري اداركوا اجتمعوا انتهى * وقوله سبحانه قالت اخراهم لاولاهم معنـاه قالت الامم الاخيرة التى وجدت ضلالات متقررة وسننا كاذبة مستعملة للاولى التي شرعت ذلك وافترت على الله وسلكت سبيل الضلال ابتداء ربنا هؤلاء اضلونا اي طرقوا لنا طرق الضلال قال لكل ضعف اي عـذاب مشدد على الاول والآخـر ولكن لا تعلمون اي المقادير وصور التضعيف * قوله سبحانه وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينـا من فضل اي قد استوت حالنا وحالكم فذوقوا العذاب باجترامكم وهو مـن كلام الامـة المتقدمـة للمتأخـرة وقيـل قوله فذوقـوا هو مـن كلام الله عز وجل لجميعهم * وقـوله سبحانه ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة الآية هـذه الآية عامة فى جميع الكفرة قديمهم وحديثهم قرأ نافع وغيره لا تفتح بتشديد التاء الثانية وقرأ ابو عمرو تفتح بالتاء ايضا وسكون الفاء وتخفيف الثانية وقرأ حمزة يفتح بالياء من اسفل وتخفيف التاء ومعنى الآية لا يرتفع لهم عمل ولا روح ولا دعاء فهي عامة فى نفي ما يوجب للمومنين قاله ابن عبـاس وغيره ثم نفى سبحـانه عنهم دخول الجنة وعلق كونه بكون محال وهو ان يدخل الجمل فى ثقب الابرة حيث يدخل الخيط والجمل كما عهد والسم كما عهد وقرأ جمهور المسلمين الجمل واحد الجمال وقرأ ابن عباس وغيره الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وهو حبل السفينة والسم الثقب من الابرة وغيرها وكذلك اي وعلى هذه الصفة وبمثل هذا

الحتم وغيره نجزى الكفرة واهل الجرائم على الله لهم من جهنم مهاد اي فراش ومسكن ومضجع يتمهدونـه وهي لهم غواش جمع غاشية وهي ما يغشى الانسان اي يغطيه ويستره من جهة فوق * وقوله سبحانه لا نكلف نفسا الاوسعها اولائك اصحاب الجنة هم فيها خالدون هذه آية وعد مخبرة ان جميع المومنين هم اصحاب الجنة ولهم الخلد فيها ثم اعترض فيها القول بعقب الصفة التى شرطها فى المومنين باعتراض يخفف الشرط ويرجى فى رحمة الله ويعلم ان دينه يسر وهذه الآية نص فى ان الشريعة لا يتقرر من تكاليفها شيء لا يطاق وقد تقدم ذلك فى سورة البقرة والوسع معناه الطاقة وهو القدر الذى يتسع له البشر * وقوله سبحانه ونزعنا ما فى صدورهم من غل هذا اخبار من الله عز وجل انه ينقي قلوب ساكنى الجنة من الغل والحقد وذلك ان صاحب الغل معذب به ولا عذاب فى الجنة وورد فى الحديث الغل على باب الجنة كمبارك الابل قد نزعه الله من قلوب المومنين والغل الحقد والاحنة الخفية فى النفس وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا الاشارة بهذا يتجه ان تكون الى الايمان والاعمال الصالحات المؤدية الى الجنة ويحتمل ان تكون الى الجنة نفسها اي ارشدنا الى طرقها وقرأ ابن عامر وحده ما كنا لنهتدي بسقوط الواو وكذلك هي فى مصاحف اهل الشام ووجهها ان الكلام متصل مرتبط بما قبله ولما رأو تصديق ما جآت بـه الانبياء عن الله سبحانه وعاينوا انجاز المواعيد قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا اي قيل لهم بصياح وهذا النداء من قبل الله وان مفسرة لمعنى النداء بمعنى اي وقوله بما كنتم تعملون لا على طريق وجوب ذلك على الله تعالى لكن بقرينة رحمته وتغمده والاعمال امارة من الله سبحانه وطريق الى قوة الرجاء ودخولُ الجنة انما هو بمجرد رحمته والقسم فيها على قدر الاعمال واورثتم مشيرة الى الاقسام وقوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة

اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا الآية هذا النداء من اهل الجنة لاهل النار تقريع وتوبيخ وزيادة فى الكرب وهو بان يشرفوا عليهم ويخلق الادراك فى الاسماع والابصار وقوله سبحانه فاذن مؤذن بينهم اي اعلم معلم والظالمون هنا هم الكافرون (ت) حكي عن غير واحد ان طاووس دخل على هشام بن عبد الملك فقال له اتق الله واحذر يوم الاذان فقال وما يوم الاذان فقال قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فصعق هشام فقال طاووس هذا ذل الوصف فكيف ذل المعاينة انتهى ويبغونها عوجا اي يطلبونها او يطلبون لها والضمير فى يبغونها عائد على السبيل وقوله سبحانه وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم وبينهما اي بين الجنة والنار ويحتمل بين الجمعين والحجاب هو السور الذى ذكره الله عز وجل فى قوله فضرب بينهم بسور له باب قال ابن عباس وقال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال ابن عباس ايضا هو تل بين الجنة والنار وذكر الزهراوي حديثا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اُحدا جبل يحبنا ونحبه وانه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار يحتبس عليه اقوام يعرفون كلا بسيماهم هم ان شاء الله من اهل الجنة والاعراف جمع عرف وهو المرتفع من الارض ومنه عرف الفرس وعرف الديك لعلوهما وقال بعض الناس سمي الاعراف اعرافا لان اصحابه يعرفون الناس قال (ع) وهذه عجمة وانما المراد على اعراف ذلك الحجاب اي اعاليه وقوله رجال قال الجمهور انهم رجال من البشر ثم اختلفوا فى تعيينهم فقال شرحبيل بن سعد هم المستشهدون فى سبيل الله الذين خرجوا عصاة لآبائهم وذكر الطبري فى ذلك حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وانه تعادل عقوقهم واستشهادهم وقال ابن عباس وغيره هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ووقع فى مسند خثيمة بن سليمان فى آخر

الجزء الخامس عشر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار قيل يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته قال اولائك اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وقيل غير هذا من التاويلات قال (ع) واللازم من الآية ان على اعراف ذلك السور او على مواضع مرتفعة عن الفريقين حيث شاء الله تعالى رجالا من اهل الجنة يتأخر دخولهم ويقع لهم ما وصف من الاعتبار ويعرفون كلا بسيماهم اي بعلاماتهم من بياض الوجوه وحسنها فى اهل الجنة وسوادها وقبحها فى اهل النار الى غير ذلك فى حيز هؤلاء وحيز هؤلاء وقوله لم يدخلوها وهم يطمعون المراد به اهل الاعراف فقط وهو تاويل ابن مسعود والسدي وقتادة والحسن وقال والله ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم الا لخير اراده بهم قال (ع) وهذا هو الاظهر الاليق مما قيل فى هذه الآية ولا نظر لاحد مع قول النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه واذا صرفت ابصارهم اي ابصار اصحاب الاعراف فهم يسلمون على اصحاب الجنة واذا نظروا الى النار واهلها قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين قاله ابن عباس وجماعة من العلماء * وقوله سبحانه ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم يريد من اهل النار ما اغنى عنكم جمعكم ما استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ وما الثانية مصدرية وجمعكم لفظ يعم المال والاجناد والخول * وقوله سبحانه اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة اهل الاعراف هم القائلون اهؤلاء اشارة الى اهل الجنة والذين خوطبوا هم اهل النار والمعنى اهؤلاء الضعفاء فى الدنيا الذين حلفتم ان الله لا يعبؤ بهم قيل لهم ادخلوا الجنة وقال النقاش اقسم اهل النار ان اصحاب

الاعراف داخلون النار معهم فنادتهم الملائكة اهؤلاء ثم نادت اصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وقرأ عكرمة دخلوا الجنة على الاخبار بفعل ماض * وقوله سبحانه ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء الآية لفظة النداء تتضمن ان اهل النار وقع لهم علم بان اهل الجنة يسمعون نداءهم وجائز ان يكون ذلك وهم يرونهم بادراك يجعله الله لهم على بعد السفل من العلو وجائز ان يكون ذلك وبينهم السور والحجاب المتقدم الذكر وروي ان ذلك النداء هو عند اطلاع اهل الجنة عليهم وقوله سبحانه او مما رزقكم الله اشارة الى الطعام قاله السدي فيقول لهم اهل الجنة ان الله حرم طعام الجنة وشرابها على الكافرين واجابة اهل الجنة بهذا الحكم هو عن امر الله تعالى ومعنى قوله تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا اي بالاعراض والاستهزاء بمن يدعوهم الى الاسلام وغرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم بزخرفها واعتقادهم انها الغاية القصوى وقوله فاليوم ننساهم هو من اخبار الله عز وجل عما يفعل بهم والنسيان هنا بمعنى الترك اي نتركهم فى العذاب كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم قاله ابن عباس وجماعة وما كانوا عطف على ما من قوله كما نسوا ويحتمل ان تقدر ما الثانية زائدة ويكون قوله وكانوا عطفا على قوله نسوا وقوله سبحانه ولقد جئناهم بكتاب الضمير فى جئناهم لمن تقدم ذكره والكتاب اسم جنس واللام فى لقد لام قسم وقال يحي بن سلام بل الكلام تم فى يجحدون وهذا الضمير لمكذبي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو ابتداء كلام آخر والمراد بالكتاب القرءان وعلى علم معناه على بصيرة وقوله سبحانه هل ينظرون اي ينتظرون الا تاويله اي مثاله وعاقبته يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره وقال السدي مثاله فى الدنيا وقعة بدر وغيرها ويوم القيامة ايضا ثم اخبر تعالى ان مثال حال هذا الدين يوم ياتى يقع معه ندمهم ويقولون تأسفا على ما فاتهم من

الايمان لقد جاءت رسل ربنا بالحق فالتاويل على هذا من آل يئول ونسوه يحتمل ان يكون بمعنى الترك وباقي الآية بين (ت) وهذا التقرير يرجح تاويل ابن سلام المتقدم * وقوله سبحانه ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام الآية خطاب عام يقتضى التوحيد والحجة عليه بدلائله وجاء فى التفسير والاحاديث ان الله سبحانه ابتدأ الخلق يوم الاحد وكملت المخلوقات يوم الجمعة وهذا كله والساعة اليسيرة فى قدرة الله سبحانه سواء قال (م) فى ستة ايام ستة اصلها سدسة فابدلوا من السين تاء ثم ادغموا الدال فى التاء وتصغيره سديس وسديسة انتهى * وقوله سبحانه ثم استوى على العرش معناه عند ابى المعالى وغيره من حذاق المتكلمين الملك والسلطان وخص العرش بالذكر تشريفا اه اذ هو اعظم المخلوقات * وقوله سبحانه الا له الخلق والامر الا استفتاح كلام واخذ المفسرون الخلق بمعنى المخلوقات اي هي كلها ملكه واختراعه واخذوا الامر مصدرا من آمر يامر قال (ع) ويحتمل ان توخذ لفظة الخلق على المصدر من خلق يخلق خلقا اي له هذه الصفة اذ هو الموجد للاشياء بعد العدم ويوخذ الامر على انه واحد الامور فيكون بمنزلة قوله واليه يرجع الامر كله والى الله ترجع الامور وكيف ما تأولت الآية فالجميع لله سبحانه وتبارك معناه عظم وتعالى وكثرت بركاته ولا يوصف بها الا الله سبحانه وتبارك لا يتصرف فى كلام العرب فلا يقال منه يتبارك والعالمين جمع عالم * قوله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين هذا امر بالدعاء وتعبد به ثم قرن سبحانه بالامر به صفات تحسن معه وقوله تضرعا معناه بخشوع واستكانة والتضرع لفظة تقتضى الجهر لان التضرع انما يكون باشارات جوارح وهيآت اعضاء تقترن بالطلب وخفية يريد فى النفس خاصة وقد اثنى الله سبحانه على ذلك فى قوله سبحانه اذ نادى ربه نداء خفيا ونحو

هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي والشريعة مقررة ان السر فيما لم يفرض من اعمال البر اعظم اجرا من الجهر (ت) ونحو هذا لابن العربي لما تكلم على هذه الآية قال الاصل فى الاعمال الفرضية الجهر والاصل فى الاعمال النفلية السر وذلك لما يتطرق الى النفل من الرياء والتظاهر بذلك فى الدنيا والتفاخر على الاصحاب بالاعمال وقلوب الخلق جبلت بالميل الى اهل الطاعة انتهى من الاحكام وقوله سبحانه انه لا يحب المعتدين يريد فى الدعاء وان كان اللفظ عاما والاعتداء فى الدعاء على وجوه منها الجهر الكثير والصياح وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ومنها ان يدعو فى محال ونحو هذا من التشطط وروي عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل وقال البخاري انه لا يحب المعتدين اي فى الدعاء وغيره انتهى (ت) قال الخطابي وليس معنى الاعتداء الاكثار فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين فى الدعاء وقال اذا دعا احدكم فليستكثر فانما هو يسأل ربه انتهى وروى ابو داود فى سننه عن عبد الله بن مُغَفَّل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الطهر والدعاء انتهى * وقوله سبحانه ولا تفسدوا فى الارض الآية الفاظها عامة تتضمن كل فساد قل او كثر بعد صلاح قل او كثر والقصد بالنهي هو العموم وتخصيص شيء دون شيء فى هذا تحكم الا ان يقال على جهة المثال * وقوله سبحانه وادعوه خوفا وطمعا امر بان يكون الانسان فى حالة تقرب وتحرز وتاميل لله عز وجل حتى يكون الخوف والرجاء

كالجناحين للطير يحملانه فى طريق استقامة وان انفرد احدهما هلك الانسان وقد قال كثير من العلماء ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء طول الحياة فاذا جاء الموت غلب الرجاء وقد رأى كثير من العلماء ان يكون الخوف اغلب على المرء بكثير وهذا كله طريق احتياط ومنه تمنى الحسن البصري ان يكون الرجلَ الذى هو آخر من يدخل الجنة وتمنى سالم مولى ابى حذيفة ان يكون من اصحاب الاعراف ثم انّس سبحانه بقوله ان رحمت الله قريب من المحسنين * وقوله سبحانه وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا الآية هذه آية اعتبار واستدلال وقرأ عاصم الرياح بالجمع بشرا بالباء المضمومة والشين الساكنة وروي عنه بشرا بضم الباء والشين ومن جمع الريح فى هذه الآية فهو اسعد وذلك ان الرياح حيث وقعت فى القرءان فهي مقترنة بالرحمة كقوله ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات واكثر ذكر الريح مفردة انما هو بقرينة عذاب كقوله سبحانه وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد تقدم ايضاح هذا فى سورة البقرة ومن قرأ فى هذه الآية الريح بالافراد فانما يريد به اسم الجنس وايضا فتقييدها بنشراً يزيل الاشتراك والارسال فى الريح هو بمعنى الاجراء والاطلاق ونشرا اي تنشر السحاب واما بشرا بضم الباء والشين فجمع بشير كنذير ونذر والرحمة فى هذه الآية المطر وبين يدي اي امام رحمته وقدامها واقلت معناه رفعته منْ الارض واستقلت به وثقالا معناه من الماء والعرب تصف السحاب بالثقل والريح تسوق السحاب من ورائه فهو سوق حقيقة والضمير فى سقناه عائد على السحاب ووصف البلد بالموت استعارة بسبب شعثه وجذوبته والضمير فى قوله فانزلنا به يحتمل ان يعود على السحاب اي منه ويحتمل ان يعود على البلد ويحتمل ان يعود على الريح *

وقوله تبارك وتعالى كذلك نخرج الموتى يحتمل مقصدين احدهما ان يراد كهذه القدرة العظيمة هي القدرة على احياء الموتى وهذا مثال لها الثانى ان يراد ان هكذا نصنع بالاموات من نزول المطر عليهم حتى يحيوا به حسب ماوردت به الآثار فيكون الكلام خبرا لامثالا * وقوله سبحانه والبلد الطيب يخرج نباته آية متممة للمعنى الاول فى الآية قبلها معرفة بعادة الله سبحانه فى انبات الارضين فمن اراد ان يجعلها مثالا لقلب المومن وقلب الكافر كما هو محكي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي فذلك مترتب لكن الفاظ الآية لا تقتضى ان المثل قصد به ذلك والطيب هو الجيد التراب الكريم الارض وخص باذن ربه مدحا وتشريفا وهذا كما تقول لمن تغض منه انت كما شاء الله فهي عبارة تعطى مبالغة فى مدح اوذم والخبيث هو السباخ ونحوها من ردىء الارض والنكد العسير القليل كذلك نصرف الآيات اي هكذا نبين الامور ويشكرون معناه يومنون ويثنون بآلاء الله سبحانه * قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملا من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون قال الطبري اقسم الله تعالى انه ارسل نوحا وكذا قال ابو حيان لقد اللام جواب قسم محذوف انتهى وغيره بالرفع بدل من قوله من اله لانه فى موضع رفع ويجوز ان يكون نعتا على الموضع لان التقدير ما لكم اله غيره والملا الجماعة من الاشراف قيل انهم ماخذون من انهم يملئون النفس والعين ويحتمل من انه اذا تمالئوا على امرتم وقولهم انا لنراك يحتمل من رؤية البصر ويحتمل من رؤية القلب وهو اظهر وفى ضلال اي فى تلف وجهالة بما تسلك وقوله

لهم جواب عن هذا ليس بي ضلالة مبالغة فى حسن الادب والاعراض عن الجفاء منهم وتناول رفيق وسعة صدر حسب ما تقتضيه خلق النبوءة وقوله ولكنى رسول تعرض لمن يريد النظر والبحث والتأمل فى المعجزة وقوله عليه السلام واعلم من الله ما لا تعلمون لفظ مضمنه الوعيد لاسيا وهم لم يسمعوا قط بامة عذبت * وقوله او عجبتكم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين الاستفهام هنا على جهة التقرير والتوبيخ وقوله على رجل منكم قيل على بمعني مع وقيل هو على حذف مضاف تقديره على لسان رجل ويحتمل ان يكون معناه منزل على رجل منكم اذ كل ما ياتى من الله سبحانه فله حكم النزول ولعلكم ترج بحسب حال نوح ومعتقده * وقوله سبحانه فانجيناه والذين معه فى الفلك الآية وفى التفسير ان الذين كانوا مع نوح فى السفينة اربعون رجلا وقيل ثمانون رجلا وثمانون امرأة وقيل عشرة وقيل ثمانية قاله قتادة وقيل سبعة والله اعلم وفى كثير من كتب الحديث الترمذى وغيره ان جميع الخلق الآن من ذرية نوح عليه السلام وقوله عمين جمع عم ويريد عمي البصائر واتى فى حدبث الشفاعة وغيره ان نوحا اول الرسل * وقوله سبحانه والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين عاد اسم الحى وهم عرب فيما يذكر واخاهم نصب بارسلنا وهو معطوف على نوح وهذه ايضا نذارة من هود عليه السلام وقوله افلا تتقون استعطاف الى التقوى والايمان وقوله او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قوله وزادكم فى الخلق اي فى الخلقة والبسطة الكمال فى الطول والعرض وقيل زادكم على اهل عصركم وقال الطبري زادكم على قوم نوح وقاله قتادة قال (ع) واللفظ يقتضى ان الزيادة على جميع العالم وهو الذى يقتضيه ما يذكر عنهم وروي ان طول الرجل منهم كان مائة ذراع وطول اقصرهم ستون ونحوها والآلاء جمع الى على مثل معى وهي النعمة والمنة قال الطبري وعاد هؤلاء فيما حدث ابن اسحاق من ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الشحر من ارض اليمن وما والى حضرموت الى عمان قال السدي وكانوا بالاحقاف وهي الرمال وكانت بلادهم اخصب بلاد فردها الله صحارى وقال علي بن ابى طالب رضي الله عنه ان قبر هود عليه السلام هنالك فى كثيب احمر تخالطه مدرة ذات اراك وسدر وكانوا قد فشوا فى جميع الارض وملكوا كثيرا بقوتهم وعددهم وظلموا الناس وكانوا ثلاثة عشر قبيلة وكانوا اصحاب اوثان فبعث الله اليهم هودا من افضلهم واوسطهم نسبا فدعاهم الى توحيد الله سبحانه والى ترك الظلم قال ابن اسحاق ولم يامرهم فيما يذكر بغير ذلك فكذبوه وعتوا واستمروا على ذلك الى ان اراد الله انفاذ امره امسك عنهم المطر ثلاث سنين فشقوا بذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا دهمهم امر فزعوا الى المسجد الحرام بمكة فدعوا الله فيه تعظيما له مومنهم وكافرهم واهل مكة يومئذ العماليق وسيدهم رجل يسمى معاوية بن بكر فاجتمعت عاد على ان تجهز منهم وفدا الى مكة يستسقون الله لهم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال وعتيل بن ضد ابن عاد الاكبر ومرثد بن سعد وكان هذا مومنا يكتم ايمانه وجلهمة بن

الخيبرى فى سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم واقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتا معاوية ولما رأى معاوية اقامتهم وقد بعثهم عاد للغوث اشفق على عاد وكان ابن اختهم امه كلهدة ابنة الخيبرى اخت جلهمة وقال هلك اخوالى وشق عليه ان يامر اضيافه بالانصراف عنه فشكا ذلك الى قينتيه فقالتا اصنع شعرا نغنى به عسى ان ننبههم فقال

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يصحبنا غماما
فتسقى ارض عاد ان عادا * قدامسوا لايبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد امست نساؤهم عياما
وان الوحش تاتيهم جهارا * ولا تخشى لعادي سهاما
وانتم هاهنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فغنت به الجرادتان فلما سمعه القوم قال بعضهم ياقوم انما بعثكم قومكم لما حل بهم فادخلوا هذا الحرم وادعوا لعل الله يغيثهم فخرجوا لذلك فقال لهم مرثد ابن سعد انكم والله ما تسقون بدعائكم ولكنكم ان اطعتم نبيكم وآمنتم سقيتم واظهر ايمانه يومئذ فخالفه الوفد وقالوا لمعاوية بن بكر وابيه بكر احبسا عنا مرثدا ولا يدخل معنا الحرم فانه قد اتبع هودا ومضوا الى الحرم فاستسقى قيل بن عنز وقال يا الاهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب ما شئت فقال قيل قد اخترت السوداء

فانها اكثرهن ماء فنودي قد اخترت رمادا رمددا * لاتبقي من عاد احدا * لا والدا ولا ولدا * الاجعلتهم همدا * وساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها قالوا هذا عارض ممطرنا حتى عرفت انها ريح امرأة منهم يقال لها مهدر فصاحت وصعقت فلما افاقت قيل لها ما رأيت قالت ريحا فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد احدا الاهلك فاعتزل هود ومن معه من المومنين فى حظيرة ما يصيبه من ريح الاما يلتذ به قال (ع) وهذا قصص وقع فى تفسير الطبري مطولا وفيه اختلاف فاقتضبت عيون ذلك بحسب الايجاز وفى خبرهم ان الريح كانت تدمغهم بالحجارة وترفع الظعينة عليها المرأة حتى تلقيها فى البحر وفى خبرهم ان اقوياءهم كان احدهم يسد بنفسه مهب الريح حتى تغلبه فتلقيه فى البحر فيقوم ءاخر مكانه حتى هلك الجميع وقال زيد بن اسلم بلغنى ان ضبعا ربت اولادها فى حجاج عين رجل منهم وفى خبرهم ان الله سبحانه لما اهلكهم بعث طيرا فنقلت جيفهم حتى طرحتها فى البحر فذلك قوله سبحانه فاصبحوا لاترى الا مساكنهم وفى بعض ما روي من شأنهم ان الريح لم تبعث قط الابمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فذلك قوله سبحانه فاهلكوا بريح صرصر عاتية وروي ان هودا لما هلكت عاد نزل بمن آمن معه الى مكة فكانوا بها حتى ماتوا فالله اعلم اي ذلك كان وقولهم اجئتنا لنعبد الله وحده الآية ظاهر قولهم وحده انهم انكروا ان يتركوا اصنامهم ويفردون العبادة لله مع اقرارهم بالاله الخالق المبدع وهذا هو الاظهر فيهم وفى عباد الاوثان كلهم ولا يجحد ربوبية الله تعالى من الكفرة الامن افرطت غباوته وقولهم فاتنا بما تعدنا

تصميم على التكذيب واستعجال للعقوبة * وقوله سبحانه قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلوننى فى اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا الآية اعلمهم بان القضاء قد نفذ وحل عليهم الرجس وهو السخط والعذاب وقوله اتجادلوننى فى اسماء سميتموها اي فى مسميات سميتموها ءالهة وقطعنا دابر استعارة تستعمل فيمن يستاصل بالهلاك والدابر الذى يدبر القوم وياتى خلفهم فاذا انتهى القطع والاستيصال الى ذلك فلم يبق احد وقوله كذبوا بآياتنا دال على المعجزة وان لم تتعين (ت) ومن معجزاته قوله فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون على ما سياتى ان شاء الله فى موضعه * وقوله سبحانه والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم ءاية فذروها تاكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم قرأ الجمهور والى ثمود بغير صرف على ارادة القبيلة وقرأ يحيى بن وثاب والاعمش والى ثمود بالصرف على ارادة الحي والقراءتان فصيحتان مستعملتان وقد قال تعالى الا ان ثمودا كفروا ربهم واخاهم عطف على نوح والمعنى وارسلنا الى ثمود اخاهم وهي اخوة نسب وهم قوم عرب فهود وصالح عربيان وكذلك اسماعيل وشعيب كذا قال الناس وفى امر اسماعيل نظر (ت) النظر الذى اشار اليه لايخفى عليك وذلك ان اسماعيل والده ابراهيم عليه السلام اعجمي وتعلم اسماعيل العربية من العرب الذين نزلوا عليه بمكة حسب ما ذكره اهل السيرة فهذا وجه النظر الذى اشار اليه وفى نظره رحمه الله نظر يمنعنى من البحث معه ما انا له قاصد من الايجاز والاختصار دون البسط والانتشار نعم خرج ابو بكر الآجري من حديث ابى ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال واربعة من

العرب هود وشعيب وصالح ونبيك يا ابا ذر انتهى ولم يذكر اسماعيل فهذا الحديث قد يعضد ما قاله (ع) وصالح عليه السلام هو صالح بن عبيد بن عابر بن ارم بن سام بن نوح كذا ذكر مكي قال وهب بعثه الله حين راهق الحلم ولما هلك قومه ارتحل بمن معه الى مكة فاقاموا بها حتى ماتوا فقبورهم بين دار الندوة والحجر اي كما ارتحل هود بمن معه الى مكة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين * وقوله قد جاءتكم بينة من ربكم اي ءاية او حجة او موعظة بينة من ربكم قال بعض الناس ان صالحا جاء بالناقة من تلقاء نفسه وقال الجمهور بل كانت مقترحة وهذا اليق بما ورد فى الآثار من امرهم روي ان قومه طلبوا منه ءاية تضطرهم الى الايمان وقالوا ياصالح ان كنت صادقا فادع لنا ربك يخرج لنا من هذه الهضبة وفى بعض الروايات من هذه الصخرة لصخرة بالحجر ناقة عُشَراء فدعا الله فتمخضت تلك الهضبة وانشقت عن ناقة عظيمة وروي انها كانت حاملا فولدت سقبها المشهور وروي انه خرج معها فصيلها من الصخرة وقيل انها ناقة الله تشريفا لها وتخصيصا وهي اضافة خلق الى خالق وجعل الله لها شربا يوما ولهم شرب يوم وكانت ءاية فى شربها وحلبها قال المفسرون كانت خلقا عظيما تاتى الى الماء بين جبلين فيزحمانها من العظم وقاسمت ثمود فى الماء يوما بيوم فكانت الناقة ترد يومها فتستوفى ماء بيرهم شربا ويحلبونها ماشاءوا من لبن ثم تمكث يوما وترد بعد ذلك غبا فاستمر ذلك ما شاء الله حتى ملتها ثمود وقالوا ما نصنع باللبن الماء احب الينا منه وكان سبب الملل فيما روي انها كانت تصيف فى بطن الوادى وادى الحجر وتشتو فى ظاهره فكانت مواشيهم تفر منها فتما لئوا على ملل الناقة وروي ان صالحا اوحى الله اليه ان قومك سيعقرون الناقة وينزل بهم العذاب عند ذلك فاخبرهم بذلك فقالوا عياذا

بالله ان نفعل ذلك فقال ان لم تفعلوا انتم اوشك ان يولد فيكم من يفعله وقال لهم صفة عاقرها احمر اشقر ازرق فوُلد قدار على الصفة المذكورة فكان الذى عقرها بالسيف وقيل بالسهم فى ضرعها وهرب فصيلها عند ذلك حتى صعد على جبل يقال له القارة فرغا ثلاثا فقال يا صالح هذا ميعاد ثلاثة ايام للعذاب وامرهم قبل رغاء الفصيل ان يطلبوه عسى ان يصلوا اليه فيندفع عنهم العذاب به فراموا الصعود اليه فى الجبل فارتفع الجبل فى السماء حتى ما تناله الطير وحينئذ رغا الفصيل وروي ان صالحا عليه السلام قال لهم حين رغا الفصيل ستصفر وجوهكم فى اليوم الاول وتحمر فى الثانى وتسود فى الثالث فلما ظهرت العلامات التى قال لهم ايقنوا بالهلاك واستعدوا ولطّخوا ابدانهم بالمر وحفروا القبور وتحنطوا وتكفنوا فى الانطاع فاخذتهم الصيحة وخرج صالح ومن ءامن معه حتى نزل رملة فلسطين وقد اكثر الناس فى هذا القصص وهذا القدر كافٍ ومن اراد استيفاء هذا القصص فليطالع الطبري قال (ع) وبلاد ثمود هي بين الشام والمدينة وهي التى مربها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين فى غزوة تبوك فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم اعتجر بعمامة واسرع السير حتى جاز الوادى صلى الله عليه وسلم (ت) ولفظ البخاري ثم قنع راسه واسرع السير الحديث * وقوله سبحانه واذكروا اذجعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض الآية بوأكم معناه مكنكم وهي مستعملة فى المكان وظروفه والقصور جمع قصر وهي الديار التى قصرت على بقاع من الارض مخصوصة بخلاف بيوت العمود وقصرت على الناس قصرا تاما والنحت النجر والقشر فى الشيء الصلب كالحجر والعود ونحوه وكانوا ينحتون الجبال لطول اعمارهم وتعثوا معناه تفسدوا قال ابو حيان ومفسدين حال موكدة

انتهى والذين استكبروا هم الاشراف والعظماء الكفرة والذين استضعفوا هم العامة والاغفال فى الدنيا وهم اتباع الرسل وقولهم اتعلمون استفهام على معنى الاستهزاء والاستخفاف فاجاب المومنون بالتصديق والصرامة فى دين الله فحملت الانفة الاشراف على مناقضة المومنين فى مقالتهم واستمروا على كفرهم * وقوله سبحانه فعقروا الناقة يقتضى بتشريكهم اجمعين فى الضمير ان عقر الناقة كان على تمالئ منهم واتفاق وكذلك رُوي ان قدارا لم يعقرها حتى كان يستشير وعتوا معناه خشنوا وصلبوا ولم يذعنوا للامر والشرع وصمموا على تكذيبه واستعجلوا النقمة بقولهم ايتنا بما تعدنا فحل بهم العذاب والرجفة ما تؤثره الصيحة او الطامة التي يرجف بها الانسان وهو ان يتحرك ويضطرب ويرتعد ومنه فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده وروي ان صيحة ثمود كان فيها من كل صوت مهول وكانت مفرطة شقت قلوبهم فجثموا على صدورهم والجاثم اللاطئ بالارض على صدره فجاثمين معناه باركين قد صعق بهم وهو تشبيه بجثوم الطير وجثوم الرماد وقال بعض المفسرين معناه حمما محترقين كالرماد الجاثم وذهب صاحب هذا القول الى ان الصيحة اقترن بها صواعق محرقة وروي ان الصيحة اصابت كل من كان منهم فى شرق الارض وغربها الارجلا كان فى الحرم فمنعه الحرم ثم هلك بعد خروجه من الحرم ففى مصنف ابى داود قيل يا رسول الله من ذلك الرجل قال ابو رغال وذكره الطبري ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الخبر يرد ما فى السير من ان ابارغال هو دليل الفيل وقوله فتولى عنهم اي تولى عنهم وقت عقر الناقة وذلك قبل نزول العذاب وكذلك روي انه عليه السلام خرج من بين اظهرهم قبل نزول العذاب وهو الذى تقتضيه مخاطبته لهم ويحتمل ان يكون خطابه لهم وهم موتى على جهة التفجع عليهم

وذكر حالهم او غير ذلك كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر قال الطبري وقيل انه لم تهلك امة ونبيها معها وروي انه ارتحل بمن معه حتى جاء مكة فاقام بها حتى مات ولفظ التولى يقتضى اليأس من خيرهم واليقين فى اهلاكهم وقوله ولكن لاتحبون الناصحين عبارة عن تغليبهم الشهوات على الرأي السديد اذ كلام الناصح صعب مضاد لشهوة الذى ينصح ولذلك تقول العرب امر مبكياتك لا امر مضحكاتك * وقوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين لوط عليه السلام بعثه الله سبحانه الى امة تسمى سدوم وروي انه ابن اخى ابراهيم عليه السلام ونصبه اما بارسلنا المتقدم فى الانبياء واما بفعل محذوف تقديره واذكر لوطا والفاحشة اتيان الذكور فى الادبار وروي انه لم تكن هذه المعصية فى امة قبلهم وحكم هذه الفاحشة عند مالك وغيره الرجم احصن ام لم يحصن وحرق ابو بكر الصديق رضي الله عنه رجلا عمل عمل قوم لوط وقرأ نافع وغيره انكم على الخبر كانه فسر الفاحشة والاسراف الزيادة الفاسدة ولم تكن مراجعة قومه باحتجاج منهم ولا بمدافعة عقلية وانما كانت بكفر وخذلان ويتطهرون معناه يتنزهون عن حالنا وعادتنا قال قتادة عابوهم بغير عيب وذموهم بغير ذم واستثنى الله سبحانه امرأة لوط عليه السلام من الناجين واخبر انها هلكت والغابر هو الباقى هذا هو المشهور فى اللغة وقد يجيء الغابر بمعنى الماضى وكذلك حكى اهل اللغة غبر بمعنى بقى وبمعنى مضى وقوله وامطرنا عليهم مطرا الآية اي بحجارة وروي ان الله تعالى بعث

جبريل فاقتلعها بجناحه وهي ست مدن وقيل خمس وقيل اربع فرفعها حتى سمع اهل السماء الدنيا صراخ الديكة ونباح الكلاب ثم عكسها ورد اعلاها اسفلها وارسلها الى الارض وتبعتهم الحجارة مع هذا فاهلكت من كان منهم من كان فى سفر اوخارجا من البقع المرفوعة وقالت امرأة لوط حين سمعت الوجبة واقوماه والتفتت فاصابتها صخرة فقتلتها * وقوله سبحانه والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها الآية قيل فى مدين انه اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة وقيل هم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل وهذا بعيد وروي ان لوطا هو جد شعيب لامه وقال مكي كان زوج بنت لوط واخاهم منصوب بارسلنا فى اول القصص والبينة اشارة الى معجزته ولا تبخسوا معناه ولا تظلموا ومنه قولهم تحسبها حمقاء وهي باخس اي ظالمة خادعة وقال فى سورة هود البخس النقص (ت) ويحتمل والله اعلم ان البخس هو ما اعتاده الناس من ذم السلع ليتوصلوا بذلك الى رخصها فتأمله والله اعلم بما اراد سبحانه قال ابو حيَّان ولا تبخسوا متعد الى مفعولين تقول بخست زيدا حقه اي نقصته اياه انتهى واشياءهم يريد امتعتهم واموالهم ولا تفسدوا لفظ عام فى دقيق الفساد وجليله وكذلك الاصلاح عام ذلكم خير لكم اي عند الله ان كنتم مومنين اي بشرط الايمان والتوحيد والا فلا ينفع عمل دون ايمان ولا تقعدوا بكل صراط الآية قال السدي هذا نهي عن العشارين والمتغلبين ونحوه من اخذ اموال الناس بالباطل والصراط الطريق وذلك انهم كانوا يكثرون من هذا لانه من قبيل بخسهم ونقصهم الكيل والوزن وقال ابو هريرة رضي الله عنه هو نهي عن السلب وقطع الطرق وكان ذلك من

فعلهم وروي فى ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وما تقدم من الآية يؤيد هذين القولين وقال ابن عباس وغيره قوله ولا تقعدوا نهي لهم عما كانوا يفعلونه من رد الناس عن شعيب وذلك انهم كانوا يقعدون على الطرقات المفضية الى شعيب فيتوعدون من اراد المجيء اليه ويصدونه وما بعد هذا من الالفاظ يشبه هذا من القول والضمير فى به يحتمل ان يعود على اسم الله وان يعود على شعيب فى قول من رأى القعود على الطرق للرد عن شعيب قال الداودي وعن مجاهد يبغونها عوجا يلتمسون لها الزيغ انتهى ثم عدّد عليهم نعم الله تعالى وانه كثرهم بعد قلة عدد وقيل اغناهم بعد فقر ثم حذرهم ومثل لهم بمن امتحن من الامم وقوله وان كان طائفة منكم امنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يومنوا فاصبروا الآية قوله فاصبروا تهديد للطائفة الكافرة وقولهم او لتعودن فى ملتنا معناه او لتصيرنّ وعاد فى كلام العرب على وجهين احدهما عاد الشيء الى حال قد كان فيها قبل ذلك وهي على هذا الوجه لا تتعدى فان عدّيت فبحرف ومنه قول الشاعر

الا ليت ايام الشباب جديد * وعمرا تولى بابثين يعود

ومنه قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والوجه الثانى ان تكون بمعنى صار وعاملة عملها ولا تتضمن ان الحال قد كانت متقدمة ومنه قول الشاعر

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعدُ ابوالا

ومنه قول الآخر * وعاد راسي كالثغامة * ومنه قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم على ان هذه محتملة بقوله فى الآية اولتعودن وشعيب عليه السلام لم يك قط كافرا فيقتضى انها بمعنى صار واما فى جهة المومنين به بعد كفرهم فيترتب المعنى الآخر ويخرج عنه شعيب وقوله اولو كنا كارهين توقيف منه لهم على شنعة المعصية وطلب ان يقروا بالسنتهم باكراه المومنين على الاخراج ظلما

وغشما قال (ص) قد افترينا هو بمعنى المستقبل لانه سد مسد جواب الشرط وهو ان عدنا او هو جوابه على قول انتهى وقوله الا ان يشاء الله ربنا يحتمل ان يريد الا ان يسبق علينا فى ذلك من الله سابق سوء وينفذ منه قضاء لا يرد قال (ع) والمومنون هم المجوزون لذلك واما شعيب فقد عصمته النبوءة وهذا اظهر مما يحتمل القول ويحتمل ان يريد استثناء ما يمكن ان يتعبد الله به المومنين مما يفعله الكفار من القربات وقيل ان هذا الاستثناء انما هو تسنُّنٌ وتأَدُّبٌ وقوله وسع ربنا كل شيء علما معناه وسع علم ربنا كل شيء كما تقول تصبب زيد عرقا اي تصبب عرق زيد ووسع بمعنى احاط وقوله افتح معناه احكم وقوله على الله توكلنا استسلام لله سبحانه وتمسك بلطفه وذلك يؤيد التاويل الاول فى قوله الا ان يشاء الله ربنا * وقوله سبحانه وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا الآية اي قال الملأ لتباعهم ومقلديهم والرجفة الزلزلة الشديدة التى ينال الانسان معها اهتزاز وارتعاد واضطراب فيحتمل ان فرقة من قوم شعيب هلكت بالرجفة وفرقة بالظلة ويحتمل ان الظلة والرجفة كانتا فى حين واحد (ت) والرجفة هي الصيحة يرجف بسببها الفؤاد وكذلك هو مصرح بها فى قصة قوم شعيب فى قوله سبحانه واخذت الذين ظلموا الصيحة الآية وقوله سبحانه كان لم يغنوا فيها الضمير فى قوله فيها عائد على دارهم ويغنوا معناه يقيمون بنعمة وخفض عيش وهذا اللفظ فيه قوة الاخبار عن هلاكهم ونزول النقمة بهم والتنبيه على العبرة والاتعاظ بهم ونحو هذا قول الشاعر

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر

قال (ع) فغنيت في المكان انما يقال فى الاقامة التى هي مقترنة بتنعم وعيش مرضي وقوله ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم كلام

يقتضي حزنا واشفاقا لما رأى هلاك قومه اذ كان امله فيهم غير ذلك ولما وجد في نفسه ذلك طلب ان يثير في نفسه سبب التسلي عنهم فجعل يعدد معاصيهم واعراضهم ثم قال لنفسه لما نظر وفكر فكيف ءاسى على قوم كافرين ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم لاهل قليب بدر وءاسى معناه احزن قال مكي وسار شعيب بمن معه حتى سكن مكة الى ان ماتوا بها * وقوله سبحانه وما ارسلنا في قرية من نبيء الاخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون اخبر سبحانه انه ما بعث نبيا في قرية وهي المدينة الا اخذ اهلها المكذبين له بالبأساء وهي المصائب في المال وعوارض الزمن والضراء وهي المصائب في البدن كالامراض ونحوها لعلهم يضرعون اي ينقادون الى الايمان وهكذا قولهم الحمى اضرعتني لك ثم بدلنا مكان السيئة وهي البأساء والضراء الحسنة وهي السراء والنعمة حتى عفوا معناه حتى كثروا يقال عفا النبات والريش اذا كثر نباته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم احفوا الشوارب واعفوا اللحى ولما بدل لله حالهم بالخير لطفا بهم فنموا رأوا ان اصابة الضراء والسراء انما هي بالاتفاق وليست بقصد كما يخبر به النبيء واعتقدوا ان ما اصابهم من ذلك انما هو كالاتفاق الذى كان لآبائهم فجعلوه مثالا اي قد اصاب هذا ءاباءنا فلا ينبغي لنا ان ننكره ثم اخبر سبحانه انه اخذ هذه الطوائف التي هذا معتقدها وقوله بغتة اي فجأة واخذة اسف وبطشا للشقاء السابق لهم في قديم علمه سبحانه * وقوله تعالى ولو ان اهل القرىء امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي من بركات المطر والنبات وتسخير الرياح والشمس والقمر في مصالح العباد وهذا بحسب ما يدركه نظر البشر ولله سبحانه خدام غير ذلك لا يحصى عددهم وما في علم الله اكثر * وقوله سبحانه افأمن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا بياتا وهم

ناءمون الآيـة تتضمن وعيدا للكافرين المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليـه وسلم لانـه لما اخبر عما فعل فى الامم الخالية قال ومن يوءمن هوءلاء ان ينزل بهم مثل ما نزل باولائك وهـذا استفهـام على جهـة التوقيف والبأس العذاب ومكر الله هي اضافة مخلوق الى خالق والمراد فعل يعاقب بـه مكرة الكفرة والعرب تسمى العقوبة باسم الذنب * وقوله سبحانه او لم يهد للـذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية هذه الف تقرير دخلت على واو العطف ويهدى معناه يبين فيحتمل ان يكون المبين الله سبحانـه ويحتمل ان يكون المبين قوله ان لو نشاء اي علمهم بذلك وقال ابن عباس ومجاهـد وابن زيـد يهدى معناه يتبين وهـذه ايضا آية وعيد اي الم يظهر لوارثى الارض بعـد اولائك الذين تقـدم ذكرهم وما حلّ بهم انا نقدر لو شئنا اصبناهم بذنوبهم كما فعلنا بمن تقدم وفي العبـارة وعظ بحال من سلف من المهلكين * وقوله سبحانه تلك القرى نقص عليك من انبائهـا ولقـد جاءتهم رسلهم بالبينـات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبـع الله على قلوب الكافرين تلك ابتداء والقرى قال قوم هو نعت والخبر نقص وعندى ان اهل القرى هي خبر الابتداء وفى ذلك معنى التعظيم لها ولمهلكها وهذا كما قيل فى قوله تعالى ذلك الكتاب وكما قال عليه السلام اولائك الملاوكقول ابن ابي الصلت تلك المكارم وهذا كثيرثم ابتدأ سبحانه الخبر عن جميعهم بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل هذا الكلام يحتمـل وجوهـا من التاويـل احدها ان يريـد ان الرسول جاء لكـل فريـق منهم فكذبوه لاول امره ثم استبانت حجته وظهرت الآيات الدالة على صدقه مع استمرار دعوته فلجوا هم فى كفرهم ولم يومنوا بما سبق به تكذيبهم والثانى من الوجوه ان يريد فما كان ءاخرهم فى الزمن ليومن بمـا كذب به اولهم في الزمن بـل مشى بعضهم على

سنن بعض فى الكفر اشار الى هذا التاويل النقاش والثالث ان هؤلاء لورُدوا من الآخرة الى الدنيا لم يكن منهم ايمان قاله مجاهد وقرنه بقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والرابع انه يحتمل فما كانوا ليومنوا بما سبق فى علم الله سبحانه انهم مكذبون به وذكر هذا التاويل المفسرون * وقوله سبحانه وما وجدنا لاكثرهم من عهد الآية اخبر سبحانه انه لم يجد لاكثرهم ثبوتا على العهد الذى اخذه سبحانه على ذرية ءادم وقت استخراجهم من ظهره قاله ابو العالية عن ابي بن كعب ويحتمل ان يكون المعنى وما وجدنا لاكثرهم التزام عهد وقبول وصاة مما جاءتهم به الرسل عن الله ولا شكروا نعم الله عز وجل قال (ص) لاكثرهم يحتمل ان يعود على الناس او على اهل القرى او الامم الماضية انتهى وقوله سبحانه ثم بعثنا من بعدهم موسى بئاياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها الآيات فى هذه الآية عام فى التسع وغيرها والضمير فى من بعدهم عائد على الانبياء المتقدم ذكرهم وعلى اممهم * وقوله سبحانه فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فيه وعيد وتحذير للكفرة المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين حقيق علي ان لا اقول على الله الا الحق قرأ نافع وحده عليّ باضافة على اليه وقرأ الباقون على بسكون الياء قال الفارسي معنى هذه القراءة ان على وضعت موضع الباء كانه قال حقيق بان لا اقول على الله الا الحق وقال قوم حقيق صفة لرسول تم عندها الكلام وعلى خبر مقدم وان لا اقول ابتداء واعراب ان على قراءة من سكن الياء خفض وعلى قراءة من فتحها مشددة رفع وفى قراءة عبد الله حقيق ان لا اقول وهذه المخاطبة اذا تأملت غاية فى التلطف ونهاية فى القول اللين الذى امِر به عليه السلام وقوله قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بني اسرائيل قال ان

كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين البينة هنا اشارة الى جميع اياته وهي على المعجزة منها ادل وهذا من موسى عليه السلام عرض نبوءته ومن فرعون استدعاء خرق العادة الدال على الصدق وظاهر هذه الآية وغيرها ان موسى عليه السلام لم تنبن شريعته الاعلى بنى اسرائيل فقط ولم يدع فرعون وقومه الاالى ارسال بنى اسرائيل وذكره لعله يتذكر او يخشى * وقوله فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين روي ان موسى قلق به وبمجاورته فرعون فقال لاعوانه خذوه فالقى موسى العصا فصارت ثعبانا وهمت بفرعون فهرب منها وقال السدي انه احدث وقال يا موسى كفه عني فكفه وقال نحوه سعيد بن جبير ويقال ان الثعبان وضع اسفل لحييه فى الارض واعلاهما فى اعلى شَرَفات القصر والثعبان الحية الذكر وهو اهول واجرأ قاله الضحاك وقال قتادة صارت حية اشعر ذكرا وقال ابن عباس غرزت ذنبها فى الارض ورفعت صدرها الى فرعون وقوله مبين معناه لاتخييل فيه بل هو بين انه ثعبان حقيقة ونزع يده معناه من جيبه او من كمه حسب الخلاف فى ذلك * وقوله فاذا هي بيضاء للناظرين قال مجاهد كاللبن او اشد بياضا وروي انها كانت تظهر منيرة شفافة كالشمس تأتلق وكان موسى عليه السلام ادم احمر الى السواد ثم كان يرد يده فترجع الى لون بدنه قال (ع) فهاتان الآيتان عرضهما عليه السلام للمعارضة ودعا الى الله بهما وخرق العادة بهما (ت) وظاهر الآية كما قال وليس فى الآية ما يدل على انه اراد بالقاء العصا الانتصار والتخويف كما يعطيه ما تقدم ذكره من القصص * وقوله عز وجل قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون لامحالة انهم خافوا امر موسى وجالت ظنونهم كل مجال وقوله فماذا تامرون الظاهر انه من كلام الملإ بعضهم لبعض وقيل انه من كلام

فرعون لهم وروى كَرْدَم عن نافع تامرون بكسر النون وكذلك فى الشعراء وما استفهام وذا بمعنى الذى فهما ابتداء وخبر وفى تامرون ضمير عائد على الذى تقديره تامرون به ويجوز ان تجعل ما ذا بمنزلة اسم واحد فى موضع نصب بتامرون ولا يضمر فيه على هذا وقوله قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم اشار الملأ على فرعون بان يؤخر موسى وهارون ويدع النظر فى امرهما ويجمع السحرة وحكى النقاش انه لم يكن يجالس فرعون ولد غِيَّة وانما كانوا اشرافا ولذلك اشاروا بالارجاء ولم يشيروا بالقتل وقالوا ان قتلته دخلت على الناس شبهة ولكن اغلبه بالحجة * وقوله سبحانه وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين الاجر هنا الاجرة واختلف الناس فى عدد السحرة على اقوال كثيرة ليس لها سند يوقف عنده والحاصل من ذلك انهم جمع عظيم وقوله تعالى قالوا ياموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس وخير السحرة موسى فى ان يتقدم فى الالقاء او يتأخر وهذا فعل المدل الواثق بنفسه والظاهر ان التقدم فى التخييلات والمخاريق انجح لان بديهتها تمضى بالنفوس فليظهر الله امر نبوءة موسى قوى نفسه ويقينه ووثق بالحق فاعطاهم التقدم فنشطوا وسرُّوا حتى اظهر الله الحق وابطل سعيهم وقوله سبحانه سحروا اعين الناس نص فى ان لهم فعلا ما زائدا على ما يحدثونه من التزويق واسترهبوهم بمعنى ارهبوهم اي فزَّعوهم ووصف الله سبحانه سحرهم بالعظيم ومعنى ذلك من كثرته وروي انهم جلبوا ثلاثمائة وستين بعيرا موقورة بالحبال والعصي فلما القوها تحركت وملأت الوادي يركب بعضها بعضا فاستهول الناس ذلك واسترهبهم قال الزجاج قيل انهم جعلوا فيها الزيبق فكانت لا تستقر * وقوله

سبحانه واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون وروي ان موسى عليه السلام لما كان يوم الجمع خرج متكئا على عصاه ويده فى يد اخيه وقد صف له السحرة فى عدد عظيم حسبما ذكر فلما القوا واسترهبوا اوحى الله اليه ان الق فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فعظم حتى كان كالجبل وروي ان السحرة لما القوا والقى موسى جعلوا يرقون وجعلت حبالهم تعظم وجعلت عصا موسى تعظم حتى سدت الافق وابتلعت الكل وروي ان الثعبان استوفى تلك الحبال والعصي اكلا واعدمها الله عز وجل ومد موسى يده الى فمه فعاد عصا كما كان فعلم السحرة حينئذ ان ذلك ليس من عند البشر فخروا سجدا مومنين بالله ورسوله وتلقف معناه تبتلع وتزدرد وقرأ ابن جبير تلقم بالميم * وقوله سبحانه فوقع الحق الآية اي نزل ووجد وقال ابو حيان فوقع اي فظهر والحق يريد به سطوع البرهان وظهور الاعجاز وما كانوا يعملون لفظ يعم سحر السحرة وسعي فرعون وشيعته والضمير فى قوله فغلبوا عائد على جميعهم ايضا وفى قوله وانقلبوا صاغرين ان قدرنا انقلاب الجمع قبل ايمان السحرة فهم فى الضمير وان قدرناه بعد ايمانهم فليسوا فى الضمير ولا لحقهم صَغار لانهم ءامنوا واستشهدوا رضي الله عنهم * وقوله سبحانه والقي السحرة ساجدين قالوا ءامنا برب العالمين رب موسى وهارون قال أأمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين لما رأي السحرة من عظيم القدرة ما تيقنوا به نبوءة موسى ءامنوا بقلوبهم وانضاف الى ذلك الاستهوال والاستعظام والفزع من قدرة الله عز وجل فخرّوا لله سبحانه متطارحين قائلين بالسنتهم ءامنا برب العالمين رب موسى وهارون قال (ع) وهارون اخو موسى اسن منه بثلاث سنين وقول فرعون أأمنتم به قبل ان

آذن لكم دليل على وهنه وضعف امره لانـه انما جعل ذنبهم عدم اذنه والضمير فى به يحتمل ان يعود على اسم الله سبحانـه ويحتمـل ان يعود على موسى عليه السلام وعنفهم فرعون على الايمـان قبل اذنـه ثم الزمهم ان هـذا كان عن اتفاق منهم وروي فى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود ان موسى اجتمع مع رءيس السحرة واسمه شمعون فقال له موسى ارأيت ان غلبتـكم اتومنـون بي فقـال نعم فعلم بذلك فرعون فلهذا قال ان هـذا لمكر مكرتمـوه فى المدنيـة ثم توعدهم * وقوله سبحانـه قالوا انا الى ربنا منقلبون وماتنـقم منا الا ان آمنـا بـايات ربنا لما جاءتنا الآية هذا استسلام من مومنى السحرة واتكال على الله سبحانه وثقة بما عنده وقرأ الجمهور تنـقم بكسر القاف ومعناه وما تعد علينا ذنبا تواخذنا به الا ان آمنا قال ابن عباس وغيره فيهم اصبحوا سحرة وامسوا شهـداء قال ابن عباس لما ءامنت السحرة اتبـع موسى ستمائة الف من بنى اسراءيـل وقول مـلاء فرعون اتـذر موسى وقومـه الآية مقالة تتضمن اغراء فرعـون وتحريضه وقولهم ويذرك وءالهتك روي ان فرعون كان فى زمنه للناس ءالهـة مـن بقر واصنـام وغير ذلك وكان فرعون قـد شرع ذلك وجعل نفسـه الاله الاعلى فقوله على هذا انا ربكم الاعلى انما يريد بالنسبة الى تلك المعبودات وقيل ان فرعون كان يعبد حجرا يعلقه فى صدره كانه يا قوتة او نحوها وعن الحسن نحوه وقوله سنـقـتل ابناءهم المعنى سنستمر على ما كنا عليـه من تعذيبهم وقوله وانا فوقهم يريد فى المنزلة والتمكن من الدنيا وقاهرون يقتضى تحقير امرهم اي هم اقل من ان يهتم بهم قلت وهذا من عدو الله تجلد والا فـقـد قال فيما اخبر الله سبحانه به عنه ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون * وقوله سبحانه قال موسى لقومـه استعينوا بالله واصبروا الآيه لمـا قال فرعـون سنـقـتل ابناءهم وتوعدهم قال مـوسى لبني اسراءيـل يثبتهم ويعدهم عن الله

تعالى استعينوا بالله والارض هنا ارض الدنيا وهو الاظهر وقيل المراد هنا ارض الجنة واما فى الثانية فارض الدنيا لاغير والصبر فى هـذه الآية يعم الانتظار الذى هو عبادة والصبر فى المناجزات والبأس وقولهم اوذينا من قبل ان تاتينا يعنون به الذبح الذى كان فى المدة التى كان فرعون يتخوف فيها ان يولد المولود الذى يخرب ملكه ومن بعد ما جئتنا يعنون به وعيد فرعون وسائر ما كان خلال تلك المدة من الاخافة لهم وقال ابن عباس والسدي انما قالت بنوا اسراءيل هذه المقالة حين اتبعهم فرعون واضطرهم الى البحر قال (ع) وبالجملة فهوكلام يجرى مع المعهود من بنى اسراءيل من اضطرابهم على انبيائهم وقلة يقينهم واستعطاف موسى لهم بقوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ووعده لهم بالاستخلاف فى الارض يدل على انه يستدعى نفوسا نافرة ويقوى هذا الظن فى جهة بنى اسراءيل سلوكهم هذا السبيل فى غير ما قصة وقوله فينظر كيف تعملون تنبيه وحض على الاستقامة ولقد استخلفوا فى مصر فى زمن داود وسليمان وقد فتحوا بيت المقدس مع يوشع * وقوله سبحانه ولقد اخذنا ءال فرعون بالسنين اي بالجدوب والقحوط وهذه سيرة الله فى الامم وقوله ونقص من الثمرات اي حتى روي ان النخلة من نخلهم لاتحمل الاثمرة واحدة وقال نحوه رجاء بن حيوة وفعل الله تعالى بهم هذا لينيبوا ويزدجروا عماهم عليه من الكفر اذ احوال الشدة ترق معها القلوب وترغب فيما عند الله سبحانه * وقوله عز وجل فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الآية كان القصد فى اصابتهم بالقحط والنقص فى الثمرات ان ينيبوا ويرجعوا فاذا هم قد ضلوا وجعلوها تشاؤما بموسى فكانوا اذا اتفق لهم اتفاق حسن فى غلات ونحوها قالوا هذه لنا وبسببنا واذا نالهم ضر قالوا هذا بسبب موسى وشؤمه قاله مجاهد وغيره وقرأ الجمهور يطيروا بالياء

وشد الطاء والياء الاخيرة وقرأ طلحة بن مصرف وغيره تطيروا بالتاء وتخفيف الطاء وقرأ مجاهد تشاءموا بموسى بالتاء من فوق وبلفظ الشؤم * وقوله سبحانه الا انما طائرهم عند الله معناه حظهم ونصيبهم قاله ابن عباس وهو ماخوذ من زجر الطير فسمي ما عند الله من القدر للانسان طائرا لما كان الانسان يعتقد ان كل ما يصيبه انما هو بحسب ما يراه فى الطائر فهي لفظة مستعارة ومهما اصلها عند الخليل ماما فابدلت الالف الاولى هاء وقال سيبويه هي مه ما خلطتا وهي حرف واحد لمعنى واحد وقال غيره معناها مه اي كف وما جزاء ذكره الزجاج وهذه الآية تتضمن طغيانهم وعتوهم وقطعهم على انفسهم بالكفر البحت * وقوله سبحانه فارسلنا عليهم الطوفان الآية الطوفان مصدر من قولك طاف يطوف فهو عام فى كل شيء يطوف الا ان استعمال العرب له كثير فى الماء والمطر الشديد قال ابن عباس وغيره الطوفان فى هذه الآية هو المطر الشديد اصابهم وتوالى عليهم حتى هدم بيوتهم وضيق عليهم وقيل طم فيض النيل عليهم وروي فى كيفيته قصص كثير وقالت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الطوفان المراد فى هذه الآية هو الموت قلت ولو صح هذا النقل لم يبق مجملا وروي ان الله عز وجل لما والى عليهم المطر غرقت ارضهم وامتنعوا من الزراعة قالوا يا موسى ادع لنا ربك فى كشف هذا الغرق ونحن نومن فدعا فكشفه الله عنهم فانبتت الارض انباتا حسنا فنكثوا وقالوا مانود انا لم نمطر وما هذا الا احسان من الله الينا فبعث الله عليهم حينئذ الجراد فاكل جميع ما انبتت الارض فروى ابن وهب عن مالك انه اكل حتى ابوابهم واكل الحديد والمسامير وضيق عليهم غاية التضييق وترك الله من نباتهم ما يقوم به الرمق فقالوا لموسى ادع لنا ربك فى كشف الجراد ونحن نومن فدعا الله فكشفه

ورجعوا الى كفرهم فبعث الله عليهم القمل وهي الدبى صغار الجراد الذى يثب ولا يطير قاله ابن عباس وغيره وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم فهي على هذا القمل المعروف وروي ان موسى مشى بعصاه الى كثيب اهيل فضربه فانتشر كله قملا فى مصر ثم انهم قالوا ادع فى كشف هذا فدعا فرجعوا الى طغيانهم وكفرهم فبعث الله عليهم الضفادع فكانت تدخل فى فرشهم وبين ثيابهم واذا همّ الرجل ان يتكلم وثب ضفدع فى فمه قال ابن جبير كان الرجل يجلس الى ذقنه فى الضفادع وقال ابن عباس لما ارسلت الضفادع عليهم وكانت برية سمعت واطاعت فجعلت تقذف انفسها فى القدور وهي تغلى فاثابها الله بحسن طاعتها برد الماء فقالوا ياموسى ادع فى كشف هذا فدعا فكشف فرجعوا الى كفرهم فبعث الله عليهم الدم فرجع ماؤهم الذى يستقونه ويحصل عندهم دما فروي انه كان يستقي القبطي والاسرائيلي باناء واحد فاذا خرج الماء كان الذى يلى القبطي دما والذى يلى الاسرائيلي ماء الى نحو هذا وشبهه من العذاب بالدم المنقلب عن الماء هذا قول جماعة من المتأولين وقال زيد بن اسلم انما سلط عليهم الرعاف فهذا معنى قوله والدم وقوله ءايات مفصلات التفصيل اصله فى الاجرام ازالة الاتصال فهو تفريق شيئين فاذا استعمل فى المعانى فيراد به انه فرق بينها وازيل اشتباكها واشكالها فيجيء من ذلك بيانها وقالت فرقة مفصلات يراد بها مفرقات فى الزمن قال الفخر قال المفسرون كان العذاب يبقى عليهم من السبت الى السبت وبين العذاب والعذاب شهر وهذا معنى قوله ءايات مفصلات على هذا التاويل اي فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه احوالهم وينظر ايقبلون الحجة والدليل ام يستمرون على الخلاف والتقليد انتهى * وقوله عز وجل ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك

الآيـة الرجز العـذاب والظـاهر من الآيـة ان المراد بالرجز هنـا العـذاب المتقـدم الذكـر مـن الطوفان والجراد وغيره وقال قوم الرجز هنـا طاعون انزله الله بهم والله اعلم وهذا يحتاج الى سند وقولهم بمـا عـهد عندك لفظ يعم جميع الوسائـل بـين الله وبـين مـوسى من طاعـة من موسى ونعمة من الله تبـارك وتعالى ويحتمـل ان يكـون ذلك منهم على جهـة القسم على موسى وقـولهم لـئن كشفت اي بدعائـك لنومـن ولنرسلـن قسـم وجوابـه وهذا عـهد من فرعون وملائـه وروي انـه لمـا انكشف العذاب قال فرعون لموسى اذهب ببني اسراءيـل حيث شئت فخالفه بعض ملائه فرجع ونكث واذا هنـا للمفاجـأة والاجـل يراد بـه غايـة كل واحـد منهم بمـا يخصه من الهلاك والموت كما تقول اخرت كذا الى وقت وانت لاتريـد وقتـا بعينه فاللفظ متضمن توعدا مـا وكانوا عنهـا غافلين اي غافلين عمـا تضمنتـه الآيات من النجاة والهدى * وقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغـاربهـا الآيـة الذين كانوا يستضعفون كنايـة عن بنى اسراءيل ومشـارق الارض ومغـاربهـا قال الحسن وغيره هي الشام وقالت فرقة يريد الارض كلهـا وهذا يتجـه اما على المجـاز لانـه ملكهم بلادا كثيرة وامـا على الحقيقة فى انـه ملك ذريتهم وهم سليمان بن داود ويترجح التاويـل الاول بوصف الارض بانها التى بارك فيها سبحانـه * وقوله سبحانه وتمت كلمة ربك الحسنى اي ما سبق لهم فى علمه وكلامـه فى الازل من النجـاة من عدوهم والظهور عليه قاله مجـاهد ويعرشون قال ابن عبـاس ومجـاهد معناه يبنون قال (ع) رأيت للحسن البصري رحمـه الله انـه احتـج بقوله سبحانـه وتمت كلمة ربك الى ءاخر الآيـة على انه ينبغى ان لايخرج عن مـلوك السوء وانمـا ينبغى ان يصبر عليهم فان الله سبحانـه يدمرهم ورأيت لغيره انـه اذا

قابل الناس البلاء بمثله وكلهم الله اليه واذا قابلوه بالصبر وانتظار الفرج اتى الله بالفرج وروي هذا ايضا عن الحسن * وقوله سبحانه وجاوزنا ببني اسراءيل البحر اي بحر القُلْزُم فاتوا على قوم قيل هم الكنعانيون وقيل هم من لخم وجُذام والقوم فى كلام العرب هم الرجال خاصة يعكفون العكوف الملازمة على اصنام لهم قيل كانت بقرا وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر من حجارة وعيدان ونحوها وذلك كان اول فتنة العجل وقولهم اجعل لنا الها كما لهم ءالهة يظهر منه استحسانهم لما رأوه من تلك الآلهة بجهلهم فارادوا ان يكون ذلك فى شرع موسى وفى جملة ما يتقرب به الى الله والا فبعيد ان يقولوا لموسى اجعل لنا صنما نفرده بالعبادة ونكفر بربك وعلى هذا الذى قلت يقع التشابه الذى نصه النبي صلى الله عليه وسلم فى قول ابي واقد الليثى اجعل لنا يا رسول الله ذات انواط كما لهم ذات انواط فانكره النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر قلتم والله كما قالت بنو اسراءيل اجعل لنا الها كما لهم ءالهة لتتبعن سنن من قبلكم الحديث ولم يقصد ابو واقد بمقالته فسادا وقال بعض الناس كان ذلك من بنى اسراءيل كفرا ولفظة الاله تقتضى ذلك وهذا محتمل وما ذكرته اولا اصح والله اعلم قلت وقولهم هذا الهكم واله موسى وجواب موسى هنا يقوى الاحتمال الثانى نعم الذى يجب ان يعتقد ان مثل هذه المقالات انما صدرت من اشرارهم وقريبى العهد بالكفر قال الشيخ الحافظ ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي ثم السهيلى ذكر النقاش فى قوله تعالى فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم انهم كانوا من لخم وكانوا يعبدون اصناما على صور البقر وان السامري كان اصله منهم ولذلك نزع الى عبادة العجل انتهى والله اعلم وهذا هو معنى ما تقدم من كلام (ع) وقوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه اي مهلك مدمر ردىء العاقبة

والتبار الهلاك واناء متبر اي مكسور وكسارته تبر ومنه تبر الذهب لانه كسارة وقوله ما هم فيه يعم جميع احوالهم وباطل معناه فاسد ذاهب مضمحل وابغيكم معناه اطلب ثم عدد عليهم سبحانه فى هذه الآية النعم التى يجب من اجلها ان لا يكفروا به ولا يرغبوا فى عبادة غيره فقال واذ انجيناكم من آل فرعون الآية ويسومونكم معناه يحملونكم ويكلفونكم ومساومة البيع تنظر الى هذا فان كل واحد من المتساومين يكلف صاحبه ارادته ثم فسر سوء العذاب بقوله يقتلون ابناءكم الآية * وقوله سبحانه وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر الآية قال ابن عباس وغيره الثلاثون ليلة هي شهر ذى القعدة وان العشر هي عشر ذى الحجة وروي ان الثلاثين انما وعد بان يصومها وان مدة المناجاة هي العشر وحيث ورد ان المواعدة اربعون ليلة فذلك اخبار بجملة الامر وهو فى هذه الآية اخبار بتفصيله والمعنى فى قوله وكلمه ربه انه خلق له ادراكا سمع به الكلام القائم بالذات القديم الذى هو صفة ذات وكلام الله سبحانه لايشبه كلام المخلوقين وليس فى جهة من الجهات وكما هو موجود لا كالموجودات ومعلوم لا كالمعلومات كذلك كلامه لا يشبه الكلام الذى فيه علامات الحدوث وجواب لما فى قوله قال والمعنى انه لما كلمه الله عز وجل وخصه بهذه المرتبة طمحت همته الى رتبة الرؤية وتشوق الى ذلك فسأل ربه الرؤية ورؤية الله عز وجل عند اهل السنة جائزة عقلا لانه من حيث هو موجود تصح رؤيته قالوا لان الرؤية للشيء لا تتعلق بصفة من صفاته اكثر من الوجود فموسى عليه السلام لم يسأل ربه محالا وانما سأله جائزا * وقوله سبحانه لن ترانى ولكن انظر الى الجبل الآية ليس بجواب من سأل محالا ولن تنفى الفعل المستقبل ولو بقينا مع هذا النفى بمجرده لقضينا انه لا يراه موسى ابدا ولا فى

الآخرة لكن ورد من جهة اخرى بالحديث المتواتر ان اهل الايمان يرون الله يوم القيامة فموسى عليه السلام احرى برؤيته قلت وايضا قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فهو نص فى الرؤية بينه صلى الله عليه وسلم ففى الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظرالى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال ابو عيسى وقد روي هذا الحديث من غير وجه مرفوعا وموقوفا انتهى قال مجاهد وغيره ان الله عز وجل قال له يا موسى لن ترانى ولكن ساتجلى للجبل وهو اقوى منك واشد فان استقر واطاق الصبر لهيبتى فستمكنك انت رؤيتى قال (ع) فعلى هذا انما جعل الله الجبل مثالا قلت وقول (ع) ولو بقينا مع هذا النفي بمجرده لقضينا انه لايراه موسى ابدا ولا فى الآخرة قول مرجوح لم يتفطن له رحمه الله والحق الذى لاشك فيه ان لن لاتقتضى النفي المؤبد قال بدرالدين ابو عبد الله بن مالك فى شرح التسهيل ولن كغيرها من حروف النفى فى جواز كون استقبال المنفي بها منقطعا عند حد وغير منقطع وذكر الزمخشري فى انموذجه ان لن لتابيد النفى وحامله على ذلك اعتقاده ان الله تعالى لايرى وهو اعتقاد باطل لصحة ثبوت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل على عدم اختصاصها بالتابيد بمجيء استقبال المنفي بها مغيا الى غاية ينتهى بانتهائها كما فى قوله تعالى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وهو واضح انتهى ونحوه لابن هشام ولفظه ولا تفيد لن توكيد المنفي خلافا للزمخشري فى كشافه ولا تابيده خلافا له فى انموذجه وكلاهما دعوى بلا دليل قيل ولوكانت للتابيد لم يقيد منفيها باليوم فى فلن

اكلم اليوم انسيا ولكان ذكره الابد فى ولن يتمنوه ابدا تكرارا والاصل عدمه انتهى من المغنى * وقوله سبحانه فلما تجلى ربه للجبل التجلى هو الظهور من غير تشبيه ولا تكييف وقوله جعله دكا المعنى جعله ارضا دكا يقال ناقة دكاء اي لاسنام لها وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه قاله جماعة من المفسرين قال (ص) وخر معناه سقط وقوله سبحانك اى تنزيها لك كذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تبت اليك معناه من ان اسألك الرؤية فى الدنيا وانت لا تبيحها فيها قال (ع) ويحتمل عندى انه لفظ قاله عليه السلام لشدة هول المطلع ولم يعن التوبة من شيء معين ولكنه لفظ لائق بذلك المقام والذى يتحرز منه اهل السنة ان تكون توبة من سؤال المحال كما زعمت المعتزلة وقوله وانا اول المومنين اى من قومه قاله ابن عباس وغيره او من اهل زمانه ان كان الكفر قد طبق الارض اواول المومنين بانك لاترى فى الدنيا قاله ابو العالية * وقوله سبحانه فخذ ماءاتيتك وكن من الشاكرين فيه تاديب وتقنيع وحمل على جادة السلامة ومثال لكل احد فى حاله فان جميع النعم من عند الله سبحانه بمقدار وكل الامور بمرأى منه ومسمع وكتبنا له فى الالواح من كل شيء اي من كل شيء ينفع فى معنى الشرع وقوله وتفصيلا لكل شيء مثله وقوله بقوة اي بجد وصبر عليها قاله ابن عباس وقوله باحسنها يحتمل معنيين احدهما التفضيل كما اذا عرض مثلا مباحان كالعفو والقصاص فياخذون بالاحسن منهما والمعنى الثانى ياخذون بحسن وصف الشريعة بجملتها كما تقول الله اكبر دون مقايسة * وقوله سبحانه سأوريكم دار الفاسقين الرؤية هنا رؤية عين هذا هو الاظهر الا ان المعنى يتضمن الوعد للمومنين والوعيد للفاسقين ودار الفاسقين قيل هي مصر والمراد ءال فرعون وقيل الشام والمراد العمالقة وقيل جهنم والمراد الكفرة

بموسى وقيل غير هذا مما يفتقر الى صحة اسناد * وقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض الآية المعنى سأمنع واصد قال سفيان ابن عيينة الآيات هنا كل كتاب منزل قال (ع) والمعنى عن فهمها وتصديقها وقال ابن جريج الآيات العلامات المنصوبة الدالة على الوحدانية والمعنى عن النظر فيها والتفكر والاستدلال بها واللفظ يعم الوجهين والمتكبرون فى الارض بغير الحق هم الكفار قلت ويدخل فى هذا المعنى من تشبه بهم من عصاة المومنين والمعنى فى هذه الآية ساجعل الصرف عن الآيات عقوبة للمتكبرين على تكبرهم وقوله وان يروا كل اية لا يومنوا بها حتم من الله على الطائفة التى قدر عليهم ان لا يومنوا وقوله ذلك اشارة الى الصرف المتقدم * وقوله سبحانه والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة الآية هذه الآية موكدة للتى قبلها وفيها تهديد * وقوله سبحانه واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الخوار صوت البقر وقرأت فرقة له جؤار بالجيم اي صياح ثم بين سبحانه سوء فطرهم وقرر فساد اعتقادهم بقوله الم يروا انه لا يكلمهم الآية وقوله وكانوا ظالمين اخبار عن جميع احوالهم ماضيا وحالا ومستقبلا وقد مر فى البقرة قصة العجل فاغنى عن اعادته قال ابو عبيدة يقال لمن ندم على امر وعجز عنه سقط فى يده وقول بنى اسراءيل لئن لم يرحمنا ربنا انما كان بعد رجوع موسى وتغييره عليهم ورؤيتهم انهم قد خرجوا من الدين ووقعوا فى الكفر * وقوله سبحانه ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا يريد رجع من المناجات والاسف قد يكون بمعنى الغضب الشديذ واكثر ما يكون بمعنى الحزن والمعنيان مترتبان هنا وعبارة (ص) غضبان صفة مبالغة والغضب غليان القلب بسبب ما يولم واسفا من اسف فهو اسف كفرق فهو فرق يدل على ثبوت الوصف

ولو ذهب به مذهب الزمان لقيل ءاسف على وزن فاعل والاسف الحزن انتهى وقوله تعالى اعجلتم معناه اسابقتم قضاء ربكم واستعجلتم اتيانى قبل الوقت الذى قدر به قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان سبب القائه الالواح غضبه على قومه فى عبادتهم العجل وغضبه على اخيه فى اهمال امرهم قال ابن عباس لما القاها تكسرت فرفع اكثرها الذى فيه تفصيل كل شيء وبقي الذى فى نسخته الهدى والرحمة وهو الذى اخذ بعد ذلك قال ابن عباس كانت الالواح من زمرذ وقيل من ياقوت وقيل من زبرجد وقيل من خشب والله اعلم وقوله ابن ام استعطاف برحم الام اذ هو الصق القرابات وقوله كادوا معناه قاربوا ولم يفعلوا وقوله ولا تجعلنى مع القوم الظالمين يريد عبدة العجل * وقوله سبحانه ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وقد وقع ذلك النيل بهم فى عهد موسي عليه السلام فالغضب والذلة هو امرهم بقتل انفسهم وقال بعض المفسرين الذلة الجزية ووجه هذا القول ان الغضب والذلة بقيت فى عقب هؤلاء وقال ابن جريج الاشارة الى من مات من عبدة العجل قبل التوبة بقتل الانفس والى من فر فلم يكن حاضرا وقت القتل والغضب من الله عز وجل ان اخذ بمعنى الارادة فهو صفة ذات وان اخذ بمعنى العقوبة واحلال النقمة فهو صفة فعل وقوله وكذلك نجزى المفترين المراد اولا اولئك الذين افتروا على الله سبحانه فى عبادة العجل وتكون قوة اللفظ تعم كل مفتر الى يوم القيامة وقد قال سفيان بن عيينة وابو قلابة وغيرهما كل صاحب بدعة او فرية ذليل واستدلوا بالآية * وقوله سبحانه والذين عملوا السيئات الآية تضمنت وعدا بان الله سبحانه يغفر للتائبين وقرأ معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب قال ابو حيان

واللام فى لربهم يرهبون مقوية لوصول الفعل وهو يرهبون الى مفعوله المتقدم وقال الكوفيون زائدة وقال الاخفش لام المفعول له اي لاجل ربهم انتهى قلت قال ابن هشام فى المغنى ولام التقوية هي المزيدة لتقوية عامل ضعف اما لتاخير نحو لربهم يرهبون وان كنتم للرؤيا تعبرون او لكونه فرعا فى العمل نحو مصدقا لما معهم فعال لما يريد وقد اجتمع التاخير والفرعية فى وكنا لحكمهم شاهدين انتهى * وقوله واختار موسى قومه الآية قال الفخر قال جماعة النحويين معناه واختار موسى من قومه فحذف من يقال اخترت من الرجال زيدا واخترت الرجال زيدا انتهى قال (ع) معنى هذه الآية ان موسى عليه السلام اختار من قومه هذه العدة ليذهب بهم الى موضع عبادة وابتهال ودعاء فيكون منه ومنهم اعتذار الى الله سبحانه من خطإ بنى اسرائيل فى عبادة العجل وقد تقدم فى سورة البقرة قصصهم قالت فرقة من العلماء ان موسى عليه السلام لما اعلمه الله سبحانه بعبادة بنى اسرائيل العجل وبصفته قال موسى اي رب ومن اختاره قال انا قال موسى فانت يا رب اضللتهم ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء اي ان الامور بيدك تفعل ما تريد * وقوله سبحانه واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة الآية اكتب معناه اثبت واقض والكتب مستعمل فى كل ما يخلد وحسنة لفظ عام فى كل ما يحسن فى الدنيا من عاقبة وطاعة لله سبحانه وغير ذلك وحسنة الآخرة الجنة لا حسنة دونها ولا مرمى وراءها وهدنا بضم الهاء معناه تبنا * وقوله سبحانه قال عذابي اصيب به من اشاء يحتمل ان يريد بالعذاب الرجفة التى نزلت بالقوم ثم اخبر سبحانه عن رحمته ويحتمل وهو الاظهر ان الكلام قصد به الخبر عن عذابه وعن رحمته وتصريف ذلك فى خليقته كما يشاء سبحانه ويندرج فى عموم العذاب اصحاب الرجفة وقرأ الحسن بن ابى

الحسن وطاوس وعمرو بن فائد من اسـاء من الاسـاءة ولا تعلق فيـه للمعتزلة واطنب القـراء فى التحفظ مـن هـذه القـراءة وحملهم على ذلك شحهم على الدين * وقـوله سبحانـه ورحمتى وسعت كل شيء قال بعض العلماء هو عموم فى الرحمة وخصوص فى قوله كل شيء والمـراد مـن قـد سبق فى علم الله ان يرحمهم وقوله سبحانه فسا كتبها اي اقدرها واقضيها وقال نوف البكالي ان موسى عليه السلام قال يا رب جعلت وفادتى لامة محمـد عليه السـلام وقوله ويوتون الزكاة الظاهر انها الزكاة المختصة بالمـال وروي عن ابن عبـاس ان المعنى يوتون الاعمال التى يزكون بها انفسهم * وقوله سبحانه الذين يتبعون الرسول النبيء الامي الآيـة هذه الفاظ اخرجت اليهـود والنصـارى من الاشتراك الـذى يظهر فى قوله فسا كتبها للذين يتقون وخلصت هذه العدة لامة محمـد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وغيره قلت وهـذه الآيـة الكريمـة معلمـة بشرف هذه الامـة على العموم فى كل من ءامن بالله تعـالى واقر برسـالة النبي صلى الله عليه وسلم ثم هم يتفاوتون بعد فى الشرف بحسب تفاوتهم فى حقيقـة الاتباعية للنبي صلى الله عليه وسلم قال الغزالي رحمه الله فى الاحيـاء وانما امتـه صلى الله عليه وسلم من اتبعه وما اتبعه الا مـن اعرض عن الدنيـا واقبـل على الآخرة فانه عليه السلام ما دعا الا الى الله واليوم الآخر ومـا صرف الا عـن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما تعرض عن الدنيـا وتقبـل على الآخرة تسلك سبيله الذى سلكه صلى الله عليه وسلم وبقـدر مـا سلكت سبيله فقـد اتبعتـه وبقدرمـا اتبعتـه صرت من امته وبقدرما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعـالى فيهم فامـا من طغى وءاثر الحياة الدنيـا فان الجحيم هي المـأوى انتهى فان اردت اتبـاع النبي صلى الله عليه وسلم على الحقيقة واقتفاء اثره فابحث عن سيرتـه وخلقـه فى كتب

الحديث والتفسير قال ابن القطان فى تصنيفه الذى صنفه فى الآيات والمعجزات والقول الوجيز فى زهده وعبادته وتواضعه وسائرحلاه ومعاليه صلى الله عليه وسلم انه ملك من اقصى اليمن الى صحراء عمان الى اقصى الحجاز ثم توفي عليه السلام وعليه دين ودرعه مرهونة فى طعام لاهله ولم يترك دينارا ولا درهما ولا شيد قصرا ولا غرس نخلا ولا شقق نهرا وكان يا كل على الارض ويجلس على الارض ويلبس العباءة ويجالس المساكين ويمشى فى الاسواق ويتوسد يده ويلعق اصابعه ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويصلح خصه ويمهن لاهله ولا يا كل متكئا ويقول انا عبد ءاكل كما يا كل العبد ويقتص من نفسه ولا يرى ضاحكا ملء فيه ولو دعي الى ذراع لاجاب ولو اهدي اليه كراع لقبل لا يا كل وحده ولا يضرب عبده ولا يمنع رفده ولا ضرب قط بيده الا في سبيل الله وقام لله حتى ورمت قدماه فقيل له اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وكان يسمع لجوفه ازيزكازيز المرجل من البكاء اذا قام بالليل صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله واتباعه صلاة دائمة الى يوم القيامة انتهى وقال الفخر قوله تعالى الذين يتبعون الرسول الآية قال بعضهم الاشارة بذلك الى من تقدم ذكره من بنى اسراءيل والمعنى يتبعونه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته فى التوراة وسيجدونه مكتوبا فى الانجيل وقال بعضهم بل المراد من لحق من بنى اسراءيل ايام النبي صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا تكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوا النبي الامي قال الفخر وهذا القول اقرب وقوله يجدونه اي يجدون صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ففى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو ان فى التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبيء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت

عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزئى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن اقبضه حتى اقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فنقيم به قلوبا غلفا وءاذانا صما واعينا عميا وفى البخاري فيفتح به عيونا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ونص كعب الاحبار نحو هذه الالفاظ الا انه قال قلوبا غلوفا وءاذانا صموما * وقوله سبحانه يامرهم بالمعروف الآية يحتمل ان يكون ابتداء كلام وصف به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون متعلقا بيجدونه فى موضع الحال على تجوز اي يجدونه فى التوراة ءامرا بشرط وجوده والمعروف ما عرف بالشرع وكل معروف من جهة المروءة فهو معروف بالشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق والمنكر مقابله والطيبات عند مالك هي المحللات والخبائث هي المحرمات وكذلك قال ابن عباس والاصر الثقل وبه فسر هنا قتادة وغيره والاصر ايضا العهد وبه فسر ابن عباس وغيره وقد جمعت هذه الآية المعنيين فان بنى اسراءيل قدكان اخذ عليهم العهد بان يقوموا باعمال ثقال فوضع عنهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن جبير الاصر شدة العبادة وقرأ ابن عامر آصارهم بالجمع فمن وحد الاصر فانما هو اسم جنس عنده يراد به الجمع والاغلال التى كانت عليهم عبارة مستعارة ايضا لتلك الاثقال كقطع الجلد من اثر البول وان لا دية ولا بد من قتل القاتل الى غير ذلك هذا قول جمهور المفسرين وقال ابن زيد انما المراد هنا بالاغلال قول الله عز وجل فى اليهود غلت ايديهم فمن ءامن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم زالت عنه الدعوة وتغليلها ومعنى عزروه اي وقروه فالتعزير والنصر مشاهدة خاصة للصحابة واتباع النور يشترك فيه معهم المومنون الى يوم القيامة والنور كناية عن جملة الشرع وشبه الشرع والهدى

بالنور اذ القلوب تستضيء به كما يستضيء البصر بالنور * وقوله سبحانه قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا هذا امر من الله سبحانه لنبيه باشهار الدعوة العامة وهذه من خصائصه صلى الله عليه وسلم من بين سائر الرسل فانه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة والى الجن وكل نبي انما بعث الى فرقة دون العموم * وقوله سبحانه فآمنوا بالله ورسوله الاية حض على اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله الذى يومن بالله وكلماته اي يصدق بالله وكلماته والكلمات هنا الآيات المنزلة من عند الله كالتوراة والانجيل وقوله واتبعوه لفظ عام يدخل تحته جميع الزامات الشريعة جعلنا الله من متبعيه على ما يلزم بمنه ورحمته قلت فان اردت الفوز ايها الاخ فعليك باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم شريعته وتعظيم جميع اسبابه قال عياض ومن اعظامه صلى الله عليه وسلم واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به حدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا و قرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول عليه السلام انشأ يقول

رفع الحجاب للنافلاح لناظري * قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الحصى * فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشائخ انه حج ماشيا فقيل له فى ذلك فقال العبد الآبق

ياتى الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسى ما مشيت على قدمي قال عياض وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل * وتردد فيها جبريل وميكاءيل * وعرجت منها الملائكة والروح * وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح * واشتملت تربتها على جسد سيد البشر * وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر * مدارس ءايات * ومساجد وصلوات * ومشاهد الفضائل والخيرات * ومعاهد البراهين والمعجزات * ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها * وتقبل ربوعها وجدراتها *

يا دار خير المرسلين ومن به * هدي الانام وخص بالآيات
عندى لاجلك لوعة وصبابة * وتشوق متوقد الجمرات

الابيات انتهى من الشفا * وقوله سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون اي يرشدون انفسهم وهذا الكلام يحتمل ان يريد به وصف المومنين منهم على عهد موسى وما والاه من الزمن فاخبر سبحانه انه كان فى بنى اسراءيل على عتوهم وخلافهم من اهتدى واتقى وعدل ويحتمل ان يريد الجماعة التى ءامنت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من بنى اسراءيل على جهة الاستجلاب لايمان جميعهم وقوله اسباطا بدل من اثنتي والتمييز الذى بين العدد محذوف تقديره اثنتي عشرة فرقة او قطعة اسباطا * وقوله سبحانه واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام الآية انبجست بمعنى انفجرت وقد تقدم الكلام على هذه المعانى فى البقرة * وقوله سبحانه واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا تغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون القرية هي بيت المقدس وقيل

اريحاء وبدل معناه غير اللفظ * وقوله سبحانـه وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الآية قال بعض المتأولين ان اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان بنى اسراءيل لم يكن فيهم عصيان ولا معاندة لما امروا به فنزلت هذه الآية موبخة لهم فسؤالهم انما هو على جهة التوبيخ والقرية هنا ايلة قاله ابن عباس وغيره وقيل مدين وحاضرة البحر اي البحر فيها حاضر ويحتمل ان يريد معنى الحاضرة على جهة التعظيم لها اي هي الحاضرة فى مدن البحر ويعـدون معنـاه يخالفون الشرع من عدا يعدو وشرعا اي مقبلة اليهم مصطفة كما تقول شرعت الرماح اذا مدت مصطفة وعبارة البخاري شرعا اي شوارع انتهى والعامل فى قوله ويوم لا يسبتون قوله لا تاتيهم وهوظرف مقدم ومعنى قوله كذلك الاشارة الى امر الحوت وفتنتهم به هذا على من وقف على تاتيهم ومن وقف على كذلك فالاشارة الى كثرة الحيتان شرعا اي فما اتى منها يوم لا يسبتون فهو قليل ونبلوهم اي نمتحنهم بفسقهم وعصيانهم وقد تقدم فى البقرة قصصهم * وقوله سبحانـه واذ قالت امة منهم لم تعظون قومـا الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديـدا قال جمهور المفسرين ان بنى اسراءيل افترقت ثلاث فرق فرقة عصت وفرقة نهت وجاهرت وتكلمت واعتزلت وفرقة اعتزلت ولم تعص ولم تنه وان هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيان العاصية وعتوها قالت للناهيـة لم تعظون قومـا يريدون العاصية الله مهلكهم او معذبهم فقالت الناهية موعظتنا معذرة الى الله اي اقامة عذر ومعنى مهلكهم اي فى الدنيا او معذبهم اي فى الآخرة والضمير فى قوله نسوا للمنهيين وهو ترك سمي نسيانا مبالغة وما فى قوله ما ذكروا به بمعنى الذى والسوء لفظ عام فى جميع المعاصي الا ان الذى يختص هنا بحسب قصص الآية هو صيد الحوت والذين ظلموا هم العاصون وقوله بعذاب بيس معناه مولم موجع شديد واختلف فى الفرقة التى لم تعص ولم تنه فقيل نجت مع الناجين

وقيل هلكت مع العاصين وقوله بما كانوا يفسقون اي لاجل ذلك وعقوبة عليه والعتو الاستعصاء وقلة الطواعية * وقوله سبحانه قلنا لهم كونوا يحتمل ان يكون قولا بلفظ من ملك اسمعهم فكان اذهب فى الاغراب والهول والاصغار ويحتمل ان يكون عبارة عن القدرة المكونة لهم قردة وخاسئين معناه مبعدين فخاسئين خبر بعد خبر فهذا اختيار ابى الفتح وضعف الصفة فروي ان الشباب منهم مسخوا قردة والرجال الكبار مسخوا خنازير * وقوله سبحانه واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب معني هذا الآية واذ علم الله ليبعثن وتقتضى قوة الكلام ان ذلك العلم منه سبحانه مقترن بانفاذ وامضاء كما تقول فى امر عزمت عليه علم الله لافعلن وقال الطبري وغيره تأذن معناه اعلم وقال مجاهد تاذن معناه امر وقالت فرقة معني تاذن تألى والضمير فى عليهم لبنى اسراءيل وقوله من يسومهم قال ابن عباس هي اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم وامته يسومون اليهود سوء العذاب قال (ع) والصحيح ان هذا حالهم فى كل قطر ومع كل ملة ويسومهم معناه يكلفهم ويحملهم وسوء العذاب الظاهر منه انه الجزية والاذلال وقد حتم الله عليهم هذا وحط ملكهم فليس فى الارض راية ليهودي ثم حسن فى ءاخر الآية التنبيه على سرعة العقاب والتخويف لجميع الناس ثم رجى سبحانه بقوله وانه لغفور رحيم لطفا منه بعباده جل وعلا وقطعناهم فى الارض معناه فرقناهم فى الارض قال الطبري عن جماعة من المفسرين ليس فى الارض بقعة الا وفيها معشر من اليهود والظاهر فى المشار اليهم بهذه الآية انهم الذين بعد سليمان وقت زوال ملكهم والظاهر انهم قبل مدة عيسى عليه السلام لانهم لم يكن فيهم صالح بعد كفرهم بعيسى صلى الله عليه وسلم وبلوناهم معناه امتحناهم بالحسنات اي بالصحة والرخاء ونحو هذا مما هو بحسب رأي ابن ءادم ونظره والسيئات مقابلات هذه لعلهم يرجعون الى الطاعة * وقوله

سبحانه فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية خلف معناه حدث خلفهم وبعدهم وخلف باسكان اللام يستعمل فى الاشهر فى الذم * وقوله سبحانه ياخذون عرض هذا الادنى اشارة الى الرشى والمكاسب الخبيثة والعرض ما يعرض ويعن ولا يثبت والادنى اشارة الى عيش الدنيا وقولهم سيغفر لنا ذم لهم باغترارهم وقولهم سيغفر لنا مع علمهم بما فى كتاب الله من الوعيد على المعاصى واصرارهم وانهم بحال اذا امكنتهم ثانية ارتكبوها فهؤلاء عجزة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فهؤلاء قطعوا بالمغفرة وهم مصرون وانما يقول سيغفر لنا من اقلع وندم * وقوله سبحانه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب الآية تشديد فى لزوم قول الحق على الله فى الشرع والاحكام وقوله ودرسوا ما فيه معطوف على قوله الم يوخذ لانه بمعنى المضي والتقدير اليس قد اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه وبهذين الفعلين تقوم الحجة عليهم فى قولهم الباطل وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي وادارسوا ما فيه ثم وعظ وذكّر تبارك وتعالى بقوله والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون وقرأ ابوعمرو افلا يعقلون بالياء من اسفل * وقوله سبحانه والذين يمسكون بالكتاب عطف على قوله للذين يتقون وقرأ عاصم وحده فى رواية ابى بكر يمسكون بسكون الميم وتخفيف السين وقرأ الاعمش والذين استمسكوا * وقوله عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة نتقنا معناه اقتلعنا ورفعنا وقد تقدم قصص الآية فى البقرة وقوله سبحانه واذكروا ما فيه اي تدبروه واحفظوا اوامره ونواهيه فما وفوا * وقوله سبحانه واذ اخذ ربك من بنى ءادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا الآية قوله من ظهورهم قال النحاة هو بدل اشتمال من قوله من بنى ءادم وتواترت الاحاديث فى تفسير هذه الآية عن

النبي صلى الله عليه وسلم من طرق ان الله عز وجل استخرج من ظهر ءادم عليه السلام نسم بنيه ففي بعض الروايات كالذر وفي بعضها كالخردل وقال محمد بن كعب انها الارواح جعلت لها مثالات وروي عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخذوا من ظهر ءادم كما يوخذ بالمشط من الراس وجعل الله لهم عقولا كنملة سليمان واخذ عليهم العهد بأنه ربهم وان لا اله غيره فاقروا بذلك والتزموه واعلمهم انه سيبعث الرسل اليهم مذكرة وداعية فشهد بعضهم على بعض وشهد الله عليهم وملائكته قال الضحاك بن مزاحم من مات صغيرا فهو على العهد الاول ومن بلغ فقد اخذه العهد الثانى يعنى الذى فى هذه الحياة المعقولة الآن وقوله شهدنا يحتمل ان يكون من قول بعض النسم لبعض فلا يحسن الوقف على قوله بلى ويحتمل ان يكون قوله شهدنا من قول الملائكة فيحسن الوقف على قوله بلى قال السدي المعنى قال الله وملائكته شهدنا ورواه عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين الآية المعنى ليلا تقولوا او مخافة ان تقولوا والمعنى فى هذه الآية ان الكفرة لو لم يوخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان احداهما ان يقولوا كنا عن هذا غافلين والاخرى كنا تباعا لاسلافنا فكيف نهلك والذنب انما هو لمن طرق لنا واضلنا فوقع شهادة بعضهم على بعض وشهادة الملائكة عليهم لتنقطع لهم هذه الحجة * وقوله سبحانه واتل عليهم نبأ الذى ءاتيناه ءاياتنا قال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم بن باعوراء وقيل بلعام بن باعر وقيل غير هذا وكان فى جملة الجبارين الذين غزاهم موسى عليه السلام فلما قرب منهم موسى لجئوا الى بلعام وكان صالحا مستجاب الدعوة وقيل كان عنده علم من صحف ابراهيم

ومحوها وقيل كان يعلم اسم الله الاعظم قاله ابن عباس ايضا وهذا الخلاف هو فى المراد بقوله ءاتيناه ءاياتنا فقال له قومه ادع الله على موسى وعسكره فقال لهم وكيف ادعو على نبي مرسل فما زالوا به حتى فتنوه فخرج حتى اشرف على جبل يرى منه عسكر موسى وكان قد قال لقومه لا افعل حتى استامر ربي ففعل فنهي عن ذلك فقال لهم قد نهيت فما زالوا به حتى قال سأستامره ثانية ففعل فسكت عنه فاخبرهم فقالوا له ان الله لم يدع نهيك الا وقد اراد ذلك فخرج فلما اشرف على العسكر جعل يدعو على موسى فتحول لسانه بالدعاء لموسى والدعاء على قومه فقالوا له ما تقول فقال انى لا املك هذا وعلم انه قد اخطأ فروي انه قد خرج لسانه على صدره فقال لقومه انى قد هلكت ولكن لم يبق لكم الا الحيلة فاخرجوا النساء الى عسكر موسى على جهة التجر وغيره ومروهن الا تمتنع امرأة من رجل فانهم اذا زنوا هلكوا ففعلوا فخرج النساء فزنى بهن رجال من بنى اسراءيل وجاء فنحاص بن العيزار بن هارون فانتظم برمحه امرأة ورجلا من بنى اسراءيل ورفعهما على اعلى الرمح فوقع فى بنى اسراءيل الطاعون فمات منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا ثم ذكر المعتمر عن ابيه ان موسى عليه السلام قتل بعد ذلك الرجل المنسلخ من ءايات الله قال المهدوي روي انه دعا على موسى ان لا يدخل مدينة الجبارين فاجيب ودعا عليه موسى ان ينسى اسم الله الاعظم فاجيب وفى هذه القصة روايات كثيرة تحتاج الى صحة اسناد وانسلخ عبارة عن البراءة منها والانفصال والبعد كالمنسلخ من الثياب والجلد واتبعه الشيطان اي صيره تابعا كذا قال الطبري اما لضلالة رسمها له واما لنفسه ومن الغاوين اي من الضالين ولو شئنا لرفعناه بها قال ابن عباس وجماعة معنى لرفعناه لشرفنا ذكره ورفعنا منزلته لدينا بهذه الآيات التى ءاتيناه ولكنه اخلد الى الارض اي تقاعس الى

الحضيض الاسفل الاخس من شهوات الدنيا ولذاتها وذلك ان الارض وما ارتكن فيها هي الدنيا وكل ما عليها فان ومن اخلد الى الفانى فقد حرم حظ الآخرة الباقية (ث) قال الهروي قوله اخلد الى الارض معناه سكن الى لذاتها واتبع هواه يقال اخلد الى كذا اى ركن اليه واطمأن به انتهى قال عبد الحق الاشبيلي رحمه الله فى العاقبة واعلم رحمك الله ان لسوء الخاتمة اعاذنا الله منها اسبابا ولها طرق وابواب اعظمها الاكباب على الدنيا والاعراض عن الآخرة وقد سمعت بقصة بلعام بن باعوراء وما كان ءاتاه الله تعالى من ءاياته واطلعه عليه من بيناته وما اراه من عجائب ملكوته اخلد الى الارض واتبع هواه فسلبه الله سبحانه جميع ما كان اعطاه وتركه مع من استماله واغواه انتهى * وقوله فمثله كمثل الكلب شبه به فى انه كان ضالا قبل ان يوتى الآيات ثم اوتيها فكان ايضا ضالا لم تنفعه فهو كالكلب فى انه لا يفارق اللهث فى كل حال هذا قول الجمهور وقال السدي وغيره ان هذا الرجل عوقب فى الدنيا فانه كان يلهث كما يلهث الكلب فشبه به صورة وهيئة وذكر الطبري عن ابن عباس ان معنى ان تحمل عليه ان تطرده * وقوله ذلك مثل القوم الذين كذبوا بءاياتنا اي هذا المثل يا محمد مثل هؤلاء الذين كانوا ضالين قبل ان تاتيهم بالهدى والرسالة ثم جئتهم بها فبقوا على ضلالتهم ولم ينتفعوا بذلك فمثلهم كمثل الكلب * وقوله فاقصص القصص اي اسرد عليهم ما يعلمون انه من الغيوب التى لا يعلمها الا اهل الكتب الماضية ولست منهم لعلهم يتفكرون فى ذلك فيومنوا * وقوله سبحانه من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولائك هم الخاسرون القول فيه ان ذلك كله من عند الله الهداية منه وبخلقه واختراعه وكذلك الاضلال وفى الآية تعجيب من حال المذكورين * وقوله سبحانه ولقد ذرأنا

لجهنم كثيرا من الجن والانس هذا خبر من الله تعالى انه خلق لسكنى جهنم والاحتراق فيها كثيرا وفى ضمنه وعيد للكفار وذرأ معناه خلق واوجد مع بث ونشر * وقوله سبحانه لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها اولائك كالانعام بل هم اضل الآية لما كانت هذه الطائفة الكافرة المعرضة عن النظر فى ءايات الله لم ينفعهم النظر بالقلب ولا بالعين ولا ما سمعوه من الآيات والمواعظ استوجبوا الوصف بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون والفقه الفهم اولائك كالانعام فى ان الانعام لا تفقه الاشياء ولا تعقل المقاييس ثم حكم سبحانه عليهم بانهم اضل لان الانعام تلك هي بنيتها وخلقتها وهؤلاء معدون للفهم والنظر ثم بين سبحانه بقوله اولائك هم الغافلون الطريق الذى به صاروا اضل من الانعام وهو الغفلة والتقصير قال الفخر اما قوله تعالى اولائك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان وسائر الحيوانات متشاركة فى قوى الطبيعة الغاذية والنامية والمولدة ومتشاركة ايضا فى منافع الحواس الخمس الباطنة والظاهرة وفى احوال التخيل والتفكر والتذكر وانما حصل الامتياز بين الانسان وسائر الحيوانات فى القوة العقلية والفكرية التى تهديه الى معرفة الحق فلما اعرض الكفار عن احوال العقل والفكر ومعرفة الحق كانوا كالانعام بل هم اضل لان الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل وقد قال حكيم الشعراء

الروح من عند رب العرش مبدؤه * وتربة الارض اصل الجسم والبدن
قد الف الملك الجبار بينهما * ليصلحا لقبول الامر والمحن
فالروح فى غربة والجسم فى وطن * فلتعرفن ذمام النازح الوطن

انتهى * وقوله سبحانه ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها الآية السبب فى

هذه الآيـة على ما روي ان ابا جهل سمع بعض اصحاب النبي صلى الله عليـه وسلم يقرأ فيذكر الله تعالى فى قراءتـه ومرة يذكر الرحمن ونحو ذلك فقال محمد يزعم ان الا له واحد وهو انما يعبـد ءالهة كثيرة فنزلت هـذه الآيـة ومن اسماء الله تعالى ما ورد فى القرءان ومنها ما ورد فى الحديث وتواتر وهذا هو الذى ينبغي ان يعتمد عليه * وقوله سبحانه وذروا الذين يلحدون فى اسمائه قال ابن زيد معناه اتركوهم فالآية على هذا منسوخة وقيل معناه الوعيد كقوله سبحانه ذرنى ومن خلقت وحيدا وذرهم ياكلوا ويتمتعوا يقال الحد ولحـد بمعنى جار ومال وانحرف والحد اشهر ومنه لحد القبر ومعنى الالحاد فى اسماء الله عز وجل ان يسموا اللات نظير اسم الله تعالى قاله ابن عباس والعزى نظير العزيز قاله مجاهد ويسمون الله ابا ويسمون اوثانهم اربابا * وقوله سبحانه سيجزون ما كانوا يعملون وعيد محض * وقوله سبحانـه وممن خلقنا امـة يهـدون بالحق وبـه يعـدلون والـذين كـذبوا بآياتنـا سنستدرجهم مـن حيث لا يعلمون الآيـة تتضمن الاخبار عن قوم اهـل ايمـان واستقامـة وهدايـة وظاهرهـا يقتضى كل مومن كان من لدن ءادم عليه السلام الى قيام الساعـة وروي عن كثير من المفسرين انها فى امة نبينا محمـد صلى الله عليـه وسلم وروي فى ذلك حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية لكم * وقوله سبحانه والذين كذبوا بـئاياتنا الآية وعيد والاشارة الى الكفار وسنستدرجهم معنـاه سنسوقهم شيـئا بعد شيء ودرجة بعد درجة بالنعم عليهم والامهال لهم حتى يغتروا ويظنوا انهم لا ينالهم عقاب وقوله مـن حيث لا يعلمون اي مـن حيث لا يعلمون انـه استدراج لهم وهذه عقوبة لهم من الله سبحانـه على التكذيب لمـا حتم عليهم بالعذاب املى لهم ليزدادوا اثما * وقوله واملى معناه اؤخر مـلاوة من الدهر اي مدة ومتين معناه قوي * وقوله سبحانه او لم يتفكروا مـا بصاحبهم من جنة

الآية تقرير يقارنه توبيخ للكفار والوقف على قوله او لم يتفكروا ثم ابتدأ القول بنفي ما ذكروه فقال ما بصاحبهم من جنة اي بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون المعنى او لم يتفكروا انه ما بصاحبهم من جنة ويظهر من رصف الآية انها باعثة لهم على الفكرة فى امره صلى الله عليه وسلم وانه ليس به جنة كما احالهم بعد هذه الآية على النظر وقال الفخر قوله تعالى او لم يتفكروا امر بالفكر والتأمل والتدبر وفى اللفظ محذوف والتقدير او لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة والجنة حالة من الجنون كالجلسة ودخول من فى قوله من جنة ينفي انواع الجنون انتهى * وقوله سبحانه اولم ينظروا فى ملكوت السموات والاض الآية النظر هنا بالقلب عبرة وفكرا وملكوت بناء عظمة ومبالغة * وقوله وما خلق الله من شيء لفظ يعم جميع ما ينظر فيه ويستدل به من الصنعة الدالة على الصانع ومن نفس الانسان وحواسه ومواضع رزقه والشيء واقع على الموجودات وان عسى عطف على قوله فى ملكوت والمعنى توقيفهم على ان لم يقع لهم نظر فى شيء من هذا ولا فى انهم قربت اجالهم فما توا ففات اوان التدارك ووجب عليهم المحذور ثم وقفهم باي حديث اوامر يقع ايمانهم وتصديقهم اذا لم يقع بامر فيه نجاتهم ودخولهم الجنة ونحو هذا المعنى قول الشاعر * وعن اي نفس بعد نفسي اقاتل * والضمير فى بعده يراد به القرءان وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقصته وامره اجمع وقيل هو عائد على الاجل اي بعد الاجل اذ لا عمل بعد الموت * وقوله سبحانه من يضلل الله فلا هادي له الآية هذا شرط وجواب مضمنه اليأس منهم والمقت لهم لان المراد ان هذا قد نزل بهم والطغيان الافراط فى الشيء وكانه مستعمل فى غير الصلاح والعمه الحيرة * وقوله سبحانه يسئلونك عن الساعة قال قتادة السائلون هم قريش وقال

ابن عباس هم احبار اليهود (ت) وفى السيرة لابن هشام ان السائلين من احبار اليهود حمل بن ابي قشير وسموأل بن زيد انتهى والساعة القيامة موت كل من كان حيا حينئذ وبعث الجميع وايان معناه متى وهي مبنية على الفتح قال الشاعر

ايان تقضى حاجتى ايانا * اما ترى لفعلها ابانا

ومرساها معناه مثبتها ومنتهاها ماخوذ من ارسى يرسى فمرساها رفع بالابتداء والخبر ايان وعبارة البخاري ايان مرساها متى خروجها انتهى ويجليها معناه يظهرها * وقوله سبحانه ثقلت فى السموات والارض قيل معناه ثقل ان تعلم ويوقف على حقيقة وقتها وقال الحسن بن ابى الحسن معناه ثقلت هيئتها والفزع على اهل السموات والارض لاتاتيكم الا بغتة اي فجأة * وقوله سبحانه يسئلونك كانك حفي عنها قال ابن عباس وغيره المعنى يسئلونك كانك حفي اي متحف ومهتبل بهم وهذا ينحو الى ما قالت قريش يا محمد انا قرابتك فاخبرنا بوقت الساعة وقال ابن زيد وغيره معناه كانك حفي فى المسألة عنها والاشتغال بها حتى حصلت علمها وقرأ ابن عباس فيما ذكر ابو حاتم كانك حفي بها * وقوله سبحانه ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال الطبري معناه لايعلمون ان هذا الامر لا يعلمه الا الله بل يظن اكثرهم انه مما يعلمه البشر * وقوله سبحانه قل لااملك لنفسى نفعا ولاضرا الا ما شاء الله الآية هذا امر بان يبالغ فى الاستسلام ويتجرد من المشاركة فى قدرة الله وغيبه وان يصف نفسه لهؤلاء السائلين بانه لايملك من منافع نفسه ومضارها الاما سنى الله وشاء ويسر وهذا الاستثناء منقطع واخبر انه لوكان يعلم الغيب لعمل بحسب ما ياتى واستعد لكل شيء استعداد من يعلم قدر ما يستعد له وهذا لفظ عام فى كل شيء * وقوله وما مسنى السوء

يحتمل وجهين وبكليهما قيل احدهما ان ما معطوفة على قوله لا ستكثرت اي ولما مسني السوء والثانى ان يكون الكلام مقطوعا تم فى قوله لاستكثرت من الخير وابتدأ يخبر بنفى السوء عنه وهو الجنون الذى رموه بـه قال موّرِج السَدوسي السوء الجنون بلغة هذيل (ت) واما على التاويل الاول فلا يريد بالسوء الجنون ويترجح الثانى بنحو قوله سبحانه ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم الآية ولقوم يومنون يحتمل معنيين احدهما ان يريد لقوم يطلب منهم الايمان وهؤلاء الناس اجمع والثانى ان يخبر انه نذير ويتم الكلام ثم يبتدئ يخبر انه بشير للمومنين به ففى هذا وعد لمن حصل ايمانه * وقوله جلت عظمته هو الذى خلقكم من نفس واحدة الآية قال جمهور المفسرين المراد بالنفس الواحدة ءادم عليه السلام وبقوله وجعل منها زوجها حواء وقوله منها هو ما تقدم ذكره من ان ءادم نام فاستخرجت قصرى اضلاعه وخلقت منها حواء * وقوله ليسكن اليها اي ليأنس ويطمئن وكان هذا كله فى الجنة ثم ابتدأ بحالة اخرى وهي فى الدنيا بعد هبوطهما فقال فلما تغشاها اي غشيها وهى كناية عن الجماع والحمل الخفيف هو المني الذى تحمله المرأة فى رحمها * وقوله فمرت به اي استمرت به وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ ابن مسعود فاستمرت بحملها وقرأ عبد الله ابن عمرو بن العاص فمارت به اي جاءت به وذهبت وتصرفت كما تقول مارت الريح مورا واثقلت دخلت فى الثقل كما تقول اصبح وامسى والضمير فى قوله دعوا على هذا التاويل عائد على ءادم وحواء وروي فى قصص ذلك ان الشيطان اشار على حواء ان تسمي هذا المولود عبد الحارث وهو اسم ابليس وقال لها ان لم تفعلي قتلته فزعموا انهما اطاعاه حرصا على حياة المولود فهذا هو الشرك الذى جعلا لله فى التسمية فقط وقال الطبري والسدي فى قوله فتعالى الله عما يشركون

كلام منفصل من خبر ءادم وحـواء يراد بـه مشركوا العرب (ت) وينزه ءادم وحواء عن طاعتهما لابليس ولم اقف بعد على صحـة مـا روي فى هـذه القصص ولو صح لوجب تاويله نعم روى الترمذي عن سمرة بن جنـدب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمـا حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال لها سميه عبد الحارث فسمته عبد الحارث فعاش ذلك وكان ذلك من وحي الشيطان وامره قال الترمذي هـذا حديث حسن غريب انفرد بـه عمر بن ابراهيم عن قتادة وعمر شيخ بصري انتهى وهـذا الحديث ليس فيـه انهما اطاعاه وعلى كل حال الواجب التوقف والتنزيـه لمن اجتبـاه الله وحسن التاويـل مـا امكن وقـد قال ابن العربي فى توهين هـذا القول وتزييفـه وهذا القول ونحوه مذكور فى ضعيف الحـديث فى الترمـذي وغيره وفى الاسراءيليات التى ليس لها ثبات ولا يعول عليهـا من له قلب فان ءادم وحواء وان كانا غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المومن من جحر مرتين ومـا كانا بعـد ذلك ليقبلا له نصحا ولا يسمعا له قولا والقول الاشبه بالحق ان المـراد بهـذا جنس الآدميين انتهى من الاحكام قال (ع) وقوله صالحا قال الحسن معناه غلامـا وقال ابن عباس وهو الاظهر بشرا سويا سليما وقال قوم انمـا الغرض من هـذه الآيـة تعديد النعمة فى الازواج وفى تسهيل النسـل والولادة ثم ذكر سوء فعل المشركين الموجب للعقاب فقال مخاطبا لجميع الناس هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها يريد ءادم وحواء اي واستمرت حالكم واحـدا واحـدا كذلك فهذه نعمـة يختص كل واحد بجزء منهـا ثم جاء قوله فلما تغشاها الى ءاخر الآيـة وصفا لحال الناس واحدا واحدا اي هكذا يفعلون فاذا ءاتاهم الله ولدا صالحا سليما كما ارادوه صرفوه عن الفطرة الى الشرك فهذا فعل المشركين قال ابن العربي فى احكامـه وهـذا القول هو الاشبـه

بالحق واقرب للصدق وهو ظاهر الآيـة وعمومها الذى يشمل جميع متناولاتها ويسلم فيها الانبيـاء عن النقص الذى لا يليق بجهال البشر فكيف بساداتهم وانبيائهم انتهى وهوكلام حسن وبالله التوفيق وقرأ نافع وعاصم فى رواية ابى بكر شركا بكسر الشين وسكون الراء على المصدر وقـرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم شركاء على الجمع وهي بينة على هذا التاويل الاخير وقلقة على قول من قال ان الآيـة الاولى فى ءادم وحواء وفى مصحف ابي بن كعب فلما ءاتاهما صالحا اشركا فيه * وقوله ايشركون مـا لا يخلق شيئـا الآية ذهب بعض من قال بالقول الاول الى ان هذه الآية فى ءادم وحواء على ما تقدم وفيه قلق وتعسف من التاويل فى المعنى وانما تنسق هذه الآيات ويروق نظمها ويتناصر معناها على التاويـل الاخير فانهم قالوا ان الآيـة فى مشركى الكفار الذين يشركون الاصنام فى العبادة واياها يراد فى قوله ما لا يخلق وعبر عن الاصنام بهم كانها تعقل على اعتقـاد الكفـار فيهـا وبحسب اسمائها ويخلقون معنـاه ينحتون ويصنعون يعنى الاصنـام ويحتمـل ان يكون المعنى وهوءلاء المشركون يخلقون اي فـكان حقهم ان يعبدوا خالقهم لا من لا يخلق شيئـا وقرأ ابوعبد الرحمن عما تشركون بالتاء من فوق اتشركون * وقوله سبحانه وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون من قال ان الآيات فى ءادم عليه السـلام قال هذه مخاطبة مستانفـة للنبي صلى الله عليـه وسلم وامته فى امر الكفار المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ومن قال بالقول الآخر قال ان هذه مخاطبة للمومنين والكفار على قـراءة من قرأ ايشركون بالياء من تحت وللكفـار فقط على قراءة من قرأ بالتاء من فوق على جهة التوقيف اي هذا حال الاصنام معكم ان دعوتموهم لم يجيبوكم * وقوله سبحانه ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا

لكم ان كنتم صادقين الآية مخاطبة للكفار فى تحقير شأن اصنامهم وقوله فادعوهم اي فاختبروا فان لم يستجيبوا فهم كما وصفنا ✲ وقوله سبحانه الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم ءاذان يسمعون بها الآية الغرض من هذه الآية الهم حواس الحي واوصافه فاذا قالوا لا حكموا بانها جمادات من غير شك لا خير عندها قال الزهراوي المعنى انتم افضل منهم بهذه الجوارح النافعة فكيف تعبدونهم ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام ان يعجزهم بقوله قل ادعوا شركاءكم اي استنجدوهم واستنفروهم الى اضرارى وكيدى ولا تؤخرونى المعنى فان كانوا ءالهة فسيظهر فعلكم ولما احالهم على الاستنجاد بآلهتهم فى ضرره واراهم ان الله سبحانه هو القادر على كل شيء لا تلك عقب ذلك بالاستناد الى الله سبحانه والتوكل عليه والاعلام بانه وليه وناصره فقال ان وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ✲ وقوله والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون انما تكرر القول فى هذا وترددت الآيات فيه لان امر الاصنام وتعظيمها كان متمكنا من نفوس العرب فى ذلك الزمان ومستوليا على عقولها فاوعب القول فى ذلك لطفا منه سبحانه بهم ✲ وقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا الآية قالت فرقة هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته فى امر الكفار والهاء والميم فى قوله تدعوهم للكفار ووصفهم بانهم لا يسمعون ولا يبصرون اذ لم يتحصل لهم عن النظر والاستماع فائدة قاله مجاهد والسدي وقال الطبري المراد بالضمير المذكور الاصنام ووصفهم بالنظر كناية عن المحاذاة والمقابلة ولما فيها من تخييل النظر كما تقول دار فلان تنظر الى دار فلان ✲ وقوله سبحانه خذ العفو وامر بالعرف الآية وصية من الله سبحانه لنبيه عليه السلام تعم جميع امته واخذ بجميع مكارم الاخلاق قال الجمهور معني خذ العفو اقبل من الناس

فى اخلاقهم واقوالهم ومعاشرتهم ما اتى عفوا دون تكلف فالعفو هنا الفضل والصفو قال مكي قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف الآية قال بعض اهل المعانى فى هذه الآية بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم فهذه الآية قد جمعت معان كثيرة وفوائد عظيمة وجمعت كل خلق حسن لان فى اخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين واعطاء المانعين وفى الامر بالمعروف تقوى الله وطاعته وصلة الرحم وصون الجوارح عن المحرمات وسمي هذا ونحوه عرفا لان كل نفس تعرفه وتركن اليه وفى الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مخاطبة السفيه ومنازعة اللجوج وغير ذلك من الافعال المرضية انتهى من الهداية وقوله وامر بالعرف معناه بكل ما عرفته النفوس مما لاترده الشريعة ومن ذلك ان تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك الحديث فالعرف بمعنى المعروف * وقوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم هذه الآية وصية من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم تعم امته رجلا رجلا والنزغ حركة فيها فساد وقلما تستعمل الا فى فعل الشيطان لان حركته مسرعة مفسدة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يشر احدكم على اخيه بالسلاح لاينزغ الشيطان فى يده فالمعنى فى هذه الآية فاما تلمن بك لمة من الشيطان فاستعذ بالله وعبارة البخاري ينزغنك يستخفنك انتهى ونزغ الشيطان عام فى الغضب وتحسين المعاصى واكتساب الغوائل وغير ذلك وفى جامع الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للملك لمة وللشيطان لمة الحديث قال (ع) وعن هاتين اللمتين هي الخواطر من الخير والشر فالآخذ بالواجب يلقى لمة الملك بالامتثال والاستدامة ولمة الشيطان بالرفض والاستعاذة واستعاذ معناه طلب ان يعاذ وعاذ معناه

لاذ وانضوى واستجـار قال الفخر قال ابن زيد لما نزل قوله تعالى واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليـه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قـوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ وقوله انـه سميع عليم يـدل على ان الاستعـاذة لا تفيد الا اذا حضر فى القلب العلم بمعنى الاستعاذة فكانه تعالى قال اذكـر لفظ الاستعاذة بلسانك فانى سميع واستحضر معاني الاستعـاذة بعقلـك وقلبك فانى عليم بما فى ضميرك وفى الحقيقـة القول اللسـانى دون المعـارف العقليـة عـديم الفائـدة والاثر انتهى * وقـوله سبحـانـه ان الذين اتقـوا اذا مسهم طـائف من الشيطـان تذكـروا الآية خرجت مخرج المدح للمتقين والتـقوى هاهنا عامـة فى اتقـاء الشرك والمعاصى وقـرأ ابن كثير وغيره طيف قال ابو علي الطـائف كالخاطر والطيف كالخطرة وقـوله تذكـروا اشـارة الى الاستعـاذة المامور بها والى ما لله عز وجل من الاوامر والنواهي فى النـازلة التى يقع تعرض الشيطان فيها وقرأ ابن الزبـير من الشيطان تأملوا فاذا هم وفى مصحف ابي بن كعب اذا طاف من الشيطـان طائف تأملوا وقوله مبصرون من البصيرة اي فاذا هم قد تبينوا الحق ومالوا اليـه والضمير فى اخوانهم عائـد على الشياطين وفى يمدونهم عائـد على الـكفار وهم المراد بالاخوان هـذا قول الجمهور قال (ع) وقرأ جميع السبعـة غير نافع يمـدونهم من مددت وقرأ نافـع يمـدونهم من امددت قال الجمهور هما بمعنى واحد الا ان المستعمل فى المحبوب امد والمستعمل فى المكـروه مد فقراءة الجماعـة جاريـة على المنهاج المستعمل وقراءة نافـع هي مقيدة بقوله فى الغي كما يجوز ان تقيد البشارة فتـقول بشرتـه بشر ومـد الشياطين للـكفرة اي ومن نحا نحوهم هو بالتزيين لهم والاغـواء المتـابـع وقوله ثم لا يقصرون من اقصر والضمير عائد على الجميـع اي هؤلاء لا يقصرون عن الاغواء وهؤلاء لا يقصرون فى الطاعـة للشياطين * وقوله سبحانـه واذا

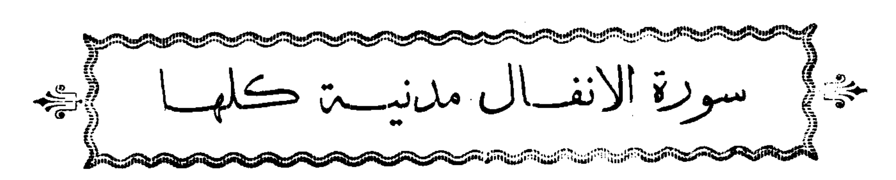
لم تاتهم بئـايـة قالوا لولا اجتبيتهـا سببها فيما روي ان الوحي كان يتأخر احيانا فكان الكفار يقولون هلا اجتبيتها اي اخترتها فامره الله عز وجل ان يجيب بالتسليم لله وان الامر فى الوحي اليه ينزله متى شاء ثم اشار بقوله هـذا بصـائر الى القرءان اي علامات هدى وانوار تستضيء القلوب به * وقوله سبحانه واذا قرئ القرءان فاستمعـوا له وانصتـوا لعلكم ترحمـون ذكـر الطبري وغيره ان اصحاب النبي صلى الله عليـه وسلم كانوا بمكـة يتكلمون فى المكتوبـة بحوائجهم فنزلت الآية امـرا لهم بالاستماع والانصات فى الصلاة واما قول من قال انها فى الخطبة فضعيف لان الآيـة مكية والخطبة لم تكن الا بعد الهجرة والفاظ الآيـة على الجملة تتضمن تعظيم القـرءان وتوقـيره وذلك واجب فى كل حالة والانصات السكوت قال الزجاج ويجوز ان يكـون فاستمعوا له وانصتوا اي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه قال ابن العربي فى احكامـه روى الترمـذي وابو داود عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صـلاة الصبح فثقلت عليـه القراءة فلما انصرف قال انى لأراكم تقـرءون وراء امامكم قلنـا يا رسول الله إي والله فـقال لا تفعلوا الا بام القرءان فانـه لا صلاة لمن لم يقرأ بها وقد روى الناس فى قراءة الماموين خلف الامام بفاتحـة الكتـاب احاديث كثيرة واعظمهم فى ذلك اهتبالا الدارقطني وقد جمـع البخـاري فى ذلك جزءا وكان رايـه قراءة الفاتحـة خلف الامام فى الصلاة الجهرية وهي احدى روايات مالك وهو اختيار الشافعي انتهى وقـد تقـدم اول الكتـاب مـا اختاره ابن العربي وقوله سبحانه واذكـر ربك فى نفسك الآيـة مخاطبـة للنبي صلى الله عليــه وسلم وتعم جميـع امتـه وهو امر من الله تعالى بذكـره وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه بمحامده والجمهور على ان الذكـر لا يكـون فى النفس ولا يراعى الا بحركـة اللسان ويـدل على ذلك مـن هــذه الآية

قوله ودون الجهر من القول وهـذه مرتبـة السر والمخافتـة وقال الفخر المراد بقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك كونه عارفا بمعانى الاذكار التى يقولها بلسانه مستحضرا لصفـات الجلال والعظمة وذلك ان الذكر باللسـان اذا كان عاريا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائـدة الاترى ان الفقهـاء اجمعوا على ان الرجل اذا قال بعت واشتريت مع انه لا يعرف معانى هـذه الالفـاظ ولا يفهم منها شيـأ فانه لا ينعقد البيع والشراء فكذلك هنا قال المتكلمون وهـذه الآيـة تـدل على اثبـات كلام النفس * وقـوله تعـالى ولا تكن من الغافلين يدل على ان الذكر القلبي يجب ان يكون دائما وان لا يغفـل الانسان لحظة عن استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية وتحقيق القول فى هذا ان بين الروح والبدن علاقـة عجيبـة لان كل اثر يحصـل فى البـدن يصعد منـه نتـائج الى الروح الاترى ان الانسـان اذا تخيل الشيء الحامض ضرس منه واذا تخيل حالة مكروهة او غضب سخن بدنـه انتهى وتضرعا معنـاه تذللا وخضوعا البخـاري وخيفـة اي خوفا انتهى * وقـوله بالغدو والآصال معنـاه دأبا وفى كل يوم وفى اطراف النهـار ولا تكن من الغافلين تنبيه منه عز وجل ولما قال سبحانه ولا تكن من الغافلين جعل بعد ذلك مثالا من اجتهاد الملائكة ليبعث على الجد فى طاعة الله سبحانه (ت) قال صاحب الكلم الفارقية غفلة ساعة عن ربك مكدرة لمرآة قلبك فكيف بغفلة جميع عمرك انتهى قال ابن عطاء الله رحمـه الله لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظـة ومن ذكر مـع وجود يقظـة الى ذكر مع وجود حضور ومـن ذكر مـع وجـود حضور الى ذكر مع وجود غيبـة عمـا سوى المذكور ومـا ذلك على الله

بعزيز انتهى قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى ولا تكن من الغافلين اي فيما امرت بـه وكلفتـه وهذا خطاب له عليه السـلام والمراد بـه جميع امتـه انتهى * وقوله الذين يريد به الملائكة * وقوله عند انما يريد بـه المنزلة والتشريف والقرب فى المكانـة لا فى المكان فهم بـذلك عنـده ثم وصف سبحانـه حالهم من تواضعهم وادمانهم العبادة والتسبيح والسجود وفى الحديث اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع شبر الا وفيـه ملك قائم او راكع او ساجد وهذا موضع سجدة

قال عبد الرحمن بن محمد عفا الله عنه كمل ما انتخبناه فى تفسير السورة والحمد لله على ما بـه انعم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وسلم تسليما كثيرا

* بسم الله الرحمن الرحيم *



سورة الانفال مدنية كلها

قال مجاهد الاءاية واحدة وهي قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية ولا خلاف ان هذه السورة نزلت فى شان بدر وامر غنائمه * قوله عز وجل يسئلونك عن الانفال الآية النفل والنافلة فى كلام العرب الزيادة على الواجب والاكثر فى هـذه الآيـة ان السؤال انما هو عن حكم الانفال وقالت فرقة انما سألوه الانفال نفسها محتجين بقراءة سعد بن ابى وقاص وغيره يسئلونك الانفال وعن ابى امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن

الانفال فقال فينا اهل بدر نزلت حين اختلفنا وساءت اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسوله صلى الله عليه وسلم وقسمه عليه السلام بين المسلمين على بواء يريد على سواء فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين قال (ع) ويجيء من مجموع الآثار المذكورة هنا ان نفوس اهل بدر تنافرت ووقع فيها ما يقع فى نفوس البشر من ارادة الاثرة لا سيما من ابلى فانزل الله عز وجل الآية فرضي المسلمون وسلموا فاصلح ذات بينهم ورد عليهم غنائمهم قال بعض اهل التاويل عكرمة ومجاهد كان هذا الحكم من الله سبحانه لرفع الشغب ثم نسخ بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء الآية وهذا اولى الاقوال واصحها * وقوله سبحانه واصلحوا ذات بينكم تصريح بانه شجر بينهم اختلاف ومالت النفوس الى التشاح وذات فى هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته والذى يفهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوُصَل والالتحامات والمودات وذات ذلك هو المامور باصلاحها اي نفسه وعينه وباقي الآية بين * وقوله سبحانه انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية انما لفظ لا تفارقه المبالغة والتاكيد حيث وقع ويصلح مع ذلك للحصر بحسب القرينة فقوله هنا انما المومنون ظاهرها انها للمبالغة والتاكيد فقط اي الكاملون قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمد الانصاري الساحلي المالقي فى كتابه الذى الفه فى السلوك واعلم ان الانسان مطلوب بطهارة نفسه وتزكيتها وطرق التزكية وان كثرت فطريق الذكر اسرع نفعا واقرب مراما وعليه درج اكثر مشائخ التربية ثم قال والذكر ضد النسيان والمطلوب منه عمارة الباطن بالله تعالى فى كل زمان ومع كل حال لان الذكر يدل على المذكور لا محالة فذكره دبدنا يوجب المحبة له والمعرفة به والذكر وان اختلفت الفاظه ومعانيه فلكل معنى معانيه اختصاص

بنوع من التحلية والتخلية والتزكية ثم قال والذكر على قسمين ذكر العامة وذكر الخاصة اما ذكر العامة وهو ذكر الاجور فهو ان يذكر العبد مولاه بما شاء من ذكره لا يقصد غير الاجور والثواب واما ذكر الخاصة فهو ذكر الحضور وهو ان يذكر العبد مولاه باذكار معلومة على صفة مخصوصة لينال بذلك المعرفة بالله سبحانه بطهارة نفسه من كل خلق ذميم وتحليتها بكل خلق كريم انتهى ووجلت معناه فزعت ورقت وخافت وبهذه المعانى فسرتها العلماء وتليت معناه سردت وقرئت والآيات هنا القرءان المتلو ومن كلام صاحب الكلم الفارقية ان تيقظت يقظة قلبية وانتبهت انتباهة حقيقية لم تر فى وقتك سعة لغير ذكر ربك واستشعار عظمته ومهابته والاقبال على طاعته ما فى وقت العاقل فضلة فى غير ما خلق له من عبادة خالقه والاهتمام بمصالح آخرته والاستعداد لمعاده اعرف العبيد بجلال مولاه اخلاهم عما سواه واكثرهم لهجا بذكره وتعظيما لامره واحسنهم تأملا لآثار صنعته وبدائع حكمته واشدهم شوقا الى لقائه ومشاهدته انتهى وزيادة الايمان على وجوه كلها خارج عن نفس التصديق منها ان المومن اذا كان لم يسمع حكما من احكام الله عز وجل فى القرءان فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه فآمن به زاد ايمانا الى سائر ما قد ءامن به اذ لكل حكم تصديق خاص وهذا يترتب فيمن بلغه ما لم يكن عنده من الشرع الى يوم القيامة وترتب زيادة الايمان بزيادة الدلائل ولهذا قال مالك الايمان يزيد ولاينقص ويترتب بزيادة الاعمال البرة على قول من يرى ان لفظة الايمان واقعة على التصديق والطاعات وهؤلاء يقولون يزيد وينقص * وقوله سبحانه وعلى ربهم يتوكلون عبارة جامعة لمصالح الدنيا والآخرة اذا اعتبرت وعمل بحسبها فى ان يمتثل الانسان ما امر به ويبلغ فى ذلك اقصى جهده دون عجز وينتظر بعدما وعد به من نصر او رزق او غيره وهذه اوصاف جميلة

وصف الله بها فضلاء المومنين فجعلها غاية للامة يستبق اليها الافاضل ثم اتبع ذلك وعدهم ووسمهم باقامة الصلاة ومدحهم بها حضا على ذلك * وقوله ومما رزقناهم ينفقون قال جماعة من المفسرين هي الزكاة وانما حملهم على ذلك اقتران الكلام باقامة الصلاة والا فهو لفظ عام فى الزكاة ونوافل الخير وصلات المستحقين ولفظ ابن عباس فى هذا المعنى محتمل * وقوله سبحانه لهم درجات ظاهره وهو قول الجمهور ان المراد مراتب الجنة ومنازلها ودرجاتها على قدر اعمالهم ورزق كريم يريد مآكل الجنة ومشاربها وكريم صفة تقتضى رفع المذام كقوله ثوب كريم * وقوله سبحانه كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الآية اختلف فى معنى هذه الآية فقال الفراء التقدير امض لامرك فى الغنائم وان كرهوا كما اخرجك ربك قال (ع) وتحرير هذا المعنى عندى ان يقال هذه الكاف شبهت هذه القصة التى هي اخراجه من بيته بالقصة المتقدمة التى هي سؤالهم عن الانفال كانهم سألوا عن النفل وتشاجروا فاخرج الله ذلك عنهم فكانت فيه الخيرة كما كرهوا فى هذه القصة انبعاث النبي صلى الله عليه وسلم فاخرجه الله من بيته فكانت فى ذلك الخيرة وعلى هذا التاويل يمكن ان يكون قوله يجادلونك كلاما مستانفا يراد به الكفار اي يجادلونك فى شريعة الاسلام من بعد ما تبين الحق فيها كانما يساقون الى الموت فى الدعاء الى الايمان وهذا الذى ذكرت من ان يجادلونك فى الكفار منصوص وقال مجاهد وغيره المعنى فى الآية كما اخرجك ربك من بيتك على كراهية من فريق منهم كذلك يجادلونك فى قتال كفار مكة ويودون غير ذات الشوكة من بعد ما تبين لهم انك انما تفعل ما امرت به لاما يريدون هم وقائل هذه المقالة يقول ان المجادلين هم المومنون وقائل المقالة الاولى يقول ان المجادلين هم المشركون وهذان

القولان يتم بها المعنى ويحسن رصف اللفظ وقيل غير هذا وقوله من بيتك يريد من المدينة يثرب قاله الجمهور * وقوله سبحانه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم الآية فى هذه الآية قصص حسن محل استيعابه كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن هشام واختصاره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه وقيل اوحي اليه ان ابا سفيان بن حرب قد اقبل من الشام بالعير التى فيها تجارة قريش واموالها قال لاصحابه ان عير قريش قد عنت لكم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها قال فانبعث معه من خف وثقل قوم وكرهوا الخروج واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلوى على من تعذر ولا ينظر من غاب ظهره فسار فى ثلاث مائة وثلاثة عشر او نحو ذلك من اصحابه بين مهاجري وانصاري وقد ظن الناس باجمعهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلقى حربا فلم يكثر استعدادهم وكان ابو سفيان فى خلال ذلك يستقصي ويحذر فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ضمضم بن عمرو الغفاري الى مكة يستنفر اهلها ففعل ضمضم فخرج اهل مكة فى الف رجل اونحو ذلك فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروجهم اوحى الله اليه وحيا غير متلو يعده احدى الطائفتين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك فسروا وودوا ان تكون لهم العير التى لاقتال معها فلما علم ابو سفيان بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه اخذ طريق الساحل وابعد وفات ولم يبق الا لقاء اهل مكة واشار بعض الكفار على بعض بالانصراف وقالوا هذه عيرنا قد نجت فلننصرف فحرش ابو جهل ولج حتى كان امر الواقعة وقال بعض المومنين نحن لم نخرج لقتال ولم نستعد له فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وهو بواد يسمى دَقران وقال اشيروا علي ايها الناس فقام ابو بكر فتكلم واحسن وحرض الناس على

لقاء العدو فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة فقام عمر بمثل ذلك فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة فتكلم المقداد بن الاسود الكندي فقال لانقول لك يا رسول الله كما قالت بنو اسراءيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول انا معكما مقاتلون والله لو اردت بنا برك الغماد يعنى مدينة الحبشة لقاتلنا معك من دونها فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلامه ودعا له بخير ثم قال اشيروا علي ايها الناس فكلمه سعد بن معاذ وقيل سعد بن عبادة ويحتمل هما معا فقال يا رسول الله كانك ايانا تريد معشر الانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل فقال انا قد ءامنا بك واتبعناك وبايعناك فامض لامر الله فوالله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك فقال النبي صلى الله عليه وسلم امضوا على بركة الله فكانى انظر الى مصارع القوم فالتقوا وكانت وقعة بدر (ت) وفى صحيح البخاري من حديث عائشة فى خروج ابي بكر من مكة فلقيه ابن الدغنة عند برك الغماد الحديث وليست بمدينة الحبشة من غير شك فالله اعلم ولعلهما موضعان انتهى والشوكة عبارة عن السلاح والحدة * وقوله سبحانه ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين المعنى ويريد الله ان يظهر الاسلام ويعلى دعوة الشرع بكلماته التى سبقت فى الازل والدابر الذى يدبر القوم اي ياتى ءاخرهم واذا قطع فقد اتى على ءاخرهم بشرط ان يبدأ الاهلاك من اولهم وهي عبارة فى كل من اتى الهلاك عليه وقوله سبحانه ليحق الحق اي ليظهر الحق الذى هو دين الاسلام ويبطل الباطل اي الكفر وتستغيثون معناه تطلبون الغوث وممدكم اي مكثركم ومقويكم من امددت ومردفين معناه متبعين وقرأ سائر السبعة غير نافع مردفين بكسر الدال ونافع بفتحها وروي عن ابن عباس خلف كل ملك ملك وهذا معنى التتابع يقال ردف واردف اذا اتبع وجاء بعد الشيء

ويحتمل ان يراد مردفين للمومنين ويحتمل ان يراد مردفين بعضهم بعضا وانشد الطبري شاهدا على ان اردف بمعنى جاء تابعا قول الشاعر

اذا الجوزاء اردفت الثريا * ظننت بآل فاطمة الظنونا

والثريا تطلع قبل الجوزاء وروي فى الصحيح الاشهران الملائكة قاتلت يوم بدر واختلف فى غيره قال ابن اسحاق حدثنى عبد الله بن ابى بكرانه حدث عن ابن عباس انه قال حدثنى رجل من بنى غفار قال اقبلت انا وابن عم لى حتى صعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون فننتهب مع من ينتهب قال فبينما نحن فى الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت قال ابن اسحاق وحدثنى عبد الله بن ابى بكرعن بعض بنى ساعدة عن ابى سعيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا قال بعد ان ذهب بصره لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لاريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لا اشك ولا اتمارى انتهى من سيرة ابن هشام * وقوله سبحانه وما جعله الله الابشرى ولتطمئن به قلوبكم الضمير فى جعله عائد على الوعد وهذا عندى امكن الاقوال من جهة المعنى وقيل عائد على المدد والامداد وقيل عائد على الارداف وقيل عائدعلى الالف * وقوله وما النصر الامن عند الله ان الله عزيز حكيم توقيف على ان الامركله لله وان تكسب المرء لايغنى اذا لم يساعده القدر وان كان مطلوبا بالجد كما ظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين * وقوله سبحانه اذ يغشيكم النعاس امنة منه القصد تعديد نعمه سبحانه على المومنين فى يوم بدر والتقديراذكروا اذ فعلنا بكم كذا واذ فعلنا كذا والعامل فى اذا اذكروا وقرأ نافع يغشيكم بضم الياء وسكون الغين وقرأ حمزة وغيره يغشيكم بفتح الغين

وشـد الشين المكسورة وقرأ ابن كثير وغيره يغشاكم بفتح الياء والف بعد الشين النعاس بالرفع ومعنى يغشيكم يغطيكم والنعـاس اخف النوم وهوالـذى يصيب الانسان وهو واقف او ماش وينص على ذلك قصص هذه الآيـة انهم انما كان بهم خفق بالرءوس وقوله امنة مصدر من امِن يأمن امنا وامنـة وامانا والهاء فيـه لتانيث المصدر كما هي فى المساءة والحماقة والمشقة وروي عن ابن مسعود انـه قال النعـاس عنـد حضور القتال علامـة امن وهو من الله وهو فى الصلاة من الشيطان قال (ع) وهذا انما طريقـه الوحي فهو لامحالة يسنـده * وقـوله سبحانـه وينزل عليكم من السماء مـاء ليطهركم بـه وذلك ان قومـا من المومنين لحقتهم جنابات فى سفرهم وعدموا المـاء قريب بدر فصلوا كذلك فوسوس الشيطان فى نفوس بعضهم مع تخويفه لهم من كثرة العدو وقلتهم وايضا فكانت بينهم وبين ماء بدر مسافة من رمل دهس تسوخ فيها الارجل فكانوا يتوقعـون ان يسبقهم الكفـار الى مـاء بـدر فانزل الله تلك المطرة فسالت الاوديـة فاغتسلوا وطهرهم الله تعالى فـذهب رجز الشيطـان وتدمث الطريق وتلبـدت تلك الرمـال فسهـل الله عليهم السير وامكنهم الاسراع حتى سبقوا الى ماء بدر واصاب المشركين من ذلك المطر مـا صعب عليهم طريقهم فسر المومنون وتبينوا من فعل الله بهم ذلـك قصد المعونة لهم فطـابت نفوسهم واجتمعت وتشجعت فذلك الربط على قلوبهم وتثبيت اقدامهم على الرملة الليـنة والضمير فى بـه على هذا الاحتمال عائد على الماء ويحتمل عوده على ربط القلوب ويكون تثبيت الاقدام عبارة عن النصر والمعونة فى موطن الحرب ونزول الماء كان فى الزمن قبل تغشية النعاس ولم يترتب كذلك فى الآيـة اذ القصـد فيهـا تعديـد النعم فقط * وقوله سبحانـه فثبتوا الـذين ءامنوا وتثبيتهم يكون بقتـالهم وبحضورهم وباقوالهم المونسـة ويحتمـل ان يكون

التثبيت بما يلقيه الملك فى القلب بلمته من توهم الظفر واحتقار الكفار وبخواطر تشجعه قال (ع) ويقوى هذا التاويل مطابقة قوله تعالى سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب وعلى هذا التاويل يجيء قوله سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب مخاطبة للملائكة ويحتمل ان يكون مخاطبة للمومنين * وقوله سبحانه فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة هي على بابها واراد الرءوس وهذا انبل الاقوال قال (ع) ويحتمل عندى ان يريد وصف ابلغ ضربات العنق واحكمها وهي الضربة التى تكون فوق عظم العنق دون عظم الرأس فى المفصل كما وصف دريد بن الصمة فيجيء على هذا فوق الاعناق متمكنا والبنان قالت فرقة هي المفاصل حيث كانت من الاعضاء وقالت فرقة البنان الاصابع وهذا هو الصحيح لانه اذا قطع البنان لم ينتفع صاحبه بشيء من اعضائه واستاسر وشاقوا معناه خالفوا ونابذوا وقطعوا وهو ماخوذ من الشق وهو القطع والفصل بين شيئين وعبر المفسرون عن قوله شاقوا اي صاروا فى شق غير شقه قال (ع) وهذا وان كان معناه صحيحا فتحرير الاشتقاق انما هو ما ذكرناه وقوله فان الله شديد العقاب جواب للشرط تضمن وعيدا وتهديدا * وقوله سبحانه ذلكم فذوقوه المخاطبة للكفار اي ذلكم الضرب والقتل وما اوقع الله بهم يوم بدر فكانه قال الامر ذلكم فذوقوه وكذا قرره سيبويه وقال بعضهم يحتمل ان يكون ذلكم فى موضع نصب كقوله زيدا فاضربه * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الآية زحفا يراد به متقابلى الصفوف والاشخاص اي يزحف بعضهم الى بعض واصل الزحف الاندفاع على الالية ثم سمي كل ماش الى ءاخر فى الحرب رويدا زاحفا اذ فى مشيته من التماهل والتباطئ ما فى مشي الزاحف وفى هذا المعني شواهد من كلام العرب ونهى الله سبحانه

فى هـذه الآيـة عن تولى الادبار وهـذا مقيد بالشريطـة المنصوصـة فى مثلي المومنين والفرار هنالك كبيرة موبقـة بظاهر القرءان والحديث واجماع الاكثر من الامة * وقوله ومن يولهم يومئذ دبره الآيـة قال جمهور الامـة الاشارة بيومئذ الى يوم اللقاء الذى يتضمنه قوله اذا لقيتم وحكم الآيـة باق الى يوم القيامة بشرط الضعف الذى بينه الله سبحانه (ت) قال ابن رشـد وهذا ما لم يبلغ عدد المسلمين اثني عشر الفـا فان بلـغ حرم الفرار وان زاد المشركون على الضعف للحديث لن تغلب اثنا عشر الفا من قلة فان اكثر اهل العلم خصصوا بهذا الحديث عموم الآيـة وعن ملك مثله انتهى وفهم (ع) الحديث على التعجب ذكره عند قوله ويوم حنين ومـا قاله ابن رشـد هو الصواب والله اعلم ومتحرفا لقتال يراد به الذى يرى ان فعله ذلك انكى للعدو ونصبه على الحال وكذلك نصب متحيزا وامـا الاستثنـاء فهو من المولين الذين تضمنهم من والفئـة هنا الجماعة الحاضرة للحرب هـذا قول الجمهور * وقوله سبحانـه فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذه الالفاظ ترد على من يزعم ان افعال العباد خلق لهم ومذهب اهل السنة انها خلق للرب سبحانه كسب للعبد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ يومئذ ثلاث قبضات من حصى وتراب فرمى بها فى وجوه القوم فانهزموا عند اخر رميـة ويروى انه قال يوم بـدر شاهت الوجوه وهـذه الفعلة ايضـا كانت يوم حنين بلا خـلاف وليبلي المومنين اي ليصيبهم ببلاء حسن وظاهر وصفـه بالحسن يقتضى انـه اراد الغنيمة والظفر والعزة ان الله سميع لاستغاثتكم عليم بوجوه الحكمة فى جميـع افعاله لا اله الا هـو * وقوله سبحانـه ذلكم اشارة الى ما تقدم من قتل الله لهم ورميه اياهم وموضع ذلكم من الاعراب رفع قال سيبويه التقدير الامر ذلكم وموهن معناه مضعف مبطل * وقوله

سبحانـه ان تستـفتحوا فقـد جاءكم الفتح الآيـة قال اكثر المتـأولين هذه الآية مخاطبة لكفار مكة روي ان قريشا لما عزموا على الخروج الى حماية العير تعلقـوا باستـار الكعبة واستفتحـوا وروي ان ابا جهـل قال صبيحة يوم بـدر اللهم انصراحب الفئتـين اليـك واظهر خـير الدينـين عنـدك اللهم اقطعنا للرحم فاحنه الغـداة ونحو هـذا فقـال الله لهم ان تطلبوا الفتح فقـد جاءكم اي كما ترونـه عليكـم لا لكـم وفى هـذا توبيـخ لهم وان تنتهوا عن كفركم وغيكـم فهو خـير لكـم وان تعودوا لـلاستـفتـاح نعـد بمثل وقعة بدر وباقى الآيـة بين * وقوله سبحانـه يا ايها الذين ءامنوا اطيعوا الله ورسوله الآية قيل انها نزلت بسبب اختلافهم فى النفل ومجادلتهم فى الحـق وكراهيتهم خـروج النبي صلى الله عليـه وسلم وتولوا اصله تتولوا * وقوله وانتم تسمعون يريد دعاءه لكم بالقرءان والمواعظ * وقوله كالذين قالوا يريـد الكفار اما من قريش لقولهم سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا واما الكفار على الاطلاق * وقوله سبحانـه ان شر الدواب عند الله الصم البكم مقصد الآيـة بيان ان هذه الصنيفة العاتية من الكفار هي شر النـاس عند الله سبحانـه وانها فى اخس المنازل لديه وعبر بالدواب ليتأكـد ذمهم وقوله الصم البكم عبارة عما فى قلوبهم وعدم انشراح صـدورهم وادراك عقولهم * وقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اي سماع هدى وتفهم ولو اسمعهم اي ولو فهمهم لتولوا بحكم القضـاء السابق فيهم ولاعرضوا عما تبين لهم من الهدى * وقوله سبحانه يا ايهـا الذين ءامنوا استجيبـوا لله وللرسـول الآيـة استجيبـوا بمعنى اجيبوا وقوله لما يحييكم قال مجاهد والجمهور المعنى للطاعة وما يتضمنـه القرءان وهـذا احياء مستعار لانه من موت الكفر والجهل والطاعة تؤدى الى الحياة الدائمة فى الآخرة * وقـوله سبحانـه واعلموا ان الله يحول بين المـرء وقلبـه يحتمـل

وجوها منها انـه لما امرهم سبحانه بالاستجابـة فى الطاعة حضهم على المبادرة والاستعجال واعلمهم انـه يحول بين المرء وقلبـه بالموت والقبض اي فبادروا الطاعات ويلتئم مع هذا التاويل قوله وانه اليه تحشرون اي فبادروا الطاعات وتزودوها ليوم الحشر ومنها ان يقصد اعلامهم ان قـدرة الله وعلمـه واحاطتـه حائلة بين المرء وقلبه فكان هذا المعنى يحض على المراقبـة والخوف لله المطلع على الضمائر حكي هـذا التاويـل عن قتادة ويحتمـل ان يريـد تخويفهم ان لم يمتثلوا الطاعات ويستجيبوا لله وللرسول ان يحل بهم ما حل بالكفار الذين ارادهم بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لانه حتمه عليهم بانهم لو سمعوا لم ينتفعوا يقتضى انه كان قد حال بينهم وبين قلوبهم ومنها ان يكون المعنى ترجية لهم بان الله يبدل الخوف الذى فى قلوبهم مـن كثرة العـدو فيجعله جراءة وقوة وبضد ذلك للكفار اي فان الله تعالى هو مقلب القلوب كما كان قسم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل غير هذا قال مكي وقال الطبري هـذا خبر من الله عز وجل انـه املك بقلوب العباد منهم لها وانـه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى لا يدرك الانسان شيئا من ايمان ولا كفر ولا يعى شيـأ ولا يفهم شيـأ الا باذنـه ومشيئـته سبحانه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول فى دعائـه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك انتهى من الهداية وروى مالك بن انس والنساءي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ابي بن كعب وهو فى الصلاة فلم يجبه واسرع فى بقية صلاته فلما فرغ جاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يقـل الله عز وجل يا ايها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال ابي لاجرم يا رسول الله لا تـدعونى ابدا الا اجبتك الحديث بطوله واختلاف الفاظه وفى البخاري ومسلم ان ذلك وقع مع ابى سعيـد بن المعلى وروي انه وقع نحوه مع حذيفـة بن اليمان فى غزوة الخنـدق * وقوله

عز وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فى الآية تاويلات اسبقها الى النفس ان الله سبحانه حذر جميع المومنين من فتنة ان اصابت لم تخص الظلمة فقط بل تصيب الكل من ظالم وبريء وهذا تاويل الزبير بن العوام والحسن البصري وكذلك تاويل ابن عباس فانه قال امر الله المومنين فى هذه الآية ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم العذاب وخاصة نعت لمصدر محذوف تقديره اصابة خاصة فهي نصب على الحال وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغيره لتصين باللام على جواب قسم والمعنى على هذا وعيد للظلمة فقط * وقوله سبحانه واذكروا اذ انتم قليل الآية هذه الآية تتضمن تعديد نعم الله على المومنين واذ ظرف لمعمول واذكروا تقديره واذكروا حالكم الكائنة او الثابتة اذ انتم قليل ولا يجوز ان تكون اذ ظرفا للذكر وانما يعمل الذكر فى اذ لو قدرناها مفعولة واختلف فى الحال المشار اليها بهذه الآية فقالت فرقة وهي الاكثر هي حال المومنين بمكة فى وقت بداءة الاسلام والناس الذين يخاف تخطفهم كفار مكة والمأوى المدينة والتاييد بالنصر وقعة بدر وما انجر معها فى وقتها والطيبات الغنائم وسائر ما فتح الله عليهم به وقالت فرقة الحال المشار اليها هي حالهم فى غزوة بدر والناس الذين يخاف تخطفهم على هذا عسكر مكة وسائر القبائل المجاورة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخوف من بعضهم والمأوى على هذا والتابيد بالنصر هو الامداد بالملائكة والتغليب على العدو والطيبات الغنيمة * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول هذا خطاب لجميع المومنين الى يوم القيامة وهو يجمع انواع الخيانات كلها قليلها وكثيرها والخيانة التنقص للشيء باختفاء وهي مستعملة فى ان يفعل الانسان خلاف ما ينبغي من حفظ امر ما مالا كان او سرا

او غير ذلك والخيانة لله عز وجل هي فى تنقص او امره فى سر * وقوله وتخونوا اماناتكم قال الطبري يحتمل ان يكون داخلا فى النهي كانه قال لاتخونوا الله والرسول ولاتخونوا اماناتكم ويحتمل ان يكون المعنى لاتخونوا الله والرسول فذلك خيانة لاماناتكم * وقوله فتنة يريد محنة واختبارا وامتحانا ليرى كيف العمل فى جميع ذلك * وقوله وان الله عنده اجر عظيم يريد فوز الآخرة فلا تدعوا حظكم منه للحيطة على اموالكم وابنائكم فان المذخور للآخرة اعظم اجرا * قوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا ان تتقوا الله الآية وعد للمومنين بشرط التقوى والطاعة لله سبحانه ويجعل لكم فرقانا معناه فرقا بين حقكم وباطل من ينازعكم بالنصر والتابيد وعبر قتادة وبعض المفسرين عن الفرقان هاهنا بالنجاة وقال مجاهد والسدي معناه مخرجا ونحو هذا مما يعمه ما ذكرناه وقد يوجد للعرب استعمال الفرقان كما ذكر المفسرون وعلى ذلك شواهد منها قول الشاعر

وكيف ارجى الخلد والموت طالبى * ومالي من كاس المنية فرقان

(ت) قال ابن رشد واحسن ما قيل فى هذا لمعنى قوله تعالى يجعل لكم فرقانا اي فصلا بين الحق والباطل حتى يعرفوا ذلك بقلوبهم ويهتدوا اليه انتهى من البيان * وقوله سبحانه واذ يمكر بك الذين كفروا الآية تذكير بحال مكة وضيقها مع الكفرة وجميل صنع الله تعالى فى جميع ذلك والمكر المخاتلة والتداهى تقول فلان يمكر بفلان اذا كان يستدرجه وهذا المكر الذى ذكر الله تعالى فى هذه الآية هو باجماع المفسرين اشارة الى اجتماع قريش في دار الندوة بمحضر ابليس فى صورة شيخ نجدي على ما نص ابن اسحاق فى سيره الحديث بطوله وهو الذى كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه ولا خلاف ان ذلك كان بعد موت ابي طالب ففي القصة ان ابا جهل قال الرأي ان ناخذ من

كل بطن فى قريش فتى قويا جلدا فيجتمعون ثم ياخذ كل واحد منهم سيفا ويأتون محمدا فى مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد فلا تقدر بنو هاشم على قتال قريش باسرها فياخذون العقل ونستريح منه فقال النجدي صدق الفتى هذا الرأي لا رأي غيره فافترقوا على ذلك فاخبر الله تعالى بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم واذن له فى الخروج الى المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من ليلته وقال لعلي بن ابى طالب التف فى بردى الحضرمي واضطجع فى مضجعى فانه لا يضرك شيء ففعل فجاء فتيان قريش فجعلوا يرصدون الشخص وينتظرون قيامه فيثورون به فلما قام رأوا عليا فقالوا له اين صاحبك فقال لا ادرى وفى السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم فى طريقه فطمس الله اعينهم عنه وجعل على رأس كل واحد منهم ترابا ومضى لوجهه فجاءهم رجل فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال انى رأيته الآن جائيا من ناحيتكم وهو لا محالة وضع التراب على رءوسكم فمد كل واحد يده الى رأسه فاذا عليه التراب وجاءوا الى مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا عليا فركبوا وراءه حينئذ كل صعب وذلول وهو بالغار ومعنى ليثبتوك ليسجنوك قاله عطاء وغيره وقال ابن عباس وغيره ليوثقوك * وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم ءاياتنا يعنى القرءان قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقولهم ان هذا الا اساطير الاولين اي قصصهم المكتوبة المسطورة واساطير جمع اسطورة ويحتمل جمع اسطار وتواترت الروايات عن ابن جريج وغيره ان قائل هذه المقالة هو النضر بن الحارث وذلك انه كان كثير السفر الى فارس والحيرة فكان قد سمع من قصص الرهبان واخبار رستم واسفنديار فلما سمع القرءان ورأى فيه اخبار الانبياء والامم قال لو شئت لقلت مثل هذا وكان النضر من مردة قريش النائلين من النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت فيه

ءايات كثيرة من كتاب الله عز وجل وامكن الله منه يوم بدر وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا بالصفراء منصرفه من بدر فى موضع يقال له الاثيل وكان ءاسره المقداد فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه قال المقداد اسيرى يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى كتاب الله ما قد علمتم ثم اعاد الامر بقتله فاعاد المقداد مقالته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذى اردت فضربت عنق النضر * وقوله عز وجل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية روي عن مجاهد وغيره ان قائل هذه المقالة هو النضر بن الحارث المذكور وفيه نزلت هذه الآية قال (ع) وترتب ان يقول النضر مقالة وينسبها القرءان الى جميعهم لان النضر كان فيهم موسوما بالنبل والفهم مسكونا الى قوله فكان اذا قال قولا قاله منهم كثير واتبعه عليه حسب ما يفعله الناس ابدا بعلمائهم وفقهائهم (ت) وخرج البخاري بسنده عن انس بن مالك قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الى عن المسجد الحرام اه والمشار اليه بهذا هو القرءان وشرع محمد صلى الله عليه وسلم والذى حملهم على هذه المقالة هو الحسد فعميت بصائرهم عن الهدى وصمموا على ان هذا ليس بحق نعوذ بالله من جهد البلاء وسوء القضاء وحكى ابن فورك ان هذه المقالة خرجت منهم مخرج العناد وهذا بعيد فى التاويل ولا يقول هذا على جهة العناد عاقل وقراءة الناس انما هي بنصب الحق على انه خبر كان ويكون هو فصلا فهو حينئذ اسم وامطر انما تستعمل غالبا فى المكروه ومطر فى الرحمة قاله ابو عبيدة * وقوله سبحانه وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الآية قالت فرقة نزلت هذه الآية كلها بمكة وقالت

فرقة نزلت كلها بعد وقعة بدر حكاية عما مضى وقال ابن أبزى نزل قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم بمكة اثر قولهم او ايتنا بعذاب اليم ونزل قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة فى طريقه الى المدينة وقد بقي بمكة مومنون يستغفرون ونزل قوله وما لهم الا يعذبهم الله الى ءاخر الآية بعد بدر عند ظهور العذاب عليهم (ت) وهذا التاويل بين وعليه اعتمد عياض فى الشفا قال وفى الآية تاويل ءاخر ثم ذكر حديث الترمذي عن ابى موسى الاشعري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى علي امانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار انتهى قال (ع) واجمع المتأولون على ان معنى قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ان الله عز وجل لم يعذب قط امة ونبيها بين اظهرها اي فما كان الله ليعذب هذه الامة وانت فيهم بل كرامتك لديه اعظم * وقوله عز وجل ومالهم الا يعذبهم الله توعد بعذاب الدنيا والضمير فى قوله او لياءه عائد على الله سبحانه او على المسجد الحرام كل ذلك جيد وروي الاخير عن الحسن وقال الطبري عن الحسن بن ابى الحسن ان قوله سبحانه وما لهم الا يعذبهم الله ناسخ لقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال (ع) وفيه نظر لانه خبر لا يدخله نسخ * وقوله سبحانه وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية المكاء الصفير قاله ابن عباس والجمهور والتصدية عبر عنها اكثر الناس بانها التصفيق وذهب اكثر المفسرين الى ان المكاء والتصدية انما احدثهما الكفار عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لتقطع عليه وعلى المومنين قراءتهم وصلاتهم وتخلط عليهم فلما نفى الله تعالى ولايتهم للبيت امكن ان يعترض منهم معترض بان يقول وكيف لا نكون او لياءه ونحن نسكنه ونصلى عنده فقطع سبحانه

هـذا الاعتراض بان قال وما كان صلاتهم عند البيت الا المكاء والتصديـة قال (ع) والذى مربى من امر العرب فى غير مـا ديوان ان المكاء والتصديـة كان من فعل العرب قديما قبل الاسلام على جهة التقرب بـه والتشرع وعلى هـذا يستقيم تغييرهم وتنقصهم بان شرعهم وصلاتهم لم تكن رهبـة ولا رغبـة وانما كانت مكاء وتصديـة من نوع اللعب ولكنهم كانوا يتزيـدون فيهما وقت النبي صلى الله عليه وسلم ليشغلوه هو وامته عن القراءة والصلاة * وقوله سبحانه فذوقوا العذاب الآيـة اشـارة الى عذابهم ببدر بالسيف قاله الحسن وغيره فيلزم ان هذه الآية الآخرة نزلت بعد بدر ولابد قال (ع) والاشبه ان الكل نزل بعد بدر حكاية عما مضى * وقوله سبحانـه ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآيـة لما قتل من قتل ببدر اجتمع ابناؤهم وقراباتهم فقالوا لمن خلص ماله فى العير ان محمدا قد نال منا ما ترون ولكن اعينونا بهذا المال الذى كان سبب الوقعة فلعلنا ان ننـال منـه ثارا يريـدون نفقته فى غزوة احد * وقوله سبحانه فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون الحسرة التلهف على فائت وهذا من اخبار القرءان بالغيوب قبل ان تكون فكان كما اخبر ثم اخبر سبحانـه عن الكافرين وانهم يجمعون الى جهنم والحشر الجمع * وقوله سبحانه ليميز الله الخبيث من الطيب وقرأ حمزة والكسائي ليميز الله بضم الياء وفتح الميم وشد الياء قال ابن عبـاس وغيره المعنى بالخبيث الكفار وبالطيب المومنـون وقال ابن سـلام والزجاج الخبيث مـا انفقـه المشركون فى الصد عن سبيل الله والطيب هو ما انفقه المومنون فى سبيل الله قال (ع) روي عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم ان الله سبحانـه يخرج يوم القيامة من الاموال ما كان صدقة او قربة ثم يامر بسائر ذلك فيلقى فى النـار وعلى التاويلين فقوله سبحانـه ويجعل الخبيث بعضـه على بعض فيركمـه جميعا

انما هي عبارة عن جمع ذلك وضمه وتاليف اشتاته وتكاثفه بالاجتماع ويركمه في كلام العرب يكثفه ومنه سحاب مركوم وعبارة البخاري فيركمه فيجمعه انتهى * وقوله سبحانه ان ينتهوا يعنى عن الكفر يغفرلهم ما قد سلف لان الاسلام يجب ما قبله وان يعودوا يريد به الى القتال ولا يصح ان يتأول وان يعودوا الى الكفرلانهم لم ينفصلوا عنه * وقوله فقد مضت سنة الاولين عبارة تجمع الوعيد والتهديد والتمثيل بمن هلك من الامم فى سالف الدهر بعذاب الله حين صد فى وجه نبيه بمن هلك فى يوم بدر بسيف الاسلام * وقوله سبحانه وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة قال ابن عباس وابن عمر وغيرهما الفتنة الشرك قال (ع) وهذا هو الظاهر ويفسر هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث وقال ابن اسحاق معناها حتى لا يفتن احد عن دينه كما كانت قريش تفعل بمكة بمن اسلم * وقوله ويكون الدين كله لله اي لا يشرك معه صنم ولاوثن ولا يعبد غيره سبحانه ثم قال تعالى فان انتهوا عن الكفر فان الله بصير بعملهم مجاز عليه عنده ثوابه وجميل المقارضة عليه * وقوله سبحانه وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير معادل لقوله فان انتهوا المعنى وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله تعالى ينصركم عليهم وهذا وعد محض بالنصر والظفر والمولى هاهنا الموالى والمعين والمولى فى اللغة على معان هذا هو الذى يليق بهذا الموضع منها والمولى الذى هو السيد المقترن بالعبد يعم المومنين والمشركين * وقوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الآية الغنيمة فى اللغة ما يناله الرجل بسعي ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الصيام فى الشتاء هي الغنيمة الباردة وقوله من شيء ظاهره العموم ومعناه الخصوص فاما الناض والمتاع والاطفال والنساء وما لايوكل لحمه من الحيوان ويصح تملكه فالامام ياخذ

خمسه ويقسم الباقي فى الجيش واما الارض فقال فيها مالك يقسمها الامام ان رأى ذلك صوابا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر اولا يقسمها بل يتركها لنوائب المسلمين ان اداه اجتهاده الى ذلك كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بارض مصر وبسواد الكوفة واما الرجال ومن شارف البلوغ من الصبيان فالامام عند مالك وجمهور العلماء مخير فيهم على خمسة اوجه منها القتل وهومستحسن فى اهل الشجاعة والنكاية ومنها الفداء وهومستحسن فى ذى المنصب الذى ليس بشجاع ولايخاف منه رأي ومكيدة لانتفاع المسلمين بالمال الذى يوخذ منه ومنها المن وهو مستحسن فيمن يرجى ان يحنو على اسرى المسلمين ونحو ذلك من القرائن ومنها الاسترقاق ومنها ضرب الجزية والترك فى الذمة واما الطعام والغنم ونحوها مما يوكل فهو مباح فى بلد العدو اكله وما فضل منه كان فى المغنم ومحل استيعاب فروع هذا الفصل كتب الفقه * وقوله سبحانه وما انزلنا على عبدنا اي من النصر والظهور الذى انزله الله سبحانه يوم بدر ويحتمل ان تكون الاشارة الى قرءان نزل يوم بدر اوفى قصة يوم بدر ويوم الفرقان معناه يوم الفرق بين الحق والباطل باعزاز الاسلام واذلال الشرك والجمعان يريد جمع المسلمين وجمع الكفار وهو يوم بدر ولا خلاف فى ذلك * وقوله سبحانه والله على كل شيء قدير يعضد ان قوله وما انزلنا على عبدنا يراد به النصر والظفر اي الآيات والعظائم من غلبة القليل للكثير وذلك بقدرة الله عز وجل الذى هو على كل شيء قدير * وقوله سبحانه اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم العدوة شفير الوادى وحرفه الذى يتعذر المشي فيه بمنزلة رجا البير لانها عدت ما فى الوادى من ماء ونحوه ان يتجاوز الوادى اي منعته ومنه قول الشاعر

عدتني عن زيارتك العوادى * وحالت دونها حرب زبون

وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالعدوة بكسر العين وقوله الدنيا والقصوى انما هو بالاضافة الى المدينة وبين المدينة ووادى بدر موضع الوقعة مرحلتان والدنيا من الدنو والقصوى من القصو وهو البعد والركب باجماع من المفسرين عير ابي سفيان وقوله اسفل فى موضع خفض تقديره فى مكان اسفل كذا قال سيبويه وكان الركب ومدبر امره ابوسفيان بن حرب قد نكب عن بدر حين نذر بالنبي صلى الله عليه وسلم واخذ سيف البحر فهو اسفل بالاضافة الى اعلى الوادى * وقوله سبحانه ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد المقصد من الآية تبيين نعمة الله سبحانه فى شان قصة بدر وتيسيره سبحانه ما يسر من ذلك والمعنى لو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد بسبب العوارض التى تعرض للناس الامع تيسير الله الذى تمم ذلك وهذا كما تقول لصاحبك فى امر سناه الله تعالى دون تعب كثير لو بنينا على هذا وسعينا فيه لم يتم هكذا ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا اي لينفذ ويظهر امرا قد قدره فى الازل مفعولا لكم بشرط وجودكم فى وقت وجودكم وهذا كله معلوم عنده عز وجل لم يتجدد له به علم وقوله عز وجل ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة قال الطبري المعنى ليقتل من قتل من كفار قريش وغيرهم ببيان من الله واعذار بالرسالة ويحي ايضا ويعيش من عاش عن بيان منه ايضا واعذار لاحجة لاحد عليه سبحانه (ت) قال ابو عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم فى قوله عز وجل ليهلك من هلك عن بينة الآية البينة ما بان به الحق انتهى وقال ابن اسحاق وغيره معنى ليهلك اي ليكفر ويحيى اي ليومن فالحياة والهلاك على هذا التاويل مستعارتان * وقوله سبحانه اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الآية وتظاهرت الروايات ان هذه الآية نزلت فى رؤيا رءاها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فيها عدد الكفار

قليـلا فاخبر بذلك اصحابـه فقويت نفوسهم وحرصوا على اللقاء قاله مجاهـد وغيره والظاهر انـه رءاهم صلى الله عليه وسلم فى نومه قليـلا قدرهم وبأسهم ويحتمل انـه رءاهم قليـلا عددهم فكان تاويـل رؤياه انهزامهم والفشل الخور عن الامر ولتنازعتم اي لتخالفتم فى الامر يريد فى اللقـاء والحرب وسلم لفظ يعم كل متخوف * وقوله سبحانـه واذ يريكموهم اذ التقيتم الآية وهذه الرؤية هي فى اليقظـة باجماع وهي الرؤيـة التى كانت حين التقوا ووقعت العين على العين والمعنى ان الله تعالى لمـا اراده من انفاذ قضائه فى نصرة الاسلام واظهار دينـه قلل كل طائفـة فى عيون الاخرى فوقع الخلل في التخمين والحزر الذى يستعمله الناس فى هذا لتجسر كل طائفة على الاخرى وتتسبب اسباب الحرب والامر المفعول المذكور فى الآيتين هو القصة باجمعها * وقوله والى الله ترجع الامور تنبيه على ان الحول باجمعه لله وان كل امر فله واليه * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا اذا لقيتم فئـة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعـوا الآيـة هذا امر من الله سبحانـه بما فيـه داعية النصر وسبب العز وهي وصية منـه سبحانـه بحسب التقييد الذى فى ءايـة الضعف والفئـة الجماعـة اصلها فئوة وهي من فأوت اي جمعت ثم امر سبحانـه باكثار ذكره هنالك اذ هو عصمة المستنجد ووزر المستعين قال قتادة افترض الله ذكره عند اشغل ما يكون عند الضراب والسيوف قال (ع) وهذا ذكر خفي لان رفع الصوت فى موطن القتال رديء مكروه اذا كان الغاطا فاما ان كان من الجميـع عند الحملة فحسن فات فى عضد العدو قال قيس بن عبـاد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكرهون الصوت عند ثلاث عند قرءاة القرءان وعند الجنازة وعند القتال وقال النبي صلى الله عليـه وسلم اطلبوا اجابـة الدعاء عند القتال واقامـة الصلاة ونزول الغيث وقال ابن

عباس يكره التلثم عند القتال قال النووي وسئل الشيخ ابو عمرو بن الصلاح عن القدر الذى يصير بـه المرء من الذاكرين الله كثيرا فقال اذا واظب على الاذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء وفى الاوقات والاحوال المختلفة ليلا ونهارا وهي مبينـة فى كتب عمل اليوم والليلة كان من الذاكرين الله كثيرا والله سبحانه اعلم انتهى من الحلية (ت) واحسن من هذا جوابـه صلى الله عليه وسلم حيث قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم والترمذي وعنده قالوا يا رسول الله ومـا المفردون قال المستهترون فى ذكر الله يضع عنهم الذكر اثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا قال صاحب سلاح المومن المستهترون فى ذكر الله هو بفتح التاءين المثناتين يعنى الذين اولعوا بـه يقال استهتر فلان بكذا اي اولع بـه والله اعلم انتهى فقد بين صلى الله عليه وسلم هنا صفـة الذاكرين الله كثيرا وقد نقلنا فى غير هذا المحل بيان صفة الذاكرين الله كثيرا بنحو هذا من طريق ابن المبارك واذا كان العبد مستهترا بذكر مولاه انس به واحبـه واحب لقاءه فلم يبـال بلقاء العدو وان هي الا احدى الحسنيين اما النصر وهو الاغلب لمن هذه صفته او الشهادة وذلك مناه ومطلبه انتهى وتفلحون تنالون بغيتكم وتنالون ءاما لكم والجمهور على ان الريح هنا مستعارة قال مجاهد الريح النصر والقوة وذهب ريح اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقوله سبحانه واصبروا الى ءاخر الآية تتميم فى الوصية وعدة مونسة وقوله سبحانه ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الآيـة الاشـارة الى كفار قريش والبطر الاشر وغمط النعمة وروي ان ابا سفيان لمـا احرز عيره بعث الى قريش وقال ان الله قـد سلم عيركم فارجعوا فاتى رأي الجماعـة على ذلك وخالف ابو جهـل وقال والله لا نفعل حتى ناتي بدرا وكانت بدر سوقا من اسواق العرب

لها يوم موسم فننحر عليها الابل ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب ويهابنا الناس فهذا معنى قوله تعالى ورئاء الناس وقوله سبحانه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس الضمير فى لهم عائد على الكفار والشيطان ابليس نفسه والذى عليه الجمهور وتظاهرت به الروايات ان ابليس جاء كفار قريش ففى السير لابن هشام انه جاءهم بمكة وفى غيرها انه جاءهم وهم فى طريقهم الى بدر وقد لحقهم خوف من بنى بكر وكنانة لحروب كانت بينهم فجاءهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو سيد من ساداتهم فقال لهم انى جار لكم ولن تخافوا من قومى وهم لكم اعوان على مقصدكم ولن يغلبكم احد فروي انه لما التقى الجمعان كانت يده فى يد الحارث بن هشام فلما رأى الملائكة نكص فقال له الحارث اتفر ياسراقة فلم يلو عليه ويروى انه قال له ما تضمنته الآية وروي ان عمير بن وهب اوالحارث بن هشام قال له اين يا سراق فلم يلو مثل عدو الله فذهب ووقعت الهزيمة فتحدثوا ان سراقة فر بالناس فبلغ ذلك سراقة بن مالك فاتى مكة فقال لهم والله ما علمت بشيء من امركم حتى بلغتنى هزيمتكم ولا رأيتكم ولا كنت معكم (ت) قال ابن اسحاق ذكر لى انهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص عدو الله على عقبيه فاوردهم ثم اسلمهم انتهى من السيرة لابن هشام * وقوله انى جار لكم اي انتم فى ذمتى وحماى وتراءت تفاعلت من الرؤية اي رأى هؤلاء هؤلاء * وقوله نكص على عقبيه اي رجع من حيث جاء واصل النكوص فى اللغة الرجوع القهقرى * وقوله انى ارى ما لا ترون يريد الملائكة وهو الخبيث انما شرط الاغالب لهم من الناس فلما رأى الملائكة وخرق العادة خاف وفر * وقوله انى اخاف الله قال

الزجاج وغيره خاف مما رأى من الامر وهوله انه يومه الذى انظر اليه ويقوى هذا انه رأى خرق العادة ونزول الملائكة للحرب * وقوله سبحانه اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الآية قال المفسرون ان هؤلاء الموصوفين بالنفاق انما هم من اهل عسكر الكفار ممن كان الاسلام داخل قلوبهم خرجوا مع المشركين الى بدر منهم مكره وغير مكره فلما اشرفوا على المسلمين ورأوا قلتهم ارتابوا وقالوا مشيرين الى المسلمين غر هؤلاء دينهم قال (ع) ولم يذكر احد ممن شهد بدرا بنفاق الا ما ظهر بعد ذلك من معتب ابن قشير فانه القائل يوم احد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وقد يحتمل ان يكون منافقو المدينة لما وصلهم خروج قريش فى قوة عظيمة قالوا هذه المقالة ثم اخبر الله سبحانه بان من توكل عليه وفوض امره اليه فان عزته سبحانه وحكمته كفيلة بنصره وقوله سبحانه ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوهم واد بارهم الآية هذه الآية تتضمن التعجيب مما حل بالكفار يوم بدر قاله مجاهد وغيره وفى ذلك وعيد لمن بقي منهم وقوله وادبارهم قال جل المفسرين يريد استاههم ولكن الله كريم كنى وقال ابن عباس والحسن اراد ظهورهم وما ادبر منهم وباقى الآية بين * وقوله سبحانه كدأب ءال فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم الآية الدأب العادة فى كلام العرب وهو ماخوذ من دأب على العمل اذا لازمه * وقوله سبحانه ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم الآية معنى هذه الآية اخبار من الله سبحانه اذا انعم على قوم نعمة فانه بلطفه ورحمته لا يبدأ بتغييرها وتنكيدها حتى يجيء ذلك منهم بان يغيروا حالهم التى تراد او تحسن منهم فاذا فعلوا ذلك غير الله نعمته عندهم بنقمته منهم ومثال هذه نعمة الله على قريش بنبينا محمد

صلى الله عليه وسلم فكفروا به فغير الله تلك النعمة بان نقلها الى غيرهم من الانصار واحل بهم عقوبته * وقوله تعالى كدأب ءال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم هذا التكرير هو لمعنى ليس للاول اذ الاول دأب فى ان هلكوا لما كفروا وهذا الثانى دأب فى ان لم يغير نعمتهم حتي غيروا ما بانفسهم والاشارة بقوله والذين من قبلهم الى قوم شعيب وصالح وهود ونوح وغيرهم * وقوله سبحانه ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يومنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون اجمع المتأولون ان الآية نزلت فى بنى قريظة وهي بعد تعم كل من اتصف بهذه الصفة الى يوم القيامة وقوله فى كل مرة يقتضى ان الغدر قد تكرر منهم وحديث قريظة هو انهم عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يحاربوه ولا يعينوا عليه عدوا من غيرهم فلما اجتمعت الاحزاب على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة غلب على ظن بنى قريظة ان النبي صلى الله عليه وسلم مغلوب ومستاصل وخدع حي بن اخطب النضري كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم فغدروا ووالوا قريشا وامدوهم بالسلاح والادراع فلما انجلت تلك الحال عن النبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى بالخروج اليهم وحربهم فاستنزلوا وضربت اعناقهم بحكم سعد واستيعاب قصتهم فى السير وانما اقتضبت منها ما يخص تفسير الآية * وقوله سبحانه فاما تثقفنهم في الحرب الآية معنى تثقفنهم تاسرهم وتحصلهم فى ثقافك او تلقاهم بحال تقدر عليهم فيها وتغلبهم ومعنى فشرد اي طرد وابعد وخوف والشريد المبعد عن وطن ونحوه ومعنى الآية فان اسرت هؤلاء الناقضين فى حربك لهم فافعل بهم من النقمة ما يكون تشريدا لمن ياتى خلفهم فى مثل طريقتهم وعبارة البخاري فشرد فرق انتهى والضمير فى لعلهم عائد على الفرقة

المشردة وقال ابن عباس المعنى نكل بهم من خلفهم وقالت فرقة معناه سمع بهم والمعنى متقارب ومعنى خلفهم اي بعدهم ويذكرون اي يتعظون * وقوله سبحانه واما تخافن من قوم خيانة الآية قال اكثر المفسرين ان الآية فى بنى قريظة والذى يظهر من الفاظ الآية ان امر بنى قربظة قد انقضى عند قوله فشرد بهم من خلفهم ثم ابتدأ تبارك وتعالى فى هذه الآية بما يصنعه فى المستقبل مع من يخاف منه خيانة الى ءاخر الدهر وبنو قريظة لم يكونوا فى حد من تخاف خيانته وقوله فانبذ اليهم اي الق اليهم عهدهم وقوله على سواء قيل معناه حتى يكون الامر فى بيانه والعلم به على سواء منك ومنهم فتكونون فى استشعار الحرب سواء وذكر الفراء ان المعنى فانبذ اليهم على اعتدال وسواء من الامر اي بين لهم على قدر ما ظهر منهم لاتفرط ولا تفجأ بحرب بل افعل بهم مثل ما فعلوا بك يعنى موازنة ومقايسة وقرأ نافع وغيره ولاتحسبن بالتاء مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وسبقوا معناه فاتوا بانفسهم وانجوها انهم لايعجزون اي لا يفلتون ولايعجزون طالبهم وروي ان الآية نزلت فيمن افلت من الكفار فى بدر وغيره فالمعنى لاتظنهم ناجين بل هم مدركون وقرأ حمزة وغيره ولايحسبن بالياء من تحت وبفتح السين وقوله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية المخاطبة فى هذه الآية لجميع المومنين وفى صحيح مسلم الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ولما كانت الخيل هي اصل الحرب واوزارها والتى عقد الخير فى نواصيها خصها الله تعالى بالذكر تشريفا لها ولما كانت السهام من انجع ما يتعاطى فى الحرب وانكاه فى العدو واقربه تناولا للارواح خصها صلى الله عليه وسلم بالذكر والتنبيه عليها (ت) وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعلم الرمي وتركه فليس منا او قد عصى وفى سنن ابى داود والترمذي والنساءي

عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة انفس الجنة صانعه يحتسب فى صنعته الخير والرامي به ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل شيء يلهوبه الرجل باطل الارميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته امرأته انتهى ورباط الخيل مصدر من ربط ولا يكثر ربطها الا وهي كثيرة ويجوز ان يكون مصدرا من رابط واذا ربط كل واحد من المومنين فرسا لاجل صاحبه فقد حصل بينهم رباط وذلك الذى حض عليه فى الآية وقد قال عليه السلام من ارتبط فرسا فى سبيل الله فهوكالباسط يده بالصدقة لا يقبضها والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة (ت) وقد ذكرنا بعض ما ورد فى فضل الرباط فى ءاخر ءال عمران قال صاحب التذكرة وعن عثمان بن عفان قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول من رابط ليلة فى سبيل الله كانت له كالف ليلة صيامها وقيامها وعن ابي بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لرباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان اعظم اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين من شهر رمضان افضل عند الله واعظم اجرا اراه قال من عبادة الفي سنة صيامها وقيامها فان رده الله الى اهله سالما لم تكتب عليه سيئة الف سنة ويكتب له من الحسنات ويجرى له اجر الرباط الى يوم القيامة قال القرطبي فى تذكرته فدل هذا الحديث على ان رباط يوم فى رمضان يحصل له هذا الثواب الدائم وان لم يمت مرابطا خرج هذا الحديث والذى قبله ابن ماجه انتهى من التذكرة وترهبون معناه تخوفون وتفزعون والرهبة الخوف * وقوله وءاخرين من دونهم فيه اقوال قيل هم المنافقون وقيل فارس وقيل غير هذا قال (ع) ويحسن ان يقدر قوله لا تعلمونهم بمعنى لا تعلمونهم فازعين راهبين وقال (ص) لا تعلمونهم بمعنى لا تعرفونهم

فيتعدى لو احد ومن عداه الى اثنين قدره محاربين واستبعد لعدم تقدم ذكره فهو ممنوع عند بعضهم وعزيز جدا عند بعضم انتهى * وقوله سبحانه وان جنحوا للسلم فاجنح لها جنح الرجل الى الامر اذا مال اليه وعاد الضمير فى لها موءنثا اذ السلم بمعنى المسالمة والهدنة وذهب جماعة من المفسرين الى ان هذه الآية منسوخة والضمير فى جنحوا هو للذين نبذ اليهم على سواء * وقوله سبحانه وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله الآية الضمير فى قوله وان يريدوا عائد على الكفار الذين قال فيهم وان جنحوا اي وان يريدوا ان يخدعوك بان يظهروا السلم ويبطنوا الغدر والخيانة فان حسبك الله اي كافيك ومعطيك نصره وايدك معناهقواك وبالمومنين يريد الانصار بذلك تظاهرت اقوال المفسرين * وقوله والف بين قلوبهم الآية اشارة الى العداوة التي كانت بين الاوس والخزرج قال (ع) ولو ذهب ذاهب الى عموم المومنين فى المهاجرين والانصار وجعل التاليف ماكان بين جميعهم من التحاب لساغ ذلك وقال ابن مسعود نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله وقال مجاهد اذا تراأى المتحابان فى الله وتصافحا تحاتت خطاياهما فقال له عبدة بن ابى لبابة ان هذا ليسير فقال له لا تقل ذلك فان الله تعالى يقول لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت انه افقه منى قال (ع) وهذا كله تمثيل حسن بالآية لا ان الآية نزلت فى ذلك وقد روى سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومن مالفة لاخير فيمن لايالف ولايولف قال (ع) والتشابه سبب الالفة فمن كان من اهل الخير الف اشباهه والفوه (ت) وفى صحيح البخاري الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف انتهى وروى مالك فى الموطإ عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة اين

المتحابون لجلالى اليوم اظلهم فى ظلى يوم لاظل الاظلى قال ابو عمر بن عبد البر فى التمهيد وروينا عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ياعبد الله بن مسعود اتدرى اي عرى الايمان اوثق قلت الله ورسوله اعلم قال الولاية فى الله الحب والبغض فيه ورواه البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا وعن عبد الله فى قوله تعالى لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم قال نزلت في المتحابين فى الله قال ابو عمر واما قوله اليوم اظلهم فى ظلى فانه اراد والله اعلم فى ظل عرشه وقد يكون الظل كناية عن الرحمة كما قال ان المتقين فى ظلال وعيون يعنى بذلك ما هم فيه من الرحمة والنعيم انتهى وقوله سبحانه يا ايها النبيء حسبك الله ومن اتبعك من المومنين قال النقاش نزلت هذه الآية بالبيداء فى غزوة بدر وحكي عن ابن عباس انها نزلت فى الاوس والخزرج وقيل انها نزلت حين اسلم عمر وكمل المسلمون اربعين قاله ابن عمر وانس فهي على هذا مكية وحسبك فى كلام العرب وشرعك بمعنى كافيك ويكفيك والمحسب الكافى قالت فرقة معنى الآية يكفيك الله ويكفيك من اتبعك فمن فى موضع رفع وقال الشعبي وابن زيد معنى الآية حسبك الله وحسب من اتبعك من المومنين فمن فى موضع نصب عطفا على موضع الكاف لان موضعها نصب على المعنى بيكفيك التى سدت حسبك مسدها قال (ص) ورد بان الكاف ليس موضعها نصب لان اضافة حسب اليها اضافة صحيحة انتهى وقوله سبحانه يا ايها النبيء حرض المومنين على القتال الآية حرض المومنين اي حثهم وحضهم وقوله سبحانه ان يكن منكم الى ءاخر الآية لفظ خبر مضمنه وعد بشرط لان قوله ان يكن منكم عشرون صابرون بمنزلة ان يقال ان يصبر منكم عشرون يغلبوا وفى ضمنه الامر بالصبر قال الفخر وحسن هذا التكليف لما كان مسبوقا

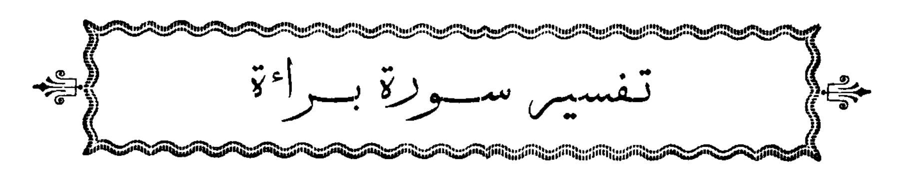
بقوله حسبك الله ومن اتبعك من المومنين فلما وعد الله المومنين بالكفاية والنصر كان هذا التكليف سهلا لان من تكفل الله بنصره فان اهل العالم لا يقدرون على اذايته انتهى وتظاهرت الروايات عن ابن عباس وغيره من الصحابة بان ثبوت الواحد للعشرة كان فرضا على المومنين ثم لما شق ذلك عليهم حط الله الفرض الى ثبوت الواحد للاثنين وهذا هو نسخ الاثقل بالاخف وقوله لا يفقهون معناه لا يفهمون مراشدهم ولا مقصد قتالهم لا يريدون به الا الغلبة الدنيوية فهم يخافون الموت اذا صبرلهم ومن يقاتل ليغلب او يستشهد فيصير الى الجنة اثبت قدما لامحالة وقوله والله مع الصابرين لفظ خبر فى ضمنه وعد وحض على الصبر ويلحظ منه وعيد لمن لم يصبر بانه يغلب وقوله سبحانه ما كان لنبيء ان يكون له اسرى الآية قال (ع) هذه ءاية تتضمن عندى معاتبة من الله عز وجل لاصحاب نبيه عليه السلام والمعنى ما كان ينبغى لكم ان تفعلوا هذا الفعل الذى اوجب ان يكون للنبي اسرى قبل الاثخان ولذلك استمر الخطاب لهم بتريدون والنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا اراد صلى الله عليه وسلم قط عرض الدنيا وانما فعله جمهور مباشرى الحرب وجاء ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فى الآية مشيرا الى دخوله عليه السلام فى العتب حين لم ينه عن ذلك حين رءاه من العريش وانكره سعد بن معاذ ولكنه صلى الله عليه وسلم شغله بغت الامر وظهور النصر عن النهي ومر كثير من المفسرين على ان هذا التوبيخ انما كان بسبب اشارة من اشار على النبي صلى الله عليه وسلم باخذ الفدية حين استشارهم فى شان الاسرى والتاويل الاول احسن والاثخان هو المبالغة فى القتل والجراحة ثم امر بمخاطبة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال تريدون عرض الدنيا ي مالها الذى يعز ويعرض والمراد ما اخذ من الاسرى من الاموال والله يريد

الآخرة اي عمل الآخرة وذكر الطبري وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس ان شئتم اخذتم فداء الاسرى ويقتل منكم فى الحرب سبعون على عددهم وان شئتم قتلوا وسلمتم فقالوا ناخذ المال ويستشهد منا وذكر عبد ابن حميد بسنده ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بتخيير الناس هكذا وعلى هذا فالامر فى هذا التخيير من عند الله فانه اعلام بغيب واذا خيروا رضي الله عنهم فكيف يقع التوبيخ بعد بقوله تعالى لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فهذا يدلك على صحة ما قدمناه ان العتب لهم انما هو على استبقاء الرجال وقت الهزيمة رغبة فى اخذ المال وهو الذى اقول به وذكر المفسرون ايضا فى هذه الآيات تحليل المغانم ولا اقول ذلك لان تحليل المغانم قد تقدم قبل بدر فى السرية التى قتل فيها ابن الحضرمي وانما المبتدع فى بدر استبقاء الرجال لاجل المال والذى من الله به فيها الحاق فدية الكافر بالمغانم التى تقدم تحليلها وقوله سبحانه لولا كتاب من الله سبق الآية قال ابن عباس وابو هريرة والحسن وغيرهم الكتاب هو ما كان الله قضاه فى الازل من احلال الغنائم والفداء لهذه الامة وقال مجاهد وغيره الكتاب السابق مغفرة الله لاهل بدر وقيل الكتاب السابق هو ان لا يعذب الله احدا بذنب الا بعد النهي عنه حكاه الطبري قال ابن العربي فى احكام القرءان وهذه الاقوال كلها صحيحة ممكنة لكن اقواها ما سبق من احلال الغنيمة وقد كانوا غنموا اول غنيمة في الاسلام حين ارسل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش انتهى وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو نزل فى هذا الامر عذاب لنجا منه عمر بن الخطاب وفى حديث ءاخر وسعد بن معاذ وذلك ان رأيهما كان ان تقتل الاسرى وقوله سبحانه فكلوا مما غنمتم الآية نص على اباحة المال الذى اخذ من الاسرى والحاق له بالغنيمة التى كان تقدم

تحليلها وقوله سبحانه يا ايها النبيء قل لمن فى ايديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم روي ان الاسرى ببدر اعلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم ميلا الى الاسلام وانهم ان رجعوا الى قومهم سعوا فى جلبهم الى الاسلام قال ابن عباس الاسرى فى هذه الآية عباس واصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ءامنا بما جئت به ونشهد انك لرسول الله ولننصحن لك على قومنا فنزلت هذه الآية ومعنى الكلام ان كان هذا عن جد منكم وعلم الله من انفسكم الخير والاسلام فانه سيجبر عليكم افضل مما اعطيتم فدية ويغفر لكم جميع ما اجترمتموه وروي ان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال في وفى اصحابى نزلت هذه الآية وقال حين اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مال البحرين ما قدر ان يقول هذا خير مما اخذ مني وانا بعد ارجو ان يغفر الله لى وروي عنه انه قال ما اود ان هذه الآية لم تنزل ولى الدنيا باجمعها وذلك ان الله تعالى قد اتانى خيرا مما اخذ مني وانا ارجو ان يغفر لى وقوله فقد خانوا الله من قبل اي بالكفر فامكن منهم اي بان جعلهم اسرى والله عليم بما يبطنونه حكيم فيما يجازيهم به * وقوله سبحانه ان الذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله والذين ءاووا ونصروا اولائك بعضهم اولياء بعض مقصد هذه الآية وما بعدها تبيين منازل المهاجرين والانصار والمومنين الذين لم يهاجروا وذكر المهاجرين بعد الحديبية فقدم اولا ذكر المهاجرين وهم اصل الاسلام وتأمل تقديم عمر لهم فى الاستشارة وهاجر معناه هجر اهله وقرابته وهجروه والذين ءاووا ونصروا هم الانصار فحكم سبحانه على هاتين الطائفتين بان بعضهم اولياء بعض فقال كثير من المفسرين هذه الموالاة هي الموازرة والمعاونة واتصال الايدى وعليه فسر الطبري الآية وهذا الذى قالوه لازم

من دلالة لفظ الآية وقال ابن عباس وغيره هذه الموالاة هي فى المواريث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اخى بين المهاجرين والانصار فكان المهاجري اذا مات ولم يكن له بالمدينة ولي مهاجري ورثه اخوه الانصاري وكان المسلم الذى لم يهاجر لا ولاية بينه وبين قريبه المهاجري ولا يرثه ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه واولوا الارحام الآية وعلى التاويلين فى الآية حض على الهجرة قال ابو عبيدة الولاية بالكسر من وليت الامر اليه فهي فى السلطان وبالفتح هي من المولى يقال مولى بين الولاية بفتح الواو * وقوله سبحانه وان استنصروكم يعنى ان استدعى هؤلاء المومنون الذين لم يهاجروا نصركم فعليكم النصر الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم لان ذلك غدر ونقض للميثاق * وقوله سبحانه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض وذلك يجمع الموارثة والمعاونة والنصرة وهذه العبارة تحريض واقامة لنفوس المومنين كما تقول لمن تريد تحريضه عدوك مجتهد اي فاجتهد انت وحكى الطبري فى تفسير هذه الآية عن قتادة انه قال ابى الله ان يقبل ايمان من ءامن ولم يهاجر وذلك فى صدر الاسلام وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا بريء من مسلم اقام بين المشركين لا تتراأى نارهما الحديث على اختلاف الفاظه وقول قتادة انما هو فيمن كان يقيم متربصا يقول من غلب كنت معه وكذلك ذكر فى كتاب الطبري وغيره والضمير فى قوله الا تفعلوه قيل هو عائد على الموازرة والمعاونة ويحتمل على الميثاق المذكور ويحتمل على النصر للمسلمين المستنصرين ويحتمل على الموارثة والتزامها ويجوز ان يعود مجملا على جميع ما ذكر والفتنة المحنة بالحرب وما انجر معها من الغارات والجلاء والاسر والفساد الكبير ظهور الشرك * وقوله سبحانه والذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين ءاووا ونصروا اولائك هم المومنون حقا

تضمنت الآيـة تخصيص المهاجرين والانصـار وتشريفهم بهـذا الوصف العظيم (ت) وهي مع ذلك عند التأمل يلوح منها تاويل قتادة المتقدم فتأمله والرزق الكريم هو طعام الجنـة كذا ذكر الطبري وغيره قال ابن العربي فى احكامـه واذا كان الايمان فى القلب حقا ظهر ذلك فى استقامة الاعمال بامتثال الامر واجتناب المنهي عنه واذا كان مجازا قصرت الجوارح فى الاعمال اذ لم تبلغ قوتـه اليها انتهى والذين ءامنوا من بعد وهاجروا وجاهـدوا معكم قوله من بعد يريد بـه من بعد الحديبية وذلك ان الهجرة من بعد ذلك كانت اقل رتبة من الهجرة قبل ذلك وكان يقـال لهـا الهجرة الثانية وجاهدوا معكم لفظ يقتضى انهم تبع لاصدر * وقوله سبحانـه واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله قال من تقدم ذكره هـذه فى المواريث وهي ناسخة للحكم المتقدم ذكره وقالت فرقة منها مالك ان الآيـة ليست فى المواريث وهذا فرار من توريث الخال والعمة ونحو ذلك وقالت فرقـة هي فى المواريث الا انها نسخت بـآيـة المواريث المبينة وقوله فى كتاب الله معنـاه القرءان اي ذلك مثبت فى كتاب الله وقيل فى اللوح المحفوظ كمل تفسير السورة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما



تفسير سورة براءة

وهي مدنية الاءايتين قوله سبحانه لقد جاءكم رسول من انفسكم الى ءاخرهـا وتسمى سورة التوبـة قاله حذيفة وغيره وتسمى الفاضحة قاله ابن عباس وقال مازال ينزل ومنهم ومنهم حتى ظن انه لا يبقى احد وهي من ءاخر ما انزل على

النبي صلى الله عليه وسلم قال علي رضي الله عنه لابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم امان وبشارة وبراءة نزلت بالسيف ونبذ العهود فلذلك لم تبدأ بالامان * قوله عز وجل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين التقدير هذه الآيات براءة ويصح ان يرتفع براءة بالابتداء والخبر فى قوله الى الذين وبراءة معناه تخلص وتبر من العهود التي بينكم وبين الكفار البادءين بالنقض قال ابن العربي فى احكامه تقول برأت من الشيء ابرأ براءة فانا منه بريء اذا ازلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه انتهى ومعنى السياحة فى الارض الذهاب فيها مسرحين ءامنين كالسيح من الماء وهو الجارى المنبسط قال الضحاك وغيره من العلماء كان من العرب من لا عهد بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم جملة وكان منهم من بينه وبينهم عهد وتحسس منهم نقض وكان منهم من بينه وبينهم عهد ولم ينقضوا فقوله فسيحوا فى الارض اربعة اشهر هو اجل ضربه الله لمن كان بينه وبينهم عهد وتحسس منهم نقضه واول هذا الاجل يوم الاذان وءاخره انقضاء العشر الاول من ربيع الآخر وقوله سبحانه فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حكم مباين للاول حكم به فى المشركين الذين لا عهد لهم البتة فجاء اجل تامينهم خمسين يوما اولها يوم الاذان وءاخرها انقضاء المحرم * وقوله الا الذين عاهدتم يريد به الذين لهم عهد ولم ينقضوا ولا تحسس منهم نقض وهم فيما روي بنو ضمرة من كنانة كان بقي من عهدهم يوم الاذان تسعة اشهر * وقوله عز وجل واعلموا انكم غير معجزى الله اي لا تفلتون الله ولا تعجزونه هربا * وقوله واذان من الله ورسوله الآية اي اعلام ويوم الحج الاكبر قال عمر وغيره هو يوم عرفة وقال ابو هريرة وجماعة هو يوم النحر وتظاهرت الروايات ان عليا اذن بهذه الآيات يوم عرفة اثر خطبة ابى بكر ثم رأى انه لم يعم الناس بالاسماع فتتبعهم بالاذان بها

يوم النحر وفى ذلك اليوم بعث ابو بكر من يعينه فى الاذان بها كابى هريرة وغيره وتتبعوا بها ايضا اسواق العرب كذى المجاز وغيره وهذا هو سبب الخلاف فقالت طائفة يوم الحج الاكبر عرفة حيث وقع اول الاذان وقالت اخرى هو يوم النحر حيث وقع اكمال الاذان وقال سفيان ابن عيينة المراد باليوم ايام الحج كلها كما تقول يوم صفين ويوم الجمل ويتجه ان يوصف بالاكبر على جهة المدح لا بالاضافة الى اصغر معين بل بكون المعنى الاكبر من سائر الايام فتأمله واختصار ما تحتاج اليه هذه الآية على ما ذكر مجاهد وغيره من صورة تلك الحال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكة سنة ثمان فاستعمل عليها عتاب بن اسيد وقضى امر حنين والطائف وانصرف الى المدينة فاقام بها حتى خرج الى تبوك ثم انصرف من تبوك فى رمضان سنة تسع فاراد الحج ثم نظر فى ان المشركين يحجون فى تلك السنة ويطوفون عراة فقال لا اريد ان ارى ذلك فأمّر ابا بكر على الحج بالناس وانفذه ثم اتبعه على بن ابى طالب رضي الله عنه على ناقته العضباء وامره ان يؤذن فى الناس باربعين ءاية صدر سورة براءة وقيل ثلاثين وقيل عشرين وفى بعض الروايات عشر ءايات وفى بعضها تسع ءايات وامره ان يؤذن الناس باربعة اشياء وهي ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة وفى بعض الروايات ولا يدخل الجنة كافر ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله عهد فهو الى مدته وفى بعض الروايات ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله اربعة اشهر يسيح فيها فاذا انقضت فان الله بريء من المشركين ورسوله قال (ع) واقول انهم كانوا ينادون بهذا كله فاربعة اشهر للذين لهم عهد وتحسس منهم نقضه والابقاء الى المدة لمن لم يخبر منه نقض وذكر الطبري ان العرب قالت

يومئـذ نحن نبرأ من عهدك ثم لام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون وقد اسلمت قريش فاسلموا كلهم ولم يسح احد قال (ع) وحينئـذ دخل النـاس فى دين الله افواجا * وقوله سبحانه ان الله برىء من المشركين ورسوله اي ورسوله بريء منهم * وقوله فان تبتم اي عن الكفر * وقوله سبحانـه الا الـذين عاهـدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيـأ ولم يظاهروا عليكم احدا فاتمـوا اليهم عهدهم الى مدتهم هذا هو الاستثناء الذى تقدم ذكره وقرأ عكرمة وغيره ينقضوكم بالضاد المعجمـة ويظاهروا معناه يعاونوا والظهير المعين * وقوله ان الله يحب المتقين تنبيه على ان الوفاء بالعهد من التقوى * وقوله سبحانه فاذا انسلخ الاشهر الحرم الانسلاخ خروج الشيء عن الشيء المتلبس به كانسلاخ الشاة عن الجلد فشبه انصرام الاشهر بذلك * وقوله سبحانه فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآيـة قال ابن زيد هذه الآيـة وقوله سبحانـه فاما منا بعد واما فداء هما محكمتان اي ليست احداهما بناسخة للاخرى قال (ع) هذا هو الصواب * وقوله وخذوهم معناه الاسر * وقوله كل مرصد معنـاه مواضع الغرة حيث يرصدون ونصب كل على الظرف او باسقاط الخافض التقـدير فى كل مرصد * وقوله فان تابوا اي عن الكفر * وقوله سبحانه وان احـد من المشركين استجارك اي جلب منك عهدا وجوارا يامن بـه حتى يسمع كلام الله يعنى القرءان والمعنى يفهم احكامه قال الحسن وهذه ءاية محكمة وذلك سنـة الى يوم القيامة * وقوله سبحانه الا الذين عاهدتم عنـد المسجد الحرام الآيـة قال ابن اسحاق هي قبائـل بنى بكر كانوا دخلوا وقت الحديبية فى العهد فامر المسلمون باتمام العهد لمن لم يكن نقض منهم * وقوله سبحانـه كيف وان يظهروا عليكم الآيـة فى الكلام حذف تقديره كيف يكون لهم عهد ونحوه وفى كيف هنـا تاكيد للاستبعاد الذى فى الاولى ولا يرقبـوا

معناه لا يراعوا ولا يحفظوا وقرأ الجمهور الا وهو الله عز وجل قاله مجاهد وابو مجلز وهو اسمه بالسريانية وعرب ويجوز ان يراد بـه العهد والعرب تقول للعهد والحلف والجوار ونحو هذه المعانى الا والذمـة ايضا بمعنى الحلف والجوار ونحوه * وقوله سبحانـه وان نكثوا ايمـانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم الآيـة ويليق هنا ذكرشيء من حكم طعن الذمي فى الدين والمشهور من مذهب مالك انـه اذا فعل شيأ من ذلك مثل تكذيب الشريعـة وسب النبي صلى الله عليـه وسلم قتل * وقوله سبحانـه فقاتلوا ايمـة الكفر اي رءوسهم واعيانهم الذين يقودون النـاس اليه واصوب ما يقال فى هذه الآيـة انـه لايعنى بها معين وانما وقع الامر بقتال ايمة الناكثين للعهود من الكفرة الى يوم القيامة واقتضت حال كفار العرب ومحاربى النبي صلى الله عليه وسلم ان تكون الاشـارة اليهم اولا ثم كل من دفع فى صدر الشريعة الى يوم القيامة فهو بمنزلتهم وقرأ الجمهور لاايمان لهم جمع يمين اي لا ايمان لهم يوفى بها وتبر وهـذا المعنى يشبه الآيـة وقرأ ابن عامر وحده من السبعة لاإيمان لهم وهذا يحتمل وجهين احدهما لا تصديق لهم قال ابو علي وهـذا غير قوي لانـه تكرير وذلك انـه وصف ايمـة الكفر بانهم لا ايمان لهم والوجه فى كسر الالف انـه مصدر من ءامنته ايمانا ومنه قوله تعالى وءامنهم من خوف فالمعنى انهم لا يومنون كما يومن اهل الذمة الكتابيون اذ المشركون ليس لهم الا الاسلام او السيف قال ابو حاتم فسر الحسن قراءتـه لااسلام لهم قال (ع) والتكرير الذى فر ابو علي منه متجه لانـه بيـان المهم الذى يوجب قتلهم * وقولهعز وجل الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول الآية الاعرض وتحضيض قال الحسن والمراد باخراج الرسول اخراجه من المدينة وهذا مستقيم كغزوة احد والاحزاب وقال السدي

المراد من مكة * وقوله سبحانه وهم بدءوكم اول مرة قيل يراد افعالهم بمكة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمومنين وقال مجاهد يراد به ما بدأت به قريش من معونة بنى بكر حلفائهم على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا بدأ النقض وقال الطبري يعنى فعلهم يوم بدر قال الفخر قال ابن اسحاق والسدي والكلبي نزلت هذه الآية فى كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بنى بكر على خزاعة انتهى * وقوله سبحانه اتخشونهم استفهام على معنى التقرير والتوبيخ فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين اي كاملي الايمان * وقوله سبحانه قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قررت الآيات قبلها افعال الكفرة ثم حض على القتال مقترنا بذنوبهم لتنبعث الحمية مع ذلك ثم جزم الامر بقتالهم فى هذه الآية مقترنا بوعد وكيد يتضمن النصر عليهم والظفر بهم * وقوله سبحانه يعذبهم الله بايديكم معناه بالقتل والاسر ويخزهم معناه يذلهم على ذنوبهم يقال خزي الرجل يخزى خزيا اذا ذل من حيث وقع فى عار واخزاه غيره وخزي يخزى خزاية اذا استحي واما قوله تعالى ويشف صدور قوم مومنين فيحتمل ان يريد جماعة المومنين لان كل ما يهد من الكفر هو شفاء من هم صدور المومنين ويحتمل ان يريد تخصيص قوم من المومنين وروي انهم خزاعة قاله مجاهد والسدي ووجه تخصيصهم انهم الذين نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب وكان يومئذ فى خزاعة مومنين كثير ويقتضى ذلك قول الخزاعي المستنصر بالنبي صلى الله عليه وسلم * ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا * وفى ءاخر الرجز * وقتلونا ركعا وسجدا * وقرأ جمهور الناس ويتوب بالرفع على القطع مما قبله والمعنى ان الآية استانفت الخبر بانه قد يتوب على بعض هوءلاء الكفرة الذين امر بقتالهم وعبارة (ص) ويتوب الجمهور بالرفع على الاستيناف وليس بداخل فى جواب الامر لان توبته سبحانه على

من يشاء ليست جزاء على قتال الكفار انتهى * وقوله عز وجل ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآية خطاب للمومنين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الآية ومعنى الآية اظننتم ان تتركوا دون اختبار وامتحان والمراد بقوله ولما يعلم الله اي لما يعلم الله ذلك موجودا كما علمه ازلا بشرط الوجود وليس يحدث له علم تبارك وتعالى عن ذلك ووليجة معناه بطانة ودخيلة وهو ماخوذ من الولوج فالمعنى امرا باطنا مما ينكر وفى الآية طعن على المنافقين الذين اتخذوا الولائج قال الفخر قال ابو عبيدة كل شيء ادخلته فى شيء ليس منه فهو وليجة واصله من الولوج قال الواحدي يقال هو وليجة للواحد والجمع انتهى * وقوله سبحانه ماكان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الى قوله انما يعمر مساجد الله من ءامن بالله الآية لفظ هذه الآية الخبر وفى ضمنها امر المومنين بعمارة المساجد وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان (ت) زاد ابن الخطيب فى روايته فان الله تعالى يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر انتهى من ترجمة محمد بن عبد الله وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ضمن لمن كانت المساجد بيته الامن والامان والجواز على الصراط يوم القيامة خرجه علي بن عبد العزيز البغوي فى المسند المنتخب له وروى البغوي ايضا فى هذا المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اوطن الرجل المساجد بالصلاة والذكر تبشبش الله له كما يتبشبش اهل الغائب لغائبهم اذا قدم عليهم انتهى من الكوكب الدري قيل ومعنى يتبشبش اي يفرح به * وقوله سبحانه ولم يخش الا الله يريد خشية التعظيم والعبادة وهذه مرتبة العدل من الناس ولا محالة ان الانسان يخشى غيره ويخشى المحاذير الدنياوية وينبغى ان يخشى فى ذلك كله قضاء الله وتصريفه * وقوله

سبحانه اجعلتم سقاية الحاج الآية سقاية الحاج كانت فى بني هاشم وكان العباس يتولاها قال الحسن ولما نزلت هذه الآية قال العباس ما ارانى الاترك السقاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقيموا عليها فهي خير لكم وعمارة المسجد الحرام قيل هي حفظه ممن يظلم فيه او يقول هجرا وكان ذلك الى العباس وقيل هي السدانة وخدمة البيت خاصة وكان ذلك فى بنى عبد الدار وكان يتولاها عثمان بن طلحة وابن عمه شيبة وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم لهما ثاني يوم الفتح وقال خذاها خالدة تالدة لا ينازعكموها الاظالم واختلف الناس فى سبب نزول هذه الآية فقال مجاهد امروا بالهجرة فقال العباس انا اسقى الحاج وقال عثمان بن طلحة انا حاجب الكعبة وقال محمد بن كعب ان العباس وعليا وعثمان بن طلحة تفاخروا فنزلت الآية وقيل غير هذا * وقوله سبحانه الذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله الآية لما حكم سبحانه فى الآية المتقدمة بان الصنفين لا يستوون بين ذلك فى هذه الآية الاخيرة واوضحه فعدد الايمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس وحكم على ان اهل هذه الخصال اعظم درجة عند الله من جميع الخلق ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه والفوز بلوغ البغية اما فى نيل رغيبة او نجاة من هلكة وينظر الى معنى هذه الآية الحديث دعوا لى اصحابى فلو ان احدكم انفق مثل أُحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ولان اصحاب هذه الخصال على سيوفهم انبنى الاسلام وتمهد الشرع * وقوله سبحانه يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان هذا وعد كريم من رب رحيم وفى الحديث الصحيح اذا استقر اهل الجنة فى الجنة يقول الله عز وجل لهم هل رضيتم فيقولون وكيف لا نرضى يا ربنا فيقول انى ساعطيكم افضل من ذلك رضوانى ارضى عليكم فلا اسخط عليكم ابدا الحديث *

وقوله سبحانـه يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا ءاباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ظاهر هذه المخاطبة انها لجميع المومنين كافة وهي باقية الحكم الى يوم القيامة وروت فرقة انها نزلت فى الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفر * وقوله سبحانه قل ان كان ءاباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم الآية هذه الآية تقوى مذهب من رأى ان هذه الآية والتى قبلها انما مقصودها الحض على الهجرة وفى ضمن قوله فتربصوا وعيد بين * وقوله بامره قال الحسن الاشارة الى عذاب او عقوبة من الله تعالى وقال مجاهد الاشارة الى فتح مكة وذكر الابناء فى هذه الآية دون التى قبلها لما جلبت ذكرهم المحبة والابناء صدر فى المحبة وليسوا كذلك فى ان تتبع ءاراؤهم كما فى الآية المتقدمة واقترفتموها معناه اكتسبتموها ومساكن جمع مسكن بفتح الكاف مفعل من السكنى وما كان من هذا معتل الفاء فانما ياتى على مفعل بكسر العين كموعد وموطن * وقوله سبحانه لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين هذه مخاطبة لجميع المومنين يعدد الله تعالى نعمه عليهم والمواطن المشار اليها بدر والخندق والنضير وقريظة وخيبر وغيرها وحنين واد بين مكة والطائف * وقوله اذ اعجبتكم كثرتكم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين رأى جملته اثني عشر الفا لن تغلب اليوم من قلة وروي ان رجلا من اصحابه قالها فاراد الله تعالى اظهار العجز فظهر حين فر الناس (ت) العجب جائز فى حق غير النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم منه صلى الله عليه وسلم والصواب فى فهم الحديث انه خرج مخرج الاخبار لا على وجه العجب وعلى هذا فهمه ابن رشد وغيره وانه اذا بلغ عدد المسلمين اثني عشر الفا حرم الفرار وان زاد عدد المشركين على الضعف وعليه عول فى الفتوى وقوله تعالى وضاقت عليكم الارض بما رحبت معناه

برحبها كانـه قال على ما هي عليه فى نفسها رحبة واسعة لشدة الحال وصعوبتها فما مصدريـة * وقوله سبحانـه ثم وليتم مدبرين اي فرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم واختصار هذه القصـة ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم لمـا فتح مكة وكان فى عشرة ءالاف من اصحابـه وانضـاف اليهم الفان من الطلقـاء فصار فى اثني عشر الفا سمع بذلك كفـار العـرب فشق عليهم فجمعت له هوازن والفافها وعليهم ملك بن عوف النصري وثقيف وعليهم عبد ياليـل بن عمرو وانضـاف اليهم اخـلاط من النـاس حتى كانوا ثلاثين الفـا فخرج اليهم رسـول الله صلى الله عليـه وسلم حين اجتمعوا بحنين فلما تصـاف الناس حمـل المشركون من محـاني الوادى وانهزم المسلمون قال قتـادة وكان يقـال ان الطلقاء من اهل مكة فروا وقصدوا القاء الهزيمـة فى المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البـيضاء قد اكتـنفه العباس عمه وابن عمـه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وبين يديه ايمن بن ام ايمن وثم قتل رحمه الله والنبي صلى الله عليه وسلم يقول

انا النبي لا كـــذب * انا ابن عبد المطلـــب

فلما رأى نبي الله صلى الله عليه وسلم شدة الحال نزل عن بغلتـه الى الارض قاله البراء بن عازب واستـنصر الله عز وجل فاخـذ قبضة مـن تراب وحصى فرمى بها فى وجوه الكفار وقال شـاهت الوجوه ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار وامر العباس ان ينادي اين اصحاب الشجرة اين اصحاب سورة البقرة فرجع الناس عنـقا واحـدا للحرب وتصاحفوا بالسيوف والطعن والضرب وهناك قال عليه السلام الآن حمي الوطيس وهزم الله المشركين واعلى كلمة الاسلام الى يوم الدين قال يعلى بن عطاء فحدثني ابنـاء المنهزمين عن ءابائهم قالوا لم يبق منا احد الا دخل عينيه مـن ذلك التراب واستيعـاب هـذه القصة فى

كتب السير ومدبرين نصب على الحال الموكدة كقوله وهو الحق مصدقا
والموكدة هي التى يدل ما قبلها عليها كدلالة التولى على الادبار * وقوله
سبحانه ثم انزل الله سكينته الآية السكينة النصر الذى سكنت اليه
ومعه النفوس والجنود الملائكة والرعب قال ابو حاجز يزيد بن عامر كان فى
اجوافنا مثل ضربة الحجر فى الطست من الرعب وعذب الذين كفروا اي
بالقتل والاسر وروى ابو داود عن سهل بن الحنظلية انهم ساروا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين فاطنبوا السير حتى كان عشية فحضرت الصلاة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فارس فقال يا رسول الله انى
انطلقت بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذ انا بهوازن على
بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشياهم اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله الحديث انتهى
فكانوا كذلك غنيمة بحمد الله كما اخبر صلى الله عليه وسلم * وقوله عز
وجل يا ايها الذين ءامنوا انما المشركون نجس قال ابن عباس وغيره معنى
الشرك هو الذى نجسهم كنجاسة الخمر ونص الله سبحانه فى هذه الآية
على المشركين وعلى المسجد الحرام فقاس مالك رحمه الله وغيره جميع الكفار
من اهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام
ومنع من دخول الجميع فى جميع المساجد وقوة قوله سبحانه فلا يقربوا يقتضى
امر المسلمين بمنعهم * وقوله بعد عامهم هذا يريد بعد عام تسع من الهجرة
وهو عام حج ابو بكر بالناس * وقوله سبحانه وان خفتم عيلة اي فقرا
فسوف يغنيكم الله من فضله وكان المسلمون لما منع المشركون من الموسم وهم
كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات قذف الشيطان فى نفوسهم الخوف من الفقر
وقالوا من اين نعيش فوعدهم الله سبحانه بان يغنيهم من فضله فكان الامر كما

وعد الله سبحانه فاسلمت العرب فتمادى حجهم وتجرهم واغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الامم * وقوله سبحانه قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر الآية هذه الآية تضمنت قتال اهل الكتاب قال مجاهد وعند نزول هذه الآية اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزو الروم ومشى نحو تبوك ونفى سبحانه عن اهل الكتاب الايمان بالله واليوم الآخر حيث تركوا شرع الاسلام وايضا فكانت اعتقاداتهم غير مستقيمة لانهم تشعبوا وقالوا عزير بن الله والله ثالث ثلاثة وغير ذلك ولهم ايضا فى البعث اراء فاسدة كشراء منازل الجنة من الرهبان الى غير ذلك من الهذيان ولا يدينون دين الحق اي لا يطيعون ولا يمتثلون ومنه قول عائشة ما عقلت ابوي الا وهما يدينان الدين والدين هنا الشريعة قال ابن القاسم واشهب وسحنون وتوخذ الجزية من مجوس العرب والامم كلها واما عبدة الاوثان والنيران وغير ذلك فجمهور العلماء على قبول الجزية منهم وهو قول مالك فى المدونة وقال الشافعي وابو ثور لا توخذ الجزية الا من اليهود والنصارى والمجوس فقط واما قدرها فى مذهب مالك وغيره فاربعة دنانير على اهل الذهب واربعون درهما على اهل الفضة وهذا فى العنوة واما الصلح فهو ما صالحوا عليه قليل او كثير * وقوله عن يد يحتمل وجوها منها ان يريد عن قوة منكم عليهم وقهر واليد فى كلام العرب القوة ومنها ان يريد سوق الذمي لها بيده لا ان يبعثها مع رسول ليكون فى ذلك اذلال لهم ومنها ان يريد نقدها ناجزا تقول بعته يدا بيد اي لا يوخروا بها ومنها ان يريد عن استسلام يقال القى فلان بيده اذا عجز واستسلم * وقوله سبحانه وقالت اليهود عزير بن الله الذى كثر فى كتب اهل العلم ان فرقة من اليهود قالت هذه المقالة وروي انه قالها نفر يسير منهم فنحاص وغيره قال النقاش ولم يبق الآن يهودي

يقولها بل انقرضوا قال (ع) فاذا قالها ولو واحد من رؤسائهم توجهت شنعة المقالة على جماعتهم وحكى الطبري وغيره ان بني اسرائيل اصابتهم فتن وجلاء وقيل مرض واذهب الله عنهم التوراة فى ذلك ونسوها وكان علماؤهم قددفنوها اول ما احسوا بذلك البلاء فلما طالت المدة فقدت التوراة جملة فحفظها الله عزيرا كرامة منه له فقال لبنى اسرائيل ان الله قد حفظنى التوراة فجعلوا يدرسونها من عنده ثم ان التوراة المدفونة وجدت فاذا هي مساوية لما كان عزير يدرس فضلوا عند ذلك وقالوا ان هذا لم يتهيأ لعزير الا وهو ابن الله نعوذ بالله من الضلال * وقوله بافواههم اي بمجرد الدعوى من غير حجة ولا برهان ويضاهون قراءة الجماعة ومعناه يحاكون ويماثلون والاشارة بقوله الذين كفروا من قبل اما لمشركى العرب اذ قالوا الملائكة بنات الله قاله الضحاك واما لامم سالفة قبلها واما للصدر الاول من كفرة اليهود والنصارى ويكون يضاهون لمعاصرى النبي صلى الله عليه وسلم وان كان الضمير فى يضاهون للنصارى فقط كانت الاشارة بالذين كفروا من قبل الى اليهود وعلى هذا فسر الطبري وحكاه غيره عن قتادة * وقوله قاتلهم الله دعاء عليهم عام لانواع الشر وعن ابن عباس ان المعنى لعنهم الله قال الداودي وعن ابن عباس قاتلهم الله لعنهم الله وكل شيء فى القرءان قتل فهو لعن انتهى وانى يوفكون اي يصرفون عن الخير * وقوله سبحانه اتخذوا احبارهم ورهبانهم الآية هذه الآية يفسرها ما حكاه الطبري ان عدي بن حاتم قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الصليب من عنقك فسمعته يقرأ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت يا رسول الله وكيف ذلك ونحن لم نعبدهم فقال اليس تستحلون ما احلوا وتحرمون ما حرموا قلت نعم قال فذلك ومعنى سبحانه تنزيها له

ونور الله فى هذه الآيـة هداه الصادر عن القرءان والشرع * وقوله بافواههم عبارة عن قلة حيلتهم وضعفها * وقوله بالهدى يعم القرءان وجميـع الشرع * وقوله ليظهره على الدين كله وقد فعل ذلك سبحانـه فالضمير فى ليظهره عائـد على الدين وقيل على الرسول وهذا وان كان صحيحا فالتاويـل الاول ابرع منه واليق بنظام الآيـة * وقوله عز وجل يا ايهـا الذين ءامنوا ان كثيرا مـن الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل المراد بهـذه الآيـة بيـان نقائص المذكورين ونهي المومنين عن تلك النـقائص مترتب ضمـن ذلك واللام فى لياكلون لام التوكيد وصورة هذا الاكل هى بانهم ياخذون من اموال اتباعهم ضرائب وفروضا باسم الكنائس والبيع وغير ذلك ممـا يوهمونهم ان النفقـة فيه مـن الشرع والتقرب الى الله وهم خـلال ذلك يحتجنون تلك الاموال كالذى ذكره سلمان فى كتاب السير عن الراهب الـذى استخرج كنزه * وقوله سبحانـه ويصدون عن سبيل الله اي عن شريعة الاسـلام والايمان بنبينا محمد صلى الله عليـه وسلم * وقوله سبحانه والذين ابتداء وخبره فبشرهم والذى يظهر من الفاظ الآيـة انه لما ذكـر نقص الاحبار والرهبان الآكلين للمال بالباطل ذكر بعد ذلك بقول عام نـقص الـكانزين المانعين حق المال وقرأ طلحة بن مصرف الذين يكنزون بغير واو وعلى هذه القراءة يجرى قول معاويـة ان الآيـة فى اهل الكتاب وخالفه ابو ذر فقال بـل هي فينا ويكنزون معناه يجمعون ويحفظون فى الاوعية وليس من شرط الكنز الدفن والتوعد فى الكنز انما وقع على منع الحقوق منه وعلى هـذا كثير من العلماء وقال علي رضي الله عنه اربعة ءالاف درهم فما دونها نفقـة وما زاد عليها فهو كنز وان اديت زكاتـه وقال ابو ذر وجماعة معه ما فضل من مال الرجل على حاجة نفسه فهو كنز وهذان القولان يقتضيان ان الذم فى حبس المال لا فى منع

زكاتـه فقط (ت) وحدث ابو بكر بن الخطيب بسنـده عـن علي بن ابى طالب وابن عمر عن النبي صلى الله عليـه وسلم انـه قال ان الله فرض للفقراء فى اموال الاغنياء قدر مـا يسعهم فان منعوهم حتى يجوعوا ويعروا ويجهـدوا حاسبهم الله حسابا شديـدا وعذبهم عذابا نكرا انتهى * وقوله سبحانـه فتكوى بها جباهم الآيـة قال ابن مسعود والله لايمس دينـار دينارا بـل يمد الجلد حتى يكوى بكل دينار وبكل درهم قال الفخر قال ابو بكر الوراق وخصت هـذه المواضـع بالذكر لان صاحب المـال اذا رأى الفقير قبض جبينه واذا جلس الى جنبه تباعد عنـه وولاه ظهره انتهى * وقوله سبحانـه ان عدة الشهور عنـد الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله هـذه الآيـة والتى بعدها تتضمن ما كانت العرب عليه فى جاهليتها من تحريم شهور الحل وتحليل شهور الحرمـة واذا نص مـا كانت العـرب تفعله تبين معنى الآيـات فالذى تظاهرت بـه الروايات ويتخلص مـن مجموع مـا ذكره النـاس ان العرب كانت لاعيش لاكثرها الامن الغارات واعمـال سلاحهـا فكانوا اذا توالت عليهم حرمة الاشهر الحرم صعب عليهم واملقوا وكان بنوفقيم من كنانـة اهل دين فى العرب وتمسك بشرع ابراهيم عليه السـلام فانتدب منهم القلمس وهو حذيفـة بن عبد فقيم فنسى الشهور للعرب ثم خلفـه على ذلك بنوه وذكر الطبري وغيره ان الامر كان فى عدوان قبل بنى مالك بن كنانـة وكانت صورة فعلهم ان العرب كانت اذا فرغت من حجهـا جاء اليـه من شـاء منهم مجتمعين فقالوا انسانا شهرا اي اخر عنا حرمة المحرم فاجعلهـا فى صفر فيحـل لهم المحرم فيغيرون فيه ثم يلتزمـون حرمة صفر ليوافقوا عـدة الاشهر الحرم الاربعـة قال مجاهد ويسمون ذلك الصفر المحرم ثم يسمون ربيعا الاول صفرا وربيعا الآخر ربيعا الاول وهكذا فى سائر الشهور وتجئ السنـة من ثلاثـة عشر شهرا

اولها المحرم المحلل ثم المحرم الذى هو فى الحقيقة صفر وفى هذا قال الله عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا اي ليست ثلاثة عشر ثم كانت حجة ابي بكر فى ذى القعدة حقيقة وهم يسمونه ذا الحجة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر فى ذى الحجة حقيقة فذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان * وقوله فى كتاب الله اي فيما كتبه واثبته فى اللوح المحفوظ او غيره فهي صفة فعل مثل خلقه ورزقه وليست بمعنى قضائه وتقديره لان تلك هي قبل خلق السموات والارض * وقوله سبحانه منها اربعة حرم نص على تفضيل هذه الاربعة وتشريفها قال قتادة اصطفى الله من الملائكة والبشر رسلا ومن الشهور المحرم ورمضان ومن البقع المساجد ومن الايام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر ومن الكلام ذكره فينبغي ان يعظم ما عظم الله * وقوله سبحانه ذلك الدين القيم قالت فرقة معناه الحساب المستقيم وقال ابن عباس فيما حكى المهدوي معناه القضاء المستقيم قال (ع) والاصوب عندى ان يكون الدين هاهنا على اشهر وجوهه اي ذلك الشرع والطاعة * وقوله فلا تظلموا فيهن اي فى الاثني عشر شهرا اي لا تظلموا انفسكم بالمعاصى فى الزمان كله وقال قتادة المراد الاربعة الاشهر وخصصت تشريفا لها قال سعيد بن المسيب كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرم القتال فى الاشهر الحرم بما انزل الله فى ذلك حتى نزلت براءة * وقوله تعالى وقاتلوا المشركين معناه فيهن فاحرى فى غيرهن وقوله كافة معناه جميعا * وقوله سبحانه انما النسي يعنى فعل العرب فى تاخيرهم الحرمة زيادة فى الكفر اي جار مع كفرهم بالله وخلافهم للحق فالكفر متكثر بهذا الفعل الذى هو باطل فى نفسه ومما وجد فى

اشعارهم قول جِذْل الطِّعَان

وقد علمت معد ان قومى * كرام الناس ان لهم كراما
السنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما

وقوله سبحانه يحلونه عاما ويحرمونه عاما معناه عاما من الاعوام وليس يريد ان تلك كانت مداولة * وقوله سبحانه ليواطئوا عدة ما حرم الله معناه ليوافقوا والمواطأة الموافقة * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض هذه الآية بلا خلاف انها نزلت عتابا على تخلف من تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم فى عشرين الفا بين راكب وراجل والنفر هو التنقل بسرعة من مكان الى مكان وقوله اثاقلتم اصله تثاقلتم وكذلك قرأ الاعمش وهو نحو قوله اخلد الى الارض * وقوله ارضيتم تقرير والمعنى ارضيتم نزر الدنيا على خطير الآخرة وحظها الاسعد قال ابن هشام فمن من قوله من الآخرة للبدل انتهى ثم اخبر سبحانه ان الدنيا بالاضافة الى الآخرة قليل نزر فتعطى قوة الكلام التعجب من ضلال من يرضى النزر الفانى بدل الكثير الباقى (ت) وفى صحيح مسلم والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا فى الآخرة الامثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بما ذا ترجع قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله سبحانه الا تنفروا يعذبكم شرط وجواب ولفظ العذاب عام يدخل تحته انواع عذاب الدنيا والآخرة * وقوله ويستبدل قوما غيركم توعد بان يبدل لرسوله عليه السلام قوما لا يقعدون عند استنفاره اياهم والضمير فى قوله ولا تضروه شيأ عائد على الله عز وجل ويحتمل ان يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وهو اليق * وقوله سبحانه الا تنصروه فقد نصره الله هذا ايضا شرط وجواب ومعنى الآية انكم

ان تركتم نصره فالله متكفل به اذ قد نصره فى موضع القلة والانفراد وكثرة العدو ولن يترك نصره الآن * وقوله اذ اخرجه الذين كفروا اسند الاخراج اليهم تذنيبا لهم ولما كان مقصد ابى سفيان بن الحارث الفخر فى قوله من طردت كل مطرد لم يقره النبي صلى الله عليه وسلم على ما علم فى كتب السيرة والاشارة الى خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وفى صحبته ابو بكر واختصار القصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر اذن الله سبحانه فى الهجرة من مكة وكان ابو بكر حين ترك ذمة ابن الدغنة قد اراد الخروج فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر لعل الله ان يسهل الصحبة فلما اذن الله لنبيه فى الخروج تجهز من دار ابى بكر وخرجا فبقيا فى الغار الذى فى جبل ثور فى غربي مكة ثلاث ليال وخرج المشركون فى اثرهم حتى انتهوا الى الغار فطمس الله عليهم الاثر وقال ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم لو نظر احدهم الى قدمه لرءانا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما هكذا فى الحديث الصحيح ويروى ان العنكبوت نسجت على باب الغار ويروى ان الحمامة عششت عند باب الغار وكان يروح عليهما باللبن عامر بن فُهَيرة * وقوله ثاني اثنين معناه احد اثنين * وقوله ان الله معنا يريد بالنصر والنجاة واللطف * وقوله سبحانه وكلمة الله هي العليا قيل يريد لا اله الا الله وقيل الشرع باسره * وقوله سبحانه انفروا خفافا وثقالا معنى الخفة والثقل هاهنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة واما من لا يمكنه كالعمي ونحوهم فخارج عن هذا وقال ابو طلحة ما اسمع الله عذر احدا وخرج الى الشام فجاهد حتى مات وقال ابو ايوب ما اجدنى ابدا الا خفيفا او ثقيلا * وقوله سبحانه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون تنبيه وهز للنفوس * وقوله سبحانه لوكان عرضا قريبا وسفرا قاصدا

لاتبعوك هذه الآية فى المنافقين المتخلفين فى غزوة تبوك وكشف ضمائرهم واما الآيات التى قبلها فعامة فيهم وفى غيرهم والمعنى لوكان هذا الغزو لعرض اي لمال وغنيمة تنال قريبا بسفر قاصد يسير لبادروا لا لوجه الله ولكن بعدت عليهم الشقة وهى المسافة الطويلة * وقوله وسيحلفون بالله يريد المنافقين وهذا اخبار بغيب * وقوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم هذه الآية هي فى صنف مبالغ فى النفاق استاذنوا دون اعتذار منهم الجد بن قيس ورفاعة بن التابوت ومن اتبعهم قال مجاهد وذلك ان بعضهم قال نستاذنه فان اذن فى القعود قعدنا والا قعدنا وقدم له العفو قبل العتاب اكراما له صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة بل قوله سبحانه عفا الله عنك استفتاح كلام كما تقول اصلحك الله واعزك الله ولم يكن منه عليه السلام ذنب يعفى عنه لان صورة الاستنفار وقبول الاعذار مصروفة الى اجتهاده * وقوله حتى يتبين لك الذين صدقوا يريد فى استيذانك وانك لو لم تاذن لهم خرجوا معك * وقوله وتعلم الكاذبين اي بمخالفتك لو لم تاذن لانهم عزموا على العصيان اذنت لهم او لم تاذن وقال الطبري معناه حتى تعلم الصادقين فى ان لهم عذرا والكاذبين فى ان لا عذر لهم والاول اصوب والله اعلم واما قوله سبحانه فى سورة النور فاذا استاذنوك لبعض شأنهم الآية ففى غزوة الخندق نزلت وارتابت قلوبهم اي شكت ويترددون اي يتحيرون اذ كانوا تخطر لهم صحة امر النبي صلى الله عليه وسلم احيانا وانه غير صحيح احيانا فهم مذبذبون * وقوله سبحانه ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة اي لو ارادوا الخروج بنياتهم لنظروا فى ذلك واستعدوا له * وقوله ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم قال (ص) ولكن اصلها ان تقع بين نقيضين او ضدين او خلافين على خلاف فيه انتهى وانبعاثهم نفوذهم لهذه الغزوة والتثبيط التكسيل وكسرا لعزم *

وقوله سبحانه وقيل اقعدوا يحتمل ان يكون حكاية عن الله اي قال الله فى سابق قضائه اقعدوا مع القاعدين ويحتمل ان يكون حكاية عنهم اي كانت هذه مقالة بعضهم لبعض ويحتمل ان يكون عبارة عن اذن النبي صلى الله عليه وسلم لهم فى القعود اي لما كره الله خروجهم يسر ان قلت لهم اقعدوا مع القاعدين والقعود هنا عبارة عن التخلف وكراهية الله انبعاثهم رفق بالمومنين * وقوله سبحانه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الاخبالا الخبال الفساد فى الاشياء الموتلفة كالمودات وبعض الاجرام ولا اوضعوا معناه لاسرعوا السير وخلالكم معناه فيما بينكم قال (ص) خلالكم جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين وانتصب على الظرف بلا اوضعوا ويبغونكم حال اي باغين انتهى والايضاع سرعة السير ووقعت لا اوضعوا بألف بعد لا فى المصحف وكذلك وقعت فى قوله اولا اذبحنه يبغونكم الفتنة اي يطلبون لكم الفتنة وفيكم سماعون لهم قال مجاهد وغيره معناه جواسيس يسمعون الاخبار وينقلونها اليهم وقال الجمهور معناه وفيكم مطيعون سامعون لهم * وقوله سبحانه لقد ابتغوا الفتنة من قبل فى هذه الآية تحقير لشأنهم ومعنى قوله من قبل ما كان من حالهم فى اُحد وغيرها ومعنى قوله وقلبوا لك الامور دبروها ظهرا لبطن وسعوا بكل حيلة ومنهم من يقول ايذن لى ولا تفتنى نزلت فى الجد بن قيس واسند الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا بنات الاصفر فقال الجد ايذن لنا ولا تفتنا بالنساء وقال ابن عباس ان الجد قال ولكنى اعينك بمالى * وقوله سبحانه الا فى الفتنة سقطوا اي فى الذى اظهروا الفرار منه * وقوله سبحانه ان تصبك حسنة الآية الحسنة هنا بحسب الغزوة هي الغنيمة والظفر والمصيبة الهزيمة والخيبة واللفظ عام بعد ذلك فى كل محبوب ومكروه ومعنى قوله قد اخذنا امرنا من قبل اي قد اخذنا بالحزم فى تخلفنا ونظرنا

لانفسنا ثم امر تعالى نبيه فقال قل لهم يا محمد لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وهو اما ظفرا وسرورا عاجلا واما ان نستشهد فندخل الجنة وباقى الآية بين * وقوله سبحانه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اي قل للمنافقين والحسنيين الظفر والشهادة * وقوله او بايدينا يريد القتل * وقوله سبحانه قل انفقوا طوعا اوكرها الآية سببها ان الجد بن قيس حين قال ايذن لى ولا تفتنى قال انى اعينك بمالى فنزلت هذه الآية فيه وهي عامة بعده * وقوله عز وجل وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان ثواب الكافر على افعاله البرة هو فى الطعمة يطعمها ونحو ذلك وهذا مقنع لا يحتاج معه الى نظر واما ان ينتفع بها فى الآخرة فلا وكسالى جمع كسلان * وقوله سبحانه فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا الآية حقر فى الآية شأن المنافقين وعلل اعطاء الله لهم الاموال والاولاد بارادته تعذيبهم بها فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال ابن زيد وغيره تعذيبهم بها فى الدنيا هو بمصائبها ورزاياها هي لهم عذاب اذ لا يوجرون عليها ومن ذلك قهر الشرع لهم على اداء الزكاة والحقوق الواجبات قال الفخر اما كون كثرة الاموال والاولاد سببا للعذاب فى الدنيا فحاصل من وجوه منها ان كلما كان حب الانسان للشيء اشد واقوى كان حزنه وتألم قلبه على فراقه اعظم واصعب ثم عند الموت يعظم حزنه وتشتد حسرته لمفارقته المحبوب، فالمشغوف بحب المال والولد لايزال فى تعب فيحتاج فى اكتساب الاموال وتحصيلها الى تعب شديد ومشقة عظيمة ثم عند حصولها يحتاج الى متاعب اشد واصعب فى حفظها وصونها لان حفظ المال بعد حصوله اصعب من اكتسابه ثم انه لا ينتفع الا بالقليل من تلك الاموال فالتعب كثير والنفع قليل

ثم قال واعلم ان الدنيـا حلوة خضـرة والحواس الخمس مائلة اليها فاذا كثرت وتوالت استغرقت فيها وانصرف الانسان بكليته اليها فيصير ذلك سببا لحرمانه من ذكـر الله ثم انـه يحصل فى قلبه نوع قسوة وقوة وقهـر وكلما كان المـال والجاه اكثركانت تلك القسوة اقوى والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رءاه استغنى فظهر ان كثرة الاموال والاولاد سبب قوي فى زوال حب الله تعـالى وحب الآخرة مـن القلب وفى حصول الدنيـا وشهواتهـا فى القلب وعند الموت كان الانسان ينتقل من البستان الى السجن ومن مجالسـة الاقرباء والاحبة الى موضع الغربـة والكربـة فيعظم تألمـه ويقوى حزنـه ثم عند الحشر حلالها حسـاب وحرامهـا عقـاب فثبت ان كثرة الامـوال والاولاد سبب لحصول العـذاب فى الدنيـا والآخرة انتهى ثم اخبر سبحانـه انهم ليسوا مـن المـومنين وانمـا هم يفزعون منهم والفرق الخوف * وقـوله سبحانـه لو يجدون ملجأ الملجأ من لجأ يلجأ اذا اوى واعتصم وقـرأ الجمهور او مغـارات بفتح الميم وهي الغيران فى اعراض الجبال اومدخـلا معناه السرب والنفق فى الارض وهـو تفسير ابن عبـاس فى هـذه الالفـاظ وقـرأ جمهـور النـاس يجمحون ومعنـاه يسرعون قال الفخر قوله وهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شيء ومن هـذا يقال جمح الفـرس وفرس جموح وهو الذى اذا حمـل لم يرده اللجـام انتهى * وقوله عز وجـل ومنهم من يلمزك الآيـة اي ومن المنافـقين من يلمزك اي يعيبك وياخذ منك فى الغيبـة ومنـه قول الشـاعر

اذا لقيتك تبدى لى مكاشـــرة * وان اغيب فانت الهامـز اللمـزه

ومنه قوله سبحانه ويل لكل همزة لمزة * وقـوله سبحانـه ولو انهم رضوا ما ءاتاهم الله ورسوله الآية المعنى لو ان هؤلاء المنافـقين رضوا قسمة الله الرزق

لهم وما اعطاهم على يد رسوله واقروا بالرغبـة الى الله لكان خيرا لهم وحذف الجواب لدلالة ظاهر الكلام عليه وذلك من فصيح الكلام وايجازه وقوله سبحانـه انمـا الصدقات للفقراء الآية انمـا فى هـذه الآيـة حاصرة تقتضى وقوف الصدقات على الثمانية الاصناف وانما اختلف فى صورة القسمة ومذهب مالك وغيره ان ذلك على قدر الاجتهاد وبحسب الحاجة واما الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهـد والزهري وابن زيـد وغيرهم المساكين الذين يسعون ويسئلون والفقراء الذين يتصاونون وهذا القول احسن ماقيـل فى هذا وتحريره ان الفقيرهو الذى لا مال له الا انه لم يذل نفسه ولايذل وجهه وذلك امـا لتعفف مفـرط وامـا لبلغـة تكون له كالحلوبة ومـا اشبههـا والمسكـين هو الذى يقترن بفقره تذلل وخضوع وسؤال فهذه هي المسكنة ويقوى هـذا ان الله سبحانـه قد وصف بنى اسراءيـل بالمسكنـة وقرنهـا بالذلة مع غناهم واذا تأملت ما قلناه بَان انهما صنفان موجودان فى المسلمين (ت) وقـد اكثر الناس فى الفرق بـين الفقير والمسكـين واولى مـا يعول عليـه ما ثبت فى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى مالك عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهـذا الطواف الذى ترده اللقمة واللقمتـان والتمرة والتمرتان انمـا المسكـين الذى ليس له غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليـه ولايقوم فيسأل النـاس انتهى واول ابو عمر فى التمهيد هـذا الحديث فقـال كانـه اراد والله اعلم ليس المسكين على تمـام المسكنـة وعلى الحقيقة الا الذى لا يسأل النـاس انتهى واما العاملون فهم جباتها يستنيبهم الامام فى السعي على النـاس وجمع صدقاتهم قال الجمهور لهم قدر تعبهم ومئـونتهم واما المؤلفة قلوبهم فكانوا مسلمين وكافرين مستترين مظهرين للاسلام حتى وثقه الاستيلاف فى اكثرهم واستيلافهم انمـا

كان لتجلب الى الاسلام منفعة او تدفع عنه مضرة والصحيح بقاء حكمهم ان احتيج اليهم واما الرقاب فمذهب مالك وغيره هو ابتداء عتق مومن واما الغارم فهو الرجل يركبه دين فى غير معصية ولا سفه كذا قال العلماء واما فى سبيل الله فهو الغازى وان كان مليا ببلده واما ابن السبيل فهو المسافر وان كان غنيا ببلده وسمي المسافر ابن السبيل لملازمته السبيل ومن ادعى الفقر صدق الا لريبة فيكلف حينئذ البينة واما ان ادعى انه غارم او ابن السبيل او غاز ونحو ذلك مما لا يعلم الامنه فلا يعطى الا ببينة واهل بلد الصدقة احق بها الا ان تفضل فضلة فتنقل الى غيرهم قال ابن حبيب وينبغى للامام ان يامر السعاة بتفريقها فى المواضع التى جبيت فيها ولا يحمل منها شيء الى الامام وفى الحديث توخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم * وقوله سبحانه فريضة من الله اي موجبة محدودة * وقوله سبحانه ومنهم الذين يوذون النبيء ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين اي ومن المنافقين ويوذون لفظ يعم انواع اذايتهم له صلى الله عليه وسلم وخص بعد ذلك من قولهم هو اذن وروي ان قائل هذه المقالة نبتل بن الحارث وكان من مردة المنافقين وفيه قال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث وكان ثائر الرأس منتفش الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوها قال الحسن البصري ومجاهد قولهم هو اذن اي يسمع معاذيرنا ويقبلها اي فنحن لانبالى من الوقوع فيه وهذا تنقص بقلة الحزم وقال ابن عباس وغيره انهم ارادوا بقولهم هو اذن اي يسمع كل ما ينقل اليه عنا ويصغى اليه ويقبله فهذا تشك منه عليه السلام ومعنى اذن سماع وهذا من باب تسمية الشيء بالشيء اذا كان منه بسبب كما يقال للرؤية عين وكما يقال للمسنة من الابل التى قد بزل نابها ناب وقيل معنى الكلام ذو اذن اي

ذو سماع وقيل انه مشتق من قولهم اذن الى شيء اذا استمع ومنه قول الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقرأ نافع اذن بسكون الذال فيهما وقرأ الباقون بضمها فيهما وكلهم قرأ بالاضافة الى خير الا ما روي عن عاصم وقرأ الحسن وغيره قل اذن خير بتنوين اذن ورفع خير وهذا جار على تاويله المتقدم والمعنى من يقبل معاذيركم خير لكم ورويت هذه القراءة عن عاصم ومعنى اذن خير على الاضافة اي سماع خير وحق ويومن بالله معناه يصدق بالله ويومن للمومنين قيل معناه ويصدق المومنين واللام زائدة وقيل يقال ءامنت لك بمعنى صدقتك ومنه وما انت بمومن لنا قال (ع) وعندى ان هذه التى معها اللام فى ضمنها باء فالمعنى ويصدق للمومنين بما يخبرونه به وكذلك قوله وما انت بمومن لنا بما نقوله (ت) ولما كانت اخبار المنافقين تصل الى النبي صلى الله عليه وسلم تارة باخبار الله له وتارة باخبار المومنين وهم عدول ناسب اتصال قوله سبحانه يومن بالله ويومن للمومنين بما قبله ويكون التصديق هنا خاصا بهذه القضية وان كان ظاهر اللفظ عاما اذ من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم لم يزل مصدقا بالله وقرأ جميع السبعة الا حمزة ورحمة بالرفع عطفا على اذن وقرأ حمزة وحده ورحمة بالخفض عطفا على خير وخصص الرحمة للذين ءامنوا اذ هم الذين فازوا ونجوا بالرسول عليه السلام * يحلفون بالله لكم يعنى المنافقين * وقوله والله ورسوله احق ان يرضوه التقدير عند سيبويه والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه فحذف الخبر من الجملة الاولى لدلالة الثانية عليه وقيل الضمير فى يرضوه عائد على المذكور كما قال رؤبة

فيها خطوط من سواد وبلق * كانه فى الجلد توليع البهق

اي كان المذكور * وقوله الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله الآية يحادد

معناه يخالف ويشاق * وقوله سبحانه يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم يحذر خبر عن حال قلوبهم وقال الزجاج وغيره معنى يحذر الامر وان كان لفظه لفظ الخبر كانه قال ليحذر * وقوله سبحانه قل استهزءوا لفظه لفظ الامر ومعناه التهديد ثم اخبر سبحانه انه مخرج لهم ما يحذرونه الى حين الوجود وقد فعل ذلك تبارك وتعالى فى سورة براءة فهي تسمى الفاضحة لانها فضحت المنافقين * وقوله سبحانه ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية نزلت على ما ذكر جماعة من المفسرين فى وديعة بن ثابت وذلك انه مع قوم من المنافقين كانوا يسيرون فى غزوة تبوك فقال بعضهم هذا يريد ان يفتح قصور الشام وياخذ حصون بنى الاصفر هيهات هيهات فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب وذكر الطبري عن عبد الله بن عمر انه قال رأيت قائل هذه المقالة وديعة متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ابالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزءون ثم حكم سبحانه عليهم بالكفر فقال لهم لا تعتذروا قد كفرتم الآية * وقوله سبحانه ان يعف عن طائفة منكم يريد فيما ذكره المفسرون رجلا واحدا قيل اسمه مخشى بن حمير قاله ابن اسحاق وذكر جميعهم انه استشهد باليمامة وقد كان تاب وتسمى عبد الرحمن فدعا الله ان يستشهد ويجهل امره فكان كذلك ولم يوجد جسده وكان مخشى مع المنافقين الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب فقيل كان منافقا ثم تاب توبة صحيحة وقيل كان مسلما مخلصا الا انه سمع المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم فعفا الله عنه فى كلا الوجهين ثم اوجب العذاب لباقى المنافقين الذين قالوا ما تقدم * وقوله سبحانه

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يريد فى الحكم والمنزلة فى الكفر ولما تقدم قبل وما هم منكم حسن هذا الاخبار ويقبضون ايديهم اي عن الصدقة وفعل الخير نسوا الله اي تركوه حين تركوا اتباع نبيه وشرعه فنسيهم اي فتركهم حين لم يهدهم والكفار فى الآية المعلنون * وقوله هي حسبهم اي كافيتهم * وقوله تعالى كالذين من قبلكم اي انتم ايها المنافقون كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة فعصوا فاهلكوا فانتم اولى بالاهلاك لمعصيتكم وضعفكم والخلاق الحظ من القدر والدين وجميع حال المرء فخلاق المرء الشيء الذى هو به خليق والمعنى عجلوا حظهم فى دنياهم وتركوا الآخرة فاتبعتموهم انتم * اولائك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة المعنى وانتم ايضا كذلك ويحتمل ان يريد باولائك المنافقين * وقوله سبحانه الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود الآية المعنى الم يات هؤلاء المنافقين خبر الامم السالفة التى عصت الله بتكذيب رسله فاهلكها * وقوم ابراهيم نمرود واصحابه واتباع دولته * واصحاب مدين قوم شعيب * والموتفكات اهل القرى الاربعة او السبعة التى بعث اليهم لوط عليه السلام ومعنى الموتفكات المنصرفات والمنقلبات افكت فائتفكت لانها جعل عاليها سافلها ولفظ البخاري الموتفكات ائتفكت انقلبت بهم الارض انتهى والضمير فى اتتهم رسلهم عائد على هذه الامم المذكورة ثم عقب سبحانه بذكر المومنين وما منّ به عليهم من حسن الاعمال ترغيبا وتنشيطا لمبادرة ما به امر لطفا منه بعباده سبحانه لا رب غيره ولا خير الا خيره * وقوله سبحانه ويقيمون الصلوة قال ابن عباس هي الصلوات الخمس قال (ع) وبحسب هذا تكون الزكاة هي المفروضة والمدح عندى بالنوافل ابلغ اذ من يقيم النوافل احرى باقامة الفرض والسين فى قوله سيرحمهم مدخلة فى الوعد

مهلة لتكون النفوس تنعم برجائه سبحانه وفضله سبحانه زعيم بالانجاز
وذكر الطبري فى قوله تعالى ومساكن طيبة عن الحسن انه سأل عنها عمران
ابن حصين وابا هريرة فقالا على الخبير سقطت سألنا عنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال قصر فى الجنة من اللؤلؤ فيه سبعون دارا من يقوتة حمراء
فى كل دار سبعون بيتا من زمرذة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا ونحو هذا
مما يشبه هذه الالفاظ ويقرب منها فاختصرتها طلب الايجاز (ت) وتمام الحديث
من الاحياء وكتاب الآجري المعروف بكتاب النصيحة عن الحسن عن عمران
ابن حصين وابى هريرة قالا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل
فراش زوجة من الحور العين وفى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون
لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن فى كل غداة من
القوة ما ياتى على ذلك اجمع واما قوله سبحانه ورضوان من الله اكبر ففى
الحديث الصحيح ان الله عز وجل يقول لعباده اذا استقروا فى الجنة هل
رضيتم فيقولون وكيف لانرضى يا ربنا فيقول انى ساعطيكم افضل من هذا
كله رضوانى ارضى عنكم فلا اسخط عليكم ابدا الحديث وقوله اكبر يريد اكبرمن
جميع ما تقدم ومعنى الآية والحديث متفق وقال الحسن بن ابى الحسن
وصل الى قلوبهم برضوان الله من اللذة والسرور ما هو الذ عندهم واقر
لاعينهم من كل شيء اصابوه من لذة الجنة قال الامام الفخر وانما كان الرضوان
اكبر لانه عند العارفين نعيم روحاني وهوا شرف من النعيم الجسماني انتهى
انظره فى اوائل ءال عمران قال (ع) ويظهر ان يكون قوله تعالى ورضوان من
الله اكبر اشارة الى منازل المقربين الشاربين من تسنيم والذين يرون كما
يرى النجم الغابر فى الافق وجميع من فى الجنة راض والمنازل مختلفة وفضل
الله متسع والفوز النجاة والخلاص ومن ادخل الجنة فقد فاز والمقربون هم

فى الفوز العظيم والعبارة عندى بسرور وكمال اجود من العبارة عنها بلذة واللذة ايضا مستعملة فى هذا * وقوله سبحانه يا ايها النبيء جاهد الكفار اي بالسيف والمنافقين اي باللسان والتعنيف والاكفهرار فى الوجه وباقامة الحدود عليهم قال الحسن واكثر ما كانت الحدود يومئذ تصيب المنافقين ومذهب الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرفهم ويسترهم واما قوله واغلظ عليهم فلفظة عامة فى الافعال والاقوال ومعنى الغلظ خشن الجانب فهو ضد قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وقوله عز وجل يحلفون بالله ماقالوا الآية نزلت فى الجلاس بن سويد وقوله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمر فسمعها منه ربيبه او رجل اخر فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء الجلاس فحلف بالله ما قال هذه الكلمة فنزلت الآية فكلمة الكفر هي مقالته هذه لان مضمنها قوي فى التكذيب قال مجاهد وقوله وهموا بما لم ينالوا يعنى ان الجلاس قد كان هم بقتل صاحبه الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة نزلت في عبد الله بن ابي ابن سلول وقوله فى غزوة المريسيع مامثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فوقفه فحلف انه لم يقل ذلك فنزلت الآية مكذبة له (ت) وزاد ابن العربي فى احكامه قولا ثالثا ان الآية نزلت فى جماعة المنافقين قاله الحسن وهو الصحيح لعموم القول ووجود المعنى فيه وفيهم انتهى وحدث ابو بكر بن الخطيب بسنده قال سئل سفيان بن عيينة عن الهم ايواخذ به صاحبه قال نعم اذا كان عزما الم تسمع الى قوله تعالى وهموا بما لم ينالوا الآية الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فجعل عليهم فيه التوبة قال سفيان الهم يسود القلب انتهى قال (ع) وعلى تاويل قتادة فالاشارة بكلمة الكفر الى تمثيل

ابن ابي سمن كلبك يا كلك قال قتادة والاشارة بهموا الى قوله لئن رجعنا الى المدينة وقال الحسن هم المنافقون من اظهار الشرك ومكابرة النبي صلى الله عليه وسلم بما لم ينالوا وقال تعالى بعد اسلامهم ولم يقل بعد ايمانهم لان ذلك لم يتجاوز السنتهم * وقوله سبحانه وما نقموا الا ان اغناهم الله الآية كان الكلام وما نقموا الا ماحقه ان يشكر وذكر رسول الله فى اغنائهم من حيث كثرت اموالهم من الغنائم ورسول الله صلى الله عليه وسلم سبب فى ذلك وعلى هذا الحد قال عليه السلام للانصار فى غزوة حنين كنتم عالة فاغنا كم الله قال العراقي نقموا اي انكروا وقال (ص) الا ان اغناهم الله ان وصلتها مفعول نقموا اي ما كرهوا الا اغناء الله اياهم وقيل هو مفعول من اجله والمفعول به محذوف اي ما كرهوا الايمان الا للاغناء انتهى ثم فتح لهم سبحانه باب التوبة رفقا بهم ولطفا فروي ان الجُلَاس تاب من النفاق وقال ان الله قد ترك لى باب التوبة فاعترف واخلص وحسنت توبته * وقوله سبحانه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية هذه الآية نزلت فى ثعلبة بن حاطب الانصاري قال الحسن وفى معتب بن قشير معه واختصار ما ذكره الطبري وغيره من امره انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعل لى مالا فانى لو كنت ذا مال لقضيت حقوقه وفعلت فيه الخير فراده النبي صلى الله عليه وسلم وقال قليل تودى شكره خير من كثير لا تطيقه فعاود فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الا تريد ان تكون مثل رسول الله ولو دعوت الله ان يسير الجبال معى ذهبا لسارت فاعاد عليه حتى دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة فتنحى عنها وكثرت غنمه حتى كان لا يصلى الا الجمعة ثم كثرت حتى تنحى بعيدا فترك الصلاة ونجم

نفاقه ونزل خلال ذلك فرض الزكاة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم مصدقين بكتابه فى اخذ زكاة الغنم فلما بلغوا ثعلبة وقرأ الكتاب قال هذه اخت الجزية ثم قال لهم دعونى حتى ارى رأيي فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه قال ويح ثعلبة ثلاثا ونزلت الآية فيه فحضر القصة قريب لثعلبة فخرج اليه فقال ادرك امرك فقد نزل فيك كذا وكذا فخرج ثلعبة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغب ان يؤدي زكاته فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله امرنى ان لا آخذ زكاتك فبقي كذلك حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ورد ثعلبة على ابى بكر ثم على عمر ثم على عثمان يرغب الى كل واحد منهم ان ياخذ منه الزكاة فكلهم رد ذلك واباه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثعلبة كذلك حتى هلك فى مدة عثمان * وفى قوله تعالى فاعقبهم نص فى العقوبة على الذنب بما هو اشد منه * وقوله الى يوم يلقونه يقتضى موافاتهم على النفاق قال ابن العربى فى ضمير يلقونه قولان احدهما انه عائد على الله تعالى والثانى انه عائد على النفاق مجازا على تقدير الجزاء كانه قال فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقون جزاءه انتهى من الاحكام ويلمزون معناه ينالون بالسنتهم واكثر الروايات فى سبب نزول الآية ان عبد الرحمن بن عوف تصدق باربعة آلاف وامسك مثلها وقيل هو عمر بن الخطاب تصدق بنصف ماله وقيل عاصم بن عدي تصدق بمائة وسق فقال المنافقون ما هذا الا رياء فنزلت الآية فى هذا كله واما المتصدق بقليل فهو ابو عقيل تصدق بصاع من تمر فقال بعضهم ان الله غني عن صاع ابى عقيل وخرجه البخاري وقيل ان الذى لمز فى القليل هو ابو خيثمة قاله كعب بن مالك * فيسخرون منهم معناه يستهزءون ويستخفون وروى مسلم عن جرير بن عبد الله قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النمار متقلدى السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعروجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فامر بلا لا فاذن واقام فصلى ثم خطب فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الى ءاخر الآية ان الله كان عليكم رقيبا والآية التى فى سورة الحشر واتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كانه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من او زارهم شيء انتهى * وقوله سبحانه استغفرلهم او لا تستغفرلهم المعنى ان الله خير نبيه فى هذا فكانه قال له ان شئت فاستغفرلهم وان شئت لا تستغفر ثم اعلمه انه لا يغفرلهم وان استغفر سبعين مرة وهذا هو الصحيح فى تاويل الآية لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ان الله قد خيرنى فاخترت ولو علمت انى اذا زدت على السبعين يغفرلهم لزدت الحديث وظاهر لفظ الحديث رفض الزام دليل الخطاب وظاهر صلاته صلى الله عليه وسلم على ابن ابي ان كفره لم يكن يقينا عنده ومحال ان يصلى على كافرولكنه راعى ظواهره من الاقرار ووكل سريرته الى الله عز وجل وعلى هذا كان ستر المنافقين واذا ترتب كما قلنا التخيير فى هذه الآية صح ان ذلك التخيير هو الذى نسخ بقوله تعالى فى سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم (ت)

والظاهر ان الآيتين بمعنى فلا نسخ فتأمله ولولا الاطالة لا وضحت ذلك قال (ع) واما تمثيله بالسبعين دون غيرها من الاعداد فلانه عدد كثيرا ما يجئ غاية ومقنعا فى الكثرة * وقوله ذلك اشارة الى امتناع الغفران * وقوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية هذه ءاية تتضمن وصف حالهم على جهة التوبيخ وفى ضمنها وعيد وقوله المخلفون لفظ يقتضى تحقيرهم وانهم الذين ابعدهم الله من رضاه ومقعد بمعنى القعود وخلاف معناه بعد ومنه قول الشاعر

فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى * تأهب لاخرى مثلها فكأن قد

يريد بعد الذى مضى وقال الطبري هو مصدر خالف يخالف وقولهم لا تنفروا فى الحر كان هذا القول منهم لان غزوة تبوك كانت فى شدة الحر وطيب الثمار * وقوله سبحانه فليضحكوا قليلا اشارة الى مدة العمر فى الدنيا * وقوله وليبكوا كثيرا اشارة الى تابيد الخلود فى النار فجاء بلفظ الامر ومعناه الخبر عن حالهم وتقدير الكلام ليبكوا كثيرا اذهم معذبون جزاء بما كانوا يكسبون وخرج ابن ماجه بسنده عن يزيد الرقاشي عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يرسل البكاء على اهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى تصير فى وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت وخرجه ابن المبارك ايضا عن انس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان اهل النار تسيل دموعهم فى وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت انتهى من التذكرة وقوله سبحانه فان رجعك الله الى طائفة منهم الآية يشبه ان تكون هذه الطائفة قد حتم عليها بالموافاة على النفاق وعينوا للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله وماتوا وهم

فاسقون نص فى موافاتهم على ذلك ومما يوئيد هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم عينهم لحذيفة بن اليمان وكان الصحابة اذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة على جنازة تأخروا هم عنها وروي عن حذيفة انه قال يوما بقي من المنافقين كذا وكذا * وقوله اول هو بالاضافة الى وقت الاستيذان والخالفون جمع من تخلف من نساء وصبيان واهل عذر وتظاهرت الروايات انه صلى الله عليه وسلم صلى على عبد الله بن ابي ابن سلول وان قوله ولا تصل على احد منهم نزلت بعد ذلك وقد خرج ذلك البخاري من رواية عمر بن الخطاب انتهى * وقوله سبحانه ولا تعجبك اموالهم واولادهم تقدم تفسير مثل هذه الآية والطول فى هذه الآية المال قاله ابن عباس وغيره والاشارة بهذه الآية الى الجد بن قيس ونظرائه والقاعدون الزمنى واهل العذر فى الجملة والخوالف النساء جمع خالفة هذا قول جمهور المفسرين وقال ابو جعفر النحاس يقال للرجل الذى لا خير فيه خالفة فهذا جمعه بحسب اللفظ والمراد اخسة الناس واخلافهم ونحوه عن النضر بن شميل وقالت فرقة الخوالف جمع خالف كفارس وفوارس * وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون اي لا يفهمون والخيرات جمع خيرة وهو المستحسن من كل شيء * وقوله سبحانه اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم اعد معناه يسر وهيأ وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وجاء المعذرون من الاعراب الآية قال ابن عباس وغيره هؤلاء كانوا مومنين وكانت اعذارهم صادقة واصل اللفظة المعتذرون فقلبت التاء ذالا وادغمت وقال قتادة وفرقة معه بل الذين جاءوا كفرة وقولهم وعذرهم كذب قال (ص) والمعنى تكلفوا العذر ولا عذرلهم وكذبوا الله ورسوله اي فى ايمانهم انتهى * وقوله سيصيب الذين كفروا منهم الآية قوله منهم يؤيد ان المعذرين كانوا مومنين فتأمله قال ابن اسحاق

المعذرون نفر من بني غفار وهذا يقتضي انهم مومنون * وقوله جلت عظمته ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية يقول ليس على اهل الاعذار من ضعف بدن او مرض او عدم نفقة اثم والحرج الاثم * وقوله اذا نصحوا يريد بنياتهم واقوالهم سرا وجهرا ما على المحسنين من سبيل اي من لائمة تناط بهم ثم اكد الرجاء بقوله سبحانه والله غفور رحيم وقرأ ابن عباس والله لاهل الاساءة غفور رحيم وهذا على جهة التفسير اشبه منه على جهة التلاوة لخلافه المصحف واختلف فيمن المراد بقوله الذين لا يجدون ما ينفقون فقالت فرقة نزلت فى بني مُقَرِّن ستة اخوة وليس فى الصحابة ستة اخوة غيرهم وقيل كانوا سبعة وقيل نزلت فى عائذ بن عمرو المزني قاله قتادة وقيل فى عبد الله بن معْقِل المزني قاله ابن عباس * وقوله عز وجل ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم هذه الآية نزلت فى البكائين واختلف فى تعيينهم فقيل فى ابى موسى الاشعري ورهطه وقيل فى بنى مقرن وعلى هذا جمهور المفسرين وقيل نزلت فى سبعة نفر من بطون شتى فهم البكاءون وقال مجاهد البكاءون هم بنو مقرن من مزينة ومعنى قوله لتحملهم اي على ظهر يركب ويحمل عليه الاثاث (ت) وقصة ابي موسى الاشعري ورهطه مذكورة فى الصحيح قال ابن العربي فى احكامه القول بان الآية نزلت فى ابى موسى واصحابه هو الصحيح انتهى * وقوله سبحانه انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء الآية هذه الآية نزلت فى المنافقين المتقدم ذكرهم عبد الله بن ابي والجد بن قيس ومعتب وغيرهم * وقوله اذا رجعتم يريد من غزوة تبوك ومعنى لن نومن لكم لن نصدقكم والاشارة بقوله قد نبأنا الله من اخباركم الى قوله ما زادوكم الا خبالا ولا او ضعوا خلالكم ونحوه من الآيات * وقوله سبحانه وسيرى الله عملكم توعد والمعنى فيقع الجزاء عليه قال الاستاذ ابو بكر الطُّرطوشي اعمل للدنيا بقدر مُقامك فيها واعمل للآخرة

بقـدر بقائك فيهـا واستحي من الله تعالى بقدر قربـه منـك واطعـه بقـدر حاجتك اليه وخفه بقدر قدرته عليك واعصه بقـدر صبرك على النـار انتهى من سراج الملوك * وقـوله ثم تردون يريـد البعث من القبور * وقـوله عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم الآيـة قيل ان هـذه الآيـة من اول ما نزل فى شان المنافقين فى غزوة تبـوك * وقوله انهم رجس اي نـتن وقذر وناهيك بهذا الوصف محطه دنياويـة ثم عطف بمحطـة الآخـرة فقـال ومـأواهم جهنم اي مسكنهم * وقـوله فان ترضوا الى ٠اخر الآيـة شرط يتضمن النهي عن الرضى عنهم وحكم هـذه الآيـة يستمر فى كل مغموص عليه ببدعة ونحوها * وقوله سبحانـه الاعراب اشـد كفرا ونفاقا هـذه الآيـة نزلت فى منافقين كانوا فى البوادى ولا محالة ان خوفهم هنـاك كان اقـل من خوف منافقى المدينـة فالسنتهم لذلك مطلقـة ونفاقهم انجم واجدر معناه احرى وقال (ص) معناه احق والحدود هنا السنن والاحكام * وقوله سبحانـه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما الآيـة نص فى المنافقين منهم والدوائر المصائب ويحتمل ان تشتق من دوران الزمان والمعنى ينتظر بكم ما تاتى به الايام وتدور به ثم قال على جهة الدعاء عليهم دائرة السوء وكل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فانمـا هو بمعنى ايجاب الشيء لان الله لا يدعـو على مخلوقاتـه وهي فى قبضته ومن هذا ويـل لكل همزة لمزة ويـل للمطففين فهي كلهـا احكام تامة تضمنها خبره تعالى (ت) وهذه قاعدة جيدة وما وقع له رحمه الله مما ظاهره مخالف لهذه القاعدة وجب تاويله بمـا ذكره هنا وقد وقـع له ذلك بعد هذا فى قوله صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون قال يحتمـل ان يكون دعاء عليهم ويحتمـل ان يكون خبرا اي استوجبوا ذلك وقـد اوضح ذلك عنـد قـوله تعالى قتل اصحاب الاخدود فانظره هنالك * وقوله سبحانه ومن

الاعراب من يومن بالله قال قتادة هذه ثنيـة الله تعالى من الاعراب وروي ان هذه الآية نزلت فى بنى مقرن وقاله مجاهد ويتخذ فى الآيتين بمعنى يجعله قصده والمعنى ينوى بنفقته ما ذكره الله عنهم وصلوات الرسول دعاؤه ففى دعائه خير الدنيا والآخرة والضمير فى قوله انها يحتمل عوده على النفقة ويحتمل عوده على الصلوات وباقى الآيـة بين * وقوله سبحانـه والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآيـة قال ابو موسى الاشعري وغيره السابقون الاولون من صلى القبلتين وقال عطاء هم من شهد بدرا وقال الشعبي من ادرك بيعة الرضوان والذين اتبعوهم باحسان يريد سائر الصحابـة ويدخل فى هذا اللفظ التابعون وسائر الامة لكن بشريطة الاحسان وقرأ عمر بن الخطاب وجماعة والانصار بالرفع عطفا على والسابقون وقرأ ابن كثير من تحتها الانهار وقرأ الباقون تحتها باسقاط من وقوله سبحانه وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق الاشارة بمن حولكم الى جهينة ومزينة وأسلم وغفار وعصية ولحيان وغيرهم من القبائل المجاورة للمدينـة فاخبر الله سبحانـه عن منافقيهم وتقدير الآية ومن اهل المدينة قوم او منافقون هذا احسن ما حمل اللفظ ومردوا قال ابو عبيدة معناه مرنوا عليه ولجوا فيه وقيل غير هذا مما هو قريب منه وقال ابن زيد قاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون والظاهر من اللفظة ان التمرد فى الشيء او المرود عليه انما هو اللجاج والاشتهـار بـه والعتو على الزاجر وركوب الراس فى ذلك وهو مستعمل فى الشر لا فى الخير ومنه شيطان مريد ومارد وقال ابن العربي فى احكامه مردوا على النفاق اي استمروا عليـه وتحققوا بـه انتهى ذكره بعد قوله تعالى الذين اتخذوا مسجدا ضرارا ثم نفى عز وجل علم نبيـه بهم على التعيين * وقوله سبحانه سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم لفظ الآيـة يقتضى ثلاث مواطن من العذاب ولا خلاف بين

المتأولين ان العذاب العظيم الذى يردون اليه هو عذاب الآخرة واكثر الناس ان العذاب المتوسط هو عذاب القبر واختلف فى عذاب المرة الاولى فقال ابن عباس عذابهم باقامة حدود الشرع عليهم مع كراهيتهم فيه وقال ابن اسحاق عذابهم هو همهم بظهور الاسلام وعلو كلمته وقال ابن عباس ايضا وهو الاشهر عنه عذابهم هو فضيحتهم ووصمهم بالنفاق وقيل غير هذا وقوله عز وجل وءاخرون اعترفوا بذنوبهم الآية قال ابن عباس وابو عثمان هذه الآية فى الاعراب وهي عامة فى الامة الى يوم القيامة قال ابو عثمان ما فى القرءان ءاية ارجى عندى لهذه الامة منها وقال مجاهد بل نزلت هذه الآية فى ابى لبابة الانصاري خاصة فى شانه مع بنى قريظة لما اشار لهم الى حلقه ثم ندم وربط نفسه فى سارية من سوارى المسجد وقالت فرقة عظيمة بل نزلت هذه الآية فى شان المخلفين عن غزوة تبوك (ت) وخرج البخاري بسنده عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى الليلة ءاتيان فابتعثانى فانتهينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راءى وشطر كاقبح ما انت راءى قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى احسن صورة قالا لى هذه جنة عدن وهذاك منزلك قالا اما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا فتجاوز الله عنهم انتهى وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة الآية روي ان الجماعة التائبة لما تيب عليها قالوا يا رسول الله انا نريد ان نتصدق باموالنا زيادة فى توبتنا فقال لهم صلى الله عليه وسلم انى لا اعرض لاموالكم الا بامر من الله فتركهم حتى نزلت هذه الآية فهم المراد بها فروي انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلث اموالهم مراعاة لقوله تعالى من اموالهم فهذا هو الذى تظاهرت

به اقوال المتأولين وقالت جماعة من الفقهاء المراد بهذه الآية الزكاة المفروضة وقوله تعالى تطهرهم وتزكيهم بها احسن ما يحتمل ان تكون هذه الافعال مسندة الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه وصل عليهم معناه ادع لهم فان فى دعائك لهم سكونا لانفسهم وطمانينة ووقارا فهي عبارة عن صلاح المعتقد والضمير فى قوله الم يعلموا قال ابن زيد يراد به الذين لم يتوبوا من المتخلفين ويحتمل ان يراد به الذين تابوا وقوله وياخذ الصدقات قال الزجاج معناه ويقبل الصدقات وقد جاءت احاديث صحاح فى معنى الآية منها حديث ابي هريرة ان الصدقة قد تكون قدر اللقمة ياخذها الله بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربى احدكم فلوه او فصيله حتى تكون مثل الجبل ونحو هذا من الاحاديث التى هي عبارة عن القبول والتحفي بصدقة العبد * وقوله عن عباده هي بمعنى من * وقوله سبحانه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة الآية هذه الآية صيغتها صيغة امر مضمنها الوعيد وقال الطبري المراد بها الذين اعتذروا من المتخلفين وتابوا قال (ع) والظاهر ان المراد بها الذين اعتذروا ولم يتوبوا وهم المتوعدون وهم الذين فى ضمير الم يعلموا ومعنى فسيرى الله عملكم اي موجودا معرضا للجزاء عليه بخير او بشر وقال ابن العربي فى احكامه قوله سبحانه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله هذه الآية نزلت بعد ذكر المومنين ومعناها الامر اي اعملوا بما يرضى الله سبحانه واما الآية المتقدمة وهي قوله تعالى قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله فانها نزلت بعد ذكر المنافقين ومعناها التهديد وذلك لان النفاق موضع ترهيب والايمان موضع ترغيب فقوبل اهل كل محل من الخطاب بما يليق بهم انتهى * وقوله سبحانه وءاخرون مرجون لامر الله عطف على قوله اولا

وءاخرون اعترفوا ومعنى الارجاء التاخير والمراد بهذه الآيـة فيما قال ابن عباس وجماعـة الثلاثـة الـذين خلفـوا وهم كعب بن مالك وصاحباه على مـا سياتى ان شاء الله وقيل انما نزلت فى غيرهم من المنافقين الذين كانوا معرضين للتوبـة مع بنائهم مسجـد الضرار وعلى هذا يكون الذين اتخـذوا باسقاط واو العطف بدلا من ءاخرون او خبر مبتدا تقديره هم الذين وقرأ عاصم وعوام القراء والنـاس فى كل قطر الا بالمدينـة والذين اتخذوا وقرأ اهل المدينـة نافع وغيره الذين اتخذوا باسقاط الواو على انه مبتدا والخبر لا يزال بنيانهم واما الجماعة المرادة بالذين اتخـذوا مسجـدا فهم منافقوا بنى غنم بن عوف وبنى سـالم بن عوف واسنـد الطبري عن ابن اسحـاق عن الزهري وغيره انـه قال اقبـل النبي صلى الله عليـه وسلم من غزوة تبوك حتى نزل بذى اوان بلد بينه وبـين المدينـة ساعـة من نهـار وكان اصحـاب مسجـد الضرار قـد اتوه صلى الله عليـه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقـالوا يا رسـول الله انا قـد بنينـا مسجـدا لذى العلة والحاجة والليـلة المطيرة وانا نحب ان تاتينـا فتصلي لنـا فيـه فقال انى على جنـاح سفر وحال شغـل ولو قدمنـا ان شاء الله اتينـاكم فصلينـا لكم فيـه فلما قفـل ونزل بذى اوان نزل عليه القرءان فى شان مسجد الضرار فدعا رسول الله صلى الله عليـه وسلم مالـك بن الدخشـن ومعن بن عـدي او اخاه عاصم بن عدي فقال انطلقـا الى هـذا المسجد الظالم اهـله فاهدمـاه وحرقاه فانطلقـا مسرعين ففعـلا وحرقاه وذكر النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لهدمـه وتحريقـه عمار بن ياسر ووحشيا مولى المطعم بن عـدي وكان بانوه اثني عشر رجلا منهم ثعلبـة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتـل بن الحارث وغيرهم وروي انـه لمـا بنى صلى الله عليـه وسلم مسجدا فى بنى عمرو ابن عوف وقت الهجرة وهو مسجد قباء وتشرف القوم بذلك حسدهم حينئذ

رجال من بنى عمهم من بنى غنم بن عوف وبنى سالم بن عوف وكان فيهم نفاق وكان موضع مسجد قباء مربطا لحمار امرأة من الانصار اسمها لية فكان المنافقون يقولون والله لانصبر على الصلاة فى مربط حمار لية ونحو هذا من الاقوال وكان ابو عامر المعروف بالراهب منهم وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا من نظراء عبد الله بن ابي ابن سلول فلما جاء الله بالاسلام نافق ولم يزل مجاهرا بذلك فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ثم خرج فى جماعة من المنافقين فحزب على النبي صلى الله عليه وسلم الاحزاب فلما ردهم الله بغيظهم اقام ابو عامر بمكة مظهرا لعداوته فلما فتح الله مكة هرب الى الطائف فلما اسلم اهل الطائف خرج هاربا الى الشام يريد قيصر مستنصرا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب الى المنافقين من قومه ان ابنوا مسجدا مقاومة لمسجد قباء وتحقيرا له فانى سآتى بجيش من الروم اخرج به محمدا واصحابه من المدينة فبنوه وقالوا سياتى ابو عامر ويصلى فيه فذلك قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعنى ابا عامر وقولهم سياتى ابو عامر وقوله ضرارا اي داعية للتضارر من جماعتين * وقوله وتفريقا بين المومنين يريد تفريقا بين الجماعة التى كانت تصلى فى مسجد قباء فان من جاور مسجدهم كانوا يصرفونه اليه وذلك داعية الى صرفه عن الايمان وقيل اراد بقوله بين المومنين جماعة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مسجد الضرار لما هدم واحرق اتخذ مزبلة ترمى فيه الاقذار والقمامات وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت لا تقم فيه ابدا كان لا يمر بالطريق التى هو فيها * وقوله لمسجد قيل ان اللام لام قسم وقيل هي لام ابتداء كما تقول لزيد احسن الناس فعلا وهي مقتضية تاكيدا وذهب ابن عباس وفرقة من الصحابة والتابعين الى ان المراد بمسجد اسس على التقوى مسجد قباء وروي عن ابن عمر

وابي سعيد وزيد بن ثابت انه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويليق القول الاول بالقصة الان القول الثانى مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نظر مع الحديث قال ابن العربي فى احكامه وقد روى ابن وهب واشهب عن مالك ان المراد بمسجد اسس على التقوى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تبارك وتعالى وتركوك قائما وكذلك روى عنه ابن القاسم وقد روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال تمارى رجلان فى المسجد الذى اسس على التقوى من اول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى هذا قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وخرجه مسلم انتهى ومعنى ان تقوم فيه اي بصلاتك وعبادتك * وقوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا اختلف فى الضمير ايضا هل يعود على مسجد النبي صلى الله عليه وسلم اوعلى مسجد قباء روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الانصار انى رأيت الله اثنى عليكم بالطهور فما ذا تفعلون قالوا يا رسول الله انا رأينا جيراننا من اليهود يتطهرون بالماء يريدون الاستنجاء ففعلنا نحن ذلك فلما جاء الاسلام لم ندعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تدعوه اذن والبنيان الذى اسس على شفا جرف هو مسجد الضرار باجماع والشفا الحاشية والشفير وهار معناه متهدم بال وهو من هار يهور البخاري هار هائر تهورت البير اذا تهدمت وانهارت مثله انتهى وتاسيس البناء على تقوى انما هو بحسن النية فيه وقصد وجه الله تعالى واظهار شرعه كما صنع فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وفى مسجد قباء والتاسيس على شفا جرف هار انما هو بفساد النية وقصد الرياء والتفريق بين المومنين فهذه تشبيهات صحيحة بارعة * وقوله سبحانه فانهار به فى نار جهنم الظاهر منه انه خارج مخرج المثل وقيل بل ذلك حقيقة

وإن ذلك المسجد بعينه انهار فى نار جهنم قاله قتـادة وابن جريـج وروي عن جابر بن عبد الله وغيره انـه قال رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليـه وسلم وروي فى بعض الكتب ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم رءاه حين انهار بلغ الارض السابعة ففزع لذلك صلى الله عليه وسلم وروي انهم لم يصلوا فيه اكثر من ثلاثـة ايام وهذا كله باسناد لين والله اعلم واسند الطبري عن خلف بن ياسين انـه قال رأيت مسجد المنافقين الذى ذكره الله فى القرءان فرأيت فيه مكانا يخرج منه الدخان وذلك فى زمـن ابي جعفر المنصور وروي شبيـه بهذا اونحوه عـن ابن جريـج اسنـده الطبري قال ابن العربي فى احكامـه وفى قوله تعـالى فانهـار بـه فى نار جهنم مـع قوله فامـه هاويـة اشارة الى ان النـار تحت كما ان الجنـة فوق انتهى والريبـة الشك وقـد يسمى ريبة فساد المعتقـد ومعنى الريبة فى هذه الآيـة امر يعم الغيظ والحنق ويعم اعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا ممـا يودى كله الى الارتيـاب فى الاسلام فمقصد الكلام لايزال هذا البنيان الذى هدم لهم يبقى فى قلوبهم حزازة واثر سوء وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا وبالجملة ان الريبة هنا تعم معان كثيرة ياخذ كل منافق منها بحسب قدره من النفاق * وقوله الا ان تقطع قلوبهم بضم التاء يعنى بالموت قاله ابن عبـاس وغيره وفى مصحف ابي حتى الممات وفيه حتى تقطع * وقوله عز وجل ان الله اشترى مـن المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنـة الآيـة هذه الآيـة نزلت فى البيعـة الثالثـة وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التى اناف فيها رجال الانصـار على السبعين وذلك انهم اجتمعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا اشترط لك ولربك والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة فاشترط نبي الله حمايتـه ممـا يحمون منه انفسهم واشترط لربـه التزام الشريعة وقتال الاحمر والاسود فى الدفـع

عن الحوزة فقالوا مالنا على ذلك يا نبي الله فقال الجنة فقالوا نعم ربح البيع لا تقيل ولا تقال وفى بعض الروايات ولا نستقيل فنزلت الآية فى ذلك وهكذا نقله ابن العربي فى احكامه عن عبد الله بن رواحة ثم ذكر من طريق الشعبي عن ابى امامة اسعد بن زرارة نحو كلام ابن رواحة قال ابن العربي وهذا وان كان سنده مقطوعا فان معناه ثابت من طرق انتهى ثم الآية بعد ذلك عامة فى كل من جاهد فى سبيل الله من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة قال بعض العلماء مامن مسلم الا ولله فى عنقه هذه البيعة وفى بها او لم يف وفى الحديث ان فوق كل بر برا حتى يبذل العبد دمه فاذا فعل فلا بر فوق ذلك واسند الطبري عن كثير من اهل العلم انهم قالوا ثامن الله تعالى فى هذه الآية عباده فاغلى لهم وقاله ابن عباس وغيره وهذا تاويل الجمهور وقال ابن عيينة معنى الآية اشترى منهم انفسهم الا يعملوها الا فى طاعته واموالهم الا ينفقوها الا فى سبيله فالآية على هذا اعم من القتل فى سبيل الله * وقوله يقاتلون فى سبيل الله على تاويل ابن عيينة مقطوع ومستانف واما على تاويل الجمهور من ان الشراء والبيع انما هو مع المجاهدين فهو فى موضع الحال * وقوله سبحانه وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرءان قال المفسرون يظهر من قوله فى التوراة والانجيل والقرءان ان كل امة امرت بالجهاد ووعدت عليه قال (ع) ويحتمل ان ميعاد امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تقدم ذكره فى هذه الكتب والله اعلم قال (ص) وقوله فاستبشروا ليس للطلب بل بمعني ابشروا كاستوقد قال ابو عمر بن عبد البر فى كتابه المسمى ببهجة المجالس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ما وعده ومن اوعده على عمل عقابا فان شاء عذبه وان شاء غفر له وعن ابن عباس مثله انتهى وباقى الآية بين قال الفخر واعلم ان

هذه الآيـة مشتملة على انواع من التاكيدات فاولها قوله سبحانـه ان الله اشترى من المومنـين انفسهم واموالهم فكون المشترى هو الله المقدس عن الكذب والحيلة من ادل الدلائـل على تاكيد هذا العهد والثانى انـه عبر عن ايصال هذا الثواب بالبيع والشراء وذلك حق موكد وثالثها قوله وعـدا ووعد الله حق ورابعهـا قوله عليه وكلمة على للوجوب وخامسهـا قوله حقا وهو تاكيد للتحقيق وسادسها قوله فى التوراة والانجيـل والقرءان وذلـك يجرى مجرى اشهاد جميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والمرسلين على هـذه المبايعة وسابعها قوله ومن اوفى بعهده من الله وهو غايـة التاكيد وثامنها قوله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وهو ايضا مبالغـة فى التاكيد وتاسعها قـوله وذلـك هو الفوز وعاشرهـا قوله العظيم فثبت اشتمال هذه الآيـة على هذه الوجوه العشرة فى التاكيد والتقرير والتحقيق انتهى وقوله عز وجل التائبون العابـدون الى قوله وبشر المومنـين هـذه الاوصاف هي من صفات المومنـين الذين ذكر الله انـه اشترى منهم انفسهم واموالهم ومعنى الآيـة على مـا تقتضيه اقوال العلماء والشرع انهـا اوصاف الكملة من المومنـين ذكرها سبحانـه ليستبق اليهـا اهـل التوحيـد حتى يكونوا فى اعلى رتبـة والآيـة الاولى مستقلة بنفسهـا يقع تحت تلك المبايعـة كل موحـد قاتل فى سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وان لم يتصف بهذه الصفات التى فى هذه الآيـة الثانيـة او باكثرهـا وقالت فرقـة بـل هـذه الصفات جاءت على جهـة الشـرط والآيتـان مرتبطتـان فلا يدخـل فى المبايعـة الا المومنـون الـذين هم على هـذه الاوصـاف وهـذا تحريـج وتضييـق والاول اصوب والله إعلم والشهادة ماحية لكل ذنب الالمظالم العباد وقد روي ان الله عز وجل يحمل على الشهيد مظالم العباد ويجازيهم عنـه ختم الله لنـا بالحسنى والسائحون

معناه الصائمون وروي عن عائشة انها قالت سياحة هذه الامة الصيـام اسنده الطبري وروي انه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال الفخر ولما كان اصل السياحة الاستمرار على الذهاب فى الارض سمي الصائم سائحـا لاستمراره على فعل الطاعة وترك المنهي عنه من المفطرات قال الفخر وعندى فيه وجه ءاخر وهو ان الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب والوقاع وسد على نفسه باب الشهوات انفتحت له ابواب الحكمة وتجلت له انوار عالم الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فيصير من السائحين فى عالم جلال الله المنتقلين من مقام الى مقـام ومن درجة الى درجة انتهى قال (ع) وقال بعض النـاس وهو فى كتاب النقـاش السائحون هم الجائلون بافكارهم فى قدرة الله وملكوته وهذا قول حسن وهو من افضل العبادات والراكعون الساجدون هم المصلون الصلوات كذا قال اهل العلم ولكن لا يختلف فى ان من يكثر النوافـل هو ادخل فى الاسم واعرق فى الاتصاف * وقوله والحافظون لحدود الله لفظ عام تحته التزام الشريعة (ت) قال البخاري قال ابن عباس الحدود الطاعة قال ابن العربي فى احكامـه وقوله والحافظون لحدود الله خاتمـة البيان وعموم الاشتمال لكل امر ونهي انتهى * وقوله سبحانـه وبشر المومنين قيـل هو لفظ عـام امر صلى الله عليـه وسلم ان يبشر امته جميعا بالخير من الله وقيـل بـل هـذه الالفاظ خاصـة لمن لم يغز اي لمـا تقدم فى الآيـة وعـد المجاهـدين وفضلهم امر صلى الله عليـه وسلم ان يبشر سائر المومنين ممـن لم يغز بان الايمـان مخلص من النـار والحمد لله رب العالمين * وقوله سبحانه ما كان للنبيء والذين ءامنوا ان يستغفروا للمشركـين الآية جمهور المفسرين ان هذه الآية نزلت فى شان ابى طالب وذلك ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم دخل عليه حين احتُضِر فوعظه وقال اي عم قل لا اله

الا الله كلمة احاج لك بها عند الله وكان بالحضرة ابو جهل وعبد الله بن ابى امية فقالا له يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فقال ابو طالب يا محمد والله لولا انى اخاف ان يعير بها ولدى من بعدى لاقررت بها عينك ثم قال هو على ملة عبد المطلب ومات على ذلك اذ لم يسمع منه صلى الله عليه وسلم ما قال العباس فنزلت انك لا تهدى من احببت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية فترك نبي الله الاستغفار لابى طالب وروي ان المومنين لما رأوا نبي الله يستغفر لابى طالب جعلوا يستغفرون لموتاهم فلذلك دخلوا فى النهي والآية على هذا ناسخة لفعله صلى الله عليه وسلم اذ افعاله فى حكم الشرع المستقر وقال ابن عباس وقتادة وغيرهما انما نزلت الآية بسبب جماعة من المومنين قالوا نستغفر لموتانا كما استغفر ابراهيم عليه السلام فنزلت الآية فى ذلك وقوله سبحانه وما كان استغفار ابراهيم لابيه الآية المعنى لاحجة ايها المومنون فى استغفار ابراهيم عليه السلام فان ذلك لم يكن الاعن موعدة واختلف فى ذلك فقيل عن موعدة من ابراهيم وذلك قوله ساستغفر لك ربي انه كان بى حفيا وقيل عن موعدة من ابيه له فى انه سيومن فقوي طمعه فحمله ذلك على الاستغفار له حتى نهي عنه وموعدة من الوعد واما تبينه انه عدو لله قيل ذلك بموت ءازر على الكفر وقيل ذلك بانه نهي عنه وهو حي وقوله سبحانه ان ابراهيم لاواه حليم ثناء من الله تعالى على ابراهيم والاواه معناه الخائف الذى يكثر التأوه من خوف الله عز وجل والتأوه التوجع الذى يكثر حتى ينطق الانسان معه باوه ومن هذا المعنى قول المُثَقِّب العبدي

اذا ما قمت ارحلُها بليل * تأوهُ آهَة الرجل الحزين

ويروى ءاهة وروي ان ابراهيم عليه السلام كان يسمع وجيب قلبه من الخشية كما تسمع اجنحة النسور وللمفسرين فى الاواه عبارات كلها ترجع الى ما ذكرته (ت) روى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا عبد الحميد بن بهرام قال حدثنا شهر بن حوشب قال حدثنى عبد الله بن شداد قال قال رجل يا رسول الله ما الاواه قال الاواه الخاشع الدَّعّاء المتضرع قال الله سبحانه ان ابراهيم لاواه حليم انتهى وحليم معناه صابر محتمل عظيم العقل والحلمُ العقل * وقوله سبحانه وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم الآية معناه التانيس للمومنين وقيل ان بعضهم خاف على نفسه من الاستغفار للمشركين فنزلت الآية مونسة اي ما كان الله بعد ان هدى الى الاسلام وانقذ من النار ليحبط ذلك ويضل اهله لمواقعتهم ذنبا لم يتقدم من الله عنه نهي فاما اذا بين لهم ما يتقون من الامور ويتجنبون من الاشياء فحينئذ من واقع شيأ من ذلك بعد النهي استوجب العقوبة وباقى الآية بين * وقوله سبحانه لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين والانصار الآية التوبة من الله تعالى هو رجوعه بعبده من حالة الى ارفع منها فقد تكون فى الاكثر رجوعا من حالة طاعة الى اكمل منها وهذه توبته سبحانه فى هذه الآية على نبيه عليه السلام واما توبته على المهاجرين والانصار فمعرضة لان تكون من تقصير الى طاعة وجد فى الغزو ونصرة الدين واما توبته على الفريق الذى كاد يزيغ فرجوع من حالة محطوطة الى حال غفران ورضى وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله فى هذه الآية ذكر الله سبحانه توبة من لم يذنب ليلا يستوحش من اذنب لانه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ولم يذنبوا ثم قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا فذكر من لم يذنب ليونس من قد اذنب انتهى من لطائف المنن وساعة العسرة يريد وقت العسرة والعسرة الشدة

وضيق الحال والعدم وهذا هو جيش العسرة الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان بن عفان رضي الله عنه بالف جمل والف دينار وجاء ايضا رجل من الانصار بسبعمائة وسق من تمر وهذه غزوة تبوك (ت) وعن ابن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن شان ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله فقال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فاظلت ثم سكبت فملئوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر رواه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين يعنى مسلما والبخاري انتهى من السلاح ووصل النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك الى اوائل بلد العدو فصالحه اهل اذرح وايلة وغيرهما على الجزية ونحوها وانصرف والزيغ المذكور هو ما همت به طائفة من الانصراف لما لقوا من المشقة والعسرة قاله الحسن وقيل زيغها انما كان بظنون لها ساءت فى معنى عزم النبي صلى الله عليه وسلم على تلك الغزوة لما رأته من شدة الحال وقوة العدو المقصود ثم اخبر عز وجل انه تاب ايضا على هذا الفريق وراجع به وانس باعلامه للامة بانه رءوف رحيم والثلاثة الذين خلفوا هم كعب بن مالك وهلال بن امية الواقفي ومُرارة بن الربيع العامري وقد خرج حديثهم بكماله البخاري ومسلم وهو فى السير فلذلك اختصرنا سوقه وهم الذين تقدم فيهم وءاخرون مرجون لامر الله ومعنى خلفوا اخروا وترك النظر فى امرهم قال كعب وليس بتخلفنا عن الغزو وهو بين من لفظ الآية * وقوله وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ظنوا هنا بمعنى

ايقنوا قال الشيخ بن ابي جمرة رحمه الله قال بعض اهل التوفيق اذا نزلت بي نازلة ما من اي نوع كانت فالهمت فيها اللجأ فلا ابالى بها واللجأ على وجوه منها الاشتغال بالذكر والتعبد وتفويض الامر له عز وجل لقوله تعالى على لسان نبيه من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين ومنها الصدقة ومنها الدعاء فكيف بالمجموع انتهى * وقوله سبحانه ثم تاب عليهم ليتوبوا لما كان هذا القول فى تعديد النعم بدأ فى ترتيبه بالجهة التى هي عن الله عز وجل ليكون ذلك منها على تلقى النعمة من عنده لارب غيره ولوكان هذا القول فى تعديد ذنب لكان الابتداء بالجهة التى هي على المذنب كما قال عز وجل فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ليكون ذلك اشد تقريرا للذنب عليهم وهذا من فصاحة القرءان وبديع نظمه ومعجز اتساقه وبيان هذه الآية ومواقع الفاظها انما يكمل مع مطالعة حديث الثلاثة الذين خلفوا فى الكتب المذكورة فانظره وانما عظم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك لان الشرع يطلبهم من الجد فيه بحسب منازلهم منه وتقدمهم فيه اذ هم اسوة وحجة للمنافقين والطاعنين اذ كان كعب من اهل العقبة وصاحباه من اهل بدر وفى هذا ما يقتضى ان الرجل العالم والمقتدى به اقل عذرا فى السقوط من سواه وكتب الاوزاعي رحمه الله الى ابى جعفر المنصور فى ءاخر رسالة واعلم ان قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله عليك الاعظما ولا طاعته الاوجوبا ولاالناس فيما خالف ذلك منك الاانكارا والسلام * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا اتقوا وكونوا مع الصادقين هذا الامر بالكون مع الصادقين حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين وكان ابن مسعود يتأول الآية فى صدق الحديث واليه نحا كعب بن مالك * وقوله سبحانه ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله الآية

هذه الآيــة معاتبة للمومنين من اهل يثرب وقبائـل العرب المجـاورة لهـا على التخلف عن النبي صلى الله عليـه وسلم فى غزوة وقـوة الكلام تعطى الامر بصحبتـه اين ما توجـه غازيا وبذل النـفوس دونـه والمخمصة مفعلة من خموص البطن وهوضموره واستعير ذلك لحالة الجوع اذ الخموص مـلازم له ومن ذلك قـول الاعشى

تبيتون فى المشتى مِلاءً بطونكم * وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وقوله ولا ينالون من عدو نيلا لفظ عام لقليل ما يصنعه المومنون بالكفـرة من اخذ مـال او ايراد هوان وكثيره ونيلا مصدر نال ينال وفى الحديث ما ازداد قوم من اهليهم فى سبيل الله بعدا الا ازدادوا من الله قربا (ت) وروى ابو داود فى سننه عن ابى مالك الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول من فصل فى سبيل الله فمات او قتل فهو شهيد او وقصه فرسه او بعيره او لدغته هامة او مات على فراشه باي حتف شاء الله فانه شهيد وان له الجنة انتهى قال ابن العربي فى احكامه قـوله عز وجـل ولا يقطعون واديا الا كتب لهم يعنى الا كتب لهم ثوابـه وكذلك قال فى المجاهد ان ارواث دوابه وابوالها حسنات له وكذلك اعطى سبحانـه لاهل العـذر من الاجر مـا اعطى للقوي العامل بفضله ففي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى هـذه الغزوة بعينها ان بالمدينة قوما ما سلكتم واديا ولا قطعتم شعبا الا وهم معكم حبسهم العـذر انتهى * وقـوله سبحانـه ومـا كان المومنـون لينفروا كافـة الآيـة قالت فرقة ان المومنين الذين كانوا بالبادية سكانا ومبعوثين لتعليم الشرع لما سمعوا قول الله عز وجل ما كان لاهل المدينـة ومن حولهم من الاعراب الآية اهمهم ذلك فنفروا الى النبي صلى الله عليه وسلم خشية ان يكونوا عصاة فى التخلف عن الغزو فنزلت هذه الآية فى نفرهم ذلك وقالت فرقة سبب هـذه الآيـة ان

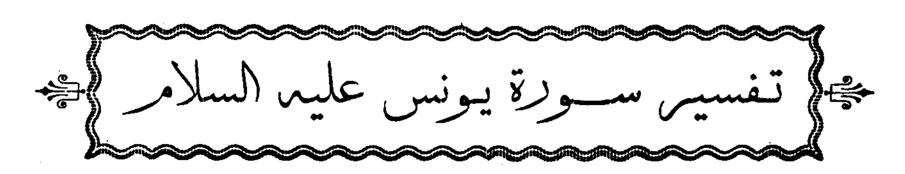
المنافقين لما نزلت الآيات فى المتخلفين قالوا هلك اهل البوادى فنزلت هذه الآية مقيمة لعذر اهل البوادى قال (ع) فيجيء قوله ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب عموم فى اللفظ والمراد به فى المعنى الجمهور والاكثر وتجيء هذه الآية مبينة لذلك وقالت فرقة هذه الآية ناسخة لكل ما ورد من الزام الكافة النفير والقتال وقال ابن عباس ما معناه ان هذه الآية مختصة بالبعوث والسرايا والآية المتقدمة ثابتة الحكم مع خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغزو وقالت فرقة يشبه ان يكون التفقه فى الغزو وفى السرايا لما يرون من نصرة الله لدينه واظهاره العدد القليل من المومنين على الكثير من الكافرين وعلمهم بذلك صحة دين الاسلام ومكانته قال (ع) والجمهور على ان التفقه انما هو بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته وقيل غير هذا (ت) وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقد استنفر رسول الله صلى الله عليه الناس فى غزوة تبوك واعلن بها حسب ما هو مصرح به فى حديث كعب ابن مالك في الصحاح فكان العتب متوجها على من تأخر عنه بعد العلم فيظهر والله اعلم ان الآية الاولى باق حكمها كما قال ابن عباس وتكون الثانية ليست فى معنى الغزو بل فى شان التفقه فى الدين على الاطلاق وهذا هو الذى يفهم من استدلالهم بالآية على فضل العلم وقد قالت فرقة ان هذه الآية ليست فى معنى الغزو وانما سببها قبائل من العرب اصابتهم مجاعة فنفروا الى المدينة لمعنى المعاش فكادوا يفسدونها وكان اكثرهم غير صحيح الايمان وانما اضرعه الجوع فنزلت الآية فى ذلك والانذار فى الآية عام للكفر والمعاصى والحذر منها ايضا كذلك قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال اذا اراد الله تبارك وتعالى

بعبد خيرا جعل فيه ثلاث خصال فقهـا فى الدين وزهادة فى الدنيـا وبصّره بعيوبـه انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قيـل ان هذه الآيـة نزلت قبل الامر بقتال الكفار كافـة فهي من التدريج الذى كان فى اول الاسلام قال (ع) وهذا ضعيف فان هذه السورة من ءاخر مـا نزل وقالت فرقـة معنى الآيـة ان الله تبارك وتعالى امر فيهـا المومنـين ان يقاتـل كل فريق منهم الجنس الذى يليه من الكفرة * وقوله سبحانـه وليجـدوا فيكم غلظـة اي خشونـة وبأسا ثم وعـد سبحانـه فى ءاخر الآيـة وحض على التقوى التى هي مِلاك الدين والدنيا وبها يلقى العدو وقد قال بعض الصحابة انما تقاتلون الناس باعمالكم ووعـد سبحانـه انه مع المتقين ومن كان الله معه فلن يغلب * وقوله تعالى واذا ما انزلت سـورة فمنهم من يقول ايكم زادتـه هـذه ايمانا الآيـة هذه الآيـة نزلت فى شـان المنافقين وقولهم ايكم زادته هذه ايمانا يحتمل ان يكون لمنافقين مثلهم او لقوم من قراباتهم على جهة الاستخفاف والتحقير لشان السورة ثم ابتدأ عز وجل الـرد عليهم بقوله فاما الذين ءامنوا فزادتهم ايمانا وذلك انـه اذا نزلت سورة حدث للمومنين بهـا تصديق خاص لم يكن قبل فتصديقهم بما تضمنته السورة من اخبار وامر ونهي امر زائد على الذى كان عندهم قبل وهذا وجه من زيادة الايمان ووجه ءاخر ان السورة ربما تضمنت دليلا او تنبيها على دليل فيكون المومن قـد عرف الله بعدة ادلة فاذا نزلت السورة زادت فى ادلته ووجه ءاخر مـن وجوه الزيادة ان الانسان ربما عرضه شك يسير او لاحت له شبهة مشغبـة فاذا نزلت السورة ارتفعت تلك الشبهـة وقـوي ايمانـه وارتقى اعتقـاده عن معارضـة الشبهـات والذين فى قلوبهم مـرض هم المنافقـون والرجس فى اللغـة يجيء

بمعنى القذر ويجيء بمعنى العذاب وحال هؤلاء المنافقين هي قذر وهي عذاب عاجل كفيل بآجل واذا تجدد كفرهم بسورة فقد زاد كفرهم فذلك زيادة رجس الى رجسهم * وقوله سبحانه اولا يرون يعنى المنافقين وقرأ حمزة اولا ترون بالتاء من فوق على معنى اولا ترون ايها المومنون انهم يفتنون اي يختبرون وقرأ مجاهد مرضة او مرضتين والذى يظهر مما قبل الآية ومما بعدها ان الفتنة والاختبار انما هي بكشف الله اسرارهم وافشائه عقائدهم اذ يعلمون ان ذلك من عند الله وبهذا تقوم الحجة عليهم واما الاختبار بالمرض فهو فى المومنين * وقوله سبحانه واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم المعنى واذا ما انزلت سورة فيها فضيحة اسرار المنافقين نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد اي هل معكم من ينقل عنكم هل يراكم من احد حين تدبرون اموركم ثم انصرفوا عن طريق الاهتداء وذلك انهم وقت كشف اسرارهم والاعلام بمغيبات امورهم يقع لهم لامحالة تعجب وتوقف ونظر فلو اريد بهم خير لكان ذلك الوقت مظنة الاهتداء وقد تقدم بيان قوله صرف الله قلوبهم * وقوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية مخاطبة للعرب فى قول الجمهور وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم اذ جاءهم بلسانهم وبما يفهمونه من الاغراض والفصاحة وشرفوا به غابر الدهر وقوله من انفسكم يقتضى مدحا لنسبه صلى الله عليه وسلم وانه من صميم العرب وشرفها وقرأ عبد الله بن قسيط المكي من انفسكم بفتح الفاء من النفاسة ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله ما عنتم معناه عنتكم فما مصدرية والعنت المشقة وهي هنا لفظة عامة اي عزيز عليه ما شق عليكم من قتل واسار وامتحان بحسب الحق واعتقادكم ايضا معه حريص عليكم اي على ايمانكم وهداكم * وقوله بالمومنين رءوف اي مبالغ فى الشفقة عليهم قال ابو عبيدة الرأفة ارق الرحمة ثم خاطب سبحانه نبيه

بقوله فان تولوا اي اعرضوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم هذه الآيـة من ءاخر ما نزل وصلى الله على سيدنا ومولانا محمـد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمـن الـرحيم



تفسير سـورة يونس عليه السلام

بعضها نزل بمكـة وبعضها بالمدينـة قوله عز وجـل الرتلك ءايات الـكتاب الحـكيم المراد بالكتاب القرءان والحـكيم بمعنى محـكم ويمكن ان يكون حكيم بمعنى ذى حـكمة فهو على النسب * وقوله عز وجل اكان للناس عجبا الآيـة قال ابن عباس وغيره سبب هذه الآية استبعاد قريش ان يبعث الله بشرا رسولا والقدم هنا ما قدم واختلف فى المراد بها هاهنـا فقـال ابن عبـاس ومجاهـد والضحاك وغيرهم هي الاعمال الصالحـات من العبـادات وقال الحسن بن ابى الحسن وقتادة هي شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ايضا وغيره هي السعادة السابقة لهم فى اللوح المحفوظ وهذا اليق الاقـوال بالآيـة ومن هذه اللفظـة قـول حسان رضي الله عنـه

لنا القدم العليا اليك وخلفنـا * لاولنا فى طاعـة الله تابـع

ومن هذه اللفظة قوله صلى الله عليه وسلم حتى يضع الجبار فيها قدمه اي مـا قدم لها هذا على ان الجبار اسم الله تعالى والصدق هنا بمعنى الصلاح وقال البخاري قال زيـد بن اسلم قـدم صدق محمـد صلى الله عليه وسلم انتهى وقولهم ان هذا

لسحر مبين انما هو بسبب انـه فرق بذلك كلمتهم وحال بين القريب وقريبه فاشبه ذلـك ما يفعله الساحر فى ظنهم القاصر فسموه سحرا * وقوله سبحانـه ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستـة ايام الآيـة هـذا ابتـداء دعاء الى عبادة الله عز وجل وتوحيـده وذكـر بعض النـاس ان الحـكمة فى خلق الله تعالى هذه الاشياء فى مدة محدودة ممتدة وفى القـدرة ان يقول لهـا كن فتـكون انمـا هي ليعلم عباده التؤدة والتماهل فى الامور قال (ع) وهذا مما لا يوصـل الى تعليله وعلى هـذا هي الاجنـة فى البطون وخلق الثمار وغير ذلك والله عز وجل قد جعل لكل شيء قدرا وهو اعلم بوجه الحكمة فى ذلك * وقوله سبحانه يدبر الامر يصح ان يريد بالامر اسم الجنس من الامـور ويصح ان يريد الامر الذى هو مصدر امر يامر وتدبيره لا اله الا هو انما هو الانفاذ لانه قد احاط بـكل شيء علما قال مجاهد يدبر الامر معنـاه يقضيـه وحـده * وقوله سبحانـه مامن شفيع الا من بعد اذنـه رد على العرب فى اعتقادهـا ان الاصنام تشفع لها عند الله * ذلكم الله اي الـذى هـذه صفاتـه فاعبـدوه ثم قررهم على هذه الآيات والعبر فقال افلا تذكـرون * وقوله اليـه مرجعكم جميعا الآيـة انباء بالبعث * وقوله يبدؤا الخلق يريـد النشـأة الاولى والاعادة هي البعث من القبور * ليجزي هي لام كي والمعنى ان الاعادة انمـا هي ليقع الجزاء على الاعمال * وقوله بالقسط اي بالعـدل * وقـوله الذين كـفروا ابتـداء والحميم الحار المسخن وحميم النار فيما ذكـر عن النبي صلى الله عليـه وسلم اذا ادناه الكافر مـن فيـه تساقطت فروة رأسـه وهو كما وصفـه سبحانـه يشوى الوجوه * وقوله سبحانـه هو الذى جعل الشمس ضيـاء والقمـر نورا الآيـة هذا استمرار على وصف ءاياتـه سبحانـه والتنبيـه على صنعته الدالة على وحدانيته وعظيم قدرتـه * وقوله وقدره منـازل يحتمـل ان يعود الضمير

على القمر وحده لانه المراعى فى معرفة عدد السنين والحساب عند العرب ويحتمل ان يريد الشمس والقمر معا لكنه اجتزأ بذكر احدهما كما قال والله ورسوله احق ان يرضوه * وقوله لتعلموا عدد السنين والحساب اي رفقا بكم ورفعا للالتباس فى معايشكم وغير ذلك مما يضطر فيه الى معرفة التواريخ * وقوله لقوم يعلمون انما خصهم لان نفع هذا فيهم ظهر * وقوله سبحانه ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض الآية ءاية اعتبار وتنبيه والآيات العلامات وخصص القوم المتقين تشريفا لهم اذ الاعتبار فيهم يقع ونسبتهم الى هذه الاشياء المنظور فيها افضل من نسبة من لم يهتد ولا اتقى * وقوله سبحانه ان الذين لا يرجون لقاءنا الآية قال ابو عبيدة وغيره يرجون فى هذه الآية بمعنى يخافون واحتجوا ببيت ابى ذؤيب

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وحالفها فى بيت نوب عوامل

وقال ابن سِيدة والفراء لفظة الرجاء اذا جاءت منفية فانها تكون بمعنى الخوف فعلى هذا التاويل معنى الآية ان الذين لا يخافون لقاءنا وقال بعض اهل العلم الرجاء فى هذه الآية على بابه وذلك ان الكافر المكذب بالبعث لا يحسن ظنا بانه يلقى الله ولا له فى الآخرة امل اذ لو كان له فيها امل لقارنه لامحالة خوف وهذه الحال من الخوف المقارن هي القائدة الى النجاة قال (ع) والذى اقول به ان الرجاء فى كل موضع هو على بابه وان بيت الهذلي معناه لم يرج فقد لسعها قال ابن زيد هذه الآية فى الكفار * وقوله سبحانه ورضوا بالحيوة الدنيا يريد كانت منتهى غرضهم وقال قتادة فى تفسير هذه الآية اذا شئت رأيت هذا الموصوف صاحب دنيا لها يغضب ولها يرضى ولها يفرح ولها يهتم ويحزن فكان قتادة صورها فى العصاة

ولا يترتب ذلك الا مع تأول الرجاء على بابه لان المومن العاصي مستوحش من ءاخرته فاما على التاويل الاول فمن لا يخاف الله فهو كافر * وقوله واطمأنوا بها تكميل فى معنى القناعة بها والرفض لغيرها * وقوله والذين هم عن آياتنا غافلون يحتمل ان يكون ابتداء اشارة الى فرقة اخرى ثم عقب سبحانه بذكر الفرقة الناجية فقال ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم الآية الهداية فى هذه الآية تحتمل وجهين احدهما ان يريد انه يديمهم ويثبتهم الثانى ان يريد انه يرشدهم الى طريق الجنان فى الآخره * وقوله بايماهم يحتمل ان يريد بسبب ايمانهم ويحتمل ان يكون الايمان هو نفس الهدى اي يهديهم الى طريق الجنة بنور ايمانهم قال مجاهد يكون لهم ايمانهم نورا يمشون به ويترتب هذا التاويل على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد المومن اذا قام من قبره للحشر تمثل له رجل جميل الوجه طيب الرائحة فيقول من انت فيقول انا عملك الصالح فيقوده الى الجنة وبعكس هذا فى الكافر ونحو هذا مما اسنده الطبري وغيره * وقوله سبحانه دعواهم اي دعاؤهم فيها وسبحانك اللهم تقديس وتسبيح وتنزيه لجلاله سبحانه عن كل ما لا يليق به وقال علي بن ابى طالب فى ذلك هي كلمات رضيها الله تعالى لنفسه وقال طلحة بن عبيد الله قلت يا رسول الله ما معنى سبحان الله فقال معناها تنزيها لله من السوء وحكي عن بعض المفسرين انهم رووا ان هذه الكلمة انما يقولها المومن عند ما يشتهى الطعام فانه اذا رأى طائرا او غير ذلك قال سبحانك اللهم فنزلت تلك الارادة بين يديه فوق ما اشتهى رواه ابن جريج وسفيان بن عيينة وعبارة الداودي عن ابن جريج دعواهم فيها قال اذا مر بهم الطائر يشتهونه كان دعواهم به سبحانك اللهم فياكلون منه ما يشتهون ثم يطير واذا جاءتهم

الملائكة بما يشتهون سلموا عليهم فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام واذا اكلوا حاجتهم قالوا الحمدلله رب العالمين فذلك قوله وءاخر دعواهم ان الحمدلله رب العالمين * وقوله سبحانه وتحيتهم فيها سلام يريد تسليم بعضهم على بعض والتحية ماخوذة من تمنى الحياة للانسان والدعاء بها يقال حياه ويحييه ومنه قول زهير بن جناب

من كل ما نال الفتى * قد نلته الا التحيه

يريد دعاء الناس للملك بالحياة وقال بعض العلماء وتحيتهم يريد تسليم الله تعالى عليهم والسلام ماخوذ من السلامة وءاخر دعواهم اي خاتمة دعائهم وكلامهم فى كل موطن حمد الله وشكره على ما اسبغ عليهم من نعمه وقال ابن العربي فى احكامه فى تفسير هذه الآية قولان الاول ان الملك ياتيهم بما يشتهون فيقول سلام عليكم اي سلمتم فيردون عليه فاذا اكلوا قالوا الحمد لله رب العالمين الثانى ان معنى تحيتهم اي تحية بعضهم بعضا فقد ثبت فى الخبر ان الله تعالى خلق ءادم ثم قال له اذهب الى اولائك النفر من الملائكة فسلم عليهم فجاءهم فقال لهم سلام عليكم فقالوا له وعليك السلام ورحمة الله فقال له هذه تحيتك وتحية ذريتك من بعدك الى يوم القيامة وبين فى القرءان هاهنا انها تحيتهم فى الجنة فهي تحية موضوعة من اول الخلقة الى غير نهاية وقد روى ابن القاسم عن مالك فى قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام اي هذا السلام الذى بين اظهركم وهذا اظهر الاقوال والله اعلم انتهى وقرأ الجمهور ان الحمد لله وهى عند سيبويه ان المخففة من الثقيلة قال ابو الفتح فهي بمنزلة قول الاعشى

فى فتية كسيوف الهند قد علموا * ان هالك كل من يحفى وينتعل

وقوله سبحانه ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم

الآيـة هذه الآيـة نزلت فى دعاء الرجل على نفســه او ولده او مــاله فاخبر سبحانه انه لو فعل مع الناس فى اجابته الى المكروه مثل ما يريد فعله معهم فى اجابته الى الخير لاهلكهم وحذف بعد ذلك جملة يتضمنها الظاهر تقديرهـا فلا يفعل ذلك ولكن يذر الذين لايرجون لقاءنا الآيـة وقيـل ان هـذه الآيـة نزلت فى قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقيل نزلت فى قولهم ايتنا بما تعـدنا وماجرى مجراه والعمــه الخبط فى ضلال * وقوله سبحانـه واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبـه الآيـة هــذه الآيـة ايضا عتاب على سوء الخلق من بعض الناس ومضمنه النهي عن مثـل هذا والامر بالتسليم الى الله والضراعة اليه فى كل حال والعلم بان الخير والشر منه لا رب غيره وقوله لجنبه فى موضع الحال كانـه قال مضطجعا والضر عـام لجميع الامراض والرزايا * وقوله مر يقتضى ان نزولها فى الكفار ثم هي بعد تتناول كل من دخل تحت معناها من كافر وعـاص * وقـوله سبحانـه ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الآية ءايـة وعيد للكفار وضرب امثال لهم وخلائف جمـع خليفـة * وقوله لننظر معناه لنبين فى الوجود ما علمناه ازلا لكن جرى القول على طريق الايجاز والفصاحة والمجاز وقال عمر رضي الله عنه ان الله تعالى انما جعلنا خلفاء لينظر كيف عملنـا فاروا الله حسن اعمالكم فى السر والعلانية * وقوله سبحانـه واذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا يعنى بعض كفار قريش ايت بقرءان غير هذا او بدله ثم امر سبحانـه نبيه ان يرد عليهم بالحق الواضح فقال قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم بـه وادريكم بمعنى اعلمكم تقول دريت بالامر وادريت بـه غيرى ثم قال فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يعنى الاربعين سنة قبل بعثته عليه السلام اي فلم تجربونى فى كذب ولا تكلمت فى شيء من هـذا افـلا تعقلون ان

من كان على هذه الصفة لا يصح منه كذب بعد ان ولى عمره وتقاصر امله واشتدت حنكته وخوفه لربه * وقوله فمن اظلم استفهام وتقرير اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا او ممن كذب بآياته بعد بيانها والضمير فى يعبدون لكفار قريش وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله هذا قول النبلاء منهم ثم امر سبحانه نبيه ان يقررهم ويوبخهم بقوله اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض وذكر السموات لان من العرب من يعبد الملائكة والشعرى وبحسب هذا حسن ان يقول هؤلاء شفعاؤنا وقيل ذلك على تجوز فى الاصنام التي لا تعقل * وقوله سبحانه وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا قالت فرقة المراد ءادم كان امة وحده ثم اختلف الناس بعده وقالت فرقة المراد ءادم وبنوه من لدن نزوله الى قتل احد ابنيه الآخر ويحتمل ان يريد كان الناس صنفا واحدا بالفطرة معدا للاهتداء وقد تقدم الكلام على هذا فى قوله سبحانه كان الناس امة واحدة * وقوله سبحانه ولولا كلمة سبقت من ربك يريد قضاءه وتقديره لبنى ءادم بالآجال الموقتة ويحتمل ان يريد الكلمة فى امر القيامة وان العقاب والثواب انما يكون حينئذ * وقوله فقل انما الغيب لله اي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل * وقوله فانتظروا وعيد * وقوله سبحانه واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم الآية هذه الآية فى الكفار وهي بعد تتناول من العصاة من لا يودى شكر الله عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه وذلك فى الناس كثير والرحمة هنا بعد الضراء كالمطر بعد القحط والامن بعد الخوف ونحو هذا مما لا ينحصر والمكر الاستهزاء والطعن عليها من الكفار واطراح الشكر والخوف من العصاة وقال ابو علي اسرع من سرع لا من اسرع يسرع اذ لو كان من اسرع لكان شاذا قال (ع) وفى

الحديث فى نار جهنم لهي اسود من القار وما حفظ للنبي صلى الله عليه وسلم فليس بشاذ (ص) ورد بان اسود من فعل لا من افعل تقول سود فهو اسود وانما امتنع من سود ونحوه عند البصريين لانه لون انتهى * وقوله سبحانه هو الذى يسيركم فى البر والبحر الآية تعديد نعم منه سبحانه على عباده * وقوله سبحانه دعوا الله مخلصين له الدين اى نسوا الاصنام والشركاء وافردوا الدعاء لله سبحانه وذكر الطبري فى ذلك عن بعض العلماء حكاية قول العجم هيا شرا هيا ومعناه يا حي يا قيوم ويبغون معناه يفسدون * وقوله متاع الحياة الدنيا متاع خبر مبتدا محذوف تقديره هو متاع او ذلك متاع ومعنى الآية انما بغيكم وافسادكم مضر لكم وهو فى حالة الدنيا ثم تلقون عقابه فى الآخرة قال سفيان بن عيينة انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اي تعجل لكم عقوبته وعلى هذا قالوا البغي يصرع اهله قال (ع) وقالوا الباغى مصروع قال تعالى ثم بغي عليه لينصرنه الله وقال النبي عليه السلام ما ذنب اسرع عقوبة من بغي * وقوله سبحانه انما مثل الحيوة الدنيا اي تفاخر الحياة الدنيا وزينتها بالمال والبنين اذ مصير ذلك الى الفناء كمطر نزل من السماء فاختلط به نبات الارض اي اختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء ولفظ البخاري قال ابن عباس فاختلط به نبات الارض فنبت بالماء من كل لون انتهى واخذت الارض لفظة كثرت فى مثل هذا كقوله خذوا زينتكم والزخرف التزيين بالالوان وقرأ ابن مسعود وغيره وتزينت وهذه اصل قراءة الجمهور * وقوله وظن اهلها على بابها وهذا الكلام فيه تشبيه جملة امر الحياة الدنيا بهذه الجملة الموصوفة احوالها وحتى غاية وهي حرف ابتداء لدخولها على اذا ومعناهما متصل الى قوله قادرون عليها ومن بعد ذلك بدأ الجواب والامر الآتى واحد الامور كالريح والصر والسموم ونحو ذلك وتقسيمه

ليلا اونهارا تنبيه على الخوف وارتفاع الامن فى كل وقت وحصيدا بمعنى محصود اي تالفا مستهلكا كأن لم تغن اي كان لم تنضر ولم تنعم ولم تعمر بغضارتها ومعنى الآية التحذير من الاغترار بالدنيا اذ هي معرضة للتلف كنبات هذه الارض وخص المتفكرين بالذكر تشريفا للمنزلة وليقع التسابق الى هذه الرتبة * والله يدعوا الى دار السلام الآية نص ان الدعاء الى الشرع عام فى كل بشر والهداية التى هي الارشاد مختصة بمن قدر ايمانه والسلام هنا قيل هو اسم من اسماء الله تعالى والمعنى يدعو الى داره التى هي الجنة وقيل السلام بمعنى السلامة * وقوله سبحانه للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الجمهور الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله عز وجل وفى صحيح مسلم من حديث صهيب فيكشف الحجاب فما اعطوا شيأ احب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل وفى رواية ثم تلا هذه الآية للذين احسنوا الحسنى وزيادة واخرج هذه الزيادة النساءي عن صهيب واخرجها عن صهيب ايضا ابو داود الطيالسي انتهى من التذكرة * وقوله سبحانه ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة الآية ويرهق معناه يغشى مع غلبة وتضييق والقتر الغبار المسود * وقوله سبحانه والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت فرقة التقدير لهم جزاء سيئة بمثلها وقالت فرقة التقدير جزاء سيئة مثلها والباء زائدة وتعم السيئات هاهنا الكفر والمعاصي والعاصم المنجى والمجير واغشيت كسيت والقطع جمع قطعة وقرأ ابن كثير والكساءي قطعا من الليل بسكون الطاء وهو الجزء من الليل والمراد الجزء من سواده وباقى الآية بين ومكانكم اسم فعل الامر ومعناه قفوا واسكنوا (ت) قال (ص) وقدر باثبتوا واما من قدره بالزموا مكانكم فمردود لان الزموا متعد ومكانكم لا يتعدى فلا يقدر به والا لكان متعديا واسم الفعل على حسب الفعل ان متعديا فمتعد وان لازما فلازم ثم اعتذر بانه

يمكن ان يكون تقديره بالزموا تقدير معنى لاتقدير اعراب فلا اعتراض انتهى قال (ع) فاخبر سبحانه عن حالة تكون لعبدة الاوثان يوم القيامة يومرون بالاقامة فى موقف الخزي مع اصنامهم ثم ينطق الله شركاءهم بالتبرى منهم * وقوله فزيلنا بينهم معناه فرقنا فى الحجة والمذهب روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الكفار اذا رأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب قيل لهم اتبعوا ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد هؤلاء فتقول الاصنام والله ما كنا نسمع ولا نعقل وما كنتم ايانا تعبدون فيقولون والله لا ياكم كنا نعبد فتقول الآلهة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم الآية وظاهر الآية ان محاورتهم انما هي مع الاصنام دون الملائكة وعيسى بدليل القول لهم مكانكم انتم وشركاؤكم ودون فرعون ومن عبد من الجن بدليل قولهم ان كنا عن عبادتكم لغافلين وان هذه عند سيبويه المخففة من الثقيلة موجبة ولزمتها اللام فرقا بينها وبين ان النافية وعند الفراء ان نافية بمعنى ما واللام بمعنى الا وقرأ نافع وغيره تبلوا بالباء الموحدة بمعنى تختبر وقرأ حمزة والكسائي تتلوا بتاءين بمعنى تتبع وتطلب ما اسلفت من اعمالها (ت) قال (ص) كقوله

ان المريب يتبع المريبا * كما رأيت الذيب يتلو الذيبا

اي يتبعه انتهى ويصح ان يكون بمعنى تقرأ كتبها التي تدفع اليها * وقوله ومن يدبر الامر الآية تدبير الامر عام فى جميع الاشياء وذلك استقامة الامور كلها على ارادته عز وجل وليس تدبيره سبحانه بفكر وروية وتغييرات تعالى عن ذلك بل علمه سبحانه محيط كامل دائم * فسيقولون الله اي لا مندوحة لهم عن ذلك ولا تمكنهم المباهتة بسواه فاذا اقروا بذلك فقل افلا تتقون فى افترائكم وجعلكم الاصنام آلهة * وقوله فذلكم الله ربكم الآية يقول فهذا الذى هذه صفاته ربكم الحق اي المستوجب للعبادة

والالوهيـة واذا كان كذلـك فتشريـك غيره ضـلال وغير حق قال (ع) وعبارة القرءان فى سوق هذه المعانى تفوت كل تفسير براعة وايجازا ووضوحا وحكمت هذه الآيـة بانـه ليس بـين الحق والضلال منزلة ثالثـة فى هـذه المسئلة التى هي توحيد الله تعالى وكذلك هو الامر فى نظائرها من مسائل الاصول التى الحق فيها فى طرف واحد لان الكلام فيها انمـا فى تقرير وجود ذات كيف هي وذلك بخلاف مسائل الفروع التى قال الله تعالى فيها لكل جعلنـا منكم شرعـة ومنهاجـا * وقوله فانى تصرفـون تقرير كما قال فاين تـذهبون ثم قال كذلك حقت اي كما كانت صفات الله كما وصف وعبادتـه واجبـة كما تقرر وانصراف هؤلاء كما قدر عليهم كذلك حقت كلمات ربك الآيـة وقرأ ابو عمرو وغيره كلمة على الافراد الذى يراد بـه الجمع كما يقال للقصيدة كلمة فعبر عن وعيد الله تعالى بكلمـة * وقوله سبحانه قـل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده الآيـة توقيف على قصور الاصنام وعجزهـا وتنبيه على قدرة الله عز وجل وتوفكون معناه تصرفون وتحرمون وارض مافوكة اذا لم يصبها مطر فهي بمعنى الخيبـة * وقوله تعالى قـل هل من شركائكم من يهدى الى الحق اي يبـين طرق الصواب ثم وصف الاصنام بانها لا تهدى الا ان تهدى * وقوله الا ان يهدى فيـه تجوز لانا نجدها لا تهـدى وان هديت وقال بعضم هي عبارة عن انهـا لا تنتقل الا ان تنقـل ويحتمل ان يكون مـا ذكر الله مـن تسبيح الجمادات هو اهتـداؤهـا وقرأ نافع وابو عمرو يهدى بسكون الهاء وتشديـد الدال وقرأ ابن كثير وابن عامر يهدى بفتح اليـاء والهاء وتشديد الدال وهذه رواية ورش عن نافع وقرأ حمزة والكسـاءي يهدى بفتح الياء وسكون الهاء ومعنى هذه القراءة امن لا يهدى احـدا الا ان يهدى ذلك الاحد ووقف القراء فمـا لـكم ثم يبـدأ كيف تحـكمـون *

وقوله سبحانـه وما يتبع اكثرهم الاظنا الآيـة اخبر الله سبحانـه عن فساد طريقتهم وضعف نظرهم وانـه ظن ثم بين منزلة الظن من المعـارف وبعـده عن الحق * وقـوله سبحانـه وما كان هـذا القرءان ان يفترى مـن دون الله ولكـن تصـديق الذى بين يديـه هذا رد لقول من يقول ان محمدا يفـترى القرءان والذى بين يديـه التوراة والانجيل وهم يقطعون انـه لم يطالع تلك الكتب ولا هي فى بلده ولا فى قومه وتفصيل الكتاب هو تبيينه * وقوله ام يقولون افتراه الآيـة ام هذه ليست بالمعادله لهمزة الاستفهام فى قوله ازيد قام ام عمرو ومـذهب سيبويـة انها بمنزلة بـل ثم عجزهم سبحانـه بقوله قـل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم الآيـة والتحدى فى هـذه الآيـة عنـد الجمهور وقـع بجهتي الاعجـاز اللتين فى القـرءان احـداهما النظم والـرصف والايجاز والجزالة كل ذلك فى التعريف والاخرى المعانى من الغيب لما مضى ولمـا يستقبل وحين تحداهم بعشر مفتريات انمـا تحداهم بالنظم وحـده ثم قال (ع) هذا قول جماعة المتكلمين ثم اختار ان الاعجاز فى الآيتين انما وقع فى النظم لا فى الاخبار بالغيوب (ت) والصواب ما تقدم للجمهور واليه رجع فى سورة هود واوجـه اعجـاز القرءان اكثر من هـذا وانظر الشفا وقوله من استطعتم احالة على شركائهم * وقوله سبحانـه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الآيـة المعنى ليس الامر كما قالوا من انـه مفترى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمـا ياتهم تاويله اي تفسيره وبيانـه ويحتمل ان يريد بما لم ياتهم تاويله اي ما يـؤل اليه امره كما هو فى قوله هل ينظرون الا تاويله وعلى هـذا فالآيـة تتضمن وعيـدا والذين من قبلهم مـن سلف من امم الانبيـاء * وقوله سبحانـه ومنهم من يومن بـه الآيـة اي ومن قريش من يومـن بهـذا الرسـول ولهـذا الكلام معنيان قالت فرقـة معناه من هؤلاء القوم من سيومن فى المستقبل ومنهم من

حتم الله عليه انـه لا يومن بـه ابدا وقالت فرقـة معناه ومنهم من يومـن بهـذا الرسول الا انـه يكتم ايمانه حفظا لرياسته او خوفا من قومه كالفتـية الذين قتلوا مع الكفار ببدر قال (ع) وفائدة الآية على هـذا التاويـل التـفريق لكلمـة الكفار واضعاف نفوسهم وفى قوله وربك اعلم بالمفسـدين تهديـد ووعيد * وقوله سبحانـه وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم الآيـة فيها منابذة ومتاركة قال كثير من المفسرين منهم ابن زيد هذه الآيـة منسوخة بالقتال وباقى الآيـة بين * وقوله سبحانه ويوم نحشرهم الآيـة وعيد بالحشر وخزيهم فيه وتعارفهم على جهة التلاوم والخزي من بعضهم لبعض حيث لا ينفع ذلك * وقوله سبحانه قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله الى ءاخرها حكم من الله عز وجل على المكذبين بالخسران وفى اللفظ اغلاظ وقيل ان هذا الكلام من كلام المحشورين على جهة التوبيخ لانفسهم (ت) والاول ابين * وقوله واما نرينك الآيـة اما شرط وجوابـه فالينا والرؤيـة فى نرينك بصريـة ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع الى الله تعالى اي ان اريناك عقوبتهم او لم نركها فهم على كل حال راجعون الينا الى الحساب والعذاب ثم مع ذلك فالله شهيـد من اول تكليفهم على جميـع اعمـالهم فثم لترتيب الاخبـار لا لترتيب القصص فى انفسها واما هي ان زيدت عليها ما ولاجلها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها لم يجز (ص) واعترض بان مذهب سيبويـه جواز دخولها وان لم تكن ما انتهى * وقوله سبحانه ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط قال مجاهد وغيره المعنى فاذا جاء رسولهم يوم القيامـة للشهـادة عليهم صير قوم للجنـة وقوم للنار فذلك القضاء بينهم بالقسط * وقوله سبحانه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قـل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لـكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون الآيـة الضمير

في يقولون لكفار قريش وسؤالهم عن الوعد تحرير منهم بزعمهم للحجة اي
هذا العذاب الذى توعدنا به حدد لنا وقته لنعلم الصدق فى ذلك من الكذب
ثم امر الله تعالى نبيه ان يقول على جهة الرد عليهم قل لااملك لنفسى
ضرا ولانفعا الا ما شاء الله ولكن لكل امة اجل انفرد الله بعلم حده ووقه
وباقى الآية بين * وقوله ما ذا يستعجل منه المجرمون اي فما تستعجلون
منه وانتم لاقبل لكم به والضمير فى منه يحتمل ان يعود على الله عز وجل
ويحتمل ان يعود على العذاب * وقوله اثم اذا ما وقع ءامنتم به المعنى اذا وقع
العذاب وعاينتموه ءامنتم حينئذ وذلك غير نافعكم بل جوابكم الآن وقد
كنتم تستعجلونه مكذبين به ويستنبئونك معناه يستخبرونك وهي على هذا
تتعدى الى مفعولين احدهما الكاف والآخر الجملة وقيل هي بمعنى يستعملونك
فعلى هذا تحتاج الى ثلاثة مفاعيل (ص) ورد بان الاستنباء لا يحفظ تعديه
الى ثلاثة ولا استعلم الذى هو بمعناه انتهى واحق هو قيل الاشارة الى الشرع
والقرءان وقيل الى الوعيد وهو اظهر * وقوله اي وربي اي بمعنى نعم وهي
لفظة تتقدم القسم ويجيء بعدها حرف القسم وقد لا يجيء تقول اي وربى
واي ربى ومعجزين معناه مفلتين * وقوله سبحانه ولو ان لكل نفس ظلمت ما
فى الارض لافتدت به واسروا الندامة الآية واسروا لفظة تجيء بمعنى اخفوا
وهي حينئذ من السر وتجيء بمعنى اظهروا وهي حينئذ من اسارير الوجه (ص)
قال ابو البقاء وهو مستانف وهو حكاية ما يكون فى الآخرة * وقوله
تعالى الاان لله ما فى السموات والارض الآية الا استفتاح وتنبيه وباقى
الآية بين * وقوله سبحانه يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم
الآية هذه ءاية خوطب بها جميع العالم والموعظة القرءان لان الوعظ انما هو
بقول يامر بالمعروف ويزجر ويرقق القلوب ويعد ويوعد وهذه صفة الكتاب

العزيز وقوله من ربكم يريد لم يختلقها محمد ولا غيره وما فى الصدور يريد به الجهل ونحوه وجعله موعظة بحسب الناس اجمع وجعله هدى ورحمة بحسب المومنين فقط وهذا تفسير صحيح المعنى اذا تأمل بان وجهه * وقوله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال ابن عباس وغيره الفضل الاسلام والرحمة القرءان وقال ابو سعيد الخدري الفضل القرءان والرحمة ان جعلهم من اهله وقال زيد بن اسلم والضحاك الفضل القرءان والرحمة الاسلام قال (ع) ولا وجه عندى لشيء من هذا التخصيص الا ان يستند شيء منه الى النبي صلى الله عليه وسلم وانما الذى يقتضيه اللفظ ويلزم منه ان الفضل هو هداية الله تعالى الى دينه والتوفيق الى اتباع شرعه والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التى جعلها جزاء على التشرع بالاسلام والايمان به ومعنى الآية قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله ورحمته فليقع الفرح منكم لا بامور الدنيا وما يجمع من حطامها فان قيل كيف امر الله بالفرح فى هذه الآية وقد ورد ذمه فى قوله فرح فخور وفى قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قيل ان الفرح اذا ورد مقيدا فى خير فليس بمذموم وكذلك هو فى هذه الآية واذا ورد مقيدا فى شر او مطلقا لحقه ذم اذ ليس من افعال الآخرة بل ينبغى ان يغلب على الانسان حزنه على دينه وخوفه لربه * وقوله مما يجمعون يريد مال الدنيا وحطامها الفانى المردى فى الآخرة * وقوله سبحانه قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الآية قال (ص) ارأيتم مضمن معنى اخبرونى وما موصولة قال (ع) هذه المخاطبة لكفار العرب الذين جعلوا البحائر والسوائب وغير ذلك * وقوله انزل لفظة فيها تجوز * وقوله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ءاية وعيد لما تحقق عليهم بتقسيم الآية التى قبلها انهم مفترون على

الله عظم فى هذه الآيـة جرم الافتراء اي ظنهم فى غايـة الرداءة بحسب سوء افعالهم ثم ثنى بذكر الفضل على الناس فى الامهال لهم مع الافتراء والعصيان اذ الامهـال لهم داعيـة الى التوبـة والانابـة ثم الآيـة تعم جميـع فضـل الله سبحانـه وجميـع تقصير الخلق * وقوله سبحانه وما تكون فى شأن الآيـة مقصد هذه الآيـة وصف احاطة الله عز وجل بكل شيء لا رب غيره ومعنى اللفظ ومـا تكون يا محمـد والمراد هو وغيره فى شـأن من جميع الشئـون وما تتلوا منه الضمير عائد على شأن اي فيه وبسببه من قرءان ويحتمل ان يعود الضمير على جميع القرءان وقال (ص) ضمير منـه عائـد على شأن ومن قرءان تفسير للضمـير انتهى وهو حسن ثم عم سبحانـه بقوله ولا تعملون من عمـل وفى قوله سبحانـه الا كنا عليكم شهودا تحذير وتنبيـه (ت) وهذه الآيـة عظيمة الموقع لاهل المراقبة تثير من قلوبهم اسرارا ويغترفون من بحر فيضها انوارا وتفيضون معناه تاخذون وتنهضون بجد وما يعزب معناه ومـا يغيب عن ربك من مثقال ذرة والكتاب المبين هو اللوح المحفوظ ويحتمل ما كتبته الحفظة * وقوله سبحانـه الا ان اولياء الله الآيـة الا استفتاح وتنبيـه واوليـاء الله هم المومنون الذين والوه بالطاعة والعبادة وهذه الآية يعطى ظاهرها ان من ءامن واتقى الله فهو داخل فى اولياء الله وهذا هو الذى تقتضيـه الشريعـة فى الولي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انـه سئل من اولياء الله فقال الـذين اذا رأيتهم ذكرت الله قال (ع) وهـذا وصف لازم للمتقـين لانهم يخشعـون ويخشعون وروي عنه صلى الله عليه وسلم ايضا انـه قال اولياء الله قوم تحابوا فى الله واجتمعوا فى ذاتـه لم تجمعهم قرابـة ولا مـال يتعاطونـه وروى الدارقطني فى سننه عن النبي صلى الله عليـه وسلم انه قال خيار عباد الله الذين اذ ارءوا ذكر الله وشر عبـاد الله المشاءون بالنميمة المفرقـون بين الاحبة الباغون

للبرءاء العيب انتهى من الكوكب الدري * وقوله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون يعنى فى الآخرة ويحتمل فى الدنيا لايخافون احدا من اهل الدنيا ولا من اعراضها ولا يحزنون على ما فاتهم منها والاول اظهر والعموم فى ذلك صحيح لا يخافون فى الآخرة جملة ولا فى الدنيا الخوف الدنياوي وذكر الطبري عن جماعة من العلماء مثل ما فى الحديث فى الاولياء انهم هم الذين اذا رءاهم احد ذكر الله وروي فيهم حديث ان اولياء الله هم قوم يتحابون فى الله ويجعل لهم يوم القيامة منابر من نور وتنير وجوههم فهم فى عرصات القيامة لا يخافون ولا يحزنون وروى عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من عباد الله عبادا ماهم بانبياء ولاشهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمكانتهم من الله قالوا ومن هم يا رسول الله قال قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام ولا اموال الحديث ثم قرأ الاان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون (ت) وقد خرج هذا الحديث ابو داود والنساءي قال ابو داود فى هذا الحديث فو الله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ذكره باسناد ءاخر انتهى ورواه ايضا ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن ابى مالك الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولاشهداء يغبطهم النبيئون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله عز وجل فقال اعرابي انعتهم لنا يانبي الله فقال هم ناس من ابناء الناس لم تصل بينهم ارحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا فيه يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة وهم لا يفزعون وهم اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون انتهى * وقوله تعالى لهم البشرى الآية اما بشرى الآخرة فهي بالجنة بلا خلاف قولا واحدا وذلك هو الفضل الكبير واما بشرى الدنيا

فتظاهرت الاحاديث من طرق عن النبي صلى الله عليه وسلم انها الرؤيا الصالحة يراها المومن او ترى له وقال قتادة والضحاك البشرى فى الدنيا هي ما يبشر به المومن عند موته وهو حي عند المعاينة ويصح ان تكون بشرى الدنيا ما فى القرءان من الآيات المبشرات ويقوى ذلك بقوله لاتبديل لكلمات الله ويؤول قوله صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا انه اعطى مثالا يعم جميع الناس * وقوله سبحانه لا تبديل لكلمات الله يريد لا خلف لمواعيده ولا رد فى امره وقد اخذ ذلك ابن عمر على نحو غير هذا وجعل التبديل المنفي فى الالفاظ وذلك انه روي ان الحجاج خطب فقال الا ان عبد الله بن الزبير قد بدل كتاب الله فقال له عبد الله بن عمر انك لا تطيق ذلك انت ولا ابن الزبير لا تبديل لكلمات الله وقد روي هذا النظر عن ابن عباس فى غير مقاولة الحجاج ذكره البخاري * وقوله تعالى ولايحزنك قولهم اي قول قريش فهذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولفظة القول تعم جحودهم واستهزاءهم وخداعهم وغير ذلك ثم ابتدأ تعالى فقال ان العزة لله جميعا اي لا يقدرون لك على شيء ولايوذونك الا بما شاء الله ففى الآية وعيد لهم ثم استفتح بقوله الا ان لله من فى السموات ومن الارض اي بالملك والاحاطة * وقوله تعالى وما يتبع يصح ان تكون ما استفهاما ويصح ان تكون نافية (ت) ورجح هذا الثانى * وقوله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان نافية ويخرصون معناه يحدسون ويخمنون * وقوله عز وجل هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الآية فى هذه الالفاظ ايجاز واحالة على ذهن السامع لان العبرة فى ان الليل مظلم يسكن فيه والنهار مبصر يتصرف فيه فذكر طرفا من هذا وطرفا من الجهة الثانية ودل المذكوران على المتروكين * وقوله يسمعون يريد يوعون والضمير فى قالوا لكفار العرب ثم الآية بعد تعم كل من قال نحو هذا القول كالنصارى

وسبحانه معناه تنزيها له وبراءة من ذلك فسره بهذا النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله ان عندكم من سلطان بهذا ان نافية والسلطان الحجة وكذلك معناه حيث تكرر فى القرءان ثم وبخهم تعالى بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون * وقوله سبحانه ان الذين يفترون الآية توعد لهم بانهم لا يظفرون ببغية ولا يبقون فى نعمة اذ هذه حال من يصير الى العذاب وان نعم فى دنياه يسيرا * وقوله تعالى متاع مرفوع على خبر ابتداء اي ذلك متاع قال (ص) متاع جواب سؤال مقدر كانه قيل كيف لا يفلحون وهم فى الدنيا مفلحون بانواع التلذذات فقيل ذلك متاع فهو خبر مبتدا محذوف انتهى وهذا الذى قدره (ص) يفهم من كلام (ع) وقول نوح عليه السلام يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى الآية المقام وقوف الرجل لكلام او خطبة او نحوه والمقام بضم الميم اقامته ساكنا فى موضع او بلد ولم يقرأ هنا بضم الميم فيما علمت وتذكيره وعظه وزجره * وقوله فاجمعوا من اجمع الرجل على الشيء اذا عزم عليه ومنه الحديث ما لم يجمع مكثا وامركم يريد به قدرتكم وحيلكم ونصب الشركاء بفعل مضمر كانه قال وادعوا شركاءكم فهو من باب

علفتها تبنا وماء باردا * حتى شتت همالة عيناها

وفى مصحف ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم قال الفارسي وقد ينتصب الشركاء بواو مع كما قالوا جاء البرد والطيالسة * وقوله ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي ملتبسا مشكلا ومنه قوله عليه السلام فى الهلال فان غم عليكم * وقوله ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي انفذوا قضاءكم نحوى ولا تؤخرونى والنظرة التاخير * وقوله سبحانه فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف مضى شرح هذه المعانى * وقوله سبحانه فانظر كيف كان عاقبة المنذرين مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم يشاركه فى معناها جميع الخلق * وقوله

سبحانه ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم الضمير فى من بعده عائد على نوح عليه السلام * وقوله تعالى فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه بئاياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين معنى هذه الآية ضرب المثل لحاضرى نبينا محمد عليه السلام ليعتبروا بمن سلف والبينات المعجزات والضمائر فى ما كانوا ليومنوا وفى كذبوا تعود الثلاثة على قوم الرسل وقيل الضمير فى كذبوا يعود على قوم نوح وقد تقدم تفسير نظيرها فى الاعراف * وقوله سبحانه فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين الآية يريد بالحق ءايتي العصا واليد * وقوله اسحر هذا قالت فرقة هو حكاية عن موسى عنهم ثم اخبرهم موسى عن الله ان الساحرين لا يفلحون ثم اختلفوا فى معنى قول قوم فرعون فقال بعضهم قالها منهم كل مستفهم جاهل بالامر فهو يسئل عنه وهذا ضعيف وقال بعضهم بل قالوا ذلك على معنى التعظيم للسحر الذى رأوه وقالت فرقة ليس ذلك حكاية عن موسى عنهم وانما هو من كلام موسى وتقدير الكلام اتقولون للحق لما جاكم سحر ثم ابتدأ يوقفهم بقوله اسحر هذا على جهة التوبيخ وقولهم لتلفتنا اي لتصرفنا وتلوينا وتردنا عن دين ءابائنا يقال لفت الرجل عنق الآخر اذا الواه ومنه قولهم التفت فانه افتعل من لفت عنقه اذا الواه والكبرياء مصدر من الكبر والمراد به فى هذا الموضع الملك قاله اكثر المتأولين لانه اعظم تكبر الدنيا وقرأ ابو عمرو وحده به ءالسحر بهمزة استفهام ممدودة وفى قراءة ابي ما اتيتم به سحر والتعريف هنا فى السحر ارتب لانه تقدم منكرا فى قولهم ان هذا لسحر فجاء هنا بلام العهد قال (ص) قال الفراء انما قال السحر بال لان النكرة اذا اعيدت اعيدت بأل وتبعه ابن عطية ورد بان شرط ما ذكراه اتحاد

مدلول النكرة المعادة كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وهنا السحر المنكر هو ما اتى به موسى والمعروف ما اتوا به هم فاختلف مدلولها والاستفهام هنا على سبيل التحقير انتهى وهو حسن * وقوله ان الله سيبطله ايجاب عن عدة من الله تعالى * وقوله ان الله لايصلح عمل المفسدين يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله عز وجل ويحتمل ان يكون من كلام موسى عليه السلام وكذلك قوله ويحق الله الحق الآية محتمل للوجهين وكون ذلك كله من كلام موسى اقرب وهو الذى ذكر الطبري واما قوله بكلماته فمعناه بكلماته السابقة الازلية فى الوعد بذلك * وقوله عز وجل فما ءامن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم اختلف المتأولون فى عود الضمير الذى فى قومه فقالت فرقة هو عائد على موسى وذلك فى اول مبعثه وملا الذرية هم اشراف بنى اسراءيل قال (ص) وهذا هو الظاهر وقالت فرقة الضمير فى قومه عائد على فرعون وضمير ملائهم عائد على الذرية قال (ع) ومما يضعف عود الضمير على موسى ان المعروف من اخبار بنى اسراءيل انهم كانوا قوما تقدمت فيهم النبوءات ولم يحفظ قط ان طائفة من بني اسراءيل كفرت به فدل على ان الذرية من قوم فرعون * وقوله سبحانه وقال موسى يا قوم ان كنتم ءامنتم بالله فعليه توكلوا الآية هذا ابتداء حكاية قول موسى لجماعة بنى اسراءيل مونسا لهم ونادبا الى التوكل على الله عز وجل الذى بيده النصر قال المحاسبي قلت لابى جعفر محمد بن موسى ان الله عز وجل يقول وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين فما السبيل الى هذا التوكل الذى ندب الله اليه وكيف دخول الناس فيه قال ان الناس متفاوتون فى التوكل وتوكلهم على قدر ايمانهم وقوة علومهم قلت فما معنى ايمانهم

قال تصديقهم بمواعيد الله عز وجل وثقتهم بضمان الله تبارك وتعالى قلت من
اين فضلت الخاصة منهم على العامة والتوكل فى عقد الايمان مع كل من ءامن
بالله عز وجل قال ان الذى فضلت به الخاصة على العامة دوام سكون
القلب عن الاضطراب والهدو عن الحركة فعندها يافتى استراحوا من عذاب
الحرص وفكوا من اسر الطمع واعتقوا من عبودية الدنيا وابنائها وحظوا
بالروح فى الدارين جميعا فطوبى لهم وحسن مئاب قلت فما الذى يولد
هذا قال حالتان دوام لزوم المعرفة والاعتماد على الله عز وجل وترك الحيل والثانية
الممارسة حتى يألفها الفا ويختارها اختيارا فيصير التوكل والهدو والسكون والرضى
والصبر له شعارا ودثارا انتهى من كتاب القصد الى الله سبحانه * وقولهم ربنا
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين المعنى لا تنزل بنا بلاء بايديهم او بغير ذلك مدة
محاربتنا لهم فيفتنون لذلك ويعتقدون صلاح دينهم وفساد ديننا قاله مجاهد
وغيره فهذا الدعاء على هذا التاويل يتضمن دفع فصلين احدهما القتل والبلاء
الذى توقعه المومنون والآخر ظهور الشرك باعتقاد اهله انهم اهل الحق ونحو
هذا قوله صلى الله عليه وسلم بيس الميت ابو امامة ليهود والمشركين يقولون لو
كان نبيا لم يمت صاحبه ورجح (ع) فى سورة الممتحنة قول ابن عباس ان معنى
لا تجعلنا فتنة للذين كفروا لا تسلطهم علينا فيفتنونا انظره هناك * وقوله
سبحانه واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا روي ان فرعون
اخاف بني اسرايل وهدم لهم مواضع كانوا اتخذوها للصلاة ونحو هذا فاوحى
الله الى موسى وهارون ان تبوءا اي اتخذا وتخيرا لبنى اسرايل بمصر بيوتا
قال مجاهد مصر فى هذه الآية الاسكندرية ومصر ما بين اسوان
والاسكندرية * وقوله سبحانه واجعلوا بيوتكم قبلة قيل معناه مساجد
قاله ابن عباس وجماعة قالوا خافوا فامروا بالصلاة فى بيوتهم وقيل معناه موجهة

الى القبلة قاله ابن عباس ومن هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير بيوتكم ما استقبل به القبلة * وقوله واقيموا الصلوة خطاب لبنى اسراءيل وهذا قبل نزول التوراة لانها لم تنزل الا بعد اجازة البحر* وقوله وبشر المومنين امر لموسى عليه السلام وقال الطبري ومكي هو امر لنبينا محمد عليه السلام وهذا غير متمكن * وقوله سبحانه وقال موسى ربنا انك ءاتيت فرعون وملأه زينة الآية هذا غضب من موسى على القبط ودعاء عليهم لما عتوا وعاندوا وقدم للدعاء تقرير نعم الله عليهم وكفرهم بها وءاتيت معناه اعطيت واللام فى ليضلوا لام كي ويحتمل ان تكون لام الصيرورة والعاقبة المعنى آتيتهم ذلك فصار امرهم الى كذا وقرأ حمزة وغيره ليضلوا بضم الياء على معنى ليضلوا غيرهم * وقوله ربنا اطمس على اموالهم هو من طموس الاثر والعين وطمس الوجوه منه وتكرير قوله ربنا استغاثة كما يقول الداعى يا الله يا الله روي انهم حين دعا موسى بهذه الدعوة رجع سكرهم حجارة ودراهمهم ودنانيرهم وحبوب اطعمتهم رجعت حجارة قاله قتادة وغيره وقال مجاهد وغيره معناه اهلكها ودمرها * وقوله واشدد على قلوبهم بمعنى اطبع واختم عليهم بالكفر قاله مجاهد والضحاك * وقوله فلا يومنوا مذهب الاخفش وغيره ان الفعل منصوب عطفا على قوله ليضلوا وقيل منصوب فى جواب الامر وقال الفراء والكساءي هو مجزوم على الدعاء وجعل رؤية العذاب نهاية وغاية وذلك لعلمه من الله ان المومن عند رؤية العذاب لا ينفعه ايمانه فى ذلك الوقت ولا يخرجه من كفره ثم اجاب الله دعوتها قال ابن عباس العذاب هنا الغرق وروي ان هارون كان يؤمن على دعاء موسى فلذلك نسب الدعوة اليهما قاله محمد ابن كعب القرظي قال البخاري وعدوا من العدوان انتهى وقول فرعون ءامنت انه لا اله الا الذى ءامنت به بنو اسراءيل الآية روي عن النبي

صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام قال ما ابغضت احدا قط بغضى لفرعون ولقد سمعته يقول ءامنت الآية فاخذت من حال البحر فملأت فمه مخافة ان تلحقه رحمة الله وفى بعض الطرق مخافة ان يقول لا اله الا الله فتلحقه الرحمة قال (ع) فانظر الى كلام فرعون ففيه مجهلة وتلعثم ولا عذر لاحد فى جهل هذا وانما العذر فيما لاسبيل الى علمه كقول علي رضي الله عنه اهللت باهلال كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم والحال الطين والآثار بهذا كثيرة مختلفة الالفاظ والمعنى واحد وقوله سبحانه ءالآن وقد عصيت قبل وهذا على جهة التوبيخ له والاعلان بالنقمة منه وهذا الكلام يحتمل ان يكون من ملك موصل عن الله او كيف شاء الله ويحتمل ان يكون هذا الكلام معنى حاله وصورة خزيه وهذه الآية نص فى رد توبة المعاين * وقوله سبحانه فاليوم ننجيك ببدنك الآية يقوى انه صورة حاله لان هذه الالفاظ انما يظهر انها قيلت بعد غرقه وسبب هذه المقالة على ما روي ان بنى اسراءيل بعد عندهم غرق فرعون وهلاكه لعظمه فى نفوسهم وكذب بعضهم ان يكون فرعون يموت فنجي على نجوة من الارض حتى رءاه جميعهم ميتا كانه ثور احمر وتحققوا غرقه والجمهور على تشديد ننجيك فقالت فرقة معناه من النجاة اي من غمرات البحر والماء وقال جماعة معناه نلقيك على نجوة من الارض وهي ما ارتفع منها وقرأ يعقوب بسكون النون وتخفيف الجيم وقوله ببدنك قالت فرقة معناه بشخصك وقالت فرقة معناه بدرعك وقرأ الجمهور خلفك اي من اتى بعدك وقرئ شاذا لمن خلفك بفتح اللام المعنى ليجعلك الله ءاية له فى عباده وباقى الآية بين * وقوله سبحانه ولقد بوأنا بنى اسراءيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم المعنى ولقد اخترنا لبنى اسراءيل احسن اختيار واحللناهم من الاماكن احسن

محل ومبوأ صدق اي يصدق فيه ظن قاصده وساكنه ويعني بهذه الآية احلالهم بلاد الشام وبيت المقدس قاله قتادة وابن زيد وقيل بلاد الشام ومصر والاول اصح وقوله سبحانه فما اختلفوا اي فى نبوءة نبينا محمد عليه السلام وهذا التخصيص هو الذى وقع فى كتب المتأولين كلهم وهو تاويل يحتاج الى سند والتاويل الثانى الذى يحتمله اللفظ ان بنى اسراءيل لم يكن لهم اختلاف على موسى فى اول حاله فلما جاءهم العلم والاوامر وغرق فرعون اختلفوا فالآية ذامة لهم (ت) فر رحمه الله من التخصيص فوقع فيه فلو عمم اختلافهم على انبيائهم موسى وغيره وعلى نبينا لكان احسن وما ذهب اليه المتأولون من التخصيص احسن لقرينة قوله فان كنت فى شك فالربط بين الآيتين واضح والله اعلم * وقوله عز وجل فان كنت فى شك الآية الصواب فى معنى الآية انها مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها سواه من كل من يمكن ان يشك او يعارض (ت) وروينا عن ابى داود سليمان بن الاشعث قال حدثنا احمد بن حنبل قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء فى القرءان كفر قال عياض فى الشفا تأول بمعنى الشك وبمعنى الجدال انتهى والذين يقرءون الكتاب من قبلك من اسلم من اهل الكتاب كابن سلام وغيره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما ترلت هذه الآية انا لا اشك ولا اسأل ثم جزم سبحانه الخبر بقوله لقد جاءك الحق من ربك واللام فى لقد لام قسم * وقوله مما انزلنا اليك يريد به من ان بنى اسراءيل لم يختلفوا فى امره الا من بعد مجيئه عليه السلام هذا قول اهل التاويل قاطبة قال (ع) وهذا هو الذى يشبه ان ترجى ازالة الشك فيه من قبل اهل الكتاب ويحتمل اللفظ ان يريد بما انزلنا جميع

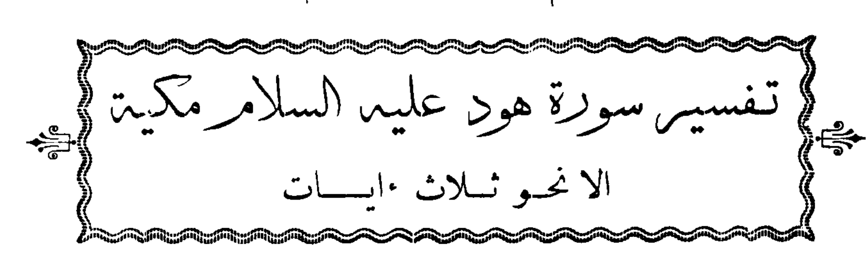
الشرع (ت) وهـذا التاويـل عنـدى ابـين اذا لخص وانكان قـد استبعـده (ع) ويكون المراد بمـا انزلنـا مـا ذكـره سبحانـه من قصصهم وذكر صفته عليـه السلام وذكر انبيائهم وصفتهم وسيرهم وسائر اخبارهم الموافقـة لمـا فى كتبهم المنزلة على انبيائهم كالتوراة والانجيـل والزبور والصحف وتكون هذه الآيـة تنظر الى قوله سبحانـه ماكان حديثـا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديـه فتأمله والله اعلم وامـا قوله هذا قول اهل التاويل قاطبـة فليس كذلك وقد تكلم صاحب الشفا على الآيـة فاحسن ولفظه واختلف فى معنى الآيـة فقيـل المراد قل يا محمـد للشاك ان كنت فى شك الآيـة قالوا وفى السورة نفسها ما دل على هـذا التاويـل وهو قوله تعالى قل يا ايهـا النـاس ان كنتم فى شك من دينى الآيـة ثم قال عيـاض وقيـل ان هـذا الشك الذى امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرءون الكتاب عنه انما هو فى ما قصـه الله تعالى من اخبار الامم لا فيما دعا اليـه من التوحيد والشريعـة انتهى * وقـوله سبحانـه فلا تكونن من الممترين ولاتكونن من الذين كذبوا بـئايات الله الآية مما خوطب بـه النبي صلى الله عليـه وسلم والمراد سواه قال (ع) ولهذا فائـدة ليست فى مخاطبـة الناس به وذلك شـدة التخويف لانـه اذا كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم يحـذر من مثـل هذا فغيره من الناس اولى ان يحذر ويتـق على نفسه * وقوله سبحانـه ان الذين حقت عليهم كلمات ربك اي حق عليهم فى الازل وخلقهم لعذابـه لايومنـون ولوجاءتهم كل ءايـة الا فى الوقت الذى لاينفعهم فيـه الايمـان كما صنع فرعون واشباهه وذلك وقت المعاينة * وقوله سبحانـه فلولا كانت قرية ءامت الآية وفى مصحف ابي وابن مسعود فهلا والمعنى فيهما واحـد واصل لولا التحضيض او الدلالة على منع امر لوجود غيره ومعنى الآيـة فهلا ءامن اهل قريـة وهم

على مهل لم يتلبس العذاب بهم فيكون الايمان نافعا لهم فى هذا الحال ثم استثنى قوم يونس فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع وهو بحسب المعنى متصل لان تقديره ما ءامن اهل قرية الا قوم يونس وروي فى قصة قوم يونس ان القوم لما كفروا اي تمادوا على كفرهم اوحى الله تعالى اليه ان انذرهم بالعذاب لثالثة ففعل فقالوا هو رجل لا يكذب فارقبوه فان اقام بين اظهركم فلا عليكم وان ارتحل عنكم فهو نزول العذاب لا شك فيه فلما كان الليل تزود يونس وخرج عنهم فاصبحوا فلم يجدوه فتابوا ودعوا الله وءامنوا ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد من الناس والبهائم وكان العذاب فيما روي عن ابن عباس على ثلثي ميل منهم وروي على ميل وقال ابن جبير غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فرفع الله عنهم العذاب فلما مضت الثالثة وعلم يونس ان العذاب لم ينزل بهم قال كيف انصرف وقد وجدونى فى كذب فذهب مغاضبا كما ذكر الله سبحانه فى غير هذه الآية وذهب الطبري الى ان قوم يونس خصوا من بين الامم بان تيب عليهم من بعد معاينة العذاب وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين وليس كذلك والمعاينة التى لا تنفع التوبة معها هي تلبس العذاب او الموت بشخص الانسان كقصة فرعون واما قوم يونس فلم يصلوا هذا الحد (ت) وما قاله الطبري عندى ابين ومتعناهم الى حين يريد الى ءاجالهم المقدرة فى الازل وروي ان قوم يونس كانوا بنينوى من ارض الموصل * وقوله سبحانه افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين المعنى افانت تكره الناس بادخال الايمان فى قلوبهم والله عز وجل قد شاء غير ذلك والرجس هنا بمعنى العذاب * وقوله سبحانه قل انظروا ما ذا فى السموات والارض الاية هذه الآية امر للكفار بالاعتبار والنظر فى المصنوعات الدالة على الصانع من ءايات السموات وافلاكها وكواكبها وسحابها ونحو ذلك والارض ونباتها ومعادنها

وغير ذلك المعنى انظروا فى ذلك بالواجب فهو ينهيكم الى المعرفة بالله وبوحدانيته ثم اخبر سبحانـه ان الآيات والنـذر وهم الانبيـاء لاتغنى الابمشيئـته فما على هذا نافية ويجوز ان تكون استفهاما فى ضمنه نفي وقوع الغنى وفى الآيـة على هذا توبيـخ لحاضرى النبي صلى الله عليه وسلم قال (ص) والنذر جمع نذير اما مصدر بمعنى الانذارات واما بمعنى منـذر انتهى * وقوله سبحانـه فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم الآية وعيد اذا لجوا فى الكفر حل بهم العذاب * وقوله سبحانـه ثم ننجى رسلنا والـذين ءامنوا اي عادة الله سلفت بانجاء رسله ومتبعيهم عند نزول العذاب بالكفرة كذلك حقا علينـا ننج المومنين قال (ص) اي مثل ذلك الانجاء الذى نجينا الرسل ومومنيهم ننجى من ءامن بك انتهى وخط المصحف فى هـذه اللفظـة ننج بجيم مطلقـة دون ياء وكلهم قرأ ننجى مشددة الجيم الا الكساءي وحفصـا عن عاصم فانهما قرءا بسكون النون وتخفيف الجيم * وقوله سبحانـه قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى الآيـة مخاطبة عامة للناس اجمعين الى يوم القيامـة * وقوله وان اقم وجهك للدين الآيـة الوجه فى هذه الآيـة بمعنى المنحى والمقصد اي اجعل طريقك واعتمالك للدين والشرع * وقوله تعـالى ولاتكونن من المشركين ولاتدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآيـة قد تقدم ان ما كان من هذا النوع فالخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره * وقوله سبحانه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الآيـة مقصود هـذه الآية ان الحول والقوة لله والضر لفظ جامع لكل ما يكرهه الانسان * وقوله وان يردك بخير لفظ تام العموم * وقوله سبحانـه قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسـه هذه مخاطبـة لجميـع الكفار ومستمرة مدى الدهر والحق هو القرءان والشرع الذى جاء بـه النبي صلى الله

عليه وسلم * وقوله وما انا عليكم بوكل منسوخة بالقتـال * وقوله سبحانـه واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين قوله حتى يحكم الله وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بان يغلبهم كما وقع وهذا الصبر منسوخ ايضا بالقتال وصلى الله على سيدنا ومولانا محمـد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمـن الـرحيم



تفسير سورة هود عليه السلام مكية
الا نحـو ثـلاث ءايـات

قال الداودي وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قلت يا رسول الله لقـد اسرع اليك الشيب قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وفى روايـة عن ابن عباس هود واخواتها انتهى * قوله عز وجل الر كتاب احكمت آياتـه اي اتقنت واجيدت وبهذه الصفـة كان القرءان فى الازل ثم فصل بتقطيعه وتبيين احكامه واوامره على محمد نبيه عليه السلام فى ازمنة مختلفة فثم على بابهـا فالاحكام صفـة ذاتيـة والتفصيل انمـا هو بحسب من يفصل له والكتاب باجمعه محكم ومفصل والاحكام الذى هو ضد النسخ والتفصيل الذى هو خلاف الاجمال انمـا يقالان مع ما ذكرناه باشتراك قال (ص) ثم فصلت ثم لترتيب الاخبار لا لترتيب الوقوع فى الزمان ولدن بمعنى عند انتهى قال الداودي وعن الحسن احكمت ءاياته قال احكمت بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد وعنه فصلت بالثواب والعقاب انتهى وقدم

النذير لان التحذير من النار هو الاهم وان استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته وذلك بطلب دخولكم فى الاسلام ثم توبوا من الكفر يمتعكم متاعا حسنا ووصف المتاع بالحسن لطيب عيش المومن برجائه فى ثواب ربه وفرحه بالتقرب اليه باداء مفترضاته والسرور بمواعيده سبحانه والكافر ليس فى شيء من هذا ويوت كل ذى فضل اي كل ذى احسان فضله فيحتمل ان يعود الضمير من فضله على ذى فضل اي ثواب فضله ويحتمل ان يعود على الله عز وجل اي يوتى الله فضله كل ذى فضل وعمل صالح من المومنين ونحو هذا المعنى ما وعد به سبحانه من تضعيف الحسنات وان تولوا فانى اخاف عليكم اي فقل انى اخاف عليكم عذاب يوم كبير وهو يوم القيامة ۞ وقوله سبحانه الا انهم يثنون صدورهم الآية قيل ان هذه الآية نزلت فى الكفار الذين كانوا اذا لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالمتستر وردوا اليه ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منهم وكراهية للقائه وهم يظنون ان ذلك يخفى عليه او عن الله عز وجل وقيل هي استعارة للغل والحقد الذى كانوا ينطوون عليه فمعنى الآية الا انهم يسرون العداوة ويتكتمون بها لتخفى فى ظنهم عن الله وهو سبحانه حين تغشيهم بثيابهم وابلاغهم فى التستر يعلم ما يسرون ويستغشون معناه يجعلونها اغشية واغطية قال (ص) قرأ الجمهور يثنون بفتح الياء مضارع ثنى الشيء ثنيا طواه انتهى وقرأ ابن عباس وجماعة تَثْنَوْنِى صدورهم بالرفع على وزن تفعوعل وهي تحتمل المعنيين المتقدمين وحكى الطبري عن ابن عباس على هذه القراءة ان هذه الآية نزلت فى قوم كانوا لا ياتون النساء والحدث الا ويستغشون ثيابهم كراهية ان يفضوا بفروجهم الى السماء ۞ وقوله عز وجل وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها الآية المراد جميع الحيوان المحتاج الى رزق والمستقر صلب الاب والمستودع بطن الام وقيل غير

هذا وقد تقدم * وقوله فى كتاب اشارة الى اللوح المحفوظ قال (ص) ليبلوكم اللام متعلقة بخلق وقيل بفعل محذوف اي اعلم بذلك ليبلوكم انتهى ولئن قلت اللام فى لئن موذنة بان اللام فى ليقولن لام قسم لا جواب شرط وقولهم ان هذا الا سحر مبين تناقض منهم لانهم مقرون بان الله خلق السموات والارض وهم مع ذلك ينكرون ما هو ايسر من ذلك وهو البعث من القبور واذ خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس * ولئن اخرنا عنهم العذاب اي المتوعد به الى امة معدودة اي مدة معدودة ليقولن ما يحبسه اي ما هذا الحابس لهذا العذاب على جهة التكذيب وحاق معناه حل واحاط البخاري حاق نزل * ولئن اذقنا الانسان منا رحمة الآية الرحمة هنا تعم جميع ما ينتفع به من مطعوم وملبوس وجاه وغير ذلك والانسان هنا اسم جنس والمعنى ان هذا الخلق فى سجية الانسان ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع والايمان الى الصبر والعمل الصالح وكفور هنا من كفر النعمة والنعماء تشمل الصحة والمال والضراء من الضر وهو ايضا شامل ولفظة ذهاب السيئات عنى يقتضى بطرا وجهلا ان ذلك بانعام من الله تعالى والسيئات هنا كل ما يسوء فى الدنيا والفرح هنا مطلق فلذلك ذم اذ الفرح انهمال النفس ولا ياتى الفرح فى القرءان ممدوحا الا اذا قيد بانه فى خير * وقوله الا الذين صبروا استثناء متصل على ما قدمنا من ان الانسان عام يراد به الجنس وهو الصواب ومن قال انه مخصوص بالكافر قال هاهنا الاستثناء منقطع وهو قول ضعيف من جهة المعنى لا من جهة اللفظ لان صفة الكفر لا تطلق على جميع الناس كما تقتضى لفظة الانسان واستثنى الله تعالى من الماشين على سجية الانسان هؤلاء الذين حملتهم الاديان على الصبر على المكاره والمثابرة على عبادة الله وليس شيء من ذلك فى سجية البشر وانما حمل على ذلك خوف الله

وحب الدار الآخرة والصبر على العمل الصالح لا ينفع الا مع هداية وايمان ثم وعد تعالى اهل هذه الصفة بالمغفرة للذنوب والتفضل بالاجر والنعيم * وقوله سبحانه فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز سبب هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد لو تركت سب ءالهتنا وتسفيه ءابائنا لجالسناك واتبعناك وقالوا له ايت بقرءان غير هذا او بدله ونحو هذا من الاقوال فخاطب الله تعالى نبيه عليه السلام على هذه الصورة من المخاطبة ووقفه بها توقيفا رادا على اقوالهم ومبطلا لها وليس المعنى انه عليه السلام هم بشيء من ذلك فزجر عنه فانه لم يرد قط ترك شيء مما اوحي اليه ولا ضاق صدره به وانما كان يضيق صدره باقوالهم وافعالهم وبعدهم عن الايمان قال (ص وع) وعبر بضائق وان كان اقل استعمالا من ضيق لمناسبة تارك ولان ضائق وصف عارض بخلاف ضيق فانه يدل على الثبوت والصالح هنا الاول بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم والضمير فى به عائد على البعض ويحتمل ان يعود على ما وان يقولوا اي كراهة ان يقولوا او ليلا يقولوا ثم انسه تعالى بقوله انما انت نذير اي هذا القدر هو الذى فوض اليك والله تعالى بعد ذلك هو الوكيل الممضى لايمان من شاء وكفر من شاء ام يقولون افتراه ام بمعنى بل والافتراء اخص من الكذب ولا يستعمل الا فيما بهت به المرء وكابر * وقوله سبحانه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين تقدم تفسير نظيرها وقال بعض الناس هذه الآية متقدمة على التى فى يونس اذ لا يصح ان يعجزوا فى واحدة ثم يكلفوا عشرا قال (ع) وقائل هذا القول لم يلحظ ما ذكرناه من الفرق بين التكليفين فى كمال المماثلة مرة كما هو فى سورة يونس ووقوفها على النظم مرة كما هو هنا وقوله ان

كنتم صادقين يريد فى ان القر ءان مفترى * وقوله سبحانه فالم يستجيبوا
لكم لهذه الآية تاويلان احدهما ان تكون المخاطبة من النبي صلى
الله عليه وسلم للكفار اي ويكون ضمير يستجيبوا على هذا التاويل عائدا
على معبوداتهم والثانى ان تكون المخاطبة من الله تعالى للمومنين ويكون
قوله على هذا فاعلموا بمعنى دوموا على علمكم قال مجاهد قوله تعالى فهل انتم
مسلمون هو لاصحاب محمد عليه السلام * وقوله سبحانه من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها الآية قال قتادة وغيره هي فى الكفرة وقال مجاهد
هي فى الكفرة واهل الرياء من المومنين واليه ذهب معاوية والتاويل
الاول ارجح بحسب تقدم ذكر الكفار وقال ابن العربي فى احكامه بل الآية
عامة فى كل من ينوى غير الله بعمله كان معه ايمان اولم يكن وفى هذه
الآية بيان لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ
ما نوى وذلك ان العبد لا يعطى الاعلى وجه قصده وبحكم ما ينعقد فى ضميره
وهذا امر متفق عليه * وقوله نوف اليهم اعمالهم فيها قيل ذلك فى
صحة ابدانهم وادرار ارزاقهم وقيل ان هذه الآية مطلقة وكذلك التى
فى حم عسق من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية الى ءاخرها
قيدتهما وفسرتهما الآية التى فى سورة سبحان وهي قوله تعالى من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الآية فاخبر سبحانه ان العبد
ينوى ويريد والله يحكم ما يريد ثم ذكر ابن العربي الحديث الصحيح فى النفر
الثلاثة الذين كانت اعمالهم رياء وهم رجل جمع القرءان ورجل قتل فى سبيل
الله ورجل كثير المال وقول الله لكل واحد منهم ماذا عملت ثم قال فى ءاخر
الحديث ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا ابا هريرة
اولائك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار ثم قرأ قوله تعالى اولائك

الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها اي فى الدنيا وهذا نص فى مراد الآية والله اعلم انتهى وحبط معناه بطل وسقط وهي مستعملة فى فساد الاعمال قال (ص) قوله ما صنعوا ما بمعنى الذى او مصدرية وفيها متعلق بحبط والضمير فى فيها عائد على الآخرة اي ظهر حبوط ما صنعوا فى الآخرة او متعلق بصنعوا فيكون عائدا على الدنيا انتهى والباطل كل ما تقتضى ذاته ان لا تنال به غاية فى ثواب ونحوه وقوله سبحانه افمن كان على بينة من ربه فى الآية تاويلات قال (ع) والراجح عندى من الاقوال فى هذه الآية ان يكون افمن للمومنين اولهم وللنبي صلى الله عليه وسلم معهم والبينة القرءان وما تضمن والشاهد الانجيل يريد او اعجاز القرءان فى قول والضمير فى يتلوه للبينة وفى منه للرب والضمير فى قبله للبينة ايضا وغير هذا مما ذكر محتمل فان قيل اذا كان الضمير فى قبله عائدا على القرءان فلم لم يذكر الانجيل وهو قبله وبينه وبين كتاب موسى فالجواب انه خص التوراة بالذكر لانه مجمع عليه والانجيل ليس كذلك لان اليهود تخالف فيه فكان الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الجميع اولى وهذا يجرى مع قول الجن انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى والاحزاب هاهنا يراد بهم جميع الامم وروى سعيد بن جبير عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يسمع بى من هذه الامة ولا من اليهود والنصارى ثم لا يومن بى الا دخل النار قال سعيد فقلت اين مصداق هذا فى كتاب الله حتى وجدته فى هذه الآية وكنت اذا سمعت حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم طلبت مصداقه فى كتاب الله عز وجل وقرأ الجمهور فى مرية بكسر الميم وهو الشك والضمير فى منه عائد على كون الكفرة موعدهم النار وسائر الآية بين * وقوله تعالى ويقول الاشهاد قالت

فرقــة يريــد الشهداء من الانبيـاء والمـلائكة وقالت فرقـه الاشهاد بمعنى
المشاهدين ويريد جميع الخلائق وفى ذالك اشادة بهم وتشهير لخزيهم وروي فى
نحو هذا حديث انه لا يخزى احد يوم القيامـة الا ويعلم ذلك جميـع من شهد
المحشر وباقى الآيـة بـين مما تقدم فى غيرها قال (ص) * وقوله الا لعنة الله على
الظالمين يحتمل ان يكون داخلا فى مفعول القول واليه نحـا بعضهم انتهى *
وقوله سبحانه ماكانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون يحتمل وجوها احدها
انه وصف سبحانـه هؤلاء الكفار بهذه الصفـة فى الدنيا على معنى انهم
لا يسمعون سماعـا ينتفعون بـه ولا يبصرون كذلك والثـانى ان يكـون
وصفهم بذلك من اجل بغضتهم فى النبي صلى الله عليه وسلم فهم لا يستطيعـون
ان يحملوا نفوسهم على السمع منه والنظر اليه ومـا فى هذين الوجهـين نافية
الثالث ان يكـون التقدير يضاعف لهم العذاب بمـا كانوا اي بسبب مـا كانوا
فما مصدريـة وباقى الآيـة بـين * وقوله سبحانه لاجرم انهم فى الآخرة هم
الاخسرون ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات واخبتـوا الى ربهم الآيـة لاجرم
تقدم بيانها واخبتوا قال قتادة معناه خشعوا وقيل معناه انابوا قاله ابن عبـاس
وقيل اطمأنوا قاله مجاهد وقيـل خافوا قاله ابن عباس ايضا وهذه اقوال بعضهـا
قريب من بعض * وقوله سبحانـه مثـل الفريقين الآيـة الفريقان الكافرون
والمومنون شبه الكافر بالاعمى والاصم وشبه المومن بالبصير والسميع فهـو
تمثيل بمثالـين * وقوله تعالى ولقد ارسلنـا نوحا الى قومه انى لكم نـذير
مبين الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال المـلأ الذين
كفروا من قـومه مـا نراك الا بشرا مثلنا الآيـة فيهـا تمثيل لقريش وكفار
العرب واعلام بان محمدا عليـه السـلام ليس ببدع من الرسل والاراذل جمـع
الجمـع فقيـل جمع ارذل وقيل جمع ارذال وهم سفلة النـاس ومن لا خلاق له

ولا يبالى ما يقول ولا ما يقال له وقرأ الجمهور بادي الرأي بياء دون همز من بدا يبدو فيحتمل ان يتعلق ببادي الرأي بنراك اي وما نراك باول نظر واقل فكرة وذلك هو بادي الرأي الا ومتبعوك اراذلنا ويحتمل ان يتعلق بقوله اتبعك اي وما نراك اتبعك بادي الرأي الا الاراذل ثم يحتمل على هذا قوله بادي الرأي معنيين احدهما ان يريدوا اتبعك فى ظاهر امرهم وعسى ان بواطنهم ليست معك والثانى ان يريدوا اتبعوك باول نظر وبالرأي البادى دون تثبت ويحتمل ان يكون قولهم بادي الرأي وصفا منهم لنوح اي تدعى عظيما وانت مكشوف الرأي لا حصافة لك ونصبه على الحال او على الصفة لبشر * وقوله سبحانه قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى وءاتانى رحمة من عنده الآية كانه قال ارأيتم ان هدانى الله واضلكم اجبركم على الهدى وانتم له كارهون وعبارة نوح عليه السلام كانت بلغته دالة على المعنى القائم بنفسه وهو هذا المفهوم من هذه العبارة العربية فبهذا استقام ان يقال قال كذا وكذا اذ القول ما افاد المعنى القائم فى النفس وقوله على بينة اي على امر بين جلي وقرأ الجمهور فعميت ولذلك وجهان من المعنى احدهما خفيت والثانى ان يكون المعنى فعميتم انتم عنها * وقوله انلزمكموها يريد الزام جبر كالقتال ونحوه واما الزام الايجاب فهو حاصل * وقوله وما انا بطارد الذين ءامنوا يقتضى ان قومه طلبوا طرد الضعفاء الذين بادروا الى الايمان به نظير ما اقترحت قريش وتزدرى اصله تزترى تفتعل من زرى يزرى ومعنى تزدرى تحتقر والخير هنا يظهر فيه انه خير الآخرة اللهم الا ان يكون ازدراؤهم من جهة الفقر فيكون الخير المال وقد قال بعض المفسرين حيث ما ذكر الله الخير فى القرءان فهو المال قال (ع) وفى هذا الكلام تحامل والذى يشبه ان يقال انه حيث ما ذكر الخير فان المال يدخل فيه (ت) وهذا ايضا غير ملخص

والصواب ان الخير اعم من ذلك كله وانظر قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فانه يشمل المال وغيره ونحوه وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وانظر قوله عليه السلام اللهم لا خير الا خير الآخرة وقوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا فهاهنا لا مدخل للمال الا على تجوز وقد يكون الخير المراد به المال فقط وذلك بحسب القرائن كقوله تعالى ان ترك خيرا الآية * وقوله الله اعلم بما فى انفسهم تسليم لله تعالى وقال بعض المتأولين هي رد على قولهم اتبعك اراذلنا فى ظاهر امرهم حسب ما تقدم فى بعض التاويلات ثم قال اني اذا لو فعلت ذلك لمن الظالمين وقولهم قد جادلتنا معناه قد طال منك هذا الجدال والمراد بقولهم بما تعدنا العذاب والهلاك وما انتم بمعجزين اي بمفلتين * وقوله سبحانه ام يقولون افتراه الآية قال الطبري رغيره هذه الآية اعترضت فى قصة نوح وهي فى شان النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش قال (ع) ولو صح هذا بسند لوجب الوقوف عنده والا فهو يحتمل ان يكون فى شان نوح عليه السلام وتتسق الآية ويكون الضمير فى افتراه عائدا على ما توعدهم به او على جميع ما اخبرهم به وام بمعنى بل * وقوله سبحانه واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد آمن الآية قيل لنوح هذا بعد ان طال عليه كفر القرن بعد القرن به وكان ياتيه الرجل بابنه فيقول يا بني لا تصدق هذا الشيخ فهكذا عهده ابي وجدى كذابا مجنونا رواه عبيد بن عمير وغيره فروي انه لما اوحي اليه ذلك دعا فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وتبتئس من البوس ومعناه لا تحزن * وقوله باعيننا يمكن ان يريد بمرأى منا فيكون عبارة عن الادراك والرعاية والحفظ ويكون جمع الاعين للعظمة لا للتكثير كما قال عز من قائل فنعم القادرون والعقيدة انه تعالى منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره ويحتمل قوله باعيننا اي بملائكتنا

الذين جعلناهم عيونا على مواضع حفظك ومعونتك فيكون الجمع على هذا التاويل للتكثير * وقوله ووحينا معناه وتعليمنا له صورة العمل بالوحي وروي فى ذلك ان نوحا عليه السلام لما جهل كيفية صنع السفينة اوحى الله اليه ان اصنعها على مثال جُؤْجُؤِ الطائر الى غيرذلك مما علمه نوح من عملها * وقوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا الآية قال ابن جريج فى هذه الآية تقدم الله الى نوح ان لا يشفع فيهم * وقوله ويصنع الفلك التقدير فشرع يصنع فحكيت حال الاستقبال والملأ هنا الجماعة * وقوله سخروا منه الآية السخر الاستجهال مع استهزاء وانما سخروا منه فى ان صنعها فى برية * وقوله فانا نسخر منكم قال الطبري يريد فى الآخرة قال (ع) ويحتمل الكلام وهو الارجح ان يريد انا نسخر منكم الآن والعذاب المخزى هو الغرق والمقيم هو عذاب الآخرة والامر واحد الامور ويحتمل ان يكون مصدر امر فمعناه امرنا للماء بالفوران وفار معناه انبعث بقوة واختلف الناس فى التنور والذى عليه الاكثر منهم ابن عباس وغيره انه هو تنور الخبز الذى يوقد فيه وقالوا كانت هذه امارة جعلها الله لنوح اي اذا فار التنور فاركب فى السفينة * وقوله سبحانه قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن الآية الزوج يقال فى مشهوركلام العرب للواحد مماله ازدواج فيقال هذا زوج هذا وهما زوجان والزوج ايضا فى كلام العرب النوع وقوله واهلك عطف على ما عمل فيه احمل والاهل هنا القرابة وبشرط من آمن منهم خصصوا تشريفا ثم ذكر من آمن وليس من الاهل واختلف فى الذى سبق عليه القول بالعذاب فقيل ابنه يام او كنعان وقيل امرأته والعة بالعين المهملة وقيل هو عموم فيمن لم يومن من اهل نوح ثم قال سبحانه اخبارا عن حالهم وما ءامن معه الا قليل * وقوله تعالى وقال اركبوا فيها اي وقال نوح لمن

معه اركبوا فيها وقوله بسم الله يصح ان يكون فى موضع الحال من ضمير اركبوا اي اركبوا متبركين بسم الله او قائلين بسم الله ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة ثانية من مبتدا وخبر لا تعلق لها بالاولى كانهم امرهم اولا بالركوب ثم اخبر ان مجراها ومرساها بسم الله قال الضحاك كان نوح اذا اراد جري السفينة جرت واذا اراد وقوفها قال بسم الله فتقف وقرأ الجمهور بضم الميم من مجراها ومرساها على معنى اجرائها وارسائها وقرأ الاخوان حمزة والكسائي وحفص بفتح ميم مجريها وكسر الراء وكلهم ضم الميم فى مرساها (ت) قوله وكسر الراء يريد امالتها وفى كلامه تسامح ولفظ البخاري مجراها مسيرها ومرساها موقفها وهو مصدر اجريت وارسيت انتهى قال النووي وروينا فى كتاب ابن السني بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال امان لامتي من الغرق اذا ركبوا ان يقولوا بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الآية هكذا هو فى النسخ اذا ركبوا ولم يقل فى السفينة انتهى * وقوله وكان فى معزل اي فى ناحية اي فى بعد عن السفينة او عن الدين واللفظ يعمها * وقوله ولا تكن مع الكافرين يحتمل ان يكون نهيا محضا مع علمه بانه كافر ويحتمل ان يكون خفي عليه كفره والاول ابين * وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الظاهر ان لاعاصم اسم فاعل على بابه وقوله الا من رحم يريد الا الله الراحم فمن كناية عن الله المعنى لاعاصم اليوم الا الذى رحمنا * وقوله سبحانه وقيل يا ارض ابلعى ماءك الآية البلع تجرع الشيء وازدراده والاقلاع عن الشيء تركه وغيض معناه نقص واكثر ما يجيء فيما هو بمعنى الجفوف وقوله وقضي الامر اشارة الى جميع القصة بعث الماء واهلاك الامم وانجاء اهل السفينة قال (ع) وتظاهرت الروايات وكتب التفسير بان الغرق نال جميع اهل الارض وعم الماء جميعها قاله ابن عباس وغيره وذلك بين من

امر نوح بحمل الازواج من كل الحيوان ولولا خوف فنائها من جميع الارض ما كان ذلك وروي ان نوحا عليه السلام ركب فى السفينة من عين الوردة بالشام اول يوم من رجب واستوت على الجودي فى ذى الحجة واقامت عليه شهرا وقيل له اهبط فى يوم عاشوراء فصامه هو ومن معه وروي ان الله تعالى اوحى الى الجبال ان السفينة ترسى على واحد منها فتطاولت كلها وبقي الجودي وهو جبل بالموصل فى ناحية الجزيرة لم يتطاول تواضعا لله فاستوت السفينة بامر الله عليه وقال الزجاج الجودي هو بناحية ٠امد وقال قوم هو عند باقردى واكثر الناس فى قصص هذه الآية والله اعلم بما صح من ذلك * وقوله وقيل بعدا يحتمل ان يكون من قول الله عز وجل عطفا على قوله وقيل الاول ويحتمل ان يكون من قول نوح والمومنين والاول اظهر * وقوله ان ابنى من اهلى الآية احتجاج من نوح عليه السلام ان الله امره بحمل اهله وابنه من اهله فينبغى ان يحمل فاظهر الله له ان المراد من آمن من الاهل وهذه الآية تقتضى ان نوحا عليه السلام ظن ان ابنه مومن * وقوله انه ليس من اهلك اي الذين عمهم الوعد لانه ليس على دينك وان كان ابنك بالولادة * وقوله عمل غير صالح جعله وصفا له بالمصدر على جهة المبالغة فى وصفه بذلك كما قالت الخنساء تصف ناقة ذهب عنها ولدها

ترتع ما رتعت حتى اذا ادّكرت * فانما هي اقبال وادبار

اي ذات اقبال وادبار ويبين هذا قراءة الكساءي انه عمل غير صالح فعلا ماضيا ونصب غير على المفعول لعمل وقول من قال ان الولد كان لغَية خطأ محض وهذا قول ابن عباس والجمهور قالوا واما قوله تعالى فخانتاهما فان الواحدة كانت تقول للناس هو مجنون والاخرى كانت تنبه على الاضياف واما خيانة غير هذا فلا ويعضده المعنى لشرف النبوءة وجوز المهدوي ان يعود

الضمير فى انه على السؤال اي ان سؤالك اياي ماليس لك به علم عمل غير صالح قاله النخعي وغيره انتهى والاول ابين وعليه الجمهور وبه صدر المهدوي ومعنى قوله فلاتسألني ما ليس لك به علم اي اذا وعدتك فاعلم يقينا انه لاخلف فى الوعد فاذا رأيت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك ان تقف وتعلم ان ذلك بحق واجب عند الله قال (ع) ولكن نوحا عليه السلام حملته شفقة الابوة وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء بتلطف وترفيع فى قوله سبحانه اني اعظك ان تكون من الجاهلين ويحتمل قوله فلاتسألني ما ليس لك به علم اي لا تطلب مني امرا لاتعلم المصلحة فيه علم يقين ونحا الى هذا ابو علي الفارسي وهذا والاول فى المعنى واحد * وقوله رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم انابة منه عليه السلام وتسليم لامر ربه والسؤال الذى وقع النهي عنه انما هو سؤال العزم الذى معه محاجة وطلبة ملحة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه واما السؤال على جهة الاسترشاد والتعلم فغير داخل فى هذا ثم قيل له اهبط بسلام وذلك عند نزوله من السفينة والسلام هنا السلامة والامن والبركات الخير والنمو فى كل الجهات وهذه العدة تعم جميع المومنين الى يوم القيامة قاله محمد بن كعب القرظي ثم قطع قوله وامم على وجه الابتداء وهؤلاء هم الكفار الى يوم القيامة * وقوله سبحانه تلك اشارة الى القصة وباقى الآية بين * وقوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا الآية عطف على قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه * وقوله وياقوم استغفروا ربكم الآية الاستغفار طلب المغفرة فقد يكون ذلك باللسان وقد يكون بانابة القلب وطلب الاسترشاد * وقوله ثم توبوا اليه اي بالايمان من كفركم والتوبة عقد فى ترك متوب منه يتقدمها علم بفساد المتوب منه وصلاح ما يرجع اليه ويقترن بها ندم على فارط المتوب منه

لا ينفك منه وهو من شروطها ومدرارا بناء تكثير وهو من در يدر وقد تقدمت قصة عاد * وقوله سبحانه ويزدكم قوة الى قوتكم ظاهره العموم فى جميع ما يحسن الله تعالى فيه الى العباد ويحتمل ان خص القوة بالذكر اذ كانوا اقوى العوالم فوعدوا بالزيادة فيما بهروا فيه ثم نهاهم عن التولى عن الحق وقولهم عن قولك اي لا يكون قولك سبب تركنا وقال (ص) عن قولك حال من الضمير فى تاركى اي صادرين عن قولك وقيل عن للتعليل كقوله الا عن موعدة وقولهم ان نقول الآية معناه ما نقول الا ان بعض ءالهتنا التى ضللت عبدتها اصابك بجنون يقال عر يعر واعترى يعترى اذا الم بالشيء * وقوله فكيدونى جميعا اي انتم واصنامكم ويذكر ان هذه كانت له عليه السلام معجزة وذلك انه حرض جماعتهم عليه مع انفراده وقوتهم وكفرهم فلم يقدروا على نيله بسوء وتنظرون معناه توءخرونى اي عاجلونى بما قدرتم عليه * وقوله ان ربى على صراط مستقيم يريد ان افعال الله عز وجل فى غاية الاحكام وقوله الصدق ووعده الحق وعنيد من عند اذا عتا * وقوله سبحانه واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة الآية حكم عليهم سبحانه بهذا لموافاتهم على الكفر ولا يلعن معين حي لا من كافر ولا من فاسق ولا من بهيمة كل ذلك مكروه بالاحاديث (ت) وتعبيره بالكراهة لعله يريد التحريم ويوم ظرف ومعناه ان اللعنة عليهم فى الدنيا وفى يوم القيامة ثم ذكر العلة الموجبة لذلك وهي كفرهم بربهم وباقى الآية بين * وقوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا الآية التقدير وارسلنا الى ثمود وانشأكم من الارض اي اخترعكم واوجدكم وذلك باختراع ءادم عليه السلام وقال (ص) من الارض لابتداء الغاية باعتبار الاصل المتولد منه النبات المتولد منه الغذاء المتولد منه المني ودم الطمث المتولد عنه الانسان انتهى وقد نقل (ع) فى

غير هذا الموضع نحو هذا ثم اشار الى مرجوحيته وانه داع الى القول بالتولد
قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى واستعمركم فيها اي خلقكم لعمارتها
ولا يصح ان يقال هو طلب من الله لعمارتها كما زعم بعض الشافعية (ت)
والمفهوم من الآية انها سيقت مساق الامتنان عليهم انتهى وقولهم يا صالح
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا قال جمهور المفسرين معناه مسودا نؤمل فيك
ان تكون سيدا سادا مسد الاكابر وقولهم واننا لفى شك مما تدعونا اليه
مريب معنى مريب ملبس متهم وقوله ارأيتم اي اتدبرتم فالرؤية قلبية وءاتانى
منه رحمة يريد النبوءة وما انضاف اليها وقال (ص) قد تقرر فى ارأيتم انها بمعنى
اخبرونى انتهى والتخسير هو من الخسارة وليس التخسير فى هذه الآية
الا لهم وفى حيزهم وهذا كما تقول لمن توصيه انا اريد بك خيرا وانت تريد
بى شرا وقال (ص) غير تخسير من خسر وهو هنا للنسبية كفسقته وفجرته
اذا نسبته اليهما (ت) ونقل الثعلبي عن الحسين بن الفضل قال لم يكن
صالح فى خسارة حين قال فما تزيدوننى غير تخسير وانما المعنى ما تزيدوننى
بما تقولون الا نسبتى اياكم للخسارة وهو من قول العرب فسقته وفجرته
اذا نسبته الى الفسوق والفجور انتهى وهو حسن وباقى الآية بين قد
تقدم الكلام فى قصصها * واخذ الذين ظلموا الصيحة قال ابو البقاء فى
حذف التاء من اخذ ثلاثة اوجه احدها انه فصل بين الفعل والفاعل
والثانى ان التانيث غير حقيقي والثالث ان الصيحة بمعنى الصياح فحمل على
المعنى انتهى وقد اشار (ع) الى الثلاثة واختار الاخير * وقوله سبحانه ولقد
جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الرسل الملائكة قال المهدوي بالبشرى يعنى
بالولد وقيل البشرى بهلاك قوم لوط انتهى قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما
وقرأ حمزة والكساءي قالوا سلاما قال سلم فيحتمل ان يريد بالسلم السلام

ويحتمل ان يريد بالسلم ضد الحرب وحنيذ بمعنى محنوذ ومعناه بعجل مشوي نضج يقطر ماؤه وهذا القطر يفصل الحنيذ من جملة المشويات وهيئة المحنوذ فى اللغة الذى يغطى بحجارة او رمل محمى او حائل بينه وبين النار يغطى به والمعرض من الشواء الذى يصفف على الجمر والمضهب الشواء الذى بينه وبين النار حائل ويكون الشواء عليه لامدفونا به والتحنيذ فى تضمير الخيل هو ان يغطى الفرس بجل على جل ليتصبب عرقه ونكرهم على ما ذكر كثير من الناس معناه انكرهم واوجس منهم خيفة من اجل امتناعهم من الاكل اذ عرف من جاء بشر الا يا كل طعام المنزول به قال ابن العربي فى احكامه ذهب الليث بن سعد الى ان الضيافة واجبة لقوله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة وما وراء ذلك صدقة وفى رواية ثلاثة ايام ولا يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه وهذا حديث صحيح خرجه الايمة واللفظ للترمذي وذهب علماء الفقه الى ان الضيافة لاتجب وحملوا الحديث على الندب قال ابن العربي والذى اقول به ان الضيافة فرض على الكفاية ومن الناس من قال انها واجبة فى القرى حيث لامأوى ولا طعام بخلاف الحواضر لتيسر ذلك فيها قال ابن العربي ولا شك ان الضيف كريم والضيافة كرامة فان كان عديما فهي فريضة انتهى واوجس معناه احس والوجيس ما يعترى النفس عند الحذر واوائل الفزع * وقوله سبحانه فضحكت قال الجمهور هو الضحك المعروف وذكر الطبري ان ابراهيم عليه السلام لما قدم العجل قالوا له انا لانا كل طعاما الا بثمن فقال لهم ثمنه ان تذكروا الله تعالى عليه فى اوله وتحمدوه فى ءاخره فقال جبريل لاصحابه بحق اتخذ الله هذا خليلا ثم بشر الملائكة سارة باسحاق وبان اسحاق سيلد يعقوب ويسمى ولد الولد وراء وهو قريب من معنى

وراء فى الظرف اذ هو ما يكون خلف الشيء وبعده وقال (ص) وراء هنا استعمل غير ظرف لدخول من عليه اي ومن بعد اسحاق انتهى وقولها ياويلتى الالف بدل من ياء الاضافة اصلها ياويلتى ومعنى ياويلتا فى هذا الموضع العبارة عما دهم النفس من العجب فى ولادة عجوز ومن امر الله واحد الامور * وقوله سبحانه رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت يحتمل ان يكون دعاء وان يكون خبرا (ص) ونصب اهل البيت على النداء او على الاختصاص او على المدح انتهى وهذه الآية تعطى ان زوجة الرجل من اهل بيته (ت) وهي هنا من اهل البيت على كل حال لانها من قرابته وابنة عمه والبيت فى هذه الآية وفى سورة الاحزاب بيت السكنى * وقوله فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا اي اخذ يجادلنا فى قوم لوط * وقوله تعالى ان ابراهيم لحليم اواه منيب وصف عليه السلام بالحلم لانه لم يغضب قط لنفسه الا ان يغضب لله وامره بالاعراض عن المجادلة يقتضى انها انما كانت فى الكفرة حرصا على اسلامهم وامر ربك واحد الامور اي نفذ فيهم قضاؤه سبحانه وهذه الآية مقتضية ان الدعاء انما هو ان يوفق الله الداعي الى طلب المقدور فاما الدعاء فى طلب غير المقدور فغير مجد ولا نافع (ت) والكلام فى هذه المسئلة متسع رحب ومن احسن ما قيل فيها قول الغزالي فى الاحياء فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا يرد فالجواب ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات انتهى وقد اطال فى المسئلة ولولا الاطالة لاتيت بنبذ يثلج لها الصدر وخرج الترمذي فى جامعه عن ابى خزامة واسمه رفاعة عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ارأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة

نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هي من قدر الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن وفى بعض نسخه حسن صحيح انتهى فليس وراء هذا الكلام من السيد المعصوم مرمى لاحد وتأمل جواب الفاروق لابى عبيدة حين هم بالرجوع من اجل الدخول على ارض بها الطاعون وهي الشام * وقوله سبحانه ولما جاءت رسلنا لوطا الرسل هنا الملائكة اضياف ابراهيم قال المهدوي والرسل هنا جبريل وميكائيل واسرافيل ذكره جماعة من المفسرين انتهى والله اعلم بتعيينهم فان صح فى ذلك حديث صير اليه والا فالواجب الوقف وسيء بهم اي اصابه سوء والذرع مصدر مأخوذ من الذراع ولما كان الذراع موضع قوة الانسان قيل فى الامر الذى لاطاقة له به ضاق بهذا الامر ذراع فلان وذرع فلان اي حيلته بذراعه وتوسعوا فى هذا حتى قلبوه فقالوا فلان رحب الذراع اذا وصفوه باتساع القدرة وعصيب بناء اسم فاعل معناه يعصب الناس بالشر فهو من العصابة ثم كثر وصفهم لليوم بعصيب ومنه * وقد سلكوك فى يوم عصيب * وبالجملة فعصيب فى موضع شديد وصعب الوطأة ويهرعون معناه يسرعون ومن قبل كانوا يعملون السيئات اي كانت عادتهم اتيان الفاحشة فى الرجال * وقوله هؤلاء بناتى هن اطهر لكم يعنى بالتزويج وقولهم وانك لتعلم ما نريد اشارة الى الاضياف فلما رأى لوط استمرارهم فى غيهم قال على جهة التفجع والاستكانة لو ان لى بكم قوة قال (ع) لوان جوابها محذوف اي لفعلت كذا وكذا ويروى ان الملائكة وجدت عليه حين قال هذه الكلمات وقالوا ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوى الى ركن شديد فالعجب منه لما استكان قال (ع) وانما خشي لوط عليه السلام ان يمهل الله اولائك العصابة حتى يعصوه فى الاضياف كما امهلهم فيما قبل ذلك ثم ان جبريل عليه السلام ضرب القوم

بجناحه فطمس اعينهم ثم امروا لوطا بالسُّرَى واعلموه بان العذاب نازل بالقوم فقال لهم لوط فعذبوهم الساعة فقالوا له ان موعدهم الصبح اي بهذا امر الله ثم انسوه فى قلقه بقولهم اليس الصبح بقريب والقطع القطعة من الليل قال (ص) الا امرأتك ابن كثير وابوعمرو بالرفع والباقون بالنصب فقيل كلاهما استثناء من احد وقيل النصب على الاستثناء من اهلك انتهى * وقوله سبحانه وامطرنا عليها حجارة من سجيل ذهبت فرقة منهم ابن عباس الى ان الحجارة التى رموا بها كانت كالآجر المطبوخ كانت من طين قد تحجر وان سجيلا معناها ماء وطين وهذا القول هو الذى عليه الجمهور وقالت فرقة من سجيل معناه من جهنم لانه يقال سجيل وسجين حفظ فيها بدل النون لاما وقيل غير هذا ومنضود معناه بعضه فوق بعض متتابع ومسومة اي معلمة بعلامة * وقوله تعالى وما هي اشارة الى الحجارة والظالمون قيل يعنى قريشا وقيل يريد عموم كل من اتصف بالظلم وهذا هو الاصح وقيل يعنى بهذا الاعلام بان هذه البلاد قريبة من مكة وما تقدم ابين * وقوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير الآية قوله بخير قال ابن عباس معناه فى رخص من الاسعار وقيل قوله بخير عام فى جميع نعم الله تعالى وتعثوا معناه تسعون فى فساد يقال عثا يعثو وعثي يعثى اذا افسد * وقوله بقيت الله خير لكم قال ابن عباس معناه الذى يبقى الله لكم من اموالكم بعد توفيتكم الكيل والوزن خير لكم مما تستكثرون به على غير وجهه وهذا تفسير يليق بلفظ الآية وقال مجاهد معناه طاعة الله وهذا لا يعطيه لفظ الآية قال (ص) وقرأ الحسن تقية الله اي تقواه قال (ع) وانما المعنى عندى ابقاء الله عليكم ان اطعتم وقولهم اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا قالت فرقة ارادوا الصلوات المعروفة وروي

ان شعيبا عليه السلام كان اكثر الانبياء صلاة وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض عليه الصلاة والزكاة وقيل ارادوا ادعواتك وذلك ان من حصل فى رتبة من خير او شر ففى الاكثر تدعوه رتبته الى التزيد من ذلك النوع فمعنى هذا لما كنت مصليا تجاوزت الى ذم شرعنا وحالنا فكأن حاله من الصلاة جسرته على ذلك فقيل امرته كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال (ص و ع) او ان نفعل معطوف على ما يعبد واو للتنويع انتهى وظاهر حالهم الذى اشاروا اليه هو بخس الكيل والوزن الذى تقدم ذكره وروي ان الاشارة الى قرضهم الدينار والدرهم واجراء ذلك مع الصحيح على جهة التدليس قاله محمد بن كعب القرظي وتؤول ايضا بمعنى تبديل السكك التى يقصد بها اكل اموال الناس قال ابن العربي قال ابن المسيب قطع الدنانير والدراهم من الفساد فى الارض وكذلك قال زيد بن اسلم فى هذه الآية وفسرها به ومثله عن يحيى بن سعيد من رواية مالك قال ابن العربي واذا كان قطع الدنانير والدراهم وقرضها من الفساد عوقب من فعل ذلك وقرض الدراهم غير كسرها فان الكسر فساد الوصف والقرض تنقيص للقدر وهو اشد من كسرها فهو كالسرقة انتهى من الاحكام مختصرا وبعضه بالمعنى وقولهم انك لانت الحليم الرشيد قيل انهم قالوه على جهة الحقيقة اي انت حليم رشيد فلا ينبغى لك ان تنهانا عن هذه الاحوال وقيل انما قالوا هذا على جهة الاستهزاء * وقوله ورزقنى منه رزقا حسنا اي سالما من الفساد الذى ادخلتم فى اموالكم وجواب الشرط الذى فى قوله ان كنت على بينة من ربى محذوف تقديره اضل كما ضللتم او اترك تبليغ رسالة ربى ونحو هذا * وقوله لايجرمنكم معناه لا يكسبنكم وشقاقي معناه مشاقتى وعداوتى وان مفعولة بيجرمنكم قال (ص و ع) وما

قوم لوط منكم ببعيد اي بزمان بعيد او بمكان قال (ص) ودود بناء مبالغة من ود الشيء اذا احبه وءاثره (ع) ومعناه ان افعاله سبحانه ولطفه بعباده لما كانت فى غاية الاحسان اليهم كانت كفعل من يتودد ويود المصنوع له وقولهم ما نفقه كقول قريش قلوبنا فى اكنة والظاهر من قولهم انا لنراك فينا ضعيفا انهم ارادوا ضعف الانتصار والقدرة وان رهطه الكفرة يراعون فيه والرهط جماعة الرجل وقولهم لرجمناك اي بالحجارة قاله ابن زيد وقيل بالسب باللسان وقولهم بعزيز اي بذى منعة وعزة ومنزلة والظهري الشيء الذى يكون وراء الظهر وذلك يكون فى الكلام على وجهين اما بمعنى الاطراح كما تقول جعلت كلامى وراء ظهرك ودبر اذنك وعلى هذا المعنى حمل الجمهور الآية اي اتخذتم امر الله وشرعه وراء ظهوركم اي غير مراعى واما بان يستند اليه ويلجأ كما قال عليه السلام والجأت ظهرى اليك وعلى هذا المعنى حمل الآية قوم اي وانتم تتخذون الله سند ظهوركم وعماد آمالكم * وقوله اعملوا على مكانتكم معناه على حالاتكم وفيه تهديد * وقوله سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هوكاذب وارتقبوا انى معكم رقيب والصحيح ان الوقف فى قوله انى عامل * وقوله سبحانه واخذت الذين ظلموا الصيحة الآية الصيحة هي صيحة جبريل عليه السلام * وقوله سبحانه كان لم يغنوا فيها الآية يغنوا معناه يقيمون بنعمة وخفض عيش ومنه المغانى وهي المنازل المعمورة بالاهل وضمير فيها عائد على الديار * وقوله بعدا مصدر دعا به كقولك سحقا للكافرين وفارقت هذه قولهم سلام عليكم لان بعدا اخبار عن شيء قد وجب وتحصل وتلك انما هي دعاء مرتجى ومعنى البعد فى قراءة بعدت بكسر العين الهلاك وهي قراءه الجمهور ومنه قول خرنق بنت هفان

لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وءافة الجزر

ومنه قول مالك بن الربيع

يقولون لا تبعد وَهم يدفنوني * واين مكان البعد الا مكانيا

واما من قرأ بعدت وهو السامي وابوحيوة فهو من البعد الذي هو ضد القرب ولا يدعى به الا على مبغوض قال (ص) وقال ابن الانباري من العرب من يسوى بين الهلاك والبعد الذى هوضد القرب فيقولون فيهما بعد يبعد وبعد يبعد انتهي * وقوله سبحانه فاتبعوا امر فرعون اي وخالفوا امر موسى وما امر فرعون برشيد اي بمرشد الى خير وقال (ع) برشيد اي بمصيب فى مذهبه يقدم قومه اي يقدمهم الى النار والورد فى هذه الآية هو ورود دخول قال (ص) والورد فاعل بيس والمورود المخصوص بالذم وفى الاول حذف اي مكان الورد ليطابق المخصوص بالذم وجوز (ع) وابو البقاء ان يكون المورود صفة لمكان الورد والمخصوص محذوف اي بيس مكان الورد المورود النار والورد يجوز ان يكون مصدرا بمعنى الورود او بمعنى الواردة من الابل وقيل الورد بمعنى الجمع للوارد والمورود صفة لهم والمخصوص بالذم ضمير محذوف اي بيس القوم المورود بهم هم انتهى واتبعوا فى هذه لعنة يريد دار الدنيا * وقوله بيس الرفد المرفود اي بيس العطاء المعطى لهم وهو العذاب والرفد فى كلام العرب العطية * وقوله سبحانه ذلك من انباء القرى الآية ذلك اشارة الى ما تقدم من ذكر العقوبات النازلة بالامم المذكورة منها قائم وحصيد اي منها قائم الجدرات ومتهدم داثر والآية بجملتها متضمنة التخويف وضرب المثل للحاضرين من اهل مكة وغيرهم والتتبيب الخسران ومنه تبت يدا ابى لهب * وقوله وكذلك الاشارة الى ما ذكر من الاخذات فى الامم وهذه ءاية وعيد يعم قرى المومنين والكافرين فان ظالمة اعم من كافرة وقد يمهل الله تعالى بعض الكفرة واما

الظلمة فمعاجلون فى الغالب وقد يملى لبعضهم وفى الحديث من رواية ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة الآية وهذه قراءة الجماعة وهي تعطى بقاء الوعيد واستمراره فى الزمان ان فى ذلك لاية اي لعبرة وعلامة اهتداء لمن خاف عذاب الآخرة ثم عظم الله امر الآخرة فقال ذلك يوم مجموع له الناس وهو يوم الحشر وذلك يوم مشهود بشهده الاولون والآخرون من الملائكة والانس والجن والحيوان فى قول الجمهور وما نوخره الا لاجل معدود لا يتقدم عنه ولا يتأخر قال (ص) والظاهر ان ضمير فاعل ياتى يعود على ما عاد عليه ضمير نوخره والناصب ليوم لا تكلم والمعنى لا تكلم نفس يوم ياتى ذلك اليوم الا باذنه سبحانه انتهى * وقوله تعالى فمنهم عائد على الجمع الذى يتضمنه قوله نفس اذ هو اسم جنس يراد به الجمع فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق وهي اصوات المكروبين والمحزونين والمعذبين ونحو ذلك قال قتادة الزفير اول صوت الحمار والشهيق آخره فصياح اهل النار كذلك وقال ابو العالية الزفير من الصدر والشهيق من الحلق والظاهر ما قال ابو العالية * وقوله سبحانه خالدين فيها ما دامت السموات والارض يروى عن ابن عباس ان الله خلق السموات والارض من نور العرش ثم يردهما الى هنالك فى الآخرة فلهما ثم بقاء دائم وقيل معنى ما دامت السموات والارض العبارة عن التابيد بما تعهده العرب وذلك ان من فصيح كلامها اذا ارادت ان تخبر عن تابيد شيء ان تقول لا افعل كذا وكذا امد الدهر وما ناح الحمام وما دامت السموات والارض وقيل غير هذا قال (ص) وقيل المراد سموات الآخرة وارضها يدل عليه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات انتهى واما قوله الا ما شاء ربك فى الاستثناء ثلاثة

اقوال احدها انه متصل اي الا ما شاء ربك من اخراج الموحدين وعلى هذا يكون قوله فاما الذين شقوا عام فى الكفرة والعصاة ويكون الاستثناء من خالدين وهذا قول قتادة وجماعة الثانى ان هذا الاستثناء ليس بمتصل ولا منقطع وانما هو على طريق الاستثناء الذى ندب اليه الشرع فى كل كلام فهو على نحو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله الثالث ان الا فى هذه الآية بمعنى سوى والاستثناء منقطع وهذا قول الفراء فانه يقدر الاستثناء المنقطع بسوى وسيبويه يقدره بلكن اي سوى ما شاء الله زائدا على ذلك ويؤيد هذا التاويل قوله بعد عطاء غير مجذوذ وقيل سوى ما اعد الله لهم من انواع العذاب واشد من ذلك كله سخطه سبحانه عليهم وقيل الاستثناء فى الآيتين من الكون فى النار والجنة وهو زمان الموقف وقيل الاستثناء فى الآية الاولى من طول المدةو ذلك على ما روي ان جهنم تخرب ويعدم اهلها وتخفق ابوابها فهم على هذا يخلدون حتى يصير امرهم الى هذا قال (ع) وهذا قول محتمل والذى روي ونقل عن ابن مسعود وغيره ان ما يخلى من النار انما هو الدرك الاعلى المختص بعصاة المومنين وهذا الذى يسمى جهنم وسمي الكل به تجوزا (ت) وهذا هو الصواب ان شاء الله وهو تاويل صاحب العاقبة ان الذى يخرب ما يخص عصاة المومنين وتقدم الكلام على نظير هذه الآية وهو قوله فى الانعام خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم قال (ع) والاقوال المترتبة فى الاستثناء الاول مرتبة فى الاستثناء الثانى فى الذين سعدوا الا تاويل من قال هو استثناء المدة التى تخرب فيها جهنم فانه لا يترتب هنا والمجذوذ المقطوع والاشارة بقوله مما يعبد هؤلاء الى كفار العرب وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص معناه من العقوبة وقال الداودي عن ابن عباس وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص

قال مـا قدر لهم من خير وشر انتهى * وقوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه اي اختلف الناس عليه فلا يعظم عليك يا محمد امر من كذبك وقال (ص) فيه الظاهر عوده على الكتاب ويجوز ان يعود على موسى وقيل فى بمعنى على اي عليه انتهى والكلمة هنا عبارة عن الحكم والقضاء * لقضي بينهم اي لفصل بين المومن والكافر بنعيم هذا وعذاب هذا ووصف الشك بالريب تقوية لمعنى الشك فهذه الآية يحتمل ان يكون المراد بها امة موسى ويحتمل ان يراد بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم وان يعمهم اللفظ احسن ويؤيده قوله وان كلا وقرأ نافع وابن كثير وان كلا لما وقرأ ابو عمرو والكساءي بتشديد ان وقرأ حمزة وحفص بتشديد ان وتشديد لما فالقراءتان المتقدمتان بمعنى فان فيهما على بابها وكلا اسمها وعرفها ان تدخل على خبرها لام وفى الكلام قسم تدخل لامه ايضا على خبر ان فلما اجتمع لامان فصل بينهما بما هذا قول ابى علي والخبر فى قوله ليوفينهم وهذه الآية وعيد ومعنى الآية ان كل الخلق موفى عمله * وقوله عز وجل فاستقم كما امرت ومن تاب معك امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة وهو عليها انما هو امر بالدوام والثبوت وهو امر لسائر الامة وروي ان بعض العلماء رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال يا رسول الله بلغنا عنك انك قلت شيبتني هود واخواتها فما الذى شيبك من هود فقال له قوله عز وجل فاستقم كما امرت قال (ع) والتاويل المشهور فى قوله عليه السلام شيبتني هود واخواتها انه اشارة الى ما فيها مما حل بالامم السالفة فكان حذره على هذه مثل ذلك شيبه عليه السلام * وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا الآية الركون السكون الى الشيء والرضى به قال ابو العالية الركون الرضى قال ابن زيد الركون الادهان قال (ع) فالركون يقع على قليل هذا المعني وكثيره والنهي هنا يترتب من معنى الركون على

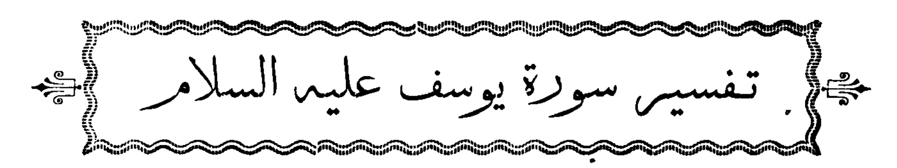
الميل اليهم بالشرك معهم الى اقل الرتب من ترك التغيير عليهم مع القدرة والذين ظلموا هنا هم الكفرة ويدخل بالمعنى اهل المعاصى * وقوله سبحانه واقم الصلوة طرفي النهار الآية لا خلاف ان الصلاة فى هذه الآية يراد بها الصلوات المفروضة واختلف فى طرفي النهار وزلف الليل فقيل الطرف الاول الصبح والثانى الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء قاله مجاهد وغيره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فى المغرب والعشاء هما زلفتا الليل وقيل الطرف الاول الصبح والثانى العصر قاله الحسن وقتادة والزلف المغرب والعشاء وليست الظهر فى هذه الآية على هذا القول بل هي فى غيرها قال (ع) والاول احسن الاقوال عندى ورجح الطبري القول بان الطرفين الصبح والمغرب وهو قول ابن عباس وغيره وانه لظاهر الاان عموم الصلوات الخمس بالآية اولى والزلف الساعات القريب بعضها من بعض * وقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ذهب جمهور المتأولين من صحابة وتابعين الى ان الحسنات يراد بها الصلوات الخمس والى هذه الآية ذهب عثمان رضي الله عنه فى وضوئه على المقاعد وهو تاويل مالك وقال مجاهد الحسنات قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال (ع) وهذا كله انما هو على جهة المثال فى الحسنات ومن اجل ان الصلوات الخمس هي معظم الاعمال والذى يظهر ان لفظ الآية عام فى الحسنات خاص فى السيئات بقوله عليه السلام ما اجتنبت الكبائر وروي ان هذه الآية نزلت فى رجل من الانصار وهو ابو اليسر بن عمرو وقيل اسمه عباد خلا بامرأة فقبلها وتلذذ بها فيما دون الجماع ثم جاء الى عمر فشكا اليه فقال له قد ستر الله عليك فاستر على نفسك فقلق الرجل فجاء ابا بكر فشكا اليه فقال له مثل مقالة عمر فقلق الرجل فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فصلى معه ثم اخبره وقال اقض

في ما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلها زوجة غاز فى سبيل الله قال نعم فوبخه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما ادرى فنزلت هذه الآيـة فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه فقال معاذ بن جبل يا رسول الله اهذا له خاصة فقال بل للناس عامة قال ابن العربي فى احكامه وهذا الحديث صحيح رواه الايمة كلهم انتهى قال (ع) وروي ان الآيـة قد كانت نزلت قبـل ذلك واستعملها النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك الرجل وروي ان عمر قال ما حكي عن معـاذ وفى الحديث عنه صلى الله عليـه وسلم انـه قال الجمعـة الى الجمعـة والصلوات الخمس ورمضان الى رمضـان كفـارة لمـا بينهـا ان اجتنبت الكبائر * وقوله ذلك ذكرى اشـارة الى الصلوات اي هي سبب الذكرى وهي العظة ويحتمـل ان تكون اشـارة الى الاخبـار بان الحسنـات يذهبن السيئات ويحتمل ان تكون اشارة الى جميع ما تقدم من الاوامر والنواهى والقصص فى هـذه السورة وهو تفسير الطبري * فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية الآية لولا هي التي للتحضيض لكن يقترن بها هنا معنى التفجع والتأسف الذى ينبغى ان يقع من البشر على هذه الامم التى لم تهتد وهذا نحو قـوله سبحانـه يا حسرة على العباد والقرون من قبلنا قوم نوح وعاد وثمود ومن تقدم ذكره * وقوله اولوا بقية اي اولوا بقية من عقل وتمييز ودين * ينهون عن الفساد وانما قيل بقية لان الشرائع والدول ونحوهـا قوتهـا فى اولهـا ثم لا تزال تضعف فمن ثبت فى وقت الضعف فهو بقية الصدر الاول * والفساد فى الارض هو الكفر وما اقترن بـه من المعاصى وهذه الآيـة فيها تنبيـه لهذه الامة وحض على تغيير المنكر ثم استثنى الله عز وجل القوم الذين نجاهم مع انبيائهم وهم قليـل بالاضافـة الى جماعاتهم وقليلا استثناء منقطع اي لكن قليـلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد والمترف المنعم الذى شغلتـه تُرْفَتُـه عن الحق حتى

هلاك * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه سبحانه وتعالى عن ذلك * ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اي مومنة لا يقع منهم كفر قاله قتادة ولكنه عز وجل لم يشأ ذلك فهم لا يزالون مختلفين فى الاديان والآراء والملل هذا تاويل الجمهور * الا من رحم ربك اي بان هداه الى الايمان * وقوله تعالى ولذلك خلقهم قال الحسن اي وللاختلاف خلقهم قال (ع) وذلك ان الله تعالى خلق خلقا للسعادة وخلقا للشقاوة ثم يسر كلا لما خلق له وهذا نص فى الحديث الصحيح وجعل بعد ذلك الاختلاف فى الدين على الحق هو امارة الشقاوة وبه علق العقاب فيصح ان يحمل قول الحسن هنا وللاختلاف خلقهم اي لثمرة الاختلاف وما يكون عنه من شقاوة اوسعادة وقال اشهب سألت مالكا عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقيل غير هذا * وقوله تعالى وتمت كلمة ربك اي نفذ قضاؤه وحق امره واللام فى لاملأن لام قسم * وقوله سبحانه وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وكلا مفعول مقدم بنقص وما بدل من قوله وكلا ونثبت به فؤادك اي نؤنسك فيما تلقاه ونجعل لك الاسوة * وجاءك فى هذه الحق قال الحسن هذه اشارة الى دار الدنيا وقال ابن عباس هذه اشارة الى السورة وهو قول الجمهور قال (ع) ووجه تخصيص هذه السورة بوصفها بحق والقرءان كله حق ان ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبيه للناظر اي جاءك فى هذه السورة الحق الذى اصاب الامم الماضية وهذا كما يقال عند الشدائد جاء الحق وان كان الحق ياتى فى غير الشدائد ثم وصف سبحانه ان ما تضمنته السورة هو موعظة وذكرى للمومنين * وقوله سبحانه وقل للذين لا يومنون الآية ءاية وعيد * وقوله تعالى ولله غيب السموات والارض الآية ءاية تعظيم وانفراد بما لا حظ لمخلوق فيه ثم امر سبحانه

العبد بعبادته والتوكل عليه وفيهما زوال همه وصلاحه ووصوله الى رضوان الله تعالى فقال فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون اللهم اجعلنا ممن توكل عليك ووفقته لعبادتك كما ترضى وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله على جزيل ما به انعم

بسم الله الرحمن الرحيم



هذه السورة مكية والسبب فى نزولها ان اليهود امروا كفار مكة ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذى احل بنى اسراءيل بمصر فنزلت السورة وقيل سبب نزولها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما يفعله به قومه بما فعل اخوة يوسف بيوسف وسورة يوسف لم يتكرر من معانيها فى القرءان شيء كما تكررت قصص الانبياء ففيها حجة على من اعترض بان الفصاحة تمكنت بترداد القول وفى تلك القصص حجة على من قال فى هذه لو كررت لفترت فصاحتها * وقوله عز وجل الرتلك ءايات الكتاب المبين الكتاب هنا القرءان ووصفه بالمبين من جهة بيان احكامه وحلاله وحرامه ومواعظه وهداه ونوره ومن جهة بيان اللسان العربي وجودته والضمير فى انزلناه للكتاب وقرءانا حال وعربيا صفة له وقيل قرءانا توطئة للحال وعربيا حال * وقوله سبحانه نحن نقص عليك احسن القصص الآية روى ابن مسعود ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا لو قصصت علينا

يارسول الله فنزلت هذه الآيـة ثم ملوا ملة اخرى فقالوا لو حدثتنا يا رسول الله فنزلت الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها الآيـة والقصص الاخبار بما جرى من الامور * وقوله بما اوحينا اليك اي بوحينا اليك هذا والقرءان نعت لهـذا ويجـوز فيـه البدل والضمير فى قبله للقصص العام لما فى جميـع القرءان منـه ومن الغافلـين اي عن معرفة هذا القصص وعبارة المهدوي قال قتادة اي نحن نقص عليك من الكتب الماضيـة واخبار الامم السالفـة احسن القصص بوحينا اليك هذا القرءان وان كنت من قبله لمن الغافلين عن اخبـار الامم انتهى * وقوله سبحانـه اذ قال يوسف لابيـه يا ابت انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قيـل انـه رأى كواكب حقيقـة والشمس والقمر فتأولهـا يعقوب اخوتـه وابويـه وهذا هو قول الجمهور وقيـل الاخوة والاب والخالة لان امه كانت ميتـة وروي ان رؤيا يوسف خرجت بعد اربعين سنة وقيل بعد ثمانين سنـة * وقوله قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا من هنا ومن فعـل اخوة يوسف بيوسف يظهر انهم لم يكونوا انبيـاء فى ذلك الوقت ومـا وقع فى كتاب الطبري لابن زيد انهم كانوا انبياء يرده القطع بعصمة الانبياء عن الحسد الدنياوي وعن عقوق الآباء وتعريض مومن للهلاك والتوءامر فى قتله * وكذلك يجتبيك ربك اي يختارك ويصطفيك * ويعلمك من تاويـل الاحاديث قال مجاهد وغيره هي عبارة الرؤيا وقال الحسن هي عواقب الامور وقيـل هي عامة لذلك وغيره من المغيبات * ويتم نعمته عليك الآية يريد بالنبوءة وما انضاف اليها من سائر النعم ويروى ان يعقوب علم هذا من دعوة اسحاق له حين تشبه بعيصو وباقى الآيـة بين * وقوله سبحانـه لقد كان فى يوسف واخوتـه ءايات للسائلـين اذ كل احد ينبغى ان يسأل عن مثـل هذا القصص اذ هي مقر العبر

والا تعاظ وقولهم واخوه يريدون به يامين وهو اصغر من يوسف ويقال له بنيامين قيل وهو شقيقه * احب الى ابينا منا اي لصغرهما وموت امهما وهذا من حب الصغير هي فطرة البشر وقولهم ونحن عصبة اي جماعة تضر وتنفع وتحمى وتخذل اي لنا كانت تنبغي المحبة والمراعاة والعصبة فى اللغة الجماعة وقولهم لفى ضلال مبين اي لفى انتلاف وخطإ فى محبة يوسف واخيه وهذا هو معنى الضلال وانما يصغر قدره ويعظم بحسب الشيء الذى فيه يقع الانتلاف ومبين معناه ظاهر للمتأمل وقولهم او اطرحوه ارضا اي بارض بعيدة فارضا مفعول ثان باسقاط حرف الجر والضمير فى بعده عائد على يوسف او قتله او طرحه وصالحين قال مقاتل وغيره انهم ارادوا صلاح الحال عند ابيهم والقائل منهم لاتقتلوه هو روبيل اسنهم قاله قتادة وابن اسحاق وقيل هو شمعون قاله مجاهد وهذا عطف منه على اخيه لامحالة لما اراد الله من انفاذ قضائه والغيابة ما غاب عنك والجب البير التى لم تطو لانها جبت من الارض فقط قال المهدوي والجب فى اللغة البير المقطوعة التى لم تطو انتهى والسيارة جمع سيار وروي ان جماعة من الاعراب التقطت يوسف عليه السلام * وقوله سبحانه قالوا يا ابانا مالك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون الآية المتقدمة تقتضى ان اباهم قدكان علم منهم ارادتهم السوء فى جهة يوسف وهذه الآية تقتضى انهم علموا هم منه بعلمه ذلك وقرأ ابو عامر وابن عمرو نرتع ونلعب بالنون فيهما واسكان العين والباء ونرتع على هذا من الرتوع وهي الاقامة فى الخصب والمرعى فى اكل وشرب وقرأ ابن كثير نرتع ونلعب بالنون فيهما وكسر العين واسكان الباء وقد روي عنه ويلعب بالياء ونرتع على هذا من رعاية الابل وقال مجاهد من المراعاة اي يرعى بعضنا بعضا ويحرسه وقرأ عاصم وحمزة والكساءي يرتع ويلعب باسناد ذلك كله الى يوسف وقرأ نافع يرتع

ويلعب فيرتع على هـذا من رعاية الابل قال ابو علي وقراءة ابن كثير نرتع بالنون ويلعب ياليا، منزعها حسن لاسناد النظر فى المال والرعايـة اليهم واللعب الى يوسف لصباه ولعبهم هذا داخل فى اللعب المباح والمندوب كاللعب بالخيل والرمي وعللوا طلبه والخروج به بما يمكن ان يستهوي يوسف لصباه مـن الرتوع واللعب والنشاط وانما خاف يعقوب عليه السلام الذيب دون سواه وخصصه لانه كان الحيوان العادي المنبث فى القطر ولصغر يوسف واجمعوا معناه عزموا * وقوله سبحانه واوحينا اليه يحتمـل ان يكون الوحي الى يوسف حينئـذ برسول ويحتمل ان يكون بالهام او بنوم وكل ذلك قد قيل وقرأ الجمهور لتنبئنهم بالتاء من فوق * وقـوله وهم لا يشعرون قال ابن جريج معنـاه لا يشعرون وقت التنبئة انك يوسف وقال قتادة لا يشعرون بوحينـا اليك * وقوله وجاءو اباهم عشـاء يبكون اي وقت العشاء وقرأ الحسن عشى على مثال دجى جمـع عاش ومعنى ذلك اصابهم عشى من البكاء او شبـه العشى اذ كذلك هي عين الباكى لانه يتعاشى ومثل شريح امرأة بكت وهي مبطلة ببكاء هؤلاء وقرأ الآيـة ونستبق معناه على الاقدام وقيل بالرمي اي ننتضل وهو نوع من المسابقة قاله الزجاج وقولهم وما انت بمومن لنا اي بمصدق لنـا ولو كنا صادقين اي ولو كنا موصوفين بالصدق ويحتمل ان يكون قولهم ولو كنـا صادقين بمعنى وان كنا صادقين فى معتقدنا * وقوله سبحانه وجاءو على قميصه بدم كذب روي انهم اخذوا سخلة او جديا فذبحوه ولطخوا به قميص يوسف وقالوا ليعقوب هذا قميصه فاخذه وبكى ثم تأمله فلم ير خرقا ولا اثر ناب فاستدل بذلك على كذبهم وقال لهم متى كان الذيب حليما يا كل يوسف ولا يخرق قميصه قص هذا القصص ابن عباس وغيره واجمعوا على انه استدل على كذبهم بصحة القميص واستند الفقهاء الى هذا فى اعمال الامارات فى مسائل كالقسامة بها فى قول مالك الى

غـير ذلك قال الشعبي كان فى القميص ثلاث ءايات دلالتـه على كذبهم وشهادتـه فى قـده ورد بصر يعقوب بـه ووصف الدم بالكذب الذى هو مصدر على جهة المبالغة ثم قال لهم يعقوب بل سولت لكم اي رضيت وجعلت سولا ومرادا امرا اي صنعا قبيحا بيوسف * وقوله فصبر جميل اما على حذف المبتدا اي فشأني صبر جميل واما على حذف الخبر تقديره فصبر جميـل امثـل وجميل الصبر ان لا تقـع شكـوى الى البشر وقال النبي صلى الله عليـه وسلم من بث لم يصبر صبرا جميلا * وقوله والله المستعان على ما تصفون تسليم لامر الله تعالى وتوكل عليـه * وقوله سبحانـه وجاءت سيارة فارسلوا واردهم قيل ان السيارة جاءت فى اليوم الثانى من طرحه والسيارة بناء مبالغـة للذين يرددون السير فى الطرق قال (ص) والسيـارة جمـع سيـار وهو الكثير السير فى الارض انتهى والوارد هو الذى ياتى الماء يستقى منه لجماعته وهو يقع على الواحد وعلى الجماعة وروي ان مدلي الدلو كان يسمى مالك بن دعـر ويروى ان هـذا الجب كان بالاردن على ثلاثـة فراسخ مـن منزل يعقوب ويقال ادلى دلوه اذا القاه ليستقي المـاء وفى الكلام حـذف تقديره فتعلق يوسف بالحبـل فلما بصر بـه المـدلى قال يا بشراي وروي ان يوسف كان يومئـذ ابن سبـع سنين ويرجح هذا لفظة غلام فانها لما بين الحولين الى البلوغ فان قيلت فيما فوق ذلك فعلى استصحاب حال وتجوز وقرأ نافع وغيره يا بشراي باضافـة البشـرى الى المتكلم وبفتح الياء على ندائها كانـه يقول احضرى فهـذا وقتك وقرأ حمزة والكساءي يا بشرى ويميلان ولا يضيفان وقرأ عاصم كذلك الا انـه يفتح الراء ولا يميل واختلف فى تاويـل هذه القرءاة فقال السـدي كان فى اصحـاب هذا الوارد رجل اسمه بشرى فناداه واعلمه بالغلام وقيل هو على نداء البشرى كما قدمنا * وقوله سبحانـه واسروه بضاعة قال مجاهد وذلك ان الوراد خشوا

من تجار الرفقة ان قالوا وجدناه ان يشاركوهم فى الغلام الموجـود يعنى او يمنعوهم من تملكه ان كانوا اخيارا فاسروا بينهم ان يقولوا ابضعـه معنـا بعض اهل المصر وبضاعة حال والبضاعة القطعة من المـال يتجر فيها بغير نصيب من الربح ماخوذة من قولهم بضعة اي قطعـة وقيل الضمير فى اسروه يعـود على اخوة يوسف * وقوله سبحانه وشروه بثمن بخس شروه هنا بمعنى باعوه قال الداودي وعن ابى عبيـدة وشروه اي باعـوه فاذا ابتعت انت قلت اشتريت انتهى وقال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى وشروه بثمن بخس يقال اشتريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت لغة انتهى وعلى هذا فلا مانع من حمل اللفظ على ظاهره ويكون شروه بمعنى اشتروه قال (ع) روي ان اخوة يوسف لما عاموا ان الوراد قد اخذوه جاءوهم فقالوا هذا عبد قد ابق منا ونحن نبيعه منكم فقارّهم يوسف على هذه المقالة خوفا منهم ولينفـذ الله امره والبخس مصـدر وصف بـه الثمن وهو بمعنى النقص * وقوله دراهم معدودة عبارة عن قلة الثمن لانها دراهم لم تبلغ ان توزن لقلتها وذلك انهم كانوا لا يزنون ما كان دون الاوقية وهي اربعون درهما * وقـوله سبحانـه وكانوا فيه من الزاهدين وصف يترتب فى اخوة يوسف وفى الوراد ولكنه فى اخوة يوسف ارتب اذ حقيقة الزهد فى الشيء اخراج حبه من القلب ورفضه من اليـد وهـذه كانت حال اخـوة يوسف فى يوسف وامـا الوراد فان تمسكهم بـه وتجرهم يمـانع زهدهم الا على تجوز قال ابن العربي فى احكامـه وكانوا فيـه مـن الزاهـدين اي اخوتـه والواردة امـا اخوته فـلان مقصودهم زوال عينـه وامـا الواردة فلانهم خافوا اشتراك اصحابهم معهم انتهى * وقوله سبحانـه وقال الذى اشتراه مـن مصر لامرأتـه اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا روي ان مبتاع يوسف ورد به مصر البلد المعروف ولذلك لا ينصرف فعرضه فى السوق وكان اجمل الناس فوقعت

فيه مزايدة حتى بلغ ثمنا عظيما فقيل وزنه من ذهب ومن فضة ومن حرير فاشتراه العزيز وهو كان حاجب الملك وخازنه واسم الملك الريان بن الوليد وقيل مصعب بن الريان وهو احد الفراعنة واسم العزيز المذكور قطيفين قاله ابن عباس وقيل اظفير وقيل قنطور واسم امرأته راعيل قاله ابن اسحاق وقيل زليخا قال البخاري ومثواه مقامه * وقوله او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان فيما يقال لاولد له ثم قال تعالى وكذلك اي وكما وصفنا مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه فعلنا ذلك والاحاديث الرؤيا فى النوم قاله مجاهد وقيل احاديث الانبياء والامم والضمير فى امره يحتمل ان يعود على يوسف قاله الطبري ويحتمل ان يعود على الله عز وجل قاله ابن جبير فيكون اخبارا منبها على قدرة الله عز وجل ليس فى شان يوسف خاصة بل عاما فى كل امر والاشد استكمال القوة وتناهى بنية الانسان وهما اشدان اولهما البلوغ والثانى الذى يستعمله العرب * وقوله سبحانه ءاتيناه حكما وعلما يحتمل ان يريد بالحكم الحكمة والنبوة وهذا على الاشد الاعلى ويحتمل ان يريد بالحكم السلطان فى الدنيا وحكما بين الناس وتدخل النبوءة وتاويل الاحاديث وغير ذلك فى قوله وعلما وقال ابن العربي ءاتيناه حكما وعلما الحكم هو العمل بالعلم انتهى * وقوله سبحانه وكذلك نجزى المحسنين عبارة فيها وعد للنبي صلى الله عليه وسلم اي فلا يهولنك فعل الكفرة وعتوهم عليك فالله تعالى يصنع للمحسنين اجمل صنع * وقوله سبحانه وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه المراودة الملاطفة فى السوق الى غرض والتى هو فى بيتها هي زليخا امرأة العزيز وقوله عن نفسه كناية عن غرض المواقعة وظاهر هذه النازلة انها كانت قبل ان ينبأ عليه السلام وقولها هيت لك معناه الدعاء اي تعال واقبل على هذا الامر قال الحسن معناها هلم قال البخاري قال عكرمة هيت لك بالحورانية هلم وقال

ابن جبير تعاله انتهى وقرأ هشام عن ابن عامر هئت لك بكسر الهاء والهمز وضم التاء ورويت عن ابي عمرو وهذا يحتمل ان يكون من هاء الرجل يهيء اذا حسن هيئته ويحتمل ان يكون بمعنى تهيأت ومعاذ نصب على المصدر ومعنى الكلام اعوذ بالله ثم قال انه ربي احسن مثواي فيحتمل ان يعود الضمير فى انه على الله عز وجل ويحتمل ان يريد العزيز سيده اي فلا يصلح لى ان اخونه وقد اكرم مثواي وائتمننى قال مجاهد وغيره ربي معناه سيدى واذا حفظ الادمي لاحسانه فهو عمل زاك واحرى ان يحفظ ربه والضمير فى قوله انه لا يفلح مراد به الامر والشان فقط وحكى بعض المفسرين ان يوسف عليه السلام لما قال معاذ الله ثم دافع الامر باحتجاج وملاينة امتحنه الله تعالى بالهم بما هم به ولو قال لا حول ولا قوة الا بالله ودافع بعنف وتغيير لم يهم بشيء من المكروه * وقوله سبحانه وهم بها اختلف فى هم يوسف قال (ع) والذى اقول به فى هذه الآية ان كون يوسف عليه السلام نبيا فى وقت هذه النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية فاذا كان ذلك فهو مومن قد اوتي حكما وعلما ويجوز عليه الهم الذى هو ارادة الشيء دون مواقعته وان يستصحب الخاطر الرديء على ما فى ذلك من الخطيئة وان فرضناه نبيا فى ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندى الا الهم الذى هو الخاطر ولا يصح عندى شيء مما ذكر من حل تكة ونحو ذلك لان العصمة مع النبوءة وللهم بالشيء مرتبتان فالخاطر المجرد دون استصحاب يجوز عليه ومع استصحاب لا يجوز عليه اذ الاجماع منعقد ان الهم بالمعصية واستصحاب التلذذ بها غير جائز ولا داخل فى التجاوز (ت) قال عياض والصحيح ان شاء الله تنزيههم ايضا قبل النبوءة من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب ثم قال عياض بعد هذا واما قول الله سبحانه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى

برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به وليس بسيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدى بسيئة فلم يعلمها كتبت له حسنة فلا معصية فى همه اذن واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما مالم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفوعنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسى الآية اي من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع انتهى واختلف فى البرهان الذى رءاه يوسف فقيل ناداه جبريل يا يوسف تكون فى ديوان الانبياء وتفعل فعل السفهاء وقيل رأى يعقوب عاضا على ابهامه وقيل غير هذا وقيل بل كان البرهان فكرته فى عذاب الله ووعيده على المعصية والبرهان فى كلام العرب الشيء الذى يعطى القطع واليقين كان مما يعلم ضرورة او بخبر قطعي او بقياس نظري وان فى قوله لولا ان رأى فى موضع رفع تقديره لولا رؤيته برهان ربه لفعل وذهب قوم الى ان الكلام تم فى قوله ولقد همت به وان جواب لولا فى قوله وهم بها وان المعنى لولا ان رأى البرهان لهم اي فلم يهم عليه السلام وهذا قول يرده لسان العرب واقوال السلف (ت) وقد ساق عياض هذا القول مساق الاحتجاج به متصلا بما نقلناه عنه انفا ولفظه فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان به لهم بها وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال معاذ الله الآية انتهى وكذا نقله الداودي ولفظه وقد قال سعيد بن الحداد فى الكلام تقديم وتاخير ومعناه انه لولا ان رأى برهان ربه لهم بها فلما رأى البرهان لم يهم انتهى

قال ابن العربي فى احكامه وقد اخبر الله سبحانه عن حال يوسف من حين بلوغه بانه ءاتاه حكما وعلما والحكم هو العمل بالعلم وكلام الله صادق وخبره صحيح ووصفه حق فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنا وتحريم خيانة السيد فى اهله فما تعرض لامرأة العزيز ولا اناب الى المراودة بل ادبر عنها وفرمنها حكمة خص بها وعمل بما علمه الله تعالى وهذا يطمس وجوه الجهلة من الناس والغفلة من العلماء فى نسبتهم الى الصديق ما لايليق واقل ما اقتحموا من ذلك هتك السراويل والهم بالفتك فيما رأوه من تاويل وحاشاه من ذلك فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثا يقولون فعل فعل والله تعالى انما قال هم بها قال علماء الصوفية ان فائدة قوله تعالى ولما بلغ اشده ءاتيناه حكما وعلما ان الله عز وجل اعطاه العلم والحكمة بان غلب الشهوة ليكون ذلك سببا للعصمة انتهى والكاف من قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء متعلقة بمضمر تقديره جرت افعالنا واقدارنا كذلك لنصرف ويصح ان تكون الكاف فى موضع رفع بتقدير عصمتنا له كذلك وقرأ ابن كثير وغيره المخلصين بكسر اللام فى سائر القرءان ونافع وغيره بفتحها * وقوله تعالى واستبقا الباب الآية معناه سابق كل واحد منهما صاحبه الى الباب هي لترده الى نفسها وهو ليهرب عنها فقبضت فى اعلى قميصه فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخريق الى اسفل القميص قال البخاري والفيا اي وجدا الفوا ءاباءهم وجدوهم انتهى والقد القطع واكثر ما يستعمل فيما كان طولا والقط يستعمل فيما كان عرضا والفيا وجدا والسيد الزوج قاله زيد ابن ثابت ومجاهد * وقوله سبحانه قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الآية قال نوف الشامي كان يوسف عليه السلام لم يبن على كشف القصة فلما بغت عليه غضب فقال الحق فاخبر انها هي راودته عن نفسه فروي ان الشاهد كان ابن

عمها قال انظروا الى القميص وقال ابن عباس كان رجلا من خاصة الملك وقاله مجاهد وغيره والضمير فى رأى هو للعزيز وهو القائل انه من كيدكن قاله الطبري وقيل بل الشاهد قال ذلك ونزع بهذه الآية من يرى الحكم بالامارة من العلماء فانها معتمدهم ويوسف فى قوله يوسف اعرض عن هذا منادى قال ابن عباس ناداه الشاهد وهو الرجل الذى كان مع العزيز واعرض عن هذا معناه عن الكلام به اي اكتمه ولا تتحدث به ثم رجع اليها فقال واستغفرى لذنبك اي استغفرى زوجك وسيدك وقال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لان الخاطئين اعم * وقوله سبحانه وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه نسوة جمع قلة وجمع التكثير نساء ويروى ان هؤلاء النسوة كن اربعا امرأة خبازة وامرأة ساقية وامرأة بوابة وامرأة سجانة والعزيز الملك والفتى الغلام وعرفه فى المملوك ولكنه قد قيل فى غير المملوك ومنه اذ قال موسى لفتاه واصل الفتى فى اللغة الشاب ولكن لما كان جل الخدمة شبابا استعير لهم اسم الفتى وشغفها معناه بلغ حتى صار من قلبها موضع الشغاف وهو على اكثر القول غلاف من اغشية القلب وقيل الشغاف سويداء القلب وقيل الشغاف داء يصل الى القلب * فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن ليحضرن * واعتدت لهن متكأ اي اعدت ويسرت ما يتكأ عليه من فرش ووسائد وغير ذلك وقرأ ابن عباس وغيره متكا بضم الميم وسكون التاء وتنوين الكاف واختلف فى معناها فقيل هو الاترنج وقيل هو اسم يعم جميع ما يقطع بالسكين وقولها اخرج عليهن امر ليوسف واطاعها بحسب الملك * وقوله اكبرنه معناه اعظمنه واستهولن جماله هذا قول الجمهور * وقطعن ايديهن اي كثرن الحز فيها بالسكاكين وقرأ ابو عمرو وحده حاشى لله وقرأ سائر السبعة حاش لله فمعنى حاش لله اي حاشى يوسف لطاعته لله او

لمكانه من الله ان يرمى بما رميته به او يدعى الى مثله لان تلك افعال البشر وهو ليس منهم انما هو ملك هكذا رتب بعضهم معنى هذا الكلام على القراءتين وقرأ الحسن وغيره ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم بكسر اللام من ملك وعلى هذه القراءة فالكلام فصيح لما استعظمن حسن صورته قلن ما هذا مما يصلح ان يكون عبدا بشرا ان هذا الا مما يصلح ان يكون ملكا كريما (ت) وفي صحيح مسلم من حديث الاسراء ثم عرج بنا الى السماء الثالثة ففتح لنا فاذا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير انتهى وقولها فذلكن الذى لمتننى فيه المعنى فهذا الذى لمتننى فيه وقطعتن ايديكن بسببه هو الذى جعلنى ضالة فى هواه ثم اقرت امرأة العزيز للنسوة بالمراودة واستامنت اليهن فى ذلك اذ علمت انهن قد عذرنها * واستعصم معناه طلب العصمة وتمسك بها وعصانى ثم جعلت تتوعده وهو يسمع بقولها * ولئن لم يفعل ما ءامره الى ءاخر الآية (ت) واعترض (ص) بان تفسير استعصم باعتصم اولى من جعله للطلب اذ لا يلزم من طلب الشيء حصوله انتهى واللام فى ليسجنن لام قسم واللام الاولى هي الموذنة بالمجيء بالقسم والصاغرون الاذلاء وقول يوسف عليه السلام رب السجن احب الي الى قوله من الجاهلين كلام يتضمن التشكى الى الله تعالى من حاله معهن واصب ماخوذ من الصبوة وهي افعال الصبا ومن ذلك قول دريد ابن الصِّمَّة

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد

قال (ص) اصب معناه اِملْ وهو جواب الشرط والصبابة افراط الشوق انتهى * فاستجاب له ربه اي اجابه الى ارادته وصرف عنه كيدهن فى ان حال بينه وبين المعصية * وقوله سبحانه ثم بدا لهم من بعد ما رأوا

الآيـات ليسجنـنه حتى حين بدا معناه ظهر ولمـا ابى يوسف عليه السـلام من المعصية ويئست منه امرأة العزيز طالبته بان قالت لزوجها ان هذا الغلام العبراني قد فضحني فى النـاس وهو يعتـذر اليهم ويصف الامر بحسب اختيـاره وانا محبوسة محجوبـة فاما اذنت لى فخرجت الى الناس فاعتذرت وكذبته واما حبسته كما انا محبوسة فحينئذ بدالهم سجنه (ع) وليسجننـه جملة دخلت عليهـا لام قسم والآيات ذكر فيها اهل التفسير انهـا قـد القميص وخمش الوجه وحز النساء ايديهن وكلام الصبي على مـا روي قال (ع) ومقصد الكلام انما هو انهم رأوا سجنه بعد ظهور الآيات المبرئـة له من التهمة فهكذا يـبين ظلمهم له والحـين فى كلام العرب وفى هـذه الآيـة الوقت مـن الزمـان غير محدود يقع للقليل والكثير وذلك بين من مـوارده فى القرءان * وقـوله سبحانـه ودخل معه السجن فتيان الآيـة المعنى فسجنوه فدخل معه السجـن غلامان سجنـا ايضـا وروي انهما كانا للملك الاعظم الوليـد بن الريان احدهما خبـازه واسمـه مجلث والآخر ساقيـه واسمـه نبو وروي ان الملك اتهمهما بان الخباز منهما اراد سمه ووافقه على ذلك السـاقى فسجنهما قاله السدي فلما دخل يوسف السجن استمال الناس فيه بحسن حديثه وفضله ونبله وكان يسلى حزينهم ويعود مريضهم ويسأل لفقيرهم ويندبهم الى الخير فاحبه الفتيان ولزماه واحبه صاحب السجن والقيم عليـه وكان يوسف عليـه السلام قد قال لاهل السجن انى اعبر الرؤيا واجيد فروي عن ابن مسعود ان الفتـيين استعملا هاتين المنامتين ليجرباه وروي عن مجاهد انهما رأيا ذلك حقيقة فقال احدهما انى ارانى اعصر خمرا قيل فيـه انـه سمى العنب خمرا بالمثـال وقيل هي لغـة ازد عمان يسمـون العنب خمرا وفى قراءة ابي وابن مسعـود اعصر عنبـا * وقـوله انا نراك مـن المحسنين قال الجمهـور يريـدان فى العلم وقال الضحـاك وقتـادة المعنى مـن

المحسنين فى جريه مع اهل السجن واجماله معهم * وقوله عز وجل قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما روي عن السدي وابن اسحاق ان يوسف عليه السلام لما علم شدة تعبير منامة الراءى الخبز وانها توذن بقتله ذهب الى غير ذلك من الحديث عسى ان لا يطالباه بالتعبير فقال لهما معلما بعظيم علمه للتعبير انه لا يجيئكما طعام فى نومكما تريان انكما رزقتماه الا اعلمتكما بتاويل ذلك الطعام اي بما يئول اليه امره فى اليقظة قبل ان يظهر ذلك التاويل الذى اعلمكما به فروي انهما قالا ومن اين لك ما تدعيه من العلم وانت لست بكاهن ولا منجم فقال لهما ذلك مما علمني ربي ثم نهض ينحى لهما على الكفر ويقبحه ويحسن الايمان بالله فروي انه قصد بذلك وجهين احدهما تنسيتهما امر تعبير ما سألا عنه اذ فى ذلك النذارة بقتل احدهما والآخر الطاعية فى ايمانهما لياخذ المقتول بحظه من الايمان وتسلم له ءاخرته وقال ابن جريج اراد يوسف عليه السلام لا ياتيكما طعام فى اليقظة قال (ع) فعلى هذا انما اعلمهم بانه يعلم مغيبات لا تعلق لها برؤيا وقصد بذلك احد الوجهين المتقدمين وهذا على ما روي انه نبئ فى السجن فاخباره كاخبار عيسى عليه السلام * وقوله تركت مع انه لم يتشبث بها جائز صحيح وذلك انه اخبر عن تجنبه من اول بالترك وساق لفظ الترك استجلابا لهما عسى ان يتركا الترك الحقيق الذى هو بعد الاخذ فى الشيء والقوم المتروك ملتهم الملك واتباعه * وقوله واتبعت الآية تماد من يوسف عليه السلام فى دعائهما الى الملة الحنيفية * وقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء من هي الزائدة الموكدة التى تكون مع الجحود * وقوله لا يشكرون يريد الشكر التام الذى فيه الايمان بالله عز وجل * وقوله يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وصفه لهما بصاحبي السجن

من حيث سكناه كما قال اصحاب الجنة واصحاب النار ونحو ذلك ويحتمل ان يريد صحبتهما له فى السجن كانه قال يا صاحباي فى السجن وعرضه عليهما بطلان امر الاوثان بان وصفها بالتفرق ووصف الله تعالى بالوحدة والقهر تلطف حسن واخذ بيسير الحجة قبل كثيرها الذى ربما نفرت منه طباع الجاهل وعاندته وهكذا الوجه فى محاجة الجاهل ان يوخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها فاذا قبلها لزمته عنها درجة اخرى فوقها ثم كذلك ابدا حتى يصل الى الحق وان اخذ الجاهل بجميع المذهب الذى يساق اليه دفعة اباه للحين وعانده ولقد ابتلي بارباب متفرقين من يخدم ابناء الدنيا ويؤملهم * وقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء اي مسميات ويحتمل وهو الراجح المختار ان يريد ما تعبدون من دونه الوهية ولا لكم تعلق باله الا بحسب ان سميتم اصنامكم ءالهة فليست عبادتكم لا لله الا بالاسم فقط لا بالحقيقة واما الحقيقة فهي وسائر الحجارة والخشب سواء وانما تعلقت عبادتكم بحسب الاسم الذى وضعتم فذلك هو مبعودكم ومفعول سميتم الثانى محذوف تقديره ءالهة هذا على ان الاسماء يراد بها ذوات الاصنام واما على المعنى المختار من ان عبادتهم انما هي لمعان تعطيها الاسماء وليست موجودة فى الاصنام فقوله سميتموها بمنزلة وضعتموها ان الحكم الا لله اي ليس لاصنامكم والقيم معناه المستقيم واكثر الناس لا يعلمون لجهالتهم وكفرهم ثم نادى يا صاحبي السجن ثانية لتجتمع انفسهما لسماع الجواب فروي انه قال لنبو اما انت فتعود الى مرتبتك وسقاية ربك وقال لمجلث اما انت فتصلب وذلك كله بعد ثلاث فروي انهما قالا له ما رأينا شيأ وانما تحالمنا لنجربك وروي انه لم يقل ذلك الا الذى حدثه بالصلب وقيل كانا رأيا ثم انكرا ثم اخبرهما يوسف عن غيبٍ علّمه من الله تعالى ان الامر قد قضي ووافق القدر * وقوله وقال للذى ظن انه

ناج منهما الآية الظن هنا بمعنى اليقين لان ما تقدم من قوله قضي الامر يلزم ذلك وقال قتادة الظن هنا على بابه لان عبارة الرؤيا ظن قال (ع) وقول يوسف عليه السلام قضي الامر دال على وحي ولا يترتب قول قتادة الا بان يكون معنى قوله قضي الامر اي قضي كلامى وقلت ما عندى وتم والله اعلم بما يكون بعد وفى الآية تاويل ءاخر وهو ان يكون ظن مسندا الى الذى قيل له انه يسقى ربه خمرا لانه داخله السرور بما بشر به وغلب على ظنه ومعتقده انه ناج * وقوله اذكرني عند ربك يحتمل ان يريد ان يذكره بعلمه ومكانته ويحتمل ان يذكره بمظلمته وما امتحن به بغير حق او يذكره بجملة ذلك والضمير فى انساه قيل هو عائد على يوسف اي نسي فى ذلك الوقت ان يشتكي الى الله فروي ان جبريل جاءه فعاتبه عن الله عز وجل فى ذلك قيل اوحي اليه يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن سجنك والله اعلم بصحته وقيل الضمير فى انساه عائد على الساقى قاله ابن اسحاق اي نسي ذكر يوسف عند ربه وهو الملك والبضع اختلف فيه والاكثر انه من الثلاثة الى العشرة قاله ابن عباس وعلى هذا فقه مذهب مالك فى الدعاوى والايمان وقال قتادة البضع من الثلاثة الى التسعة ويقوى هذا قوله صلى الله عليه وسلم لابى بكر الصديق فى قصة خطره مع قريش فى غلبة الروم لفارس اما علمت ان البضع من الثلاث الى التسع * وقوله سبحانه وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف روي انه قال رأيتها خارجة من نهر وخرجت وراءها سبع عجاف فاكلت تلك السمان وحصلت فى بطونها ورأى السنابل ايضا كما ذكر والعجاف التى بلغت غاية الهزال ثم قال لحاضريه يا ايها الملأ افتونى فى رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون وعبارة الرؤيا ماخوذة من عبر

النهر وهو تجاوزه من شط الى شط فكان عابر الرؤيا ينتهى الى ءاخر تاويلها قال (ص) وانما لم يضف سبع الى عجاف لان اسم العدد لا يضاف الى الصفة الا فى الشعر انتهى * وقوله سبحانه قالوا اضغاث احلام الآية الضغث فى كلام العرب اقل من الحزمة واكثر من القبضة من النبات والعشب ونحوه وربما كان ذلك من جنس واحد وربما كان من اخلاط النبات والمعنى ان هذا الذى رأيت ايها الملك اختلاط من الاحلام بسبب النوم ولسنا من اهل العلم بما هو مختلط ورديء والاحلام جمع حلم وهو ما يخيل الى الانسان فى منامه والاحلام والرؤيا مما اثبتته الشريعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله وهي من المبشرة والحلم المحزن من الشيطان فاذا رأى احدكم ما يكره فليتفل عن يساره ثلاث مرات وليقل اعوذ بالله من شر ما رأيت فانها لا تضره وماكان عن حديث النفس فى اليقظة فانه لا يلتفت اليه ولما سمع الساقى الذى نجا هذه المقالة من الملك ومراجعة اصحابه تذكر يوسف وعلمه بالتاويل فقال مقالته فى هذه الآية وادكر اصله اذتكر من الذكر فقلبت التاء دالا وادغم الاول فى الثانى وقرأ جمهور الناس بعد امة وهي المدة من الدهر وقرأ ابن عباس وجماعة بعد أَمَهٍ وهو النسيان وقرأ مجاهد وشبل بعد امه بسكون الميم وهو مصدر من امه اذا نسي وبقوله ادكر يقوى قول من قال ان الضمير فى انساه عائد على الساقى والامر محتمل وقرأ الجمهور انا انبئكم وقرأ الحسن بن ابى الحسن انا ءاتيكم وكذلك فى مصحف ابي * وقوله فارسلون استيذان فى المضي * وقوله يوسف ايها الصديق افتنا المعنى فجاء الرسول وهو الساقى الى يوسف فقال له يوسف ايها الصديق وسماه صديقا من حيث كان جرب صدقه فى غير ماشيء وهو بناء مبالغة من الصدق ثم قال له افتنا فى سبع بقرات اي فيمن رأى فى المنام سبع

بقرات * وقوله لعلهم يعلمون اي تاويـل هذه الرؤيا فيزول هم الملك لذلـك وهم الناس وقيل لعلهم يعلمون مكانتك من العلم وكنه فضلك فيكون ذلك سببـا لتخلصك ودأبا معناه ملازمـة لعادتكم فى الزراعـة * وقوله فما حصدتم فذروه فى سنبله اشارة برأيٍ نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التى لا تبقى عامين بوجه الا بحيلة ابقائهـا فى السنبل والمعنى اتركوا الزرع فى السنبل الا مـا لاغنى عنـه للاكل فيجتمـع الطعام هكذا ويتركب ويوكل الاقـدم فالاقدم وروي ان يوسف عليه السلام لمـا خرج ووصف هذا الترتيب للملك واعجبه امره قال له الملك قد اسندت اليك تولى هذا الامر فى الاطعمة هذه السنين المقبلة فكان هذا اول ماولي يوسف وتحصنون معنـاه تحرزون وتخزنون قاله ابن عباس وهوماخوذ من الحصن وهو الحرز والملجأ ومنـه تحصن النساء لانه بمعنى التحرز * وقوله يغاث الناس جائز ان يكون من الغيث وهوقول ابن عباس وجمهور المفسرين اي يمطرون وجائزان يكون من اغاثهم الله اذا فرج عنهم ومنـه الغوث وهو الفرج وفيه يعصرون قال جمهور المفسرين هي من عصر النباتات كالزيتـون والعنب والقصب والسمسم والفجل ومصر بلد عصر لاشياء كثيرة * وقوله سبحانـه وقال الملـك ائتونى به فلما جاءه الرسول الآية لمـا رأى الملك وحاضروه نُبْـل التعبير وحسن الرأي وتضمـن الغيب فى امر العام الثامن مع مـا وصف بـه من الصدق عظم يوسف فى نفس الملك وقال ائتونى بـه فلما جاءه الرسول قال ارجـع الى ربك يعنى الملـك فسـأله ما بال النسوة التى قطعن ايديهن وقصده عليـه السلام بيان براءتـه وتحقق منزلتـه من العفـة والخير فرسم القصة بطرف منهـا اذا وقع النظر عليـه بان الامر كله ونكب عن ذكر امرأة العزيز حسن عشرة ورعاية لذمام ملك العزيز له وفى صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك عن النبي صلى الله

عليـه وسلم ولو لبثت فى السجن لبث يوسف لاجبت الداعي المعنى لوكنت انا لبادرت بالخروج ثم حاولت بيان عذرى بعـد ذلك وذلك ان هذه القصص والنوازل انما هي معرضة ليقتدي الناس بها الى يوم القيامة فاراد صلى الله عليه وسلم حمل الناس على الاحزم من الامور وذلك ان التارك لمثـل هذه الفرصـة ربما نتج له بسبب التاخير خلاف مقصوده وان كان يوسف قد امن ذلك بعلمه من الله فغيره من الناس لايامن ذلـك فالحالة التى ذهب النبي صلى الله عليـه وسلم بنفسه اليهـا حالة حزم ومدح ليقتدى بـه وما فعله يوسف عليه السلام حالة صبر وتجلد قال ابن العربي فى احكامه وانظر الى عظيم حلم يوسف عليه السلام ووفور ادبـه كيف قال مـا بال النسوة اللتى قطعن ايديهـن فـذكر النساء جملة لتدخل فيهن امرأة العزيز مدخـل العموم بالتلويح دون التصريح انتهى وهذه كانت اخلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يقابل احدا بمكروه وانمـا يقـول مـا بال اقوام يفعلون كذا من غير تعيين وبالجملة فكل خصلة حميدة مذكورة فى القرءان اتصف بهـا الانبيـاء والاصفيـاء فقد اتصف بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان خلقه القرءان كما روته عائشة فى الصحيح وكما ذكرالله سبحانه اولائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده انتهى * وقوله ان ربى بكيدهن عليم فيه وعيد وقوله قال مـا خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه المعنى فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن وقال لهن ما خطبكـن الآيـة اي اي شيء كانت قصتكـن فجاوب النساء بجواب جيد تظهر منه براءة انفسهن واعطين يوسف بعض براءة فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء فلما سمعت امراة العزيز مقالتهن وحيدتهن حضرتهـا نيـة وتحقيق فقالت الآن حصحص الحق اي تبـين الحق بعد خفائـه قاله الخليـل وغيره قال البخـاري حاش وحاشي تنزيـه واستثناء وحصحص وضح انتهى ثم اقرت على نفسها

بالمراودة والتزمت الذنب وابرأت يوسف البرءاة التامة * وقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب الى قوله ان ربي غفور رحيم اختلف فيه اهل التاويل هل هو من قول يوسف او من قول امرأة العزيز * وقوله سبحانه وقال الملك ايتونى به استخلصه لنفسى المعنى ان الملك لما تبينت له براءة يوسف وتحقق فى القصة امانته وفهم ايضا صبره وعلو همته عظمت عنده منزلته وتيقن حسن خلاله فقال ايتونى به استخلصه لنفسى فلما جاءه وكلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال ابن العربي فى احكامه قوله انك اليوم لدينا مكين امين اي متمكن مما اردت امين على ما ائتمنت عليه من شيء اما امانته فلظهور براءته واما مكانته فلثبوت عفته ونزاهته انتهى ولما فهم يوسف عليه السلام من الملك انه عزم على تصريفه والاستعانة بنظره قال اجعلنى على خزائن الارض لما فى ذلك من مصالح العباد قال (ع) وطلبة يوسف للعمل انما هي حسبة منه عليه السلام فى رغبته فى ان يقع العدل وجائز ايضا للمرء ان يثني على نفسه بالحق اذا جهل امره والخزائن لفظ عام لجميع ما تختزنه المملكة من طعام ومال وغيره * وقوله سبحانه وكذلك مكنا ليوسف فى الارض الاشارة بذلك الى جميع ما تقدم من جميل صنع الله به فروي ان العزيز مات فى تلك الليالى وقال ابن اسحاق بل عزله الملك ثم مات اظفير فولاه الملك مكانه وزوجه زوجته فلما دخلت عليه عروسا قال لها اليس هذا خيرا مما كنت اردت فدخل يوسف بها فوجدها بكرا وولدت له ولدين وروي ايضا ان الملك عزل العزيز وولى يوسف موضعه ثم عظم ملك يوسف وتغلب على حال الملك اجمع قال مجاهد واسلم الملك آخر امره ودرس امر العزيز وذهبت دنياه ومات وافتقرت زوجته وشاخت فلما كان فى بعض الايام لقيت يوسف فى طريق والجنود حوله ووراءه وعلى رأسه بنود عليها مكتوب هذه سبيلي

ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين فصاحت به وقالت سبحان الله من اعز العبيد بالطاعة واذل الا رباب بالمعصية فعرفها وقالت له تعطف علي وارزقني شيأ فدعا لها وكلمها واشفق لحالها ودعا الله تعالى فرد عليها جمالها وتزوجها وروي فى نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته ويطول الكلام بسوقه وباقى الآية بين واضح للمستبصرين ونور وشفاء لقلوب العارفين * وقوله ليوسف ابو البقاء اللام زائدة اي مكنا يوسف ويجوز الا تكون زائدة فالمفعول محذوف اي مكنا ليوسف الامور انتهى * وقوله عز وجل وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال السدي وغيره سبب مجيئهم ان المجاعة اتصلت ببلادهم وكان الناس يمتارون من عند يوسف وهو فى رتبة العزيز المتقدم وكان لا يعطى الوارد اكثر من حمل بعير يسوى بين الناس فلما ورد اخوته عرفهم ولم يعرفوه لبعد العهد وتغير سنه ولم يقع لهم بسبب ملكه ولسانه القبطي ظن عليه وروي فى بعض القصص انه لما عرفهم اراد ان يخبروه بجميع امرهم فباحثهم بان قال لهم بترجمان اظنكم جواسيس فاحتاجوا حينئذ الى التعريف بانفسهم فقالوا نحن ابناء رجل صديق وكنا اثني عشر ذهب منا واحد فى البرية وبقي اصغرنا عند ابينا وجئنا نحن للميرة وسقنا بعير الباقى منا وكنا عشرة ولهم احد عشر بعيرا فقال لهم يوسف ولم تخلف احدكم قالوا لمحبة ابينا فيه قال فاتوا بهذا الاخ حتى اعلم حقيقة قولكم وأرى لم احبه ابوكم اكثرمنكم ان كنتم صادقين وروي فى القصص انهم وردوا مصر واستاذنوا على العزيز وانتسبوا فى الاستيذان فعرفهم وامر بانزالهم وادخلهم فى ثانى يوم على هيئة عظيمة لملكه وروي انه كان متلثما ابدا سترا لجماله وانه كان ياخذ الصواع فينقره ويفهم من طنينه صدق الحديث من كذبه فسئلوا عن

اخبارهم فكلما صدقوا قال لهم يوسف صدقتم فلما قالوا وكان لنا اخ اكله الذيب اطن يوسف الصواع وقال كذبتم ثم تغير لهم وقال اراكم جواسيس وكلفهم سوق الاخ الباقى ليظهر صدقهم فى ذلك فى قصص طويل جاءت الاشارة اليه فى القرءان والجهاز ما يحتاج اليه المسافر من زاد ومتاع * وقوله باخ لكم (ص) نكره ليريهم انه لا يعرفه وفرق بين غلام لك وبين غلامك ففى الاول انت جاهل به وفى الثانى انت عالم لان التعريف به يفيد نوع عهد فى الغلام بينك وبين المخاطب انتهى وقول يوسف الا ترون انى اوفى الكيل الآية يرغبهم فى نفسه ءاخرا ويؤنسهم ويستميلهم والمنزلين يعنى المضيفين ثم توعدهم بقوله فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون اي فى المستانف وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان يوسف يلقى حصاة فى اناء فضة مخوص بالذهب فيطن فيقول لهم ان هذا الاناء يخبرنى ان لكم ابا شيخا وروي ان ذلك الاناء به كان يكيل الطعام اظهارا لعزته بحسب غلائه وروي ان يوسف استوفى فى تلك السنين اموال الناس ثم املاكهم وظاهر كل ما فعله يوسف معهم انه بوحي وامر والا فكان بر يعقوب يقتضى ان يبادر اليه ويستدعيه لكن الله تعالى اعلمه بما يصنع ليكمل اجر يعقوب ومحنته وتتفسر الرؤيا الاولى * وقوله لعلهم يعرفونها يريد لعلهم يعرفون لها يدا وتكرمة يرون حقها فيرغبون فى الرجوع الينا واما ميز البضاعة فلا يقال فيه لعل وقيل قصد يوسف برد البضاعة ان يتحرجوا من اخذ الطعام بلا ثمن فيرجعوا لدفع الثمن وهذا ضعيف من وجوه وسرورهم بالبضاعة وقولهم هذه بضاعتنا ردت الينا يكشف ان يوسف لم يقصد هذا وانما قصد ان يستميلهم ويصلهم ويظهر ان ما فعله يوسف من صلتهم وجبرهم فى تلك الشدة كان واجبا عليه وقيل علم عدم البضاعة والدراهم عند ابيه فرد البضاعة اليهم ليلا يمنعهم العدم من الرجوع اليه وقيل

جعلها توطئة لجعل السقاية فى رحل اخيه بعد ذلك ليبين انه لم يسرق لمن يتأمل القصة والظاهر من القصة انه انما اراد الاستيلاف وصلة الرحم واصل نكتل نكتيل وقولهم منع منا الكيل ظاهره انهم اشاروا الى قوله فلا كيل لكم عندى فهو خوف فى المستانف وقيل اشاروا الى بعير يامين والاول ارجح ثم تضمنوا له حفظه وحيطته وقول يعقوب عليه السلام هل آمنكم عليه الآية هل توقيف وتقرير ولم يصرح بمنعهم من حمله لما رأى فى ذلك من المصلحة لكنه اعلمهم بقلة طمانينته اليهم ولكن ظاهر امرهم انهم قد انابوا الى الله سبحانه وانتقلت حالهم فلم يخف على يامين كخوفه على يوسف وقرأ نافع وغيره خير حفظا وقرأ حمزة وغيره خير حافظا ونصب ذلك فى القراءتين على التمييز والمعنى ان حفظ الله خير من حفظكم فاستسلم يعقوب عليه السلام لله وتوكل عليه وقولهم ما نبغي يحتمل ان تكون ما استفهاما قاله قتادة ونبغى من البغية اي ماذا نطلب بعد هذه التكرمة هذا مالنا رد الينا مع ميرتنا قال الزجاج ويحتمل ان تكون ما نافية اي ما بقي لنا ما نطلب ويحتمل ان تكون ايضا نافية ونبغى من البغي اي ما تعدينا فكذبنا على هذا الملك ولا فى وصف اجماله واكرامه هذه البضاعة ردت الينا وقرأ ابو حيوة ما تبغى على مخاطبة يعقوب وهي بمعنى ما تريد وما تطلب وقولهم ونزداد كيل بعير يريدون بعير اخيهم اذكان يوسف انما حمل لهم عشرة ابعرة ولم يحمل الحادي عشر لغيب صاحبه وقولهم ذلك كيل يسير قيل معناه يسير على يوسف ان يعطيه وقال السدي يسير اي سريع لانحبس فيه ولانمطل * وقوله تعالى فلما اتوه موثقهم فالآية اي لما عاهدوه اشهد الله بينه وبينهم بقوله الله على ما نقول وكيل والوكيل القيم الحافظ الضامن * وقوله الا ان يحاط بكم لفظ عام لجميع وجوه الغلبة وانظر ان يعقوب عليه السلام قد توثق فى هذه القصة واشهد

الله تعالى ووصى بنيه واخبر بعد ذلك بتوكله فهذا توكل مع سبب وهو توكل جميع المومنين الا من شذ فى رفض السعي بالكلية وقنع بالماء وبقل البرية فتلك غاية التوكل وعليها بعض الانبياء عليهم السلام والشارعون منهم مثبتون سنن التسبب الجائز قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابى جمرة رضي الله عنه وقد اشتمل القرءان على احكام عديدة فمنها التعلق بالله تعالى وترك الاسباب ومنها عمل الاسباب فى الظاهر وخلو الباطن من التعلق بها وهو اجلها وازكاها لان ذلك جمع بين الحكمة وحقيقة التوحيد وذلك لا يكون الا للافذاذ الذين من الله عليهم بالتوفيق ولذلك مدح الله تعالى يعقوب عليه الصلاة والسلام فى كتابه فقال وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانه عمل الاسباب واجتهد فى توفيتها وهو مقتضى الحكمة ثم رد الامر كله لله تعالى واستسلم اليه وهو حقيقة التوحيد فقال وما اغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله الآية فاثنى الله تعالى عليه من اجل جمعه بين هاتين الحالتين العظيمتين * وقوله لا تدخلوا من باب واحد قيل خشي عليهم العين لكونهم احد عشر لرجل واحد وكانوا اهل جمال وبسطة قاله ابن عباس وغيره * وقوله سبحانه ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم روي انه لما ودعوا اباهم قال لهم بلغوا ملك مصر سلامى وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك ويشكر صنيعك معنا وفى كتاب ابى منصور المهراني انه خاطبه بكتاب قرئى على يوسف فبكى * وقوله سبحانه ما كان يغنى عنهم من الله من شيء الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها بمثابة قولهم لم يكن فى ذلك دفع قدر الله بل كان اربا ليعقوب قضاه فالاستثناء ليس من الاول والحاجة هي ان يكون طيب النفس بدخولهم من ابواب متفرقة خوف العين ونظير هذا الفعل ان النبي صلى الله عليه وسلم سد كوة

فى قبر بحجر وقال ان هـذا لا يغنى شيأ ولكنه تطييب لنفس الحي ثم اثنى الله عز وجل على يعقوب بانه لقن ما علمه الله من هذا المعنى وان اكثر الناس ليس كذلك وقال قتادة معناه لعامل بما علمناه وقال سفيان من لا يعمل لا يكون عالما قال (ع) وهذا لا يعطيه اللفظ اما انه صحيح فى نفسه يرجحه المعنى وما تقتضيه منزلة يعقوب عليه السلام * وقوله اني الا اخوك قال ابن اسحاق وغيره اخبره بانه اخوه حقيقة واستكتمه وقال له لا تبال بكل ما تراه من المكروه فى تحيلي فى اخذك منهم وكان يامين شقيق يوسف * وقوله فلا تبتئس بما كانوا يعملون يحتمل ان يشير الى ما عمله الاخوة ويحتمل الاشارة الى ما يعمله فتيان يوسف من امر السقاية ونحو ذلك وتبتئس من البؤس اي لا تحزن ولا تهتم وهكذا عبر المفسرون * وقوله سبحانه فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه ثم اذن موذن ايتها العير انكم لسارقون هذا من الكيد الذى يسره الله ليوسف عليه السلام وذلك انه كان فى دين يعقوب ان يستعبد السارق وكان فى دين مصر ان يضرب ويضعف عليه الغرم فعلم يوسف ان اخوته لثقتهم ببراءة ساحتهم سيدعون فى السرقة الى حكمهم فتحيل لذلك واستسهل الامر على ما فيه من رمي ابرياء وادخال الهم على يعقوب وعليهم لما علم فى ذلك من الصلاح فى الآجل وبوحي لامحالة وارادة من الله محنتهم بذلك والسقاية الاناء الذى به يشرب الملك وبه كان يكيل الطعام للناس هكذا نص جمهور المفسرين ابن عباس وغيره وروي انه كان من فضة وهذا قول الجمهور وكان هذا الجعل بغير علم من يامين قاله السدي وهو الظاهر فلما فصلت العير باوقارها وخرجت من مصر فيما روي امر بهم فحبسوا واذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون ومخاطبة العير مجاز والمراد اربابها (ت) قال الهروي قوله تعالى ايتها العير العير الابل

والحمير التي يحمل عليها الاحمال واراد اصحاب العير وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم ياخيل الله اركبي اراد يا اصحاب خيل الله اركبي وانث ابا لانه للعير وهي جماعة انتهى فلما سمع اخوة يوسف هذه المقالة اقبلوا عليهم وساءهم ان يرموا بهذه المثلبة وقالوا ماذا تفقدون ليقع التفتيش فتظهر براءتهم ولم يلوذوا بالانكار من اول بل سألوا اكمال الدعوى عسى ان يكون فيها ما تبطل به فلا يحتاج الى خصام قالوا نفقد صواع الملك وهو المكيال وهو السقاية قال ابو عبيدة يؤنث الصواع من حيث سمي سقاية ويذكر من حيث هو صاع (ت) ولفظ ابي عبيدة الهروي قال الاخفش الصاع يذكر ويؤنث قال الله تعالى ثم استخرجها من وعاء اخيه فانث وقال لمن جاء به حمل بعير فذكر لانه عنى به الصواع انتهى * وقوله ولمن جاء به حمل بعير اي لمن دل على سارقه وجبر الصواع وهذا جعل * وقوله وانا به زعيم حَمالة قال مجاهد الزعيم هو المؤذن الذى قال ايتها العير والزعيم الضامن فى كلام العرب * وقوله تعالى قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض روي ان اخوة يوسف كانوا ردوا البضاعة الموجودة فى الرحال وتحرجوا من اخذ الطعام بلا ثمن فلذلك قالوا لقد علمتم اي لقد علمتم منا التحرى وروي انهم كانوا قد اشتهروا بمصر بصلاح وتعفف وكانوا يجعلون الاكِمَّة فى افواه ابلهم ليلا تنال زروع الناس فلذلك قالوا لقد علمتم والتاء فى تالله بدل من الواو ولا تدخل التاء فى القسم الا فى هذا الاسم قال ابن العربي فى احكامه قال الطبري قوله تعالى قالوا جزاؤه من وجد فى رحله على حذف مضاف تقديره جزاؤه استعباد اواسترقاق من وجد فى رحله انتهى وقولهم كذلك نجزى الظالمين اي هذه سنتنا وديننا فى اهل السرقة ان يتملك السارق كما تملك هو الشيء المسروق * وقوله سبحانه فبدأ باوعيتهم الآية بدؤه ايضا

من اوعيتهم تمكين للحيلة وابداد لظهور انها حيلة واضاف الله سبحانه الكيد الى ضميره لما خرج القدر الذى اباح به ليوسف اخذ اخيه مخرج ما هو فى اعتقاد الناس كيد وقال السدي والضحاك كدنا معناه صنعنا ودين الملك فسره ابن عباس بسلطانه وفسره قتادة بالقضاء والحكم وهذا متقارب قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اذ كان الملك لا يرى استرقاق السارق وانما كان دينه ان يأخذ المجنى عليه من السارق مثلي السرقة * الا ان يشاء الله التزام الاخوة لدين يعقوب بالاسترقاق فقضى عليهم به انتهى قال (ع) والاستثناء فى هذه الآية حكاية حال التقدير الا ان يشاء الله ما وقع من هذه الحيلة وروى ابو عمر بن عبد البر بسنده عن مالك عن زيد بن اسلم انه قال فى قوله عز وجل نرفع درجات من نشاء قال بالعلم انتهى من كتاب العلم * وقوله سبحانه وفوق كل ذى علم عليم المعنى ان البشر فى العلم درجات فكل عالم فلا بد من اعلم منه فاما من البشر واما الله عز وجل فهذا تاويل الحسن وقتادة وابن عباس وروي ايضا عن ابن عباس انما العليم الله وهو فوق كل ذى علم قال ابن عطاء الله فى التنوير اعلم ان العلم حيث ما تكرر فى الكتاب العزيز او فى السنة فانما المراد به العلم النافع الذى تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة انتهى قال الشيخ العارف ابو القاسم عبد الرحمن ابن يوسف اللجاءي رحمه الله اذا كملت للعبد ثلاث خصال وصدق فيها تفجر العلم من قلبه على لسانه وهي الزهد والاخلاص والتقوى قال ولا مطمع فى هذا العلم المذكور الا بعد معالجة القلب من علله التى تشينه كالكبر والحسد والغضب والرياء والسمعة والمحمدة والجاه والشرف وعلو المنزلة والطمع والحرص والقسوة والمداهنة والحقد والعداوة وكل ما عددناه من العلل وما

لم نعده راجع الى اصل واحد وهو حب الدنيا لان حبها عنه يتفرع كل شر وعنه يتشعب كل قبيح فاذا زالت هذه العلل ظهر الصدق والاخلاص والتواضع والحلم والورع والقناعة والزهد والصبر والرضى والانس والمحبة والشوق والتوكل والخشية والحزن وقصر الامل ومزاج النية بالعمل فينبع العلم وينتفى الجهل ويضيء القلب بنور الاهي ويتلألأ الايمان وتوضح المعرفة ويتسع اليقين ويتقوى الالهام وتبدو الفراسات ويصفى السر وتتجلى الاسرار وتوجد الفوائد قال رحمه الله وليس بين العبد والترقى من سفل الى علو الاحب الدنيا فان الترقى يتعذر من اجل حبها لانها جاذبة الى العالم الظلماني وطباع النفوس لذلك مائلة فان اردت ان تقتفى اثر الذاهبين الى الله تعالى فاستخف بدنياك وانظرها بعين الزوال وانزل نفسك عند اخذ القوت منها منزلة المضطر الى الميتة والسلام انتهى وروي ان المفتش كان اذا فرغ من رحل رجل فلم يجد فيه شيأ استغفر الله عز وجل من فعله ذلك وظاهر كلام قتادة وغيره ان المستغفر هو يوسف حتى انتهى الى رحل بنيامين فقال ما اظن هذا الفتى رضي بهذا ولا اخذ شيأ فقال له اخوته والله لا تبرح حتى تفتشه فهو اطيب لنفسك ونفوسنا ففتش حينئذ فاخرج السقاية وروي ان اخوة يوسف لما رأوا ذلك عنفوا بنيامين وقالوا له كيف سرقت هذه السقاية فقال لهم والله ما فعلت فقالوا له فمن وضعها فى رحلك قال الذى وضع البضاعة فى رحالكم والضمير فى قوله استخرجها عائد على السقاية ويحتمل على السرقة * وقوله سبحانه قالوا ان يسرق اي قالوا اخوة يوسف ان كان هذا قد سرق فغير بدع من ابني راحيل لان اخاه يوسف قد كان سرق فهذا من الاخوة انحاء على ابني راحيل يوسف ويامين وهذه الاقوال منهم عليهم السلام انما كانت بحسب الظاهر وموجب الحكم فى النازلتين فلم يعنوا فى غيبة ليوسف وانما قصدوا

الاخبار بامر جرى ليزول بعض المعرة عنهم ويختص بها هذان الشقيقان واما ما روي فى سرقة يوسف فالجمهور على ان عمته كانت ربته فلما شب اراد يعقوب اخذه منها فولعت به واشفقت من فراقه فاخذت منطقة اسحاق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بها من تحت ثيابه ثم صاحت وقالت انى قد فقدت المنطقة ويوسف قد خرج بها ففتشت فوجدت عنده فاسترقته حسب ما كان فى شرعهم وبقي عندها حتى ماتت فصار عند ابيه * وقوله فاسرها يوسف يعنى اسر الحزة التى حدثت فى نفسه من قول الاخوة * وقوله انتم شر مكانا الآية الظاهر منه انه قالها افصاحا كانه اسر لهم كراهية مقالتهم ثم نجههم بقوله انتم شر مكانا اي لسوء افعالكم والله اعلم ان كان ما وصفتموه حقا وفى اللفظ اشارة الى تكذيبهم ومما يقوى هذا عندى انهم تركوا الشفاعة بانفسهم وعدلوا الى الشفاعة بابيهم عليه السلام وقالت فرقة لم يقل هذا الكلام الا فى نفسه وانه تفسير للذى اسر فى نفسه فكأن المراد قال فى نفسه انتم شر مكانا وذكر الطبري هنا قصصا اختصاره انه لما استخرجت السقاية من رحل يامين قال اخوته يا بنى راحيل لا يزال البلاء ينالنا من جهتكم فقال يامين بل بنو راحيل ينالهم البلاء منكم ذهبتم باخى فاهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم فقالوا لا تذكر الدراهم لئلا نوخذ بها ثم دخلوا على يوسف فاخذ الصواع فنقره فطن فقال انه يخبر انكم ذهبتم باخ لكم فبعتموه فسجد يامين وقال ايها العزيز سل صواعك هذا يخبرك بالحق فى قصص يطول ٠اثرنا اختصاره وروي ان روبيل غضب وقف شعره حتى خرج من ثيابه فامر يوسف بنيا له فمسه فسكن غضبه فقال روبيل لقد مسنى احد من ولد يعقوب ثم انهم تشاوروا فى محاربة يوسف وكانوا اهل قوة لا يدانون فى ذلك فلما احس يوسف بذلك قام الى روبيل فلببه وصرعه فرأوا من قوته ما استعظموه وقالوا يا ايها العزيز

الآية وخاطبوه باسم العزيز اذ كان فى تلك الخطـة بعزل الاول او موته على ما روي فى ذلك وقولهم فخذ احدنا مكانـه يحتمل ان يكون ذلك منهم مجازا ويحتمـل ان يكون حقيقـة على طريق الحمالة حتى يصل يامين الى ابيـه ويعرف يعقوب جليـة الامر فمنع يوسف من ذلك وقال معـاذ الله الآيـة * وقـوله سبحانـه فلما استيأسـوا منه الآيـة يقـال يئس واستيـأس بمعنى واحد قال البخـاري خلصوا نجيـا اعتزلوا والجمـع انجيـة وللاثنـين والجمـع نجي وانجيـة انتهى وقال الهروي خلصوا نجيـا اي تميزوا عن النـاس متناجـين انتهى وكبيرهم قال مجاهـد هو شمعـون كان كبيرهم رأيا وعلما وان كان روبيـل اسنهم وقال قتـادة هو روبيـل لانـه اسنهم وهـذا اظهر ورجحه الطبري وذكرهم اخوهم ميثاق ابيهم لتاتننى به الا ان يحاط بكم * وقـوله فلن ابرح الارض قال (ص) برح التامـة بمعنى ذهب وظهر ومنه برح الخفاء اي ظهر والمتوجـه هنـا معنى ذهب لكنـه لا ينصب الظرف المكاني المختص الا بواسطـة فاحتيج الى تضمينـه معنى فارق والارض مفعول به ولا يجـوز ان تكون ابرح ناقصة انتهى * وقوله ارجعوا الى ابيكم الامر بالرجوع قيـل هو من قول كبيرهم وقيـل من قـول يوسف والاول اظهر وذكر الطبري ان يوسف قال لهم اذا اتيتم اباكم فاقرءوا عليه السلام وقولوا له ان ملك مصر يدعو لك ان لا تموت حتى ترى ولدك يوسف ليعلم ان فى ارض مصر صديقين مثله.وقرأ الجمهور سرق وروي عن الكسائي وغيره سـرّق ببنائه للمفعول * ومـا شهدنا الا بمـا علمنـا اي باعتبـار الظاهر والعلم فى الغيب الى الله ليس ذلك فى حفظنـا هذا تاويـل ابن اسحاق ثم استشهدوا بالقريـة التي كانوا فيهـا وهي مصر قاله ابن عبـاس والمراد اهلهـا قال البخـاري سولت اي زينت وقول يعقوب عسى الله ان ياتيني بهم جميعا يعنى بيوسف ويامين وروبيل

الذى لم يبرح الارض ورجاؤه هذا من جهات منها حسن ظنـه بالله سبحانـه فى كل حال ومنها رؤيا يوسف المتقدمة فانـه كان ينتظرها ومنها مـا اخبروه عن ملـك مصر انـه يدعوله برؤيـة ابنـه * وقوله سبحانـه وتولى عنهم اي زال بوجهـه عنهم ملتجـأ الى الله وقال يا اسفى على يوسف قال الحسن خصت هذه الامـة بالاسترجـاع الاترى الى قول يعقوب يا اسفى قال (ع) والمـراد يا اسفى لكن هذه لغـة من يرد ياء الاضافـة الفا نحو ياغلامـا ويا ابتـا ولا يبعد ان يجتمع الاسترجاع ويا اسفى لهذه الامـة وليعقوب عليه السلام وروي ان يعقوب عليـه السلام حزن حزن سبعين ثكلى واعطي اجر مائـة شهيد ومـا سـاء ظنـه بالله قط رواه الحسـن عن النبي صلى الله عليـه وسلم وهو كظيم بمعنى كاظم كما قال والكاظمـين الغيظ ووصف يعقوب بذلك لانـه لم يشك الى احـد وانمـا كان يكمد فى نفسه ويمسك همـه فى صدره فكان يكظمه اي يرده الى قلبـه (ت) وهذا ينظر الى قول النبي صلى الله عليـه وسلم القلب يحزن والعـين تدمـع ولا نقول الاما يرضى الرب الحديث ذكر هذا صلى الله عليـه وسلم عنـد موت ولده ابراهيم قال ابن المبارك فى رقائـقـه اخبرنا معمر عن قتادة فى قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قال كظم على الحزن فلم يقل الا خيرا انتهى قال ابن العربي فى احكامه وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليـه وسلم انـه قال فى ابنـه ابراهيم ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى الرب وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون وقال ايضا فى الصحيح صلى الله عليه وسلم ان الله لايعذب بدمع العين ولا بحزن القلب وانمـا يعذب بهذا واشار الى لسانـه او يرحم انتهى خرجـه البخاري وغيره * وقـوله تعـالى قالوا تالله تفتؤا الآيـة المعنى تالله لا تفتـأ فتحذف لا فى هذا الموضع من القسم لدلالة الكلام عليها فمن ذلك قول

امرئى القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا ٭ ولو قطعوا رأسى لديك واوصالى

ومنه قول الآخر ٭ تالله يبقى على الايام ذو حيد ٭ اراد لا ابرح ولايبقى وفتئى بمنزلة زال وبرح فى المعنى والعمل تقول والله لا فتئت قاعدا كما تقول لازلت ولابرحت وعبارة الداودي وعن ابن عباس تفتؤا اي لاتزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا انتهى والحرض الذى قد نهاه الهرم او الحب او الحزن الى حال فساد الاعضاء والبدن والحس يقال رجل حارض اي ذو هم وحزن ومنه قول الشاعر

انى امرؤلج بى حب فاحرضنى ٭ حتى بليت وحتى شفنى السقم

والحرض بالجملة الذى فسد ودنا موته قال مجاهد الحرض ما دون الموت وفى حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما من مومن يمرض حتى يحرضه المرض الا غفر له انتهى من رقائق ابن المبارك ثم اجابهم يعقوب عليه السلام بقوله انما اشكوا بثى وحزني الى الله اي انى لست ممن يجزع ويضجر وانما اشكو الى الله والبث ما فى صدر الانسان مما هو معتزم ان يثبه وينشره وقال ابو عبيدة وغيره البث اشد الحزن قال الداودي عن ابن جبير قال من بث فلم يصبر ثم قرأ انما اشكوا بثى وحزني الى الله انتهى ٭ وقوله وتيأسوا من روح الله الآية الروح الرحمة ثم جعل اليأس من رحمة الله وتفريجه من صفة الكافرين اذ فيه اما التكذيب بالربوبية واما الجهل بصفات الله تعالى والبضاعة القطعة من المال يقصد بها شراء شيء ولزمها عرف الفقه فيما لاحظ لحاملها من الربح والمزجاة معناها المدفوعة المتحيل لها وبالجملة فمن يسوق شيأ ويتلطف فى تسييره فقد ازجاه فاذا كانت الدراهم مدفوعة نازلة القدر تحتاج ان يعتذر معها ويشفع لها فهي مزجاة فقيل كان ذلك لانها كانت زيوفا قاله

ابن عباس وقيل كانت بضاعتهم عروضا وقولهم وتصدق علينا معناه مابين الدراهم الجياد وبين هذه المزجاة قاله السدي وغيره وقال الداودي عن ابن جريج وتصدق علينا قال اردد علينا اخانا انتهى وهو حسن * وقوله تعالى هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون روي ان يوسف عليه السلام لما قال له اخوته مسنا واهلنا الضر واستعطفوه رق ورحمهم قال ابن اسحاق وارفض دمعه باكيا فشرع فى كشف امره اليهم فروي انه حسر قناعه وقال لهم هل علمتم الآية وما فعلتم بيوسف واخيه اي من التفريق بينهما فى الصغر وما نالهما بسببكم من المحن اذ انتم جاهلون نسبهم اما الى جهل المعصية واما الى جهل الشباب وقلة الحنكة فلما خاطبهم هذه المخاطبة تنبهوا ووقع لهم من الظن القوي وقرائن الحال انه يوسف فقالوا ائنك لانت يوسف مستفهمين فاجابهم يوسف كاشفا امره قال انا يوسف وهذا اخى وباقى الآية بين * وقوله سبحانه قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين هذا منهم استنزال ليوسف واقرار بالذنب فى ضمنه استغفار منه وءاثرك لفظ يعم جميع التفضيل * وقوله لا تثريب عليكم عفو جميل وقال عكرمة اوحى الله الى يوسف بعفوك عن اخوتك رفعت لك ذكرك والتثريب اللوم والعقوبة وما جرى معهما من سوء معتقد ونحوه وعبر بعض الناس عن التثريب بالتعيير ووقف بعض القرأة عليكم وابتدأ اليوم يغفر الله لكم ووقف اكثرهم اليوم وابتدأ يغفر الله لكم على جهة الدعاء وهو تاويل ابن اسحاق والطبري وهو الصحيح الراجح فى المعنى لان الوقف الآخر فيه حكم على مغفرة الله اللهم الا ان يكون ذلك بوحي * وقوله اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى قال النقاش روي ان هذا القميص كان من ثياب الجنة كساه الله ابراهيم ثم توارثه بنوه قال (ع) وهذا يحتاج الى سند

والظاهر انه قميص يوسف كسائر القمص وقول يوسف يات بصيرا فيه دليل على ان هذا كله بوحي واعلام من الله تعالى وروي ان يعقوب وجد ريح يوسف وبينه وبين القميص مسيرة ثمانية ايام قاله ابن عباس وقال هاجت ريح فحملت عرفه وقول يعقوب انى لاجد ريح يوسف مخاطبة لحاضريه فروي انهم كانوا حفدته وقيل كانوا بعض بنيه وقيل كانوا قرابته وتفندون معناه تردون رأيي وتدفعون فى صدره وهذا هو التفنيد لغة قال منذر بن سعيد يقال شيخ مفند اي قد فسد رأيه والذى يشبه ان تفنيدهم ليعقوب انما كان لانهم كانوا يعتقدون ان هواه قد غلبه فى جانب يوسف وقال (ص) معنى تفندون تسفهون انتهى وقولهم انك لفى ضلالك القديم يريدون لفى انتلافك فى محبة يوسف وليس بالضلال الذى هو فى العرف ضد الرشاد لان ذلك من الجفاء الذى لا يسوغ لهم مواجهته به * وقوله سبحانه فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا روي عن ابن عباس ان البشير كان يهوذا لانه كان جاء بقميص الدم وبصيرا معناه مبصرا وروي انه قال للبشير على اي دين تركت يوسف قال على الاسلام قال الحمد لله الآن كملت النعمة * وقوله تعالى قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا الآية روي ان يوسف عليه السلام لما غفر لاخوته وتحققوا ان اباهم يغفر لهم قال بعضهم لبعض ما يغني عنا هذا ان لم يغفر الله لنا فطلبوا حينئذ من يعقوب عليه السلام ان يطلب لهم المغفرة من الله تعالى واعترفوا بالخطإ فقال لهم يعقوب سوف استغفر لكم ربي (ت) وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت ان تقوم فى ثلث الليل الآخر فانها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقد قال اخي يعقوب لبنيه سوف استغفر لكم ربي يقول حتى تاتي ليلة الجمعة وذكر الحديث رواه الترمذي وقال حسن غريب

لانعرفه الامن حديث الوليد بن مسلم ورواه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين يعنى البخاري ومسلما انتهى من السلاح * وقوله سبحانه ءاوى اليه ابويه قال ابن اسحاق والحسن اراد بالابوين اباه وامه وقيل اراد اباه وخالته قال (ع) والاول اظهر بحسب اللفظ الا ان يثبت بسند ان امه قدكانت ماتت * وقوله ان شاء الله هذا الاستثناء هو الذى ندب القرءان اليه ان يقوله الانسان فى جميع ما ينفذه فى المستقبل والعرش سرير الملك وخروا له سجدا اي سجود تحية فقيل كان كالسجود المعهود عندنا من وضع الوجه بالارض وقيل بل دون ذلك كالركوع البالغ ونحوه مما كان سيرة تحياتهم للملوك فى ذلك الزمان واجمع المفسرون انه كان سجود تحية لا سجود عبادة وقال الحسن الضمير فى له لله عز وجل ورد هذا القول على الحسن * وقوله عز وجل وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا المعنى قال يوسف ليعقوب هذا السجود الذى كان منكم هو ما ءالت اليه رؤياي قديما فى الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر قد جعلها ربى حقا ثم اخذ عليه السلام يعدد نعم الله عليه وقال وقد اخرجني من السجن وترك ذكر اخراجه من الجب لان فى ذكره تجديد فعل اخوته وخزيهم وتحريك تلك الغوائل وتخبيث النفوس ووجه ءاخر انه خرج من الجب الى الرق ومن السجن الى الملك فالنعمة هنا اوضح * ان ربى لطيف لما يشاء اي من الامور ان يفعله * انه هو العليم الحكيم قال (ع) ولا وجه فى ترك تعريف يوسف اباه بحاله منذ خرج من السجن الى العز الا الوحي من الله تعالى لما اراد ان يمتحن به يعقوب وبنيه واراد من صورة جمعهم لا اله الا هو وقال النقاش كان ذلك الوحي فى الجب وهو قوله سبحانه واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وهذا محتمل * وقوله رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من

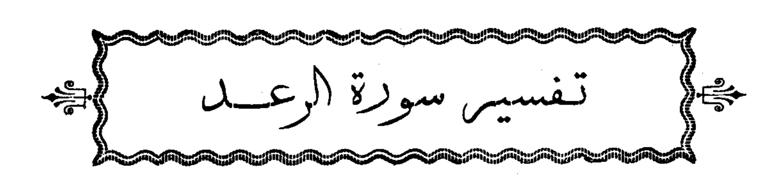
تاويل الاحاديث الآية ذكر كثير من المفسرين ان يوسف عليه السلام لما عدد فى هذه الآية نعم الله عنده تشوق الى لقاء ربه ولقاء الجلة وصالحى سلفه وغيرهم من المومنين ورأى ان الدنيا قليلة فتمنى الموت فى قوله توفنى مسلما والحقنى بالصالحين وقال ابن عباس لم يتمن الموت نبيء غير يوسف وذكر المهدوي تاويلا ءاخر وهو الاقوى عندى انه ليس فى الآية تمنى موت وانما تمنى عليه السلام الموافاة على الاسلام لا الموت وكذا قال القرطبي فى التذكرة ان معنى الآية اذا جاء اجلى توفنى مسلما قال وهذا القول هو المختار عند اهل التاويل والله اعلم انتهى وقوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به انما يريد ضرر الدنيا كالفقر والمرض ونحو ذلك ويبقى تمنى الموت مخافة فساد الدين مباحا وقد قال صلى الله عليه وسلم فى بعض ادعيته واذا اردت بالناس فتنة فاقبضني اليك غير مفتون * وقوله انت وليى اي القائم بامرى الكفيل بنصرتى ورحمتى * وقوله عز وجل ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ذلك اشارة الى ما تقدم من قصة يوسف وهذه الآية تعريض لقريش وتنبيه على ءاية صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفى ضمن ذلك الطعن على مكذبيه والضمير فى لديهم عائد على اخوة يوسف واجمعوا معناه عزموا والامر هنا هو القاء يوسف فى الجب وحكى الطبري عن ابى عمران الجوني انه قال والله ما قص الله نبأهم ليعيرهم انهم الانبياء من اهل الجنة ولكن الله قص علينا نبأهم ليلا يقنط عبده * وقوله سبحانه وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله وما تسألهم عليه من اجر الآية توبيخ للكفرة واقامة للحجة عليهم ثم ابتدأ الاخبار عن كتابه العزيز انه ذكر وموعظة لجميع العالم نفعنا الله به ووفرحظنا منه * وقوله سبحانه وكأين من آية فى السموات والارض يعنى بالآية هنا المخلوقات

المنصوبة للاعتبار الدالة على توحيد خالقها سبحانه وفى مصحف عبد الله يمشون عليها * وقوله سبحانه وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ابن عباس هي فى اهل الكتاب وقال مجاهد وغيره هي فى العرب وقيل نزلت بسبب قول قريش فى الطواف والتلبية لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع احدهم يقول لبيك لا شريك لك يقول له قط قط اي قف هنا ولا تزد الا شريكا هو لك والغاشية ما يغشى ويغطي ويغم وبغتة اي فجأة وهذه الآية من قوله وكاين من آية وان كانت فى الكفار فان العصاة ياخذون من الفاظها بحظ ويكون الايمان حقيقة والشرك لغويا كالرياء فقد قال عليه السلام الرياء الشرك الاصغر * وقوله سبحانه قل هذه سبيلي ادعوا الى الله الآية اشارة الى دعوة الاسلام والشريعة باسرها قال ابن زيد المعنى هذا امرى وسنتى ومنهاجى والبصيرة اسم لمعتقد الانسان فى الامر من الحق واليقين * وقوله انا ومن اتبعني يحتمل ان يكون انا تاكيد للضمير المستكن فى ادعوا ومن معطوف عليه وذلك بان تكون الامة كلها امرت بالمعروف داعية الى الله الكفرة والعصاة قال (ص) ويجوز ان يكون انا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن معطوف عليه انتهى وسبحان الله تنزيه لله اي وقل سبحان الله متبريا من الشرك * وقوله سبحانه وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم الآية تتضمن الرد على من استغرب ارسال الرسل من البشر والقرى المدن قال الحسن لم يبعث الله رسولا قط من اهل البادية قال (ع) والتبدى مكروه الا فى الفتنة وحين يفر بالدين ولا يعترض هذا ببدو يعقوب لان ذلك البدو لم يكن فى اهل عمود بل هو بتقر وفى منازل وربوع وايضا انما جعله بدوا بالاضافة الى مصر كما هي بنات الحواضر بدو

بالاضافة الى الحواضر ثم احال سبحانه على الاعتبار فى الامم السالفة ثم حض سبحانه على الآخرة والاستعداد لها بقوله ولدار الآخرة خير الآية قال (ص) ولدار الآخرة خرجه الكوفيون على انه من اضافة الموصوف لصفته واصله وللدار الآخرة والبصريون على انه من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه واصله ولدار المدة الآخرة او النشأة الآخرة انتهى وبتضمن قوله تعالى افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ان الرسل الذين بعثهم الله من اهل القرى دعوا امهم فلم يومنوا بهم حتى نزلت بهم المثلات فصاروا فى حيز من يعتبر بعاقبته فلهذا المضمن حسن ان ندخل حتى فى قوله حتى اذا استيأس الرسل وقرأ نافع وابن كثير وابوعمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بتشديد الذال وقرأ الباقون كذبوا بضم الكاف وكسر الذال المخففة فاما الاولى فمعناها ان الرسل ظنوا ان امهم قد كذبتهم والظن هنا يحتمل ان يكون بمعنى اليقين ويحتمل ان يكون الظن على بابه ومعنى القراءة الثانية على المشهور من قول ابن عباس وابن جبير اي حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذَبوهم فيما ادعوه من النبوءة او فيما توعدوهم به من العذاب لما طال الامهال واتصلت العافية جاءهم نصرنا واسند الطبري ان مسلم بن يسار قال لسعيد بن جبير يا ابا عبد الله ءاية بلغت مني كل مبلغ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا فهذا هو الموت ان تظن الرسل انهم قد كذبوا مخففة فقال له ابن جبير يا ابا عبد الرحمن انما يئس الرسل من قومهم ان يجيبوهم وظن قومهم ان الرسل قد كذبتهم فقام مسلم الى سعيد فاعتنقه وقال فرجت عنى فرج الله عنك قال (ع) فرضي الله عنهم كيف كان خلقهم فى العلم وقال بهذا التاويل جماعة وهو الصواب واما تاويل من قال ان المعنى وظنوا انهم قد كذبهم من

اخبرهم عن الله فغير صحيح ولايجوز هذا على الرسل واين العصمة والعلم (ت)
قال عياض فان قيل فما معنى قـوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد
كذبوا على قراءة التخفيف قلنـا المعنى فى ذلك مـا قالتـه عائشة رضي الله
عنهـا معـاذ الله ان تظن الرسل ذلك بربهـا وانمـا معنى ذلك ان الرسل لمـا
استيأسوا ظنوا ان من وعـدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر
المفسرين وقيـل الضمير فى ظنـوا عائـد على الاتبـاع والامم لا على الانبيـاء
والرسل وهو قول ابن عبـاس والنخعي وابن جبير وجماعـة وبهـذا المعنى قرأ
مجاهد كذبوا بالفتـح فـلا تشغـل بالك مـن شـاذ التفسير بسواه ممـا لا
يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء انتهى من الشفا * وقوله سبحانـه
جاءهم نصرنا اي بتعذيب اممهم الكافرة * فننجى من نشاء اي من اتبـاع
الرسل * ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اي الكافرين والبـأس العذاب *
وقوله سبحانـه لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب اي فى قصص يوسف
واخوتـه وسـائر الرسل الذين ذكروا على الجملة ولمـا كان ذلك كله فى القرءان
قال عنـه مـاكان حديثـا يفترى والذى بـين يديـه التوراة والانجيـل وباقى
الآيـة بين واضح (ت) كنت فى وقت انظر فى السيرة لابن هشام واتأمل فى
خطبـة النبي صلى الله عليه وسلم وهي اول خطبة خطبهـا بالمدينـة فاذا هاتف
يقول لقـد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب مـاكان حديثا يفترى وقد كان
حصل فى القلب عبرة فى امره صلى الله عليه وسلم وافاضـل اصحابـه رضي الله
عنهم اجمعين وسلك بنـا مناهجهم المرضيـة والحمـد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى وصلى الله على سيدنا محمـد وعلى ءاله وصحبـه وسلم تسلـيما

بسم الله الرحمن الرحيم



تفسير سورة الرعد

قيل مكية الا بعض ءايات وقيل مدنية والظاهر ان المدني فيها كثير * قوله عز وجل المر تلك ءايات الكتاب والذى انزل اليك من ربك الحق قال ابن عباس هذه الحروف هي من قوله انا الله اعلم وارى * وقوله سبحانه الله الذى رفع السموات بغير عمد الآية قال جمهور الناس لا عمد للسموات البتة وهذا هو الحق والعمد اسم جمع * وقوله سبحانه ثم استوى على العرش ثم هنا لعطف الجمل لا للترتيب لان الاستواء على العرش قبل رفع السموات ففى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وقد تقدم القول فى هذا وفى معنى الاستواء (ت) والمعتقد فى هذا انه سبحانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته كان الله ولا شيء معه كان سبحانه قبل ان يخلق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كان * وقوله سبحانه وسخر الشمس والقمر تنبيه على القدرة وفى ضمن الشمس والقمر الكواكب ولذلك قال كل يجرى اي كل ما هو فى معنى الشمس والقمر والاجل المسمى هو انقضاء الدنيا وفساد هذه البنية * يدبر الامر معناه يبرمه وينفذه وعبر بالتدبير تقريبا للافهام وقال مجاهد يدبر الامر معناه

يقضيه وحده * ولعلكم بلقاء ربكم توقنون اي توقنون بالبعث * وقوله سبحانه وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسي لما فرغت ءايات السماء ذكرت ءايات الارض والرواسي الجبال الثابتة * وقوله سبحانه جعل فيها زوجين اثنين الزوج فى هذه الآية الصنف والنوع وليس بالزوج المعروف فى المتلازمين الفردين من الحيوان وغيره ومنه قوله سبحانه سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض الآية ومنه وانبتنا فيها من كل زوج بهيج وهذه الآية تقتضى ان كل ثمرة فموجود منها نوعان فان اتفق ان يوجد من ثمرة اكثر من نوعين فغير ضار فى معنى الآية وقطع جمع قطعة وهي الاجزاء وقيد منها فى هذا المثال ما جاور وقرب بعضه من بعض لان اختلاف ذلك فى الأكل اغرب وقرأ الجمهور وجنات بالرفع عطفا على قطع وقرأ نافع وغيره وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالخفض فى الكل عطفا على اعناب وقرأ ابن كثير وغيره وزرع بالرفع فى الكل عطفا على قطع وصنوان جمع صنو وهو الفرع يكون مع الآخر فى اصل واحد قال البراء بن عازب الصنوان المجتمع وغير الصنوان المفترق فردا فردا وفى الصحيح العم صنو الاب وانما نص على الصنوان فى هذه الآية لانها بمثابة التجاور فى القطع تظهر فيها غرابة اختلاف الاكل والاكل بضم الهمزة اسم ما يوكل والأكل المصدر وحكى الطبري عن ابن عباس وغيره قطع متجاورات اي واحدة سبخة واخرى عذبة ونحو هذا من القول وقال قتادة المعنى قرى متجاورات قال (ع) وهذا وجه من العبرة كانه قال وفى الارض قطع مختلفات بتخصيص الله لها بمعان فهي تسقى بماء واحد ولكن تختلف فيما تخرجه والذى يظهر من وصفه لها بالتجاور انها من تربة واحدة ونوع واحد وموضع العبرة فى هذا ابين وعلى المعنى الاول قال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى ءادم

الارض واحدة وينزل عليها مــاء واحد من السماء فتخرج هذه زهرة وثمــرة وتخرج هذه سبخة وملحا وخبثا وكذلك النــاس خلقوا مــن ءادم فنزلت عليهم من السماء تذكرة فرقت قلوب وخشعت وقست قلوب ولهت قال الحسن فوالله ما جالس احد القرءان الاقام عنه بزيادة او نقصان قال الله تعالى وننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * وقوله سبحانــه وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا انا لفي خلق جديد المعنى وان تعجب يا محمــد مــن جهالتهم واعراضهم عن الحق فهم اهــل لذلك وعجب غريب قولهم انعود بعد كوننا ترابا خلقا جديدا * اولائك الذين كفروا بربهم لتصميمهم على الجحود وانكارهم للبعث * واولائك الاغلال فى اعناقهم اي فى الآخرة ويحتمل ان يكون خبرا عن كونهم مغللين عن الايمان كقوله تعــالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون * وقوله سبحانه ويستعجلونك بالسيئــة قبل الحسنة الآية تبيين لخطإهم كطلبهم سقوط كسف من السماء وقولهم امطر علينــا حجارة من السماء ونحو هــذا مع نزول ذلك باناس كثير وقرأ الجمهور المثلات بفتح الميم وضم الثاء وقرأ مجاهد المثلات بفتح الميم والثاء اي الاخذة الفذة بالعقوبة ثم رجى سبحانــه بقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ثم خوف بقوله وان ربك لشديد العقاب قال ابن المسيب لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ومغفرتــه ما تهنــأ احد عيشا ولولا عقابه لاتكل كل احد وقال ابن عبــاس ليس فى القرءان ارجى من هذه الآيــة والمثــلات هي العقوبات المنكلات التي تجعل الانسان مثلا يتمثل به ومنه التمثيل بالقتلى ومنه المثــلة بالعبيد * ويقولون لولا انزل عليه ءاية من ربه هذه من اقتراحاتهم والآية هنا يراد بها الاشياء التي سمتها قريش كالملك والكنز وغير ذلك ثم اخبر تعالى بانه

منذر وهاد قال عكرمة وابو الضحى المراد بالهادى محمد صلى الله عليه وسلم فهاد عطف على منذركانه قال انما انت منذر وهاد لكل قوم وهاد على هذا التاويل بمعنى داع الى طريق الهدى وقال مجاهد وابن زيد المعنى انما انت منذر ولكل امة سلفت هاد اي نبيء يدعوهم اي فليس امرك يا محمد ببدع ولا منكر وهذا يشبه غرض الآية وقالت فرقة الهادى فى هذه الآية الله عز وجل والالفاظ تقلق بهذا المعنى ويعرف ان الله تعالى هو الهادى من غير هذا الموضع والقولان الاولان ارجح ما تأول فى الآية * وقوله سبحانه الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد هذه الآيات امثال منبهات على قدرة الله تعالى القاضية بتجويز البعث وما تغيض الارحام معناه ما تنقص ثم اختلف المتأولون فى صورة الزيادة والنقصان وجمهور المتأولين على ان غيض الرحم هو نقص الدم على الحمل وقال الضحاك غيض الرحم ان تسقط المرأة الولد والزيادة ان تضعه لمدة كاملة ونحوه لقتادة * وقوله وكل شيء عنده بمقدار عام فى كل ما يدخله التقدير والغيب ما غاب عن الادراكات والشهادة ما شوهد من الامور * وقوله الكبير صفة تعظيم والمتعال من العلو * وقوله سبحانه سواء منكم من اسر القول الآية اي لا يخفى على الله شيء والسارب فى اللغة المتصرف كيف شاء * وقوله سبحانه له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله المعنى جعل الله للعبد معقبات يحفظونه فى كل حال من كل ما جرى القدر باندفاعه فاذا جاء المقدور الواقع اسلم المرء اليه والمعقبات على هذا التاويل الحفظة على العباد اعمالهم والحفظة لهم ايضا قاله الحسن وروى فيه عن عثمان بن عفان حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اقوى التاويلات فى الآية وعبارة البخاري معقبات ملائكة حفظة يعقب الاول منها الآخر انتهى وقالت فرقة الضمير فى له عائد على اسم الله

المتقدم ذكره اي لله معقبات يحفظون عبده والضمير فى قوله يديه وما بعده من الضمائر عائد على العبد ثم ذكر سبحانه انه لا يغير هذه الحالة من الحفظ للعبد حتى يغير العبد ما بنفسه والمعقبات الجماعات التى يعقب بعضها بعضا وهي الملائكة وينظر هذا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث وفى قراءة ابي بن كعب من بين يديه ورقيب من خلفه وقرأ ابن عباس ورقباء من خلفه يحفظونه بامر الله وقوله يحفظونه اي يحرسونه ويذبون عنه ويحفظون ايضا اعماله ثم اخبر تعالى انه اذا اراد بقوم سوءا فلا مرد له ولا حفظ منه * وقوله سبحانه هو الذى يريكم البرق الآية قد تقدم فى اول البقرة تفسيره والظاهر ان الخوف انما هو من صواعق البرق والطمع فى الماء الذى يكون معه وهو قول الحسن والسحاب جمع سحابة ولذلك جمع الصفة والثقال معناه بحمل الماء قاله قتادة ومجاهد والعرب تصفها بذلك وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وقال ابن ابى زكرياء من قال اذا سمع الرعد سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة (ت) وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك رواه الترمذي والنساءي والحاكم فى المستدرك ولفظهم واحد انتهى من السلاح قال الداودي وعن ابن عباس قال من سمع الرعد فقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته انتهى * وقوله سبحانه ويرسل الصواعق الآية قال ابن جريج كان سبب نزولها قصة اربد وعامر بن الطفيل سألا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل الامر بعده لعامر بن الطفيل ويدخلا فى دينه فابى عليه السلام ثم تؤامرا فى قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال

عامر لاربد انا اشغله لك بالحديث واضربه انت بالسيف فجعل عامر يحدثه واربد لايصنع شيأ فلما انصرفا قال له عامر والله يا اربد لاخفتك ابدا ولقد كنت اخافك قبل هذا فقال له اربد والله لقد اردت اخراج السيف فما قدرت على ذلك ولقد كنت اراك بيني وبينه افاضربك فمضيا للحشد على النبي صلى الله عليه وسلم فاصابت اربد صاعقة فقتلته والمحال القوة والاهلاك (ت) وفى صحيح البخاري المحال العقوبة * وقوله عز وجل له دعوة الحق الضمير فى له عائد على اسم الله عز وجل قال ابن عباس ودعوة الحق لا اله الا الله يريد وما كان من الشريعة فى معناها * وقوله والذين يراد به ما عبد من دون الله والضمير فى يدعون لكفار قريش وغيرهم ومعنى الكلام والذين يدعونهم الكفار فى حوائجهم ومنافعهم لا يجيبونهم بشيء الا ثم مثلا سبحانه مثالا لاجابتهم بالذى يبسط كفيه نحو الماء ويشير اليه بالاقبال الى فيه فلا يبلغ فمه ابدا فكذلك اجابة هؤلاء والانتفاع بهم لايقع * وقوله هو يريد به الماء وهو البالغ والضمير فى بالغه للفم ويصح ان يكون هو يراد به الفم وهو البالغ ايضا والضمير فى بالغه للماء لان الفم لا يبلغ الماء ابدا على تلك الحال ثم اخبر سبحانه عن دعاء الكافرين انه فى انتلاف وضلال لا يفيد * وقوله تعالى ولله يسجد من فى السموات والارض الآية تنبيه على قدرته وعظمته سبحانه وتسخير الاشياء له والطعن على الكفار التاركين للسجود ومن تقع على الملائكة عموما وسجودهم طوع واما اهل الارض فالمومنون داخلون فى من وسجودهم ايضا طوع واما سجود الكفرة فهو الكره وذلك على معنيين فان جعلنا السجود هذه الهيئة المعهودة فالمراد من الكفرة من اسلم خوف سيف الاسلام كما قاله قتادة وان جعلنا السجود الخضوع والتذلل حسب ما هو فى اللغة

فيدخل الكفار اجمعون فى من لانه ليس من كافر الا ويلحقه من التذلل والاستكانة لقدرة الله تعالى انواع اكثر من ان تحصى بحسب رزاياه واعتباراته * وقوله سبحانه وظلالهم بالغدو والآصال اخبار عن ان الظلال لها سجود لله تعالى كقوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله الآية وقال مجاهد ظل الكافر يسجد طوعا وهوكاره وروي ان الكافر اذا سجد لصنمه فان ظله يسجد لله حينئذ وباقى الآية بين ثم مثل الكفار والمومنين بقوله قل هل يستوى الاعمى والبصير وشبه الكافر بالاعمى والكفر بالظلمات وشبه المومن بالبصير والايمان بالنور * وقوله سبحانه قل الله خالق كل شيء لفظ عام يراد به الخصوص كما تقدم ذكره فى غير هذا الموضع * وقوله سبحانه انزل من السماء ماء يريد به المطر * فسالت اودية بقدرها الاودية ما بين الجبال من الانخفاض والخنادق وقوله بقدرها يحتمل ان يريد بما قدر لها من الماء ويحتمل ان يريد بقدر ما تحمله على قدر صغرها وكبرها (ت) وقوله فاحتمل بمعنى حمل كاقتدر وقدر قاله (ص) والزبد ما يحمله السيل من غثاء ونحوه والرابى المنتفخ الذى قد ربا ومنه الربوة * وقوله سبحانه ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله المعنى ومن الاشياء التى توقدون عليها ابتغاء الحلي وهي الذهب والفضة او ابتغاء الاستمتاع بها فى المرافق وهي الحديد والرصاص والنحاس ونحوها من الاشياء التى توقدون عليها فاخبر تعالى ان من هذه ايضا اذا احمي عليها يكون لها زبد مماثل للزبد الذى يحمله السيل ثم ضرب سبحانه ذلك مثلا للحق والباطل اي ان الماء الذى تشربه الارض من السيل فيقع النفع به هو كالحق والزبد الذى يخمد وينفش ويذهب هوكالباطل وكذلك ما يخلص من الذهب والفضة والحديد ونحوه هوكالحق وما يذهب فى الدخان هوكالباطل * وقوله جفاء

مصدر من قولهم اجفأت القدر اذا غلت حتى خرج زبدها وذهب وقال (ص) جفاء حال اي مضمحلا متلاشيا ابو البقاء وهمزته منقلبة عن واو وقيل اصل انتهى * وقوله ما ينفع الناس يريد الخالص من الماء ومن تلك الاحجار * وقوله سبحانه للذين استجابوا لربهم الحسنى ابتداء كلام والحسنى الجنة * والذين لم يستجيبوا هم الكفرة * وسوء الحساب هو التقصى على المحاسب وان لا يقع فى حسابه من التجاوز شيء قاله شهر بن حوشب والنخعي وفرقد السنجي وغيرهم * وقوله سبحانه افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى المعنى اسواء من هداه الله فعلم صدق نبوتك وءامن بك كمن هو اعمى البصيرة باق على كفره روي ان هذه الآية نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وابى جهل وهي بعد هذا مثال فى جميع العالم * انما يتذكر اولوا الالباب انما فى هذه الآية حاصرة اي انما يتذكر فيومن ويراقب الله من له لب ثم اخذ فى وصفهم فقال الذين يوفون بعهد الله الآية قال الثعلبي قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مسيرة الى ثمانية ابواب الجنة وقال ابو بكر الوراق هذه ثمان جسور فمن اراد القربة من الله عبرها انتهى وباقى الآية الفاظها واضحة وانوارها لذوى البصائر لائحة * ويدرءون يدفعون قال الغزالي لما ذكر هذه الآية والذى ءاثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الالباب ولذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب انتهى وجنات بدل من عقبى وتفسير لها * وعدن هي مدينة الجنة ووسطها ومعناها جنات الاقامة من عدن فى المكان اذا اقام فيه طويلا ومنه المعادن وجنات عدن يقال هي مسكن الانبياء والشهداء والعلماء فقط قاله عبد الله بن عمرو بن العاصى ويروى ان لها خمسة ءالاف باب * وقوله ومن صلح اي عمل صالحا * والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم

اي يقولون سلام عليكم والمعنى هذا بما صبرتم وباقي الآية واضح * وقوله سبحانه والذين ينقضون عهد الله الآية هذه صفة حال مضادة للمتقدمة نعوذ بالله من سخطه * وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء الآية لما اخبر عن من تقدم وصفه بان لهم اللعنة وسوء الدار انحى بعد ذلك على اغنيائهم وحقر شأنهم وشأن اموالهم المعنى ان هذا كله بمشيئة الله يهب الكافر المال ليهلكه به ويقدر على المومن ليعظم بذلك اجره وذخره * وقوله ويقدر من التقدير المناقض للبسط والاتساع * ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه ءاية من ربه قل ان الله يضل من يشاء الآية رد على مقترحي الآيات من كفار قريش كما تقدم * وقوله سبحانه الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الذين بدل من من في قوله من اناب وطمانينة القلوب هي الاستكانة والسرور بذكر الله والسكون به كمالا به ورضى بالثواب عليه وجودة اليقين ثم قال سبحانه الا بذكر الله تطمئن القلوب اي لا بالآيات المقترحة التي ربما كفر بعدها فنزل العذاب * والذين الثاني مبتدأ وخبره طوبى لهم واختلف فى معنى طوبى فقال ابن عباس طوبى اسم الجنة بالحبشية وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل طوبى اسم شجرة فى الجنة وبهذا تواترت الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى اسم شجرة فى الجنة يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام لا يقطعها الحديث قال (ص) طوبى فعلى من الطيب والجمهور انها مفرد مصدر كسقيا وبشرى قال الضحاك ومعناها غبطة لهم قال القرطبي والصحيح انها شجرة للحديث المرفوع انتهى (ت) وروى الشيخ الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن الخطيب البغدادي فى تاريخه عن شيخه ابى نعيم الاصبهاني بسنده عن ابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له يا رسول الله طوبى لمن رءاك وءامن بك قال

طوبى لمن رءانى وءامن بى ثم طوبى ثم طوبى لمن ءامن بى ولم يرنى فقال له رجل يا رسول الله ما طوبى قال شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها انتهى من ترجمة احمد بن الحسن * وقوله تعالى كذلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم اي كما اجرينا عادتنا كذلك ارسلناك الآية * وقوله وهم يكفرون بالرحمن قال قتادة نزلت فى قريش لما كتب فى الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم فى قصة الحديبية فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن قال (ع) وذلك منهم اباية اسم فقط وهروب عن هذه العبارة التى لم يعرفوها الا من قبل النبي عليه السلام والمتاب المرجع كالمآب لان التوبة هي الرجوع * وقوله سبحانه ولو ان قرءانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض الآية قال ابن عباس وغيره ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ازح عنا وسير جبلي مكة فقد ضيقا علينا واجعل لنا ارضنا قطع غراسة وحرث واحي لنا ءاباءنا واجدادنا وفلانا وفلانا فنزلت الآية فى ذلك معلمة انهم لا يومنون ولو كان ذلك كله * وقوله تعالى افلم ييأس الذين ءامنوا الآية ييأس معناه يعلم وهي لغة هوازن وقرأ علي بن ابى طالب وابن عباس وجماعة افلم يتبين ثم اخبر سبحانه عن كفار قريش والعرب انهم لا يزالون تصيبهم قوارع من سرايا النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته ثم قال او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم هذا تاويل ابن عباس وغيره وقال الحسن بن ابي الحسن المعنى او تحل القارعة قريبا من دارهم ووعد الله على قول ابن عباس وغيره هو فتح مكة وقال الحسن الآية عامة فى الكفار الى يوم القيامة وان حال الكفرة هكذا هي الى يوم القيامة ووعد الله قيام الساعة والقارعة الرزية التى تقرع قلب صاحبها * وقوله سبحانه ولقد استهزئ برسل الآية تانيس وتسلية له عليه السلام قال البخاري فامليت اي

اطلت من الملي والملاوة ومنه مليا ويقال للواسع الطويل من الارض مَلًى من الارض انتهى * وقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي اهو احق بالعبادة ام الجمادات * وقوله قل سموهم اي سموا من له صفات يستحق بها الالوهية ومكرهم يعم اقوالهم وافعالهم التى كانت بسبيل مناقضة الشرع * ولهم عذاب فى الحيوة الدنيا اي بالقتل والاسر والجدوب وغير ذلك * واشق من المشقة اي اصعب والواقى الساتر على جهة الحماية من الوقاية * وقوله سبحانه مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها قد تقدم تفسير نظيره وقوله اكلها معناه ما يوكل فيها * وقوله سبحانه والذين ءاتيناهم الكتاب يفرحون الآية قال ابن زيد المراد بالآية من آمن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره قال (ع) والمعنى مدحهم وباقى الآية بين * وقوله سبحانه يمحوا الله ما يشاء ويثبت المعنى ان الله سبحانه يمحو من الامور ما يشاء ويغيرها عن احوالها مما سبق فى علمه محوه وتغييره ويثبتها فى الحالة التى ينقلها اليها حسب ما سبق فى علمه قال (ع) واصوب ما يفسر به ام الكتاب انه كتاب الامور المجزومة التى قد سبق القضاء فيها بما هو كائن وسبق ان لاتبدل ويبقى المحو والتثبيت فى الامور التى سبق فى القضاء ان تبدل وتمحى وتثبت قال نحوه قتادة وقوله سبحانه واما نرينك بعض الذى نعدهم ان شرط دخلت عليها ما * وقوله او نتوفينك اوعاطفة * وقوله فانما جواب الشرط ومعنى الآية ان نبقك يا محمد لترى بعض الذى نعدهم او نتوفينك قبل ذلك فعلى كلا الوجهين فانما يلزمك البلاغ فقط والضمير فى قوله اولم يروا عائد على كفار قريش كالذى فى نعدهم * وقوله ناتى معناه بالقدرة والامر * والارض يريد بها اسم الجنس وقيل يريد ارض الكفار المذكورين المعنى اولم يروا

انا ناتى ارض هؤلاء بالفتح عليك فننقصها بما يدخل فى دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم فما يؤمنهم ان نمكنك منهم ايضا قاله ابن عباس وهذا على ان الآية مدنية ومن قال ان الارض اسم جنس جعل انتقاص الارض بتخريب العمران الذى يحله الله بالكفار وقيل الانتقاص بموت البشر ونقص الثمار والبركة وقيل بموت العلماء والاخيار قاله ابن عباس ايضا وكل ما ذكر يدخل فى لفظ الآية وجملة معنى هذه الآية الموعظة وضرب المثل وقال ابوعمر بن عبد البر فى كتاب العلم بسنده عن عطاء بن ابي رباح فى معنى ننقصها من اطرافها قال بذهاب فقهائها وخيار اهلها وعن وكيع نحوه وقال الحسن نقصانها هو بظهور المسلمين على المشركين قال ابو عمر وقول عطاء فى تاويل الآية حسن جدا تلقاه اهل العلم بالقبول وقول الحسن ايضا حسن انتهى * وقوله سبحانه فلله المكر جميعا اي العقوبات التى احلها بهم وسماها مكرا على عرف تسمية العقوبة باسم الذنب وباقى الآية تحذير ووعيد * ويقول الذين كفروا لست مرسلا المعنى ويكذبك يا محمد هؤلاء الكفرة ويقولون لست مرسلا * قل كفى بالله شهيدا اي شاهدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال قتادة يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام وغيره كمل تفسير السورة وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة ابراهيم عليه السلام

هذه السورة مكية الاءايتين وهما قوله عز وجل الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا الى ءاخر الآيتين ذكره مكي والنقاش * قوله عز وجل الر كتاب

انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور قال القاضى بن الطيب وابو المعالى وغيرهما ان الانزال لم يتعلق بالكلام القديم الذى هو صفة الذات لكن بالمعانى التى افهمها الله تعالى جبريل عليه السلام من الكلام * وقوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور فى هذه اللفظة تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وعم الناس اذ هو مبعوث الى جميع الخلق وقرأ نافع وابن عامر الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض برفع اسم الله على القطع والابتداء وقرأ الباقون بخفض الهاء * وويل معناه وشدة وبلاء وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية هذه الآية طعن ورد على المستغربين امر محمد صلى الله عليه وسلم وباقى الآية بين * وقوله سبحانه لموسى وذكرهم بايام الله اي عظهم بالتهديد بنقم الله التى احلها بالامم الكافرة قبلهم وبالتعديد لنعمه عليهم وعبر عن النعم والنقم بالايام اذ هي فى ايام وفى هذه العبارة تعظيم هذه الكوائن المذكر بها وفى الحديث الصحيح بينما موسى فى قومه يذكرهم ايام الله الحديث فى قصة موسى مع الخضر قال عياض فى الاكمال ايام الله نعماؤه وبلاؤه انتهى وقال الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم بايام الله قال بنعم الله وعن قتادة ٠لايات لكل صبار شكور قال نعم والله العبد اذا ابتلي صبر واذا اعطي شكر انتهى وقال ابن العربي فى احكامه وفى ايام الله قولان احدهما نعمه والثانى نقمه انتهى * وقوله واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم الآية تأذن بمعنى ٠اذن اي اعلم قال بعض العلماء الزيادة على الشكر ليست فى الدنيا وانما هي من نعم الآخرة والدنيا اهون من ذلك قال (ع) وجائز ان يزيد الله المومن على شكره من نعم الدنيا والآخرة والكفر هنا يحتمل ان يكون على بابه ويحتمل ان يكون كفر النعم لا كفر الجحد وفى الآية ترجية

وتخويف وحكى الطبري عن سفيان وعن الحسن انهما قالا معنى الآية لئن شكرتم لأزيدنكم من طاعتي قال (ع) وضعفه الطبري وليس كما قال بل هو قوي حسن فتأمله (ت) وتضعيف الطبري بين من حيث التخصيص والاصل التعميم * وقوله الم ياتكم هذا ايضا من التذكير بايام الله * وقوله سبحانه فردوا ايديهم فى افواههم قيل معناه ردوا ايدي انفسهم فى افواه انفسهم اشارة على الانبياء بالسكوت وقال الحسن ردوا ايدي انفسهم فى افواه الرسل تسكيتا لهم وهذا اشنع فى الرد * وقوله عز وجل قالت رسلهم افى الله شك التقدير افى الاهية الله شك او افى وحدانية الله شك وما فى قوله ما ءاذيتمونا مصدرية ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذي قال الداودي عن ابي عبيدة لمن خاف مقامى مجازه حيث اقيمه بين يدي للحساب انتهى قال عبد الحق فى العاقبة قال الربيع بن خيثم من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال امله ساء عمله انتهى وباقى الآية بين * وقوله سبحانه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد استفتحوا اي طلبوا الحكم والفتاح الحاكم والمعنى ان الرسل استفتحوا اي سألوا الله تبارك وتعالى انفاذ الحكم بنصرهم وقيل بل استفتح الكفار على نحو قول قريش عجل لنا قطنا وعلى نحو قول ابي جهل يوم بدر اللهم اقطعنا للرحم وأتيانا بما لا نعرف فاحنه الغداة وهذا قول ابن زيد وقرأت فرقة واستفتحوا بكسر التاء على معنى الامر للرسل وهي قراءة ابن عباس ومجاهد وابن محيصن وخاب معناه خسر ولم ينجح والجبار المتعظم فى نفسه والعنيد الذى يعاند ولا ينافد * وقوله من ورائه قال الطبري وغيره معناه من امامه وعلى ذلك حملوا قوله تعالى وكان وراءهم ملك وليس الامر كما ذكروا بل الوراء هنا وهنالك على بابه اي هو ما ياتى بعد فى الزمان وذلك ان التقدير فى هذه الحوادث بالامام

والوراء انما هو بالزمان وما تقدم فهو امام وهو بين اليد كما نقول فى التوراة والانجيل انهما بين يدي القرءان والقرءان وراءهما وعلى هذا فما تأخر فى الزمان فهو وراء المتقدم * ويسقى من ماء صديد الصديد القيح والدم وهو ما يسيل من اجساد اهل النار قاله مجاهد والضحاك * وقوله يتجرعه ولا يكاد يسيغه عبارة عن صعوبة امره عليهم وروي ان الكافر يوتى بالشربة من شراب اهل النار فيتكرهها فاذا ادنيت منه شوت وجهه وسقطت فيها فروة رأسه فاذا شربها قطعت امعاءه وهذا الخبر مفرق فى ءايات من كتاب الله عز وجل * ويأتيه الموت من كل مكان اي من كل شعرة في بدنه قاله ابراهيم التيمي وقيل من جميع جهاته الست * وما هو بميت لا يراح بالموت * ومن ورائه عذاب غليظ قال الفضيل بن عياض العذاب الغليظ حبس الانفاس فى الاجساد وفى الحديث تخرج عنق من النار تكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما ولها لسان تكلم به فتقول انى امرت بمن جعل مع الله الها ءاخر وبكل جبار عنيد وبمن قتل نفسا بغير نفس فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمس مائة عام فتنطوى عليهم فتقذفهم فى جهنم خرجه البزار انتهى من الكوكب الدري * وقوله فى يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف وهي من صفات الريح بالحقيقة لما كانت فى اليوم كقول الشاعر * ونمت وما ليل المطي بنائم * وباقى الآية بين وبرزوا لله جميعا معناه صاروا فى البراز وهي الارض المتسعة فقال الضعفاء وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة واهل الرأي وقولهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص المحيص المفر والملجأ ماخوذ من حاص يحيص اذا نفر وفر ومنه فى حديث هرقل فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب وروي عن ابن زيد وعن محمد بن كعب ان اهل النار يقولون انما نال اهل الجنة الرحمة

بالصبر على طاعة الله فتعالوا فلنصبر فيصبرون خمس مائة سنة فلا ينتفعون فيقولون هلم فلنجزع فيضجون ويصيحون ويبكون خمس مائة سنة اخرى فحينئذ يقولون هذه المقالة سواء علينا الآية وظاهر الآية انهم انما يقولونها فى موقف العرض وقت البروز بين يدي الله عز وجل * وقوله عز وجل وقال الشيطان لما قضي الامر المراد هنا بالشيطان ابليس الاقدم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق عقبة بن عامر انه قال يقوم يوم القيامة خطيبان احدهما ابليس يقوم فى الكفرة بهذه الالفاظ والثانى عيسى بن مريم يقوم بقوله ما قلت لهم الا ما امرتنى به الآية وروي فى حديث ان ابليس انما يقوم بهذه الالفاظ فى النار على اهلها عند قولهم مالنا من محيص فى الآية المتقدمة فعلى هذه الرواية يكون معنى قوله قضي الامر اي حصل اهل النار فى النار واهل الجنة فى الجنة وهو تاويل الطبري * وقوله وما كان لى عليكم من سلطان اي من حجة بينة والا ان دعوتكم استثناء منقطع ويحتمل ان يريد بالسلطان فى هذه الآية الغلبة والقدرة والملك اي ما اضطرتكم ولا خوفتكم بقوة منى بل عرضت عليكم شيأ فاتى رأيكم عليه * وقوله فلا تلومونى يريد بزعمه اذ لا ذنب لى ولوموا انفسكم اي فى سوء نظركم فى اتباعى وقلة تثبتكم * ما انا بمصرخكم المصرخ المغيث والصارخ المستغيث واما الصريخ فهو مصدر بمنزلة البريح * وقوله انى كفرت بما اشركتمون ما مصدرية وكانه يقول انى الآن كافر باشراككم اياي مع الله قبل هذا الوقت فهذا تبر منه وقد قال تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم * وقوله عز وجل وادخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم الاذن هنا عبارة عن القضاء والامضاء * وقوله سبحانه الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة

الم تر بمعنى الم تعلم قال ابن عباس وغيره الكلمة الطيبة هي لا اله الا الله مثلها الله سبحانه بالشجرة الطيبة وهي النخلة فى قول اكثر المتأولين فكان هذه الكلمة اصلها ثابت فى قلوب المومنين وفضلها وما يصدر عنها من الافعال الزكية وانواع الحسنات هو فرعها يصعد الى السماء من قبل العبد والحين القطعة من الزمان غير محدودة كقوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين وقد تقتضى لفظة الحين بقرينتها تحديدا كهذه الآية والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر وما قاربها من كلام السوء فى الظلم ونحوه والشجرة الخبيثة قال اكثر المفسرين هي شجرة الحنظل ورواه انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا عندى على جهة المثل * اجتثت اي اقتعلت جثتها بنزع الاصول وبقيت فى غاية الوهن والضعف فتقلبها اقل ريح فالكافر يرى ان بيده شيأ وهو لا يستقر ولا يغنى عنه كهذه الشجرة الذى يظن بها على بعد او للجهل بها انها شيء نافع وهي خبيثة الجنى غير باقية * وقوله سبحانه يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة القول الثابت فى الحياة الدنيا كلمة الاخلاص والنجاة من النار لا اله الا الله والاقرار بالنبوءة وهذه الآية تعم العالم من لدن ءادم عليه السلام الى يوم القيامة قال طاوس وقتادة وجمهور من العلماء الحياة الدنيا هي مدة حياة الانسان وفى الآخرة وقت سؤاله فى قبره وقال البراء بن عازب وجماعة فى الحياة الدنيا هي وقت سؤاله فى قبره ورواه البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم فى لفظ متأول وفى الآخرة هو يوم القيامة عند العرض والاول احسن ورجحه الطبري (ت) ولفظ البخاري عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل فى القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة

انتهى وحديث البراء خرجه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه قال صاحب التذكرة وقد روى هذا الحديث ابو هريرة وابن مسعود وابن عباس وابو سعيد الخدري قال ابو سعيد الخدري كنا فى جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه اصحابه جاءه ملك بيده مطراق فاقعده فقال ما تقول فى هذا الرجل الحديث وفيه فقال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما احد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق الا هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء انتهى قال ابو عمر بن عبد البر وروينا من طرق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر كيف بك يا عمر اذا جاءك منكر ونكير اذا مت وانطلق بك قومك فقاسوا ثلاثة اذرع وشبرا فى ذراع وشبر ثم غسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك فوضعوك فيه ثم اهالوا عليك التراب فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران شعورهما معهما مرزبة لو اجتمع عليها اهل الارض لم يقلبوها فقال عمر يارسول الله ان فرقنا فحق لنا ان نفرق انبعث على ما نحن عليه قال نعم ان شاء الله قال اذن اكفيكهما انتهى والظالمون فى هذه الآية الكافرون ✻ ويفعل الله ما يشاء اي بحق الملك فلا راد لامره ولا معقب لحكمه وجاءت احاديث صحيحة فى مسايلة العبد فى قبره وجماعة السنة تقول ان الله سبحانه يخلق للعبد فى قبره ادراكات وتحصيلا اما بحياة كالمتعارفة واما بحضور النفس وان لم تتلبس بالجسد كالعرف كل هذا جائز فى قدرة الله تبارك وتعالى غير ان فى الاحاديث الصحيحة انه يسمع خفق النعال ومنها انه يرى الضوء كأن الشمس دنت للغروب وفيها انه يراجع

وفيهـا فيعـاد روحـه الى جسده وهذا كله يتضمن الحيـاة فسبحان من له
هذه القدرة العظيمة * وقوله سبحانـه الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا
المراد بالذين بدلوا نعمـة الله كفرة قريش وقد خرجـه البخاري وغيره مسندا
عن ابن عباس انتهى والتقدير بدلوا شكر نعمة الله كفرا ونعمـة الله تعالى
فى هذه الآية هو محمد صلى الله عليه وسلم ودينـه * واحـلوا قومهم اي من
اطاعهم وكأن الاشارة والتعنيف انما هو للرءوس والاعلام * والبوار الهلاك
قال عطـاء بن يسار نزلت هذه الآيـة فى قتلى بدر والانـداد جمـع نـد وهو
المثيـل والمراد الاصنام واللام فى قوله ليضلوا بضم اليـاء لام كي وبفتحهـا لام
عاقبة وصيرورة والقراءتان سبعيتان * وقوله سبحانه قل لعبادي الذين ءامنوا
يقيموا الصلوة الآيـة العباد جمع عبد وعرفـه فى التكرمة بخلاف العبيد والسر
صدقـة التنفـل والعلانيـة المفروضـة هـذا هو مقتضى الاحاديث وفسر ابن
عباس هذه الآيـة بزكاة الاموال مجملا وكذلك فسر الصلاة بانهـا الخمس
وهذا عنـدى منـه تقريب للمخاطب * والخـلال مصدر من خالـل اذا واد
وصافى ومنـه الخلة والخليل والمراد بهذا اليوم يوم القيامـة * وقوله سبحانه
الله الذى خلق السمـوات والارض وانزل من السـماء مـاء فاخرج بـه من
الثمرات رزقا لكم هذه الآيـة تذكير بـالائـه سبحانـه وتنبيه على قدرتـه
التي فيها احسان الى البشر لتقوم الحجة عليهم * وقوله بامره مصدر امر يامر
وهذا راجع الى الكلام القديم القائم بالذات * ودائبين معناه متماديين ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم لصاحب الجمل الذى بكى واجهش اليـه ان هذا الجمل
شكا الي انك تجيعه وتدئبه اي تديمه فى الخدمة والعمل وظاهر الآيـة ان معناه
دائبـين فى الطلوع والغروب ومـا بينهما من المنافع للناس التى لا تحصى كثرة
وعن ابن عباس انـه قال معناه دائبـين فى طاعة الله * وقوله سبحانه وءاتاكم

من كل ما سألتموه المعنى ان جنس الانسان بجملته قد اوتي من كل ما شأنه ان يسأل وينتفع به وقرأ ابن عباس وغيره من كل ما سألتموه بتنوين كل ورويت عن نافع * وقوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها اي لكثرتها وعظمها فى الحواس والقوى والايجاد بعد العدم والهداية للايمان وغير ذلك وقال طلق بن حبيب ان حق الله تعالى اثقل من ان يقوم به العبَّاد ونعمه اكثر من ان يحصيها العباد ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين (ت) ومن الكلم الفارقية ايها الحريص على نيل عاجل حظه ومراده الغافل عن الاستعداد لمعاده تنبه لعظمة من وجودك بايجاده وبقاؤك بارفاده ودوامك بامداده انت طفل فى حجر لطفه ومهد عطفه وحضانة حفظه يغذك بلبان بره ويقلبك بايدى اياديه وفضله وانت غافل عن تعظيم امره جاهل بما اولاك من لطيف سره وفضلك به على كثير من خلقه اذكر عهد الايجاد ودوام الامداد والارفاد وحالتي الاصدار والايراد وفاتحة المبدإ وخاتمة المعاد انتهى * وقوله سبحانه ان الانسان يريد به النوع والجنس المعنى توجد فيه هذه الخلال وهي الظلم والكفر فان كانت هذه الخلال من جاحد فهي بصفة وان كانت من عاص فهي بصفة اخرى * وقوله سبحانه واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا تقدم تفسيره * وقوله واجنبنى وبني ان نعبد الاصنام واجنبنى معناه امنعنى يقال جنبه كذا واجنبه وجنبه اذا منعه من الامر وحماه منه (ت) وكذا قال (ص) واجنبنى معناه امنعنى اصله من الجانب وعبارة المهدوي اي اجعلنى جانبا من عبادتها وقال الثعلبي واجنبنى اي بعدنى واجعلنى منها على جانب بعيد انتهى وهذه الالفاظ كلها متقاربة المعانى واراد ابراهيم عليه السلام بنى صلبه واما باقى نسله فمنهم من عبد الاصنام وهذا الدعاء من الخليل عليه السلام يقتضى افراط خوفه على نفسه ومن حصل فى رتبته فكيف يخاف

ان يعبد صنما لكن هـذه الآية ينبغى ان يقتـدى بها فى الخوف وطلب حسن الخاتمـة والاصنام هي المنحوتـة على خلقـة البشر ومـا كان منحوتا على غير خلقـة البشر فهي اوثان قاله الطبري عن مجاهد ونسب الى الاصنام انها اضلت كثيرا من الناس تجوزا وحقيقة الاضلال انما هي لمخترعها سبحانـه وقيل اراد بالاصنام هنا الدنانير والدراهم * وقوله ومن عصـانى ظاهره بالكفر لمعادلة قوله فمن تبعني فانـه مني واذا كان ذلك كذلك فقوله فانك غفور رحيم معنـاه بتوبتك على الكفرة حتى يومنوا لا انـه اراد ان الله يغفر لكافر وحمله على هذه العبارة مـا كان ياخذ نفسه بـه من القول الجميـل والنطق الحسن وجميل الادب صلى الله عليه وسلم قال قتادة اسمعوا قول الخليـل صلى الله عليه وسلم والله مـا كانوا طعانين ولا لعانين وكذلك قول نبي الله عيسى عليـه السـلام وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم واسند الطبري عن عبد الله بن عمرو حديثـا ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هاتـين الآيتين ثم دعا لامتـه فبشر فيهم وكان ابراهيم التيمي يقول مـن يامن على نفسـه بعد خوف ابراهيم الخليل على نفسه من عبادة الاصنام * وقوله ومن ذريني يريد اسماعيل عليـه السلام وذلك ان سـارة لمـا غارت بهاجر بعد ان ولدت اسماعيل تشوش قلب ابراهيم منهما فروي انـه ركـب البراق هو وهاجر والطفل فجاء فى يوم واحد من الشام الى بطن مكة فتركهـما هناك وركب منصرفا من يومـه ذلك وكان ذلك كله بوحي من الله تعالى فلـما ولى دعا بمضمن هذه الآيـة وامـا كيفيـة بقـاء هاجر ومـا صنعت وسائر خبر اسماعيـل ففى كتاب البخاري وغيره وفى السير ذكر ذلك كله مستوعبا (ت) وفى صحيح البخاري من من حديثه الطويـل فى قصـة ابراهيم مـع هاجر وولدها لما حملهـما الى مكة قال وليس بمكـة يومئـذ احد وليس فيهـا مـاء فوضعهـما هنالك ووضـع

عندهما جرابا فيه تمـر وسقاء فيه مـاء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له ءالله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون الحديث بطوله وفى طريق قالت يا ابراهيم الى من تتركنا قال الى الله عز وجل قالت رضيت انتهى وفى هذا الحديث من الفوائد لارباب القلوب والمتوكلين واهل الثقة بالله سبحانه مـا يطول بنـا سردها فاليك استخراجها ولما انقطعت هاجر وابنها الى الله تعالى ءاواهما الله وانبع لهما ماء زمزم المبارك الذى جعله غذاء قال ابن العربي وقـد قال النبي صلى الله عليه وسلم مـاء زمزم لما شرب له قال ابن العربي ولقد كنت مقيما بمكة سنة سبع وثمانين واربعمائة وكنت اشرب مـاء زمزم كثيرا وكلما شربت نويت بـه العلم والايمان ونسيت ان اشربه للعمل ففتح لى فى العلم ويا ليتني شربتـه لهما معـا حتى يفتح لى فيهما ولم يقدر فكان صغوى الى العلم اكثر منه الى العمل انتهى من الاحكام ومن فى قوله ومن ذريتي للتبعيض لان اسحاق كان بالشام والوادى مـا بـين الجبلين وليس من شرطه ان يكون فيـه مـاء وجمعـه الضمير فى قوله ليقيموا يدل على ان الله قـد اعلمه ان ذلك الطفل سيعقب هناك ويكون له نسل واللام فى ليقيموا لام كي هذا هو الظاهر ويصح ان تكون لام الامر كانـه رغب الى الله سبحانـه ان يوفقهم لاقامة الصلاة والافئدة القلوب جمع فؤاد سمي بذلك لاتقاده ماخوذ من فاد ومنـه المفتأد وهو مستوقد النـار حيث يشوى اللحم * وقوله من الناس تبعيض ومراده المومنون وباقى الآية بين *

وقوله رب اجعلني مقيم الصلوة دعا ابراهيم عليه السلام في امر كان مثابرا عليه متمسكا به ومتى دعا الانسان في مثل هذا فانما المقصد ادامة ذلك الامر واستمراره قال السهيلي قوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي بحرف التبعيض ولذلك اسلم بعض ذريته دون بعض انتهى وفاقا لما تقدم الآن * وقوله ربنا اغفرلي ولوالدي اختلف في تاويل ذلك فقالت فرقة كان ذلك قبل يأسه من ايمان ابيه وتبينه انه عدو لله فاراد اباه وامه لانها كانت مومنة وقيل اراد ءادم ونوحا عليهما السلام وقرأ الزهري وغيره ولولدي على انه دعاء لاسماعيل واسحاق وانكرها عاصم الجحدري وقال ان في مصحف ابي بن كعب ولأبوي * وقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم الآية هذه الآية بجملتها فيها وعيد للظالمين وتسلية للمظلومين والخطاب بقوله تحسبن للنبي صلى الله عليه وسلم وتشخص فيه الابصار معناه تحد النظر لفرط الفزع ولفرط ذلك يشخص المحتضر والمهطع المسرع في مشيه قاله ابن جبير وغيره وذلك بذلة واستكانة كاسراع الاسير ونحوه وهذا ارجح الاقوال وقال ابن عباس وغيره الاهطاع شدة النظر من غير ان يطرف وقال ابن زيد المهطع الذى لا يرفع رأسه قال ابو عبيدة قد يكون الاهطاع للوجهين جميعا الاسراع وادامة النظر والمقنع هو الذى يرفع رأسه قدما بوجهه نحو الشيء ومن ذلك قول الشاعر

يباكرن العضاه بمقنعات * نواجذهن كالحد الوقيع

يصف الابل عند رعيها اعالي الشجر وقال الحسن في تفسير هذه الآية وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لاينظر احد الى احد وذكر المبرد فيما حكى عنه مكي ان الاقناع يوجد في كلام العرب بمعنى خفض الرأس من الذلة قال (ع) والاول اشهر * وقوله سبحانه لا يرتد اليهم طرفهم اي لا يطرفون من الحذر والجزع

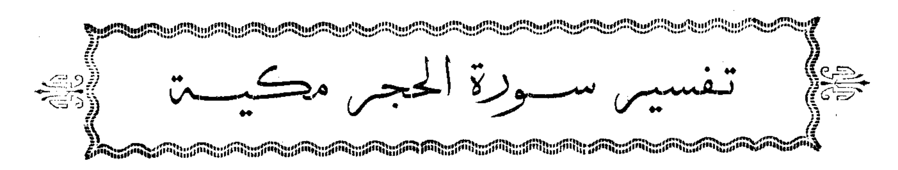
وشدة الحال * وقوله وافئدتهم هواء تشبيه محض وجهة التشبيه يحتمل
ان تكون فى فراغ الافئدة من الخير والرجاء والطمع فى الرحمة فهي متخرقة
مشبهة الهواء فى تفرغه من الاشياء وانخراقه ويحتمل ان تكون فى اضطراب
افئدتهم وجيشانها فى صدورهم وانها تذهب وتجيء وتبلغ على ما روي
حناجرهم فهي فى ذلك كالهواء الذى هو ابدا فى اضطراب * وقوله
سبحانه وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب المراد باليوم يوم القيامة ونصبه على
انه مفعول بانذر ولا يجوز ان يكون ظرفا لان القيامة ليست بموطن انذار
قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابي جمرة يجب التصديق بكل ما اخبر
الله ورسوله به ولا يتعرض الى الكيفية فى كل ما جاء من امر الساعة
واحوال يوم القيامة فانه امر لا تسعه العقول وطلب الكيفية فيه ضعف
فى الايمان وانما يجب الجزم بالتصديق بجميع ما اخبر الله به انتهى قال
الغزالي فاعلم العلماء واعرف الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب
والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل
هم ولا غم الا التفكر فى خطر تلك الاحوال وما الذى ينكشف عنه الغطاء
من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر
والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين ايدينا انتهى من الاحياء * وقوله
او لم تكونوا الآية معناه يقال لهم * وقوله ما لكم من زوال هو المقسم
عليه وهذه الآية ناظرة الى ما حكى الله سبحانه عنهم فى قوله واقسموا بالله
جهدا ايمانهم لا يبعث الله من يموت * وقوله سبحانه وسكنتم الآية المعنى
يقول الله عز وجل وسكنتم ايها المعرضون عن ءايات الله من جميع العالم
فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر من الامم السالفة فنزلت بهم المثلات
فكان حقكم الاعتبار والاتعاظ * وقوله وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم وقرأ

السبعة سوى الكسائي وان كان مكرهم لتزول بكسر اللام من لتزول وفتح الاخيرة وهذا على ان تكون ان نافية بمعنى ما ومعنى الآية تحقير مكرهم وانه ما كان لتزول منه الشرائع والنبوءات واقدار الله بها التى هي كالجبال فى ثبوتها وقوتها هذا هو تاويل الحسن وجماعة المفسرين وتحتمل عندى هذه القراءة ان تكون بمعنى تعظيم مكرهم اي وان كان شديدا وقرأ الكسائي وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بفتح اللام الاولى من لتزول وضم الاخيرة وهي قراءة ابن عباس وغيره ومعنى الآية تعظيم مكرهم وشدته اي انه مما يشق به ويزيل الجبال عن مستقراتها لقوته ولكن الله تعالى ابطله ونصر اولياءه وهذا اشد فى العبرة وقرأ علي وابن مسعود وعمر بن الخطاب وابي وان كاد مكرهم وذكر ابو حاتم ان فى قراءة ابي ولولا كلمة الله لزال من مكرهم الجبال * وقوله سبحانه فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الآية تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من امته ولم يكن النبي عليه السلام ممن يحسبن مثل هذا ولكن خرجت العبارة هكذا والمراد بما فيها من الزجر غيره * ان الله عزيز لايمتنع منه شيء ذو انتقام من الكفرة * وقوله سبحانه يوم تبدل الارض الآية يوم ظرف للانتقام المذكور قبله وروي فى تبديل الارض اخبار منها فى الصحيح يبدل الله هذه الارض بارض عفراء بيضاء كانها قرصة نقي وفى الصحيح ان الله يبدلها خبزة ياكل المومن منها من تحت قدميه وروي انها تبدل ارضا من فضة وروي انها ارض كالفضة من بياضها وروي انها تبدل من نار قال (ع) وسمعت من ابى رحمه الله انه روي ان التبديل يقع فى الارض ولكن يبدل لكل فريق بما يقتضيه حاله فالمومن يكون على خبز ياكل منه بحسب حاجته اليه وفريق يكون على فضة ان صح السند بها وفريق الكفرة يكونون على نار ونحو

هذا مما كله واقع تحت قدرة الله عز وجل واكثر المفسرين على ان التبديل يكون بارض بيضاء عفراء لم يعص الله فيها ولا سفك فيها دم وليس فيها معلم لاحد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومنون وقت التبديل فى ظل العرش وروي عنه انه قال الناس وقت التبديل على الصراط وروي انه قال الناس حينئذ اضياف الله فلا يعجزهم ما لديه وفى صحيح مسلم من حديث ثوبان فى سؤال الحبر وقوله يا محمد اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال صلى الله عليه وسلم هم فى الظلمة دون الجسر الحديث بطوله وخرجه مسلم وابن ماجه جميعا قالا حدثنا ابو بكر ابن ابى شيبة ثم اسندا عن عائشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين يكون الناس قال على الصراط وخرجه الترمذي من حديث عائشة قالت يا رسول الله والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فاين يكون المومنون يومئذ قال على الصراط يا عائشة قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى من التذكرة * وترى المجرمين اي الكفار ومقرنين اي مربوطين فى قرن وهو الحبل الذى تشد به رءوس الابل والبقر والاصفاد هي الاغلال واحدها صفد والسرابيل القمص والقطران هو الذى تهنأ به الابل وللنار فيه اشتعال شديد فلذلك جعل الله قمص اهل النار منه وقرأ عمر بن الخطاب وعلي وابو هريرة وابن عباس وغيرهم من قِطْرٍ آنٍ والقطر القصدير وقيل النحاس وروي عن عمر انه قال ليس بالقطران ولكنه النحاس يسربلونه وآن صفة وهو الذائب الحار الذى تناهى حره * قال الحسن قد سعرت عليه جهنم منذ خلقت فتناهى حره * وقوله سبحانه ليجزي الله كل نفس ما كسبت الآية جاء من لفظة الكسب بما يعم المسيء والمحسن لينبه على ان المحسن ايضا يجازى باحسانه خيرا *

وقوله سبحانــه هذا بلاغ للناس الآيــة اشارة الى القرءان والوعيد الذى تضمنه والمعنى هــذا بلاغ للناس وهو لينذروا به وليذكــر اولوا الالبــاب وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمــن الرحيم



تفسير سورة الحجر مكية

قوله عز وجل الرتلك ءايات الكتــاب وقرءان مبين قال مجاهــد وقتــادة الكتاب فى الآيــة مــا نزل من الكتب قبــل القــرءان ويحتمــل ان يراد بالكتاب القرءان ثم تعطف الصفــة عليه * وربما للتقليل وقد تجيء شاذة للتكثير وقال قوم ان هــذه مــن ذلك وانكر الزجاج ان تجيء رب للتكثير واختلف المتأولون فى الوقت الذى يود فيــه الكفار ان يكونوا مسلمين فقــالت فرقة هو عند معاينــة الموت حكى ذلك الضحاك وقالت فرقة هو عند معاينة اهوال يوم القيامة وقال ابن عبــاس وغيره هو عنــد دخولهم النــار ومعرفتهم بدخول المومنين الجنــة وروي فيــه حديث من طريق ابى موسى * وقــوله سبحانــه ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآيــة وعيــد وتهديد ومــا فيــه مــن المهادنــة منسوخ بــآية السيف وروى ابن المبارك فى رقائقــه قال اخبرنا الاوزاعي عن عروة بن رويم قال قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم شرار امتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا بــه همتهم الوان الطعــام والوان الثياب يتشدقون بالكلام انتهى * وقوله فسوف يعلمون وعيدثان وحكى الطبري عن بعض العلماء انه

قال الاول فى الدنيا والثانى فى الآخرة فكيف تطيب حياة بين هذين الوعيدين * وقوله ويلههم الامل اي يشغلهم املهم فى الدنيا والتزيد منها قال عبد الحق فى العاقبة اعلم رحمك الله ان تقصير الامل مع حب الدنيا متعذر وانتظار الموت مع الاكباب عليها غير متيسر ثم قال واعلم ان كثرة الاشتغال بالدنيا والميل بالكلية اليها ولذة امانيها تمنع مرارة ذكر الموت ان ترد على القلب وان تلج فيه لان القلب اذا امتلأ بشيء لم يكن لشيء اخر فيه مدخل فاذا اراد صاحب هذا القلب سماع الحكمة والانتفاع بالموعظة لم يكن له بد من تفريقه ليجد الذكر فيه منزلا وتلقى الموعظة فيه محلا قابلا قال ابن السماك رحمه الله ان الموتى لم يبكوا من الموت لكنهم بكوا من حسرة الفوت فاتتهم والله دار لم يتزودوا منها ودخلوا دارا لم يتزودوا لها انتهى وانما حصل لهم الفوت بسبب استغراقهم فى الدنيا وطول الامل الملهى عن المعاد الهمنا الله رشدنا بمنه * وقوله سبحانه وما اهلكنا من قرية الآية اي فلا تستبطئن هلاكهم فليس من قرية مهلكة الا باجل وكتاب معلوم محدود * وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر الآية القائلون هذه المقالة هم كفار قريش ولوما بمعنى لولا فتكون تحضيضا كما هي فى هذه الآية وفى البخاري لوما تاتينا هلا تاتينا * وقوله الا بالحق قال مجاهد المعنى بالرسالة والعذاب والظاهر ان معناه كما ينبغى ويحق من الوحي والمنافع التى اراها الله لعباده لا على اقتراح كافر ثم ذكر عادته سبحانه فى الامم من انه لم ياتهم بآية اقتراح الا ومعها العذاب فى اثرها ان لم يومنوا والنظرة التاخير * وقوله سبحانه انا نحن نزلنا الذكر رد على المستخفين فى قولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر * وقوله وانا له لحافظون قال مجاهد وغيره الضمير فى له عائد على القرءان المعنى وانا له لحافظون من ان يبدل او يغير * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا من قبلك

فى شيع الاولين الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا يضق صدرك يا محمد بما يفعله قومك من الاستهزاء فى قولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر وغير ذلك والشيعة الفرقة التابعة لرأس ما (ت) قال الفراء فى شيع الاولين انه من اضافة الموصوف الى صفته كحق اليقين وجانب الغربي وتأوله البصريون على حذف الموصوف اي شيع الامم الاولين انتهى من (ص) * وقوله سبحانه كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يومنون به وقد خلت سنة الاولين يحتمل ان يكون الضمير فى نسلكه يعود على الذكر المحفوظ المتقدم وهو القراءن ويكون الضمير فى به عائد عليه ايضا ويحتمل ان يعود الضميران معا على الاستهزاء والشرك ونحوه والباء فى به باء السبب اي لا يومنون بسبب شركهم واستهزائهم ويحتمل ان يكون الضمير فى نسلكه عائدا على الاستهزاء والشرك والضمير فى به عائد على القراءن والمعنى فى ذلك كله ينظر بعضه الى بعض ونسلكه معناه ندخله والمجرمين هنا يراد بهم كفار قريش ومعاصرو النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله لا يومنون به عموم معناه الخصوص فيمن حتم عليه * وقوله وقد خلت سنة الاولين اي على هذه الوتيرة * ولو فتحنا عليهم اي على قريش وكفرة العصر والضمير فى قوله فظلوا عائد عليهم وهو تاويل الحسن ويعرجون معناه يصعدون ويحتمل ان يعود على الملائكة اي ولو رأوا الملائكة يصعدون ويتصرفون فى باب مفتوح فى السماء لما ءامنوا وهذا هو تاويل ابن عباس وقرأ السبعة سوى ابن كثير سكرت بضم السين وشد الكاف وقرأ ابن كثير بتخفيف الكاف تقول العرب سكرت الريح تسكر سكورا اذا ركدت ولم تنفذ لما كانت بسبيله اولا وسكر الرجل من الشراب اذا تغيرت حاله وركد ولم ينفذ لما كان بسبيله ان ينفذ فيه وتقول العرب سكرت البثق فى

مجارى المـاء سكرا اذا طمسته وصرفت المـاء عنـه فلم ينفذ لوجهـه قال (ع) فهذه اللفظة سكرت بشد الكاف ان كانت من سكر الشراب او من سكور الريح فهي فعل عدي بالتضعيف وان كانت من سكر مجارى الماء فتضعيفها للمبالغـة لاللتعدى لان المخفف مـن فعله متعـد ومعنى هـذه المقـالة منهم اي غيرت ابصارنا عما كانت عليه فهي لا تـنفذ وتعطينا حقائـق الاشياء كما كانت تـفعل * وقوله سبحانـه ولقد جعلنا فى السماء بروجا البروج المنازل واحدها برج وسمي بذلك لظهوره ومنه تبرج المرأة ظهورها وبدوها وحفظ السماء هوبالرجم بالشهب على ما تضمنته الاحاديث الصحاح قال النبي صلى الله عليـه وسلم ان الشياطين تقرب من السماء افواجا قال فينفرد المـارد منها فيعلو فيسمع فيرمى بالشهـاب فيقول لاصحابه انه من الامر كذا وكذا فيزيد الشياطين فى ذلك ويلقون الى الكهنة فيزيدون مع الكلمة مائة ونحو هذا الحديث والا بمعنى لكـن ويظهر ان الاستثناء من الحفظ وقال محمد بن يحيي عن ابيه الا من استرق السمع فانها لم تحفظ منه * وقوله موزون قال الجمهور معناه مقدر محرر بقصـد وارادة فالوزن على هـذا مستعـار وقال ابن زيد المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والفضـة وغير ذلك مما يوزن والمعايش جمع معيشة * وقوله ومن لستم له برازقين يحتمل ان يكون عطفا على معايش كأن الله تعالى عدد النعم فى المعايش وهي ما يوكل ويلبس ثم عدد النعم فى الحيوان والعبيد وغير ذلك ممـا ينتفـع بـه النـاس وليس عليهم رزقهم * وقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنـه قال ابن جريج هو المطر خاصـة قال (ع) وينبغى ان يكـون اعم من هذا فى كثير من المخلوقات * وقوله سبحانـه وارسلنـا الرياح لواقح اي ذات لقح يقـال لقحت الناقة والشجر فهي لاقحة اذا حملت فالوجه فى الريح ملقحة لا لاقحة قال الداودي وعـن ابن عمـر الرياح ثمـان اربـع رحمة واربع عذاب فالرحمـة

المرسلات والمبشرات والناشرات والذاريات واما العذاب فالصرصر والعقيم والقاصف والعاصف وهما فى البحر انتهى * وقوله جلت عظمته وانا لنحن نحيي ونميت الآيات هذه الآيات مع الآيات التى قبلها تضمنت العبرة والدلالة على قدرة الله تعالى وما يوجب توحيده وعبادته المعنى وانا لنحن نحيي من نشاء باخراجه من العدم الى وجود الحياة ونميت بازالة الحياة عمن كان حيا * ونحن الوارثون اي لا يبقى شيء سوانا وكل شيء هالك الا وجهه لا رب غيره * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين اي من لدن ءادم الى يوم القيامة قال ابن العربي فى احكامه روى الترمذي وغيره فى سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس انه قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ولا والله ما رأيت مثلها قط قال فكان بعض المسلمين اذا صلوا تقدموا وبعضهم يستاخر فاذا سجدوا نظروا اليها من تحت ايديهم فانزل الله الآية ثم قال ابن العربي فى شرح المراد بهذه الآية خمسة اقوال احدها هذا القول الثانى المتقدمين فى الخلق الى اليوم والمتأخرين الذين لم يخلقوا بعد بيان ان الله يعلم الموجود والمعدوم قاله قتادة وجماعة الثالث من مات ومن بقي قاله ابن عباس ايضا الرابع المستقدمين سائر الامم والمستاخرين امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد الخامس قال الحسن معناه المتقدمين فى الطاعة والمستاخرين فى المعصية انتهى (ح) والحديث المتقدم ان صح فلا بد من تاويله فان الصحابة ينزهون عن فعل ما ذكر فيه فيؤول بان ذلك صدر من بعض المنافقين او بعض الاعراب الذين قرب عهدهم بالاسلام ولم يرسخ الايمان فى قلوبهم واما ابن عباس فانه كان يومئذ صغيرا بلا شك هذا ان كانت الآية مدنية فان كانت مكية فهو يومئذ فى سن الطفولية وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث من وجوه انتهى وباقى الآية بين * ولقد

خلقنا الانسان يعنى ءادم قال ابن عباس خلق من ثلاثة من طين لازب وهو اللازق الجيد ومن صلصال وهو الارض الطيبة يقع عليها الماء ثم ينحسر فتشقق وتصير مثل الخزف ومن حمإ مسنون وهو الطين فيه الحمأة والمسنون قال معمر هو المنتن وهو من اسن الماء اذا تغير ورد من جهة التصريف وقيل غير هذا وفى الحديث ان الله تعالى عز وجل خلق ءادم من جميع انواع التراب الطيب والخبيث والاسود والاحمر * وقوله والجان يراد به جنس الشياطين وسئل وهب بن منبه عنهم فقال هم اجناس قال (ع) والمراد بهذه الخلقة ابليس ابو الجن * وقوله من قبل لان ابليس خلق قبل ءادم بمدة والسموم فى كلام العرب افراط الحر حتى يقتل من نار او شمس اوريح واما اضافة النار الى السموم فى هذه الآية فيحتمل ان تكون النار انواعا ويكون السموم امرا يختص بنوع منها فتصح الاضافة حينئذ وان لم يكن هذا فيخرج هذا على قولهم مسجد الجامع ودار الآخرة على حذف مضاف * قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون اخبر الله سبحانه الملائكة بعجب عندهم وذلك انهم كانوا مخلوقين من نور فهي مخلوقات لطاف فاخبرهم سبحانه انه يخلق جسما حيا ذا بشرة وانه يخلقه من صلصال والبشرة هي وجه الجلد فى الاشهر من القول * وقوله من روحى اضافة خلق وملك الى خالق ومالك وقول ابليس لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال الآية ليس ابايته نفس كفره عند الحذاق لان ابايته انما هي معصية فقط وانما كفره بمقتضى قوله وتعليله اذ يقتضى ان الله

خلق خلقا مفضولا وكلف خلقا افضل منه ان يذل له فكانه قال وهذا جور وقد تقدم تفسير اكثر هذه المعانى * وقوله عز وجل قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتني لأزينن لهم فى الارض الآية قوله بما اغويتنى قال ابو عبيدة وغيره اقسم بالاغواء قال (ع) كانه جعله بمنزلة قوله رب بقدرتك علي وقضائك ويحتمل ان تكون باء السبب * وقوله سبحانه هذا صراط علي مستقيم المعنى هذا امرالي يصير والعرب تقول طريقك فى هذا الامر على فلان اي اليه يصير النظر فى امرك والآية تتضمن وعيدا وظاهر قوله عبادى الخصوص فى اهل الايمان والتقوى فيكون الاستثناء منقطعا وان اخذنا العباد عموما كان الاستثناء متصلا ويكون الاقل فى القدر من حيث لا قدر للكفار والنظر الاول احسن وانما الغرض ان لايقع فى الاستثناء الاكثر من الاقل وان كان الفقهاء قد جوزوه * وقوله لموعدهم اي موضع اجتماعهم عافانا الله من عذابه بمنه وعاملنا بمحض جوده وكرمه * وقوله سبحانه ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام الآية السلام هنا يحتمل ان يكون السلامة ويحتمل ان يكون التحية والغل الحقد قال الداودي عن النبي صلى الله عليه وسلم ونزعنا ما فى صدورهم الآية قال اذا خلص المومنون من الصراط حبسوا على صراط بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض بمظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة والله لاحدهم اهدى بمنزله فى الجنة من منزله فى الدنيا انتهى والسرر جمع سرير ومتقابلين الظاهر ان معناه فى الوجوه اذ الاسرة متقابلة فهي احسن فى الرتبة قال مجاهد لاينظر احدهم فى قفا صاحبه وقيل غير هذا مما لا يعطيه اللفظ والنصب التعب ونبئ

معناه اعلم قال الغزالي رحمه الله فى منهاجه ومن الآيات اللطيفة الجامعة بين الرجاء والخوف قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ثم قال فى عقبه وان عذابي هو العذاب الاليم ليلا يستولي عليك الرجاء بمرة وقوله تعالى شديد العقاب ثم قال فى عقبه ذى الطول ليلا يستولي عليك الخوف واعجب من ذلك قوله تعالى ويحذركم الله نفسه ثم قال فى عقبه والله رءوف بالعباد واعجب منه قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب فعلق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار او المنتقم او المتكبر ونحوه ليكون تخويفا فى تامين وتحريكا فى تسكين كما تقول اما تخشى الوالدة الرحيمة اما تخشى الوالد الشفيق والمراد من ذلك ان يكون الطريق عدلا فلا تذهب الى امن وقنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم العاملين بما فيه انه الجواد الكريم انتهى * وقوله سبحانه ونبئهم عن ضيف ابراهيم الآية هذا ابتداء قصص بعد انصرام الغرض الاول والضيف مصدر وصف به فهو للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد * وقوله انا منكم وجلون اي فزعون وانما وجل منهم لما قدم اليهم العجل الحنيذ فلم يرهم ياكلون وكانت عندهم العلامة المؤمنة اكل الطعام وكذلك هو فى غابر الدهر امنة للنازل والمنزول به * وقوله ان مسني الكبر اي فى حالة قد مسني فيها الكبر وقول ابراهيم عليه السلام فبم تبشرون تقرير على جهة التعجب والاستبعاد لكبرهما او على جهة الاحتقار وقلة المبالاة بالمسرات الدنيوية لمضي العمر واستيلاء الكبر وقولهم بشرناك بالحق فيه شدة ما اي ابشر بما بشرت به ولا تكن من القانطين والقنوط اتم اليأس * وقوله سبحانه قال فما خطبكم ايها المرسلون لفظة الخطب انما تستعمل فى الامور الشداد وقولهم الا ءال لوط استثناء منقطع والآل القوم الذين يئول امرهم الى المضاف اليه كذا قال سيبويه وهذا

نص فى ان لفظة ءال ليست لفظة اهل كما قال النحاس والاامرأته استثناء
متصل والاستثناء بعد الاستثناء يرد المستثنى الثانى فى حكم الامر الاول
والغابرين هنا اي الباقين فى العذاب وغبر من الاضداد يقال فى الماضى وفى
الباقى وقول الرسل للوط بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بما وعدك الله
من تعذيبهم الذى كانوا يشكون فيه والقطع الجزء من الليل * وقوله
سبحانه واتبع ادبارهم اي كن خلفهم وفى ساقتهم حتى لايبقى منهم احد
ولا يلتفت ماخوذ من الالتفات الذى هو نظر العين قال مجاهد المعنى لاينظر
احد وراءه ونهوا عن النظر مخافة العُلقه وتعلق النفس بمن خلف وقيل ليلا
تنفطر قلوبهم من معاينة ما جرى على القرية فى رفعها وطرحها * وقوله
سبحانه وقضينا اليه ذلك الامر اي امضيناه وحتمنا به ثم ادخل فى
الكلام اليه من حيث اوحي ذلك اليه واعلمه الله به * وقوله يستبشرون
اي بالاضياف طمعا منهم فى الفاحشة وقولهم او لم ننهك عن العالمين روي
انهم كانوا تقدموا اليه فى ان لا يضيف احدا والعمر والعمر بفتح العين وضمها
واحد وهما مدة الحياة ولا يستعمل فى القسم الا بالفتح وفى هذه الآية شرف
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل اقسم بحياته ولم يفعل ذلك
مع بشر سواه قاله ابن عباس (ت) وقال (ص) اللام فى لعمرك للابتداء
والكاف خطاب للوط عليه السلام والتقدير قالت الملائكة له لعمرك
واقتصر على هذا وما ذكره (ع) هو الذى عول عليه عياض وغيره وقال
ابن العربي فى احكامه قال المفسرون باجمعهم اقسم الله فى هذه الآية بحياة
محمد صلى الله عليه وسلم ولا ادرى ما اخرجهم عن ذكر لوط الى ذكر
محمد عليه السلام وما المانع ان يقسم الله بحياة لوط ويبلغ به من التشريف ما
شاء وكل ما يعطى الله للوط من فضل ويوتيه من شرف فلنبينا محمد عليه

السلام ضعفاه لانه اكرم على الله منه واذا اقسم الله بحياة لوط لحياة نبينا محمد عليه السلام ارفع ولا يخرج من كلام الى كلام ءاخر غيره لم يجر له ذكر لغير ضرورة انتهى (ت) وما ذكره الجمهور احسن لان الخطاب خطاب مواجهة ولانه تفسير صحابي وهو مقدم على غيره * ويعمهون معناه يترددون فى حيرتهم * ومشرقين معناه قد دخلوا فى الاشراق وهو سطوع ضوء الشمس وظهوره قاله ابن زيد وهذه الصيحة هي صيحة الوجبة وليست كصيحة ثمود واهلكوا بعد الفجر مصبحين واستوفاهم الهلاك مشرقين وباقى قصص الآية تقدم تفسيره * والمتوسمين قال مجاهد المتفرسون وقال ايضا المعتبرون وقيل غير هذا وهذا كله تفسير بالمعنى واما تفسير اللفظة فالمتوسم هو الذى ينظر فى وسم المعنى فيستدل به على المعنى وكأن معصية هؤلاء ابقت من العذاب والاهلاك وسما فمن رأى الوسم استدل على المعصية به واقتاده النظر الى تجنب المعاصى ليلا ينزل به ما نزل بهم ومن الشعر فى هذه اللفظة قول الشاعر

توسمته لما رأيت مهابة * عليه وقلت المرء من ءال هاشم

والضمير فى قوله وانها لبسبيل مقيم يحتمل ان يعود على المدينة المهلكة اي انها فى طريق ظاهر بين للمعتبر وهذا تاويل مجاهد وغيره ويحتمل ان يعود على الآيات ويحتمل ان يعود على الحجارة ويقويه ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان حجارة العذاب معلقة بين السماء والارض منذ الفي سنة لعصاة امتى * وقوله سبحانه وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم الايكة الغيضة والشجر الملتف المخضر قال الشاعر

الا انما الدنيا غضارة ايكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب

وكان هؤلاء قوما يسكنون غيضة ويرتفقون بها فى معايشهم فبعث اليهم

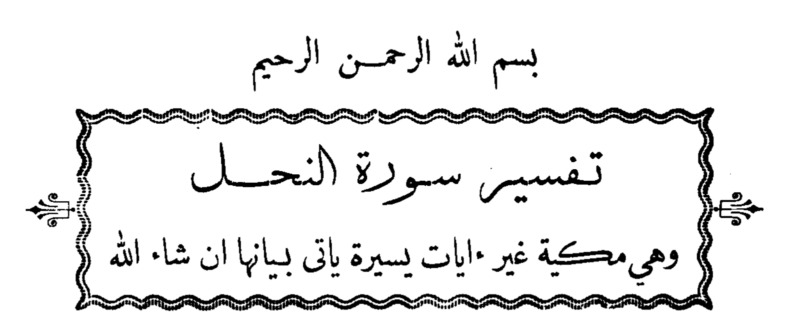
شعيب فكفروا به فسلط الله عليهم الحر فدام عليهم سبعة ايام ثم رأوا سحابة فخرجوا فاستظلوا بها فامطرت عليهم نارا وحكى الطبري قال بعث شعيب الى امتين فكفرتا فعذبتا بعذابين مختلفين اهل مدين عذبوا بالصيحة واصحاب الايكة بالظلة * وقوله وانهما لبامام مبين الضمير فى انهما يحتمل ان يعود على مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب الايكة ويحتمل ان يعود على لوط وشعيب عليهما السلام اي انهما على طريق من الله وشرع مبين والامام فى كلام العرب الشيء الذى يهتدى به ويؤتم به فقد يكون الطريق وقد يكون الكتاب وقد يكون الرجل المقتدى به ونحو هذا ومن رأى عود الضمير على المدينتين قال الامام الطريق وقيل على ذلك الكتاب الذى سبق فيه اهلاكهما واصحاب الحجر هم ثمود وقد تقدم قصصهم والحجر مدينتهم وهي ما بين المدينة وتبوك وقال المرسلين من حيث يلزم من تكذيب رسول واحد تكذيب الجميع اذ القول فى المعتقدات واحد * وقوله ينحتون من الجبال بيوتا آمنين النحت النقر بالمعاول وءامنين قيل معناه من انهدامها وقيل من حوادث الدنيا وقيل من الموت لاغترارهم بطول الاعمار واصح ما يظهر فى ذلك انهم كانوا يامنون عواقب الآخرة فكانوا لا يعملون بحسبها * وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي لم تخلق عبثا ولاسدى * وان الساعة ءلاتية اي فلا تهتم يا محمد باعمال الكفرة فان الله لهم بالمرصاد * وقوله عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثانى ذهب ابن مسعود وغيره الى ان السبع المثاني هنا هي السبع الطوال البقرة وءال عمران والنساء والمائدة والانعام والمص والانفال مع براءة وذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى ان السبع هنا ءايات الفاتحة وهو نص حديث ابي بن كعب وغيره (ت) وهذا هو الصحيح وقد تقدم بيان ذلك اول الكتاب * وقوله سبحانه

لاتمدن عينيك الى ما معتنا به ازواجا منهم حكى الطبري عن سفيان بن عيينة انه قال هذه الآية ءامرة بالاستغناء بكتاب الله عن جميع زينة الدنيا قال (ع) فكانه قال ءاتيناك عظيما خطيرا فلا تنظر الى غير ذلك من امور الدنيا وزينتها التى متعنا بها انواعا من هؤلاء الكفرة ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من اوتي القرءان فرأى ان احدا اعطي افضل مما اعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما (ت) وفى صحيح مسلم عن ابى سعيد قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس فقال لا والله ما اخشى عليكم ايها الناس الا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا الحديث وفى رواية اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال بركات الارض الحديث وفى رواية ان مما اخاف عليكم بعدى ما يفتح لكم من زهرة الدنيا وزينتها الحديث انتهى والاحاديث فى هذه الباب اكثر من ان يحصيها كتاب قال الغزالي فى المنهاج واذا انعم الله عليك بنعمة الدين فاياك ان تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك منك لايكون الا بضرب من التهاون بما اولاك مولاك من نعم الدارين اما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرءان العظيم لاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الآية تقديره ان من اوتي القرءان العظيم حق له ان لاينظر الى الدنيا الحقيرة نظرة باستحلاء فضلا عن ان يكون له فيها رغبة فليلتزم الشكر على ذلك فانه الكرامة التى حرص عليها الخليل لابيه والمصطفى عليه السلام لعمه فلم يفعل واما حطام الدنيا فان الله سبحانه يصبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وجاهل وفاسق الذين هم اهون خلقه عليه ويصرفه عن كل نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز خلقه عليه حتى انهم لايكادون يصيبون كسرة وخرقة ويمن عليهم سبحانه بان لايلطخهم بقذرها انتهى

وقال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى لاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم المعنى اعطيناك الآخرة فلا تنظر الى الدنيا وقد اعطيناك العلم فلا تتشاغل بالشهوات وقد منحناك لذة القلب فلا تنظر الى لذة البدن وقد اعطيناك القرءان فاستغن به فمن استيغنى به لا يطمح بنظره الى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى حيي بالباقى وفني عن الفانى انتهى * وقوله سبحانه وقل اني انا النذير المبين كما ازلنا على المقتسمين قال (ع) والذى اقول به فى هذا ان المعنى وقل انا نذير كما قال قبلك رسلنا ونزلنا عليهم كما ازلنا عليك واختلف فى المقتسمين من هم فقال ابن عباس وابن جبير المقتسمون هم اهل الكتاب الذين فرقوا دينهم وجعلوا كتاب الله اعضاء ءامنوا ببعض وكفروا ببعض وقال نحوه مجاهد وقالت فرقة المقتسمون هم كفار قريش جعلوا القرءان سحرا وشعرا وكهانة وجعلوه اعضاء بهذا التقسيم وقالت فرقة عضين جمع عضة وهي اسم للسحر خاصة بلغة قريش وقاله عكرمة (ت) وقال الواحدي كما ازلنا عذابا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان انتهى من مختصره * وقوله سبحانه فوربك لنسألنهم اجمعين الآية ضمير عام ووعيد محض ياخذ كل احد منه بحسب جرمه وعصيانه فالكافر يسأل عن التوحيد والرسالة وعن كفره وقصده به والمومن العاصى يسأل عن تضييعه وكل مكلف عما كلف القيام به وفى هذا المعنى احاديث قال ابن عباس فى هذه الآية يقال لهم لم عملتم كذا وكذا قال وقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان معناه لايقال له ماذا اذنبت لان الله تعالى اعلم بذنبه منه وقوله سبحانه فاصدع بما تومر اصدع معناه انفذ وصرح بما بعثت به * وقوله واعرض عن المشركين من آيات المهادنة التى نسختها ءاية

السيف قاله ابن عباس ثم اعلمه الله تعالى بانـه قد كفاه المستهزءين بـه من كفار مكة ببوائق اصابتهم من الله تعالى قال ابن اسحاق وغيره وهم الذين قذفوا فى قليب بدر كابى جهل وغيره انتهى * وقوله سبحانه ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ءاية تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم واليقـين هنـا الموت قاله ابن عمر وجماعة قال الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين انتهى وباقى الآية بين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم



تفسير سورة النحل

وهي مكية غير ءايات يسيرة ياتى بيانها ان شاء الله

قوله سبحانه اتى امر الله فلا تستعجلوه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال جبريل فى سرد الوحي اتى امر الله وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فلما قال فلا تستعجلوه سكن وقوله امر الله قال فيه جمهور المفسرين انه يريد القيامة وفيها وعيد للكفار وقيل المراد نصر محمد صلى الله عليه وسلم فمن قال ان الامر القيامة قال ان قوله تعالى فلا تستعجلوه رد على المكذبين بالبعث القائلين متى هذا الوعد واختلف المتأولون فى قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح فقال مجاهد الروح النبوءة وقال ابن عباس الروح الوحي وقال قتادة بالرحمة والوحي وقال الربيع بن انس كل كلام الله

روح ومنه قوله تعالى اوحينا اليك روحا من امرنا وقال الزجاج الروح ما تحي
به القلوب من هداية الله عز وجل وهذا قول حسن قال الداودي عن ابن عباس
قال الروح خلق من خلق الله وامر من امر الله على صور بنى ءادم وما ينزل
من السماء ملك الا ومعه روح كالحفيظ عليه لا يتكلم ولا يراه ملك ولا
شيء مما خلق الله وعن مجاهد الروح خلق من خلق الله لهم ايد وارجل
انتهى والله اعلم بحقيقة ذلك وهذا امر لا يقال بالرأي فان صح فيه شيء
عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب الوقوف عنده انتهى ومن فى قوله من
يشاء هي للانبياء * وقوله تعالى خاق الانسان من نطفة يريد بالانسان
الجنس * وقوله خصيم يحتمل ان يريد به الكفرة الذين يجادلون فى
ءايات الله قاله الحسن البصري ويحتمل ان يريد اعم من هذا على ان الآية
تعديد نعمة الذهن والبيان على البشر * وقوله سبحانه والانعام خلقها
لكم فيها دفء الدفء السخانة وذهاب البرد بالاكسية ونحوها وقيل
الدفء تناسل الابل وقال ابن عباس هو نسل كل شيء والمعنى الاول هو
الصحيح والمنافع البانها وما تصرف منها وحرثها والنضح عليها وغير ذلك *
وقوله جمال اي فى المنظر وتريحون معناه حين تردونها وقت الرواح الى المنازل
وتسرحون معناه تخرجونها غدوة الى السرح والاثقال الامتعة وقيل الاجسام
كقوله واخرجت الارض اثقالها اي اجساد بنى ءادم وسميت الخيل خيلا
لاختيالها فى مشيتها (ت) ويجب على من ملكه الله شيأ من هذا الحيوان ان
يرفق به ويشكر الله تعالى على هذه النعمة التى خولها وقد روى مالك فى
الموطإ عن ابى عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن خالد بن معدان يرفعه قال
ان الله رفيق يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف فاذا ركبتم
هذه الدواب العجم فانزلوها منازلها فان كانت الارض جدبة فانجوا عليها بنقيها

وعليكم بسير الليل فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار واياكم والتعريس على الطريق فانها طرق الدواب ومأوى الحيات قال ابو عمر فى التمهيد هذا الحديث يستند عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة فاما الرفق فحمود فى كل شيء وما كان الرفق فى شيء الا زانه وقد روى مالك بسنده عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يحب الرفق فى الامر كله وامر المسافر فى الخصب بان يمشي رويدا ويكثر النزول لترعى دابته فاما الارض الجدبة فالسنة للمسافر ان يسرع السير ليخرج عنها وبدابته شيء من الشحم والقوة والنقي فى كلام العرب الشحم والودك انتهى وروى ابو داود عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم ان تتخذوا ظهور دوابكم منابر فان الله انما سخرها لكم لتبلغكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وجعل لكم الارض فعليها فاقضوا حاجاتكم انتهى * وقوله سبحانه ويخلق ما لا تعلمون عبرة منصوبة على العموم اي ان مخلوقات الله من الحيوان وغيره لا يحيط بعلمها بشر بل ما يخفى عنه اكثر مما يعلمه * وقوله سبحانه وعلى الله قصد السبيل الآية هذه ايضا من اجل نعم الله تعالى اي على الله تقويم طريق الهدى وتبيينه بنصب الادلة وبعث الرسل والى هذا ذهب المتأولون ويحتمل ان يكون المعنى ان من سلك السبيل القاصد فعلى الله ورحمته وتنعيمه طريقه والى ذلك مصيره وطريق قاصد معناه بين مستقيم قريب والالف واللام فى السبيل للعهد وهي سبيل الشرع * وقوله ومنها جائر يريد طريق اليهود والنصارى وغيرهم فالضمير فى منها يعود على السبل التى يتضمنها معنى الآية * وقوله سبحانه فيه تسيمون يقال اسام الرجل ماشيته اذا ارسلها ترعى * وقوله سبحانه وما ذرأ لكم ذرأ معناه بث ونشر * ومختلفا الوانه اي اصنافه ويحتمل ان يكون التنبيه على اختلاف الالوان

من حمرة وصفرة وغير ذلك والاول ابين * وقوله سبحانه وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون البحر الماء الكثير ملحا كان او عذبا قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يعنى به اللؤلؤ والمرجان وهذا امتنان عام للرجال والنساء فلا يحرم عليهم شيء من ذلك انتهى ومواخر جمع ماخرة والمخر فى اللغة الصوت الذى يكون من هبوب الريح على شيء يشق او يصحب فى الجملة الماء فيترتب منه ان يكون المخر من الريح وان يكون من السفينة ونحوها وهو فى هذه الآية من السفن وقال بعض النحاة المخر فى كلام العرب الشق يقال مخر الماء الارض وهذا ايضا بين ان يقال فيه للفلك مواخر * وقوله وسبلا لعلكم تهتدون يحتمل تهتدون فى مشيكم وتصرفكم فى السبل ويحتمل تهتدون بالنظر فى دلالة هذه المصنوعات على صانعها * وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال ابن عباس العلامات معالم الطرق بالنهار والنجوم هداية الليل وهذا قول حسن فانه عموم بالمعنى واللفظة عامة وذلك ان كان ما دل على شيء واعلم به فهو علامة والنجم هنا اسم جنس وهذا هو الصواب * وقوله سبحانه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها الآية وبحسب العجز عن عد نعم الله تعالى يلزم ان يكون الشاكر لها مقصرا عن بعضها فلذلك قال عز وجل لغفور رحيم اي عن تقصيركم فى الشكر عن جميعها نحا هذا المنحى الطبري ويرد عليه ان نعمة الله فى قول العبد الحمد لله رب العالمين مع شرطها من النية والطاعة يوازى جميع النعم ولكن اين قولها بشروطها والمخاطبة بقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها عامة لجميع الناس * والذين تدعون من دون الله اي تدعونهم ءالهة * واموات يراد به الذين يدعون من دون الله ورفع اموات على انه خبر مبتدا مضمر تقديره

هم امـوات * وقـوله غير احياء اي لم يقبلوا حياة قط ولا اتصفوا بها * وقوله سبحانه وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يشعر الكفار متى يبعثون الى التعذيب * وقوله سبحانـه الهكم اله واحد فالذين لا يومنون بالآخرة قلوبهم منكرة اي منكرة اتحاد الاله (ت) وهذا كما حكى عنهم سبحانه فى قولهم اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب * وقوله لا جرم عبرت فرقة من اللغويين عن معناها بلا بد ولا محالة وقالت فرقـة معناها حق ان الله ومذهب سيبويه ان لا نفي لمـا تقدم من الكلام وجرم معناه وجب او حق ونحـو هذا مذهب الزجاج ولكن مع مذهبهما لا ملازِمة لجرم لا تنفـك هـذه من هـذه * وقوله سبحانـه انـه لا يحب المستكبرين عام فى الكافرين والمومنين ياخذ كل احد منهم بقسطه قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابى جمرة رحمـه الله موت النفوس حياتهـا من احب ان يحيي يموت ببذل اهل التوفيق نفوسهم وهوانهـا عليهم نالوا مـا نالوا وبحب اهـل الدنيـا نفوسهم هـانوا وطـرأ عليهم الهوان هنـا وهناك وقد ورد فى الحديث انـه ما من عبد الاو فى رأسه حكمة بيد ملك فان تعاظم وارتفع ضرب الملـك فى رأسه وقال له اتضع وضعك الله وان تواضع رفعه الملك وقال له ارتفع رفعك الله من الله علينـا بمـا بـه يقربنـا اليه بمنّـه انتهى * وقوله سبحانـه واذا قيـل لهم يعنى كفار قريش مـاذا انزل ربكم الآية يقال ان سببها النضر بن الحارث واللام فى قوله ليحملوا يحتمل ان تكون لام العاقبـة ويحتمل ان تكون لام كي ويحتمل ان تكون لام الامر على معنى الحتم عليهم والصغـار الموجب لهم * وقوله سبحانه ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من للتبعيض وذلك ان هذا الرأس المضل يحمل وزر نفسـه ووزرا من وزر كل من ضل بسببه ولا ينقص من اوزار اولائك شيء والاوزار هي الاثقـال * وقوله سبحانـه قد مكـر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم

الآيــة قال ابن عباس وغيره من المفسرين الاشارة بالذين مــن قبلهم الى نمروذ الذى بنى صرحا ليصعد فيه الى السماء بزعمه فلما افرط فى علوه وطوله فى السماء فرسخين على ما حكى النقاش بعث الله عليه ريحا فهدمتـه وخر سقفه عليه وعلى اتباعه وقيل ان جبريل هدمه بجناحه والقى اعلاه فى البحر وانجعف من اسفله وقالت فرقة المراد بالذين من قبلهم جميع من كفر من الامم المتقدمة ومكر ونزلت به عقوبة وقوله على هذا فاتى الله بنيانهم من القواعد الى ءاخر الآيــة تمثيــل وتشبيه اي حالهم كحال من فعل به هذا * وقوله يخزيهم لفظ يعم جميع المكاره التى تنزل بهم وذلك كله راجع الى ادخالهم النـار ودخولهم فيهـا * وتشاقون معنـاه تحاربون اي تكونون فى شق والحق فى شق * والذين اوتوا العلم هم الملائكة فيما قال بعض المفسرين وقال يحي بن سلام هو المومنون قال (ع) والصواب ان يعم جميع من آتاه الله علم ذلك من ملائكة وانبياء وغيرهم وقد تقدم تفسير الخزي وانه الفضيحة المخجلة وفى الحديث ان العار والتخزيــة لتبلغ من العبد فى المقام بــين يدي الله تعالى ما ان يتمنى ان ينطلق بـه الى النار وينجـو مـن ذلك المقام اخرجـه البغوي فى المسند المنتخب له انتهى من الكوكب الدري * وقوله سبحانه الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم الذين نعت للكافرين فى قول اكثر المتأولين والملائكة يريد القابضين لارواحهم * والسلم هنا الاستسلام واللام فى قوله فلبيس لام تاكيد والمثوى موضع الاقامة * وقوله سبحانه وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم الآيــة لمـا وصف سبحانـه مقالة الكفار الذين قالوا اساطير الاولـين عادل ذلك بذكر مقالة المومنـين من اصحاب النبي صلى الله عليـه وسلم واوجب لكـل فريق مـا يستحق وقولهم خيرا جـواب بحسب السؤال واختلف فى قوله تعالى للذين احسنوا الى ءاخر الآية هل هو ابتداء كلام او هو تفسير للخير الذى انزل

الله فى الوحي على نبينا خبرا ان من احسن فى الدنيا بالطاعة فله حسنة فى الدنيا ونعيم فى الآخرة وروى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المومن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الآخــرة * وقوله سبحانه جنات عدن يدخلونها الايـة تقدم تفسير نظيرها * وطيبين عبارة عن صالح حالهم واستعدادهم للموت والطيب الذى لاخبث معه وقول الملائكة سلام عليكم بشـارة من الله تعـالى وفى هذا المعنى احاديث صحاح يطول ذكرها وروى ابن المبارك فى رقائقـه عن محمد بن كعب القرظي قال اذا ا استنقعت نفس العبد المومن جاءه ملك فقال السلام عليك ولي الله الله يقرئى عليـك السلام ثم نزع بهذه الآيـة الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم انتهى وقوله سبحانـه بمـا كنتم تعملون علق سبحانـه دخولهم الجنة باعمالهم من حيث جعل الاعمال امارة لادخال العبد الجنـة ولا معارضة بـين الآيـة وقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنـة بعمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة فان الآية ترد بالتاويل الى معنى الحديث قال (ع) ومن الرحمة والتغمد ان يوفق الله العبد الى اعمال برة ومقصد الحديث نفي وجوب ذلك على الله تعالى بالعقل كما ذهب اليه فريق مـن المعتزلة * وقوله سبحانـه هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم ينظرون معناه ينتظرون ونظر متى كانت من رؤيـة العين فانما تعديهـا العرب بالى ومتى لم تتعد بالى فهي بمعنى انتظر ومنهـا انظرونا نقتبس مـن نوركم ومعنى الكلام ان تاتيهم الملائكـة لقبض ارواحهم ظالمى انفسهم * وقوله اوياتي امر ربك وعيد يتضمن قيـام الساعة او عذاب الدنيـا ثم ذكر تعالى ان هذا كان فعل الامم قبلهم فعوقبوا * وقوله سبحانـه فاصابهم سيئـات ما عملوا اي جزاء ذلك فى الدنيـا والآخرة *

وحاق معناه نزل واحاط * وقوله سبحانه وقال الذين اشركوا لوشاء الله
مـا عبدنا من دونـه من شيء الآيـة تقدم تفسير نظيرها فى الانعـام وقولهم
ولا حرمنا يريـد من البحيرة والسائبـة والوصيلة وغير ذلك * وقوله سبحانـه
ولقد بعثنا فى كل امـة رسولا ان اعبدوا الله الآيـة الى قوله فان الله لا يهدى
من يضل وقرأ حمزة والكساءي وعاصم لا يهدى بفتح اليـاء وكسر الدال
وذلك على معنيـين اي ان الله لا يهدى من قضى باضـلاله والمعنى الثانى ان
العرب تقول هدى الرجل بمعنى اهتدى * وقوله سبحانه واقسموا بالله جهد
ايمـانهم لا يبعث الله من يمـوت الضمير فى اقسموا لكفار قريش ثم رد الله
تعالى عليهم بقوله بلى فاوجب بذلك البعث واكثر النـاس فى هـذه الآيـة
الكفار المكذبون بالبعث * وقوله سبحانه ليبين التقدير بلى يبعثه ليبين
لهم الذى يختلفون فيـه * وقوله سبحانـه انمـا قولنـا لشيء اذا اردناه الآيـة
المقصد بهـذه الايـة اعلام منكرى البعث بهوان امره على الله تعالى وقربـه
فى قدرته لا رب غيره * وقوله سبحانـه والذين هاجروا فى الله من بعد مـا
ظلموا هؤلاء هم الذين هـاجروا الى ارض الحبشـة هـذا قـول الجمهور وهو
الصحيح فى سبب نزول الآيـة لان هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية
والآيـة تتناول كل من هاجر اولا وءاخرا وقرأ جماعـة خارج السبع لنثوينهم
واختلف فى معنى الحسنـة هنا فقالت فرقـة الحسنة عدة ببقعة شريفة وهي
المدينة وذهبت فرقة الى ان الحسنة عامة فى كل امر مستحسن يناله ابن ءادم
وفى هذا القول يدخل ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يعطى
المـال وقت القسمة الرجل من المهاجرين ويقول له خذ ما وعدك الله فى الدنيا
ولأجر الآخرة اكبر ثم يتلو هذه الآيـة ويدخل فى هـذا القول النصر على
العدو وفتح البلاد وكل امل بلغه المهاجرون والضمير فى يعلمون عائد على كفار

قريش * وقوله الذين صبروا من صفة المهاجرين * وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم هذه الآية رد على كفار قريش الذين استبعدوا ان يبعث الله بشرا رسولا ثم قال تعالى فسئلوا اي قل لهم فسألوا واهل الذكر هنا احبار اليهود والنصارى قاله ابن عباس وغيره وهو اظهر الاقوال وهم فى هذه النازلة خاصة انما يخبرون بان الرسل من البشر واخبارهم حجة على هؤلاء وقد ارسلت قريش الى يهود يثرب يسألونهم ويسندون اليهم * وقوله بالبينات تعلق بفعل مضمر تقديره ارسلناهم بالبينات وقالت فرقة الباء متعلقة بارسلنا فى اول الآية والتقدير على هذا وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا ففى الآية تقديم وتاخير والزبر الكتب المزبورة * وقوله سبحانه لتبين للناس ما نزل اليهم الآية (ت) وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك فبين عن الله واوضح وقد اوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فاعرب عن دين الله وافصح ولنذكر الآن طرفا من حكمه وفصيح كلامه بحذف اسانيده قال عياض فى شفاه واما كلامه صلى الله عليه وسلم المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فمنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرء عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت عن شر فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه * ويبخل بما لا يغنيه * وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع

وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله فى بعض دعائه اللهم انى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبي وتجمع بها امرى وتلم بها شعثى وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى وترد بها أُلفتى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم انى اسألك الفوز فى القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى غير ذلك من بيانه وحسن كلامه مما روته الكافة عن الكافة مما لا يقاس به غيره وحاز فيه سبقا لا يقدر قدره كقوله السعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي فى بطن امه فى اخواتها مما يدرك الناظر العجب فى مضمنها ويذهب به الفكر فى ادانى حكمها وقال صلى الله عليه وسلم بيد انى من قريش ونشأت فى بنى سعد فجمع الله له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التاييد الالهي الذى مدده الوحي الذى لا يحيط بعلمه بشري انتهى وبالجملة فليس بعد بيان الله ورسوله بيان لمن عمر الله قلبه بالايمان * وقوله سبحانه افأمن الذين مكروا السيئات الآية تهديد لكفار مكة ونصب السيئات بمكروا وعدى مكروا لانه فى معنى عملوا قال البخاري قال ابن عباس فى تقلبهم اي فى اختلافهم انتهى وقال المهدوي قال قتادة فى تقلبهم فى اسفارهم الضحاك فى تقلبهم بالليل انتهى * وقوله على تخوف اي على جهة التخوف والتخوف التنقص وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفي عليه معنى التخوف فى هذه الآية واراد الكتب الى الامصار يسأل عن ذلك فيروى انه جاءه فتى من العرب فقال يا امير المومنين ان ابى يتخوفنى مالى فقال عمر الله اكبر او ياخذهم على تخوف ومنه قول النابغة

تخوفهم حتى اذل سراتهـم * بطعن ضرار بعد فتح الصفائح

وهذا التنـقص يتجه به الوعيد على معنيين احدهما ان يهلكهم ويخرج ارواحهم على تخوف اي افذاذا يتنـقصهم بذلك الشيء بعد الشيء ويصيرهم الى مـا اعد لهم من العذاب وفى هذه الرتبة الثالثـة من الوعيد رأفـة ورحمة وامهال ليتوب التائب ويرجع الراجع والثانى ما قاله الضحاك ان ياخذ بالعذاب طائفة او قرية ويترك اخرى ثم كذلك حتى يهلك الكل وقالت فرقـة التخوف هنا من الخوف اي فياخذهم بعد تخوف ينالهم يعذبهم به * وقوله سبحانـه او لم يروا الى مـا خلق الله من شيء الآيـة قـوله مـن شيء لفظ عام فى كل شخص وجرم له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك وفاء الظل رجع ولا يقال الفيء الامن بعد الزوال فى مشهور كلام العرب لكن هذه الآيـة الاعتبـار فيهـا من اول النهار الى ءاخره فكأن الآيـة جارية فى بعض على تجوز كلام العرب واقتضائه والرؤية هنا رؤية القلب ولكن الاعتبار برؤيـة القلب هنا انمـا تكون فى مرءيات بالعين وعن اليمين والشمائـل هنا فيه تجوز واتساع وذكر الطبري عن الضحاك قال اذا زالت الشمس سجد كل شيء قبَـل القبلة مـن نبت او شجر ولذلك كان الصالحـون يستحبـون الصـلاة فى ذلك الوقت قال الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع قبل الظهر بعد الزوال تحسب بمثلهن فى صلاة السحر قال وليس شيء الا يسبح لله تلك الساعة وقرأ يتـفيؤا ظلاله الآية كلها انتهى والداخر المتصاغر المتواضع * وقوله سبحانه يخافون ربهم عام لجميع الحيوان ومن فوقهم يريد فوقية القـدر والعظمـة والقهر * وقـوله سبحانه وله ما فى السموات والارض السموات هنا كل ما ارتفع مـن الخلق من جهة فوق فيدخل فى ذلك العرش والكرسي وغيرهما والدين الطاعـة والملـك والواصب الدائم قاله ابن عبـاس ثم ذكَّر سبحـانـه بنعمـه ثم ذكـر

باوقات المرض والتجاء العباد اليه سبحانه والضر وان كان يعم كل مكروه فاكثر ما يجيء عن ارزاء البدن وتجئرون معناه ترفعون اصواتكم باستغاثة وتضرع * ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون الفريق هنا يراد به المشركون الذين يرون ان للاصنام افعالا من شفاء المرضى وجاب النفع ودفع الضر فهم اذا شفاهم الله عظموا اصنامهم واضافوا ذلك الشفاء اليها * وقوله سبحانه ليكفروا يجوز ان تكون اللام لام الصيرورة ويجوز ان تكون لام امر على معنى التهديد * وقوله بما ءاتيناهم اي بما انعمنا عليهم * وقوله سبحانه ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم اي لما لا يعلمون له حجة ولا برهانا ويحتمل ان يريد بنفي العلم الاصنام اي لجمادات لا تعلم شيأ نصيبا والنصيب المشار اليه هو ما كانت العرب سنته من الذبح لاصنامها والقسم من الغلات وغيره * وقوله سبحانه ويجعلون لله البنات سبحانه الآية تعديد لقبائح الكفرة فى قولهم الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم والمراد بقوله ولهم ما يشتهون الذكران من الاولاد * وقوله ظل وجهه مسودا عبارة عما يعلو وجه المغموم قال (ص) ظل تكون بمعنى صار وبمعنى اقام نهارا على الصفة المسندة الى اسمها وتحتمل هنا الوجهين انتهى وكظيم بمعنى كاظم والمعنى انه يخفي وجده وهمه بالانثى ومعنى يتوارى يتغيب من القوم وقرأ الجحدري ايمسكها ام يدسها وقرأ الجمهور على هون وقرأ عاصم الجحدري على هوان ومعنى الآية يدبر ايمسك هذه الانثى على هوان يتحمله وهم يتجلد له ام يئدها فيدفنها حية وهو الدس فى التراب * وقوله سبحانه للذين لا يومنون بالآخرة مثل السوء قالت فرقة مثل فى هذه الآية بمعنى صفة اي لهؤلاء صفة السوء * ولله المثل الاعلى قال (ع) وهذا لا يضطر اليه لانه خروج عن اللفظ بل قوله مثل على بابه فلهم على الاطلاق مثل السوء فى كل سوء

ولا غاية اخزى من عذاب النار ولله سبحانه المثل الاعلى على الاطلاق ايضا اي الكمال المستغنى * وقوله سبحانه ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة الضمير فى عليها عائد على الارض وتمكن ذلك مع انه لم يجر لها ذكر لشهرتها وتمكن الاشارة اليها وسمع ابو هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يهلك الا نفسه فقال ابو هريرة بلى ان الله ليهلك الحبارى فى وكرها هزلا بذنوب الظلمة والاجل المسمى فى هذه الآية هو بحسب شخص شخص * وقوله ما يكرهون يريد البنات * وقوله سبحانه وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى قال مجاهد وقتادة الحسنى الذكور من الاولاد وقالت فرقة يريد الجنة قال (ع) ويؤيده قوله لاجرم ان لهم النار وقرأ السبعة سوى نافع مفرطون بفتح الراء وخفتها اي مقدمون الى النار وقرأ نافع مفرطون بكسر الراء المخففة اي متجاوزون الحد فى معاصى الله * وقوله سبحانه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك الآية هذه ءاية ضرب مثل لهم بمن سلف فى ضمنها وعيد لهم وتانيس للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله فهو وليهم اليوم يحتمل ان يريد باليوم يوم الاخبار ويحتمل ان يريد يوم القيامة اي وليهم فى اليوم المشهور * وقوله سبحانه الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه لتبين فى موضع المفعول من اجله اي الا لاجل البيان والذى اختلفوا فيه لفظ عام لانواع كفر الكفرة لكن الاشارة هنا الى تشريكهم الاصنام فى الالهية ثم اخذ سبحانه ينص العبر المؤدية الى بيان وحدانيته وعظيم قدرته فبدأ بنعمة المطر التى هي ابين العبر وهي ملاك الحياة وهي فى غاية الظهور لا يخالف فيها عاقل * وقوله مما فى بطونه الضمير عائد على الجنس وعلى المذكور وهذا كثير * وقوله سبحانه سائغا للشاربين السائغ السهل فى الشرب اللذيذ (ت) وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من اطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك

لنـا فيـه واطعمنا خيرا منـه ومن سقاه الله لبنـافليقل اللهم بارك لنا فيـه وزدنا منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللـبن رواه ابو داود والترمذي وابن ماجـه وقال الترمذي واللفظ له هذا حديث حسـن انتهى من السلاح * وقوله سبحانـه ومن ثمرات النخيـل والاعناب تتخذون منـه سكـرا الآيـة السكر ما يسكر هذا هو المشهور فى اللغـة قال ابن عبـاس نزلت هذه الآيـة قبل تحريم الخمر وأراد بالسكر الخمر وبالرزق الحسن جميع مـا يشرب ويوكل حلالا من هاتـين الشجرتـين فالحسن هنـا الحلال وقال بهذا القول ابن جبير وجماعـة وصحح ابن العربي هذا القول ولفظه والصحيح ان ذلك كان قبل تحريم الخمر فان هذه الآية مكيـة باتـفاق العلماء وتحريم الخمر مدني انتهى من احكام القرءان وقال مجاهـد وغيره السكر المائـع مـن هاتـين الشجرتـين كالخـل والرب والنـبيذ والرزق الحسن العنب والتمر قال الطبري والسكر ايضا فى كلام العرب مـا يطعم ورجح الطبري هذا القول ولا مدخل للخمر فيـه ولا نسخ فى الآيـة * وقوله تعالى واوحى ربك الى النحل الآية الوحي فى كلام العرب القاء المعنى من الموحى الى الموحى اليه فى خفاء فمنه الوحي الى الانبياء برسالة الملك ومنه وحي الرؤيا ومنه وحي الالهـام وهو الذى فى ءايتنـا باتفاق من المتـأولـين والوحي ايضا بمعنى الامر كما قال تعالى بان ربك اوحى لها وقد جعل الله بيوت النحل فى هذه الثلاثة الانواع امـا فى الجبال وكواها واما فى متجوف الاشجار وامـا فيما يعرش ابن ءادم من الاجباح والحيطان ونحوها وعرش معنـاه هيأ والسبل الطرق وهي مسالكها فى الطيران وغيره وذللا يحتمل ان يكون حالا من النحل اي مطيعة منقادة قاله قتادة قال ابن زيد فهم يخرجون بالنحل ينتجعون وهي تتبعهم وقرأ او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما الآية ويحتمل ان يكـون حالا من السبل اي

مسهلة مستقيمة قاله مجاهد لا يتوعر عليها سبيل تسلكه ثم ذكر تعالى على جهة تعديد النعمة والتنبيه على العبرة امر العسل فى قوله يخرج من بطونها شراب وجمهور الناس على ان العسل يخرج من افواه النحل واختلاف الالوان فى العسل بحسب اختلاف النحل والمراعى اي والفصول (ت) قال الهروي قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه وذلك انه يستحيل فى بطونها ثم تمجه من افواهها انتهى * وقوله فيه شفاء للناس الضمير للعسل قاله الجمهور قال ابن العربي فى احكامه وقد روى الائمة واللفظ للبخاري عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وروى ابو سعيد الخدري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه عسلا ثم اتاه الثانية فقال اسقه عسلا ثم اتاه فقال فعلت فما زاده ذلك الا استطلاقا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ وروي ان عوف ابن مالك الاشجعي مرض فقيل له الا نعالجك فقال ائتونى بماء سماء فان الله تعالى يقول ونزلنا من السماء ماء مباركا وائتونى بعسل فان الله تعالى يقول فيه شفاء للناس وائتونى بزيت فان الله تعالى يقول من شجرة مباركة فجاءوه بذلك كله فخلطه جميعا ثم شربه فبرأ انتهى * وقوله سبحانه ومنكم من يرد الى ارذل العمر وارذل العمر الذى تفسد فيه الحواس ويختل العقل وخص ذلك بالرذيلة وان كانت حالة الطفولة كذلك من حيث كانت هذه لارجاء معها وقال بعض الناس اول ارذل العمر خمس وسبعون سنة روي ذلك عن علي رضي الله عنه قال (ع) وهذا فى الاغلب وهذا لا ينحصر الى مدة معينة وانما هو بحسب انسان انسان ورب من يكون ابن خمسين سنة وهو فى ارذل عمره ورب ابن تسعين ليس فى ارذل عمره واللام فى لكي يشبه ان تكون لام الصيرورة والمعنى ليصير امره بعد العلم بالاشياء الى ان لا يعلم شيأ وهذه

عبارة عن قلة علمه لانه لا يعلم شيأ البتة * وقوله سبحانه والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق اخبار يراد به العبرة وانما هي قاعدة بني المثل عليها والمثل هو ان المفضلين لايصح منهم ان يساهموا مماليكهم فيما اعطوا حتى تستوي احوالهم فاذاكان هذا فى البشر فكيف تنسبون ايها الكفرة الى الله انه يسمح بان يشرك فى الالوهية الاوثان والاصنام وغيرها مما عبد من دونه وهم خلقه وملكه هذا تاويل الطبري وحكاه عن ابن عباس قال المفسرون هذه الآية كقوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فى ما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية ثم وقفهم سبحانه على جحدهم بنعمته فى تنبيهه لهم على مثل هذا من مواضع النظر المؤدية الى الايمان * وقوله سبحانه والله جعل لكم من انفسكم ازواجا هذه ايضا ءاية تعديد نعم والازواج هنا الزوجات وقوله من انفسكم يحتمل ان يريد خلقة حواء من نفس ءادم وهذا قول قتادة والاظهر عندى ان يريد بقوله من انفسكم اي من نوعكم كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم والحفدة قال ابن عباس هم اولاد البنين وقال الحسن هم بنوك وبنو بنيك وقال مجاهد الحفدة الانصار والاعوان وقيل غير هذا ولا خلاف ان معنى الحفد الخدمة والبر والمشي مسرعا فى الطاعة ومنه فى القنوت واليك نسعى ونحفد والحفدان ايضا خبب فوق المشي * وقوله سبحانه فلا تضربوا لله الامثال الآية اي لا تمثلوا لله الامثال وهو ماخوذ من قولك هذا ضريب هذا اي مثيله والضرب النوع * وقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الآية الذى هو مثال فى هذه الآية هو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء من المال ولا امر نفسه وانما هو مسخر بارادة سيده مدبر وبازاء العبد فى المثال رجل موسع عليه فى المال فهو يتصرف فيه بارادته واختلف الناس فى الذى له المثل فقال

ابن عباس وقتادة هو مثل الكافر والمومن وقال مجاهد والضحاك هذا المثال والمثال الآخر الذى بعده انما هو مثال لله تعالى والاصنام فتلك كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شيء والله تعالى تتصرف قدرته دون معقب وكذلك فسر الزجاج على نحو قول مجاهد وهذا التاويل اصوب لان الآية تكون من معنى ما قبلها ومدارها فى تبيين امر الله والرد على امر الاصنام * وقوله الحمد لله اي على ظهور الحجة * وقوله سبحانه وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم الآية هذا مثل لله عز وجل والاصنام فهي كالابكم الذى لانطق له ولا يقدر على شيء * والكل الثقيل المثونة كما الاصنام تحتاج الى ان تنقل وتخدم ويتعذب بها ثم لاياتى من جهتها خير ابدا والذى يامر بالعدل هو الله تعالى * وقوله تعالى وما امر الساعة الآية المعنى على ما قاله قتادة وغيره ما تكون الساعة واقامتها فى قدرة الله تعالى الا ان يقول لها كن فلو اتفق ان يقف على ذلك محصل من البشر لكانت من السرعة بحيث يشك هل هي كلمح البصر او هي اقرب ولمح البصر هو وقوعه على المرءي * وقوله سبحانه الم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء الآية الجو مسافة ما بين السماء والارض وقيل هو ما يلى الارض منها والآية عبرة بينة المعنى تفسيرها تكلف مَحْت * ويوم ظعنكم معناه رحيلكم والاصواف للضأن والاوبار للابل والاشعار للمعز ولم تكن بلادهم بلاد قطن وكتان فلذلك اقتصر على هذه ويحتمل ان ترك ذكر القطن والكتان والحرير اعراض عن السرف اذ ملبس عباد الله الصالحين انما هو الصوف قال ابن العربي فى احكامه عند قوله تعالى لكم فيها دفء فى هذه الآية دليل على لباس الصوف فهو اول ذلك واولاه لانه شعار المتقين ولباس الصالحين وشارة الصحابة والتابعين واختيار الزهاد والعارفين واليه نسب جماعة من الناس الصوفية لانه لباسهم فى الغالب انتهى

والاثاث متاع البيت واحدها اثاثة هذا قول ابى زيد الانصاري وقال غيره الاثاث جميع انواع المال ولا واحد له من لفظه قال (ع) والاشتقاق يقوى هذا المعنى الاعم لان حال الانسان تكون بالمال اثيثة كما تقول شعر اثيث ونبات اثيث اذا كثر والتف والسرابيل جميع ما يلبس على جميع البدن وذكر وقاية الحراذ هو امس بتلك البلاد والبرد فيها معدوم فى الاكثر وايضا فذكر احدهما يدل على الآخر وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما اوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى خلق فتصدق به كان فى كنف الله وفى حفظ الله وفى ستر الله حيا وميتا رواه الترمذي واللفظ له وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اشترى عبد ثوبا بدينار او نصف دينار فحمد الله عليه الالم يبلغ ركبتيه حتى يغفر الله له رواه الحاكم فى المستدرك وقال هذا الحديث لا اعلم فى اسناده احدا ذكر بجرح انتهى من السلاح والسرابيل التى تقى البأس هي الدروع ونحوها ومنه قول كعب بن زهير فى المهاجرين

شم العرانين ابطال لَبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل

والبأس مس الحديد فى الحرب وقرأ الجمهور تسلمون وقرأ ابن عباس تسلمون من السلامة فتكون اللفظة مخصوصة فى بأس الحرب * وقوله سبحانه ويوم نبعث من كل امة شهيدا اي شاهدا على كفرهم وايمانهم ثم لا يوذن اي لا يوذن لهم فى المعذرة وهذا فى موطن دون موطن ويستعتبون بمعنى يعتبون تقول اعتبت الرجل اذا كفيته ما عتب فيه كما تقول اشكيته اذا كفيته ما شكا وقال قوم معناه لا يسألون ان يرجعوا عما كانوا عليه فى الدنيا وقال الطبري معنى يستعتبون يعطون الرجوع الى الدنيا فتقع منهم توبة وعمل (ت)

وهذا هو الراجح وهو الذى تدل عليه الاحاديث وظواهر الآيات فى غير ما موضع * وقوله سبحانه واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اي اذا رأوهم بابصارهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الآية كانهم ارادوا بهذه المقالة تذنيب المعبودين * وقوله سبحانه فالقوا اليهم القول الآية الضمير فى القوا للمعبودين انطقهم الله بتكذيب المشركين وقد قال سبحانه فى ءاية اخرى فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون الآية انظر تفسيرها فى سورة يونس وغيرها * وقوله والقوا الى الله يومئذ السلم الضمير فى القوا هنا عائد على المشركين والسلم الاستسلام * وقوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب الآية روي فى ذلك عن ابن مسعود ان الله سبحانه يسلط عليهم عقارب وحيات لها انياب كالنخل الطوال وقال عبيد بن عمير حيات لها انياب كالنخل ونحو هذا وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاصى ان لجهنم سواحل فيها هذه الحيات وهذه العقارب فيفر الكافرون الى السواحل فتلقاهم هذه الحيات والعقارب فيفرون منها الى النار فتتبعهم حتى تجد حر النار فترجع قال وهي فى اسراب * وقوله سبحانه ويوم نبعث فى كل امة شهيدا يعنى رسولها ويجوز ان يبعث الله شهودا من الصالحين مع الرسل وقد قال بعض الصحابة اذا رأيت احدا على معصية فانهه فان اطاعك والا كنت شاهدا عليه يوم القيامة * وقوله سبحانه وجئنابك شهيدا على هؤلاء الاشارة بهؤلاء الى هذه الامة * وقوله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية قال ابن مسعود رضي الله عنه اجمع ءاية فى كتاب الله هذه الآية وروي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الآية قرأتها على ابى طالب فعجب وقال يا ءال غالب اتبعوه تفلحوا فوالله ان الله ارسله ليامر بمكارم الاخلاق قال (ع) والعدل فعل كل مفروض والاحسان فعل كل مندوب اليه * وايتاءى ذى القربى لفظ

يقتضي صلة الرحم ويعم جميع اسداء الخير الى القرابة * والفحشاء الزنا قاله ابن عباس ويتناول اللفظ سائر المعاصي التي شنعتها ظاهرة * والمنكر اعم منه لانه يعم جميع المعاصي والرذائل والاذايات على اختلاف انواعها * والبغي هو انشاء ظلم الانسان والسعاية فيه وكفيلا معناه متكفلا بوفائكم وباقي الآية بين * وقوله سبحانه ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها الآية شبهت هذه الآية الذي يحلف او يعاهد ويبرم عقده بالمرأة تغزل غزلها وتفتله محكما ثم تنقض قوى ذلك الغزل فتحله بعد ابرامه * وانكاثا نصب على الحال والنكث النقض والعرب تقول انتكث الحبل اذا انتقضت قواه والدخل الدغل بعينه وهو الذرائع الى الخدع والغدر وذلك ان المحلوف له مطمئن فيتمكن الحالف من ضرره بما يريد * وقوله سبحانه ان تكون امة هي اربى من امة المعنى لا تنقضوا الايمان من اجل ان تكون قبيلة ازيد من قبيلة في العدد والعزة والقوة ويبلوكم اي يختبركم والضمير في به يحتمل ان يعود على الربا اي ان الله ابتلى عباده بالربا وطلب بعضهم الظهور على بعض واختبرهم بذلك ليرى من يجاهد بنفسه ممن يتبع هواها وباقي الآية وعيد بيوم القيامة * وقوله سبحانه ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم الآية الدخل كما تقدم الغوائل والخدائع وكرر مبالغة قال الثعلبي قال ابو عبيدة كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل انتهى * وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها استعارة للمستقيم الحال يقع في شر عظيم * وقوله سبحانه ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الآية هذه آية نهي عن الرشا واخذ الاموال ثم اخبر تعالى ان ما عنده من نعيم الجنة ومواهب الآخرة خير لمن اتقى وعلم واهتدى ثم بين سبحانه الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بان هذه تنفد وتنقضي عن الانسان او ينقضي عنها ومنن الآخرة باقية دائمة وصبروا معناه عن الشهوات وعلى مكاره الطاعات

وهذه اشارة الى الصبر عن شهوة كسب المال بالوجوه المكروهة واختلف الناس فى معنى الحياة الطيبة فقال ابن عباس هو الرزق الحلال وقال الحسن وعلي بن ابى طالب هي القناعة قال (ع) والذى اقول به ان طيب الحياة اللازم للصالحين انما هو بنشاط نفوسهم ونبلها وقوة رجائهم والرجاء للنفس امر ملذ فبهذا تطيب حياتهم وانهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم فان انضاف الى هذا مال حلال وصحة او قناعة فذلك كمال والا فالطيب فيما ذكرناه راتب * وقوله سبحانه ولنجزينهم الآية وعد بنعيم الجنة قال ابو حيان وروي عن نافع وليجزينهم بالياء التفاتا من ضمير المتكلم الي ضمير الغيبة وينبغى ان يكون على تقدير قسم ثان لا معطوفا على فلنحيينه فيكون من عطف جملة قسمية على جملة قسمية وكلتاهما محذوفة وليس من عطف جواب لتغاير الاسناد انتهى * وقوله سبحانه فاذا قرأت القرءان فاستعذ بالله الآية التقدير فاذا اخذت فى قراءة القرءان والاستعاذة ندب وعن عطاء ان التعوذ واجب ولفظ الاستعاذة هو على رتبة هذه الآية والرجيم المرجوم باللعنة وهو ابليس ثم اخبر تعالى ان ابليس ليس له ملكة ولا رياسة هذا ظاهر السلطان عندى فى هذه الآية وذلك ان السلطان ان جعلناه الحجة فليس لابليس حجة فى الدنيا على احد لا على مومن ولا على كافر الا ان يتأول متأول ليس له سلطان يوم القيامة فيستقيم ان يكون بمعنى الحجة لان ابليس له حجة على الكافرين انه دعاهم بغير دليل فاستجابوا له من قبل انفسهم ويتولونه معناه يجعلونه وليا والضمير فى به يحتمل ان يعود على اسم الله عز وجل والظاهر انه يعود على اسم العدو الشيطان بمعنى من اجله وبسببه فكانه قال والذين هم بسببه مشركون بالله وهذا الاخبار بان لا سلطان للشيطان على المومنين بعقب الامر بالاستعاذة يقتضى ان الاستعاذة تصرف كيده كانها متضمنة للتوكل على الله والانقطاع اليه *

وقوله سبحانـه واذا بدلنا ءايـة مكان ءايـة يعنى بهذا التبديل النسخ * قالوا انما انت مفتر اي قال كفار مكة وروح القدس هو جبريـل بلا خلاف * وقوله سبحانـه ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر قال ابن عباس كان بمكة غلام اعجمي لبعض قريش يقال له بلعـام فكان النبي صلى الله عليـه وسلم يعمله الاسلام ويرومه عليه فقال بعض الكفار هذا يعلم محمدا وقيل اسم الغلام جبر وقيل يسار وقيل يعيش والاعجمي هو الذى لايتكلم بالعربية واما العجمي فقد يتكلم بالعربيـة ونسبته قائمـة * وقوله وهـذا اشارة الى القرءان والتقدير وهـذا سـرد لسان او نطق لسان * وقوله سبحانـه انمـا يفترى الكذب بمعنى انمـا يكذب وهـذه مقاومـة للذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انمـا انت مفـتر ومن فى قوله من كفر بـدل من قـوله الكاذبون فروي ان قوله سبحانـه واولائـك هم الكاذبون يراد بـه مقيس بن ضبابـة واشباهـه ممـن كان ءامـن ثم ارتـد باختيـاره من غـير اكراه * وقوله سبحانـه الا من اكره اي كبـلال وعمار بن ياسِروامه وخَبَّـاب وصُهَيب واشباههم ممن كان يوذى فى الله سبحانـه فربـما سامح بعضهـم بـما اراد الكفار من القـول لمـا اصابه من تعذيب الكفرة فيروى ان عمار بن ياسر فعـل ذلك فاستثناه الله فى هـذه الآيـة وبقيـة الرخصـة عامـة فى الامر بعـده ويروى ان عمـار ابن ياسر شكا الى النبي صلى الله عليـه وسلم ما صنع به من العذاب وما سامح به من القول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال اجده مطمئنا بالايمان قال فا جبهم بلسانك فانه لايضرك وان عادوا فعـد * وقوله سبحانه ولكن من شرح بالكفر صدرا معناه انبسط الى الكفر باختياره (ت) وقـد ذكـر (ع) هنا نبذا من مسائل الاكراه تركت ذلك خشية التطويل واذمحل بسطها كتب الفقه * وقوله سبحانه ذلك بانهم استحبوا

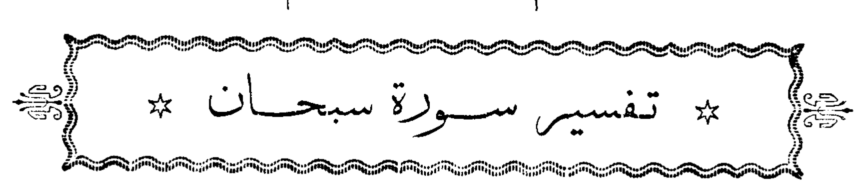
الحيوة الدنيا على الآخرة الآية ذلك اشارة الى الغضب والعذاب الذى توعد به قبل هذه الآية والضمير فى انهم لمن شرح بالكفر صدرا * وقوله سبحانه ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية قال ابن اسحاق نزلت هذه الآية فى عمار بن ياسر وعياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد قال (ع) وذكر عمار فى هذا عندى غير قويم فانه ارفع من طبقة هؤلاء وانما هؤلاء من تاب ممن شرح بالكفر صدرا فتح الله له باب التوبة فى ءاخر الآية وقال عكرمة والحسن نزلت هذه الآية فى شان عبد الله بن ابى سرح واشباهه فكانه يقول من بعد ما فتنهم الشيطان وهذه الآية مدنية بلا خلاف وان وجد فهو ضعيف وقرأ الجمهور من بعد ما فتنوا مبني للمفعول وقرأ ابن عامر وحده من بعد ما فتنوا بفتح الفاء والتاء اي فتنوا انفسهم والضمير فى بعدها عائد على الفتنة او على الفعلة او الهجرة او التوبة والكلام يعطيها وان لم يجر لها ذكر صريح * وقوله يوم تاتى كل نفس المعنى لغفور رحيم يوم ونفس الاولى هي النفس المعروفة والثانية هي بمعنى الذات (ت) قال المهدوي يجوز ان ينتصب يوم على تقدير لغفور رحيم يوم فلا يوقف على رحيم وقال (ص) يوم تاتى ظرف منصوب برحيم او مفعول به باذكر انتهى وهذا الاخير اظهر والله اعلم * وقوله سبحانه وتوفى كل نفس ما عملت اي يجازى كل من احسن باحسانه وكل من اساء باساءته * وقوله سبحانه وضرب الله مثلا قريه كانت آمنة مطمئنة الآية قال ابن عباس القرية هنا مكة والمراد بهذه الضمائر كلها فى الآية اهل القرية ويتوجه عندى فى الآية انها قصد بها قرية غير معينة جعلت مثلا لمكة على معنى التحذير لاهلها ولغيرها من القرى الى يوم القيامة وهو الذى يفهم من كلام حفصة ام المومنين والنعم جمع نعمة * وقوله سبحانه فاذاقها الله لباس الجوع والخوف

استعارات اي لما باشرهم ذلك صاركاللباس والضمير فى جاءهم لاهل مكة والرسول محمد صلى الله عليه وسلم والعذاب الجوع وامر بدر ونحو ذلك ان كانت الآية مدنية وان كانت مكية فهو الجوع فقط * وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا الآية هذا ابتداء كلام ءاخر اي وانتم ايها المومنون لستم كهذه القرية فكلوا واشكروا الله على تباين حالكم من حال الكفرة وقوله حلالا حال وقوله طيبا اي مستلذا اذ فيه ظهور النعمة ويحتمل ان يكون الطيب بمعنى الحلال كرر مبالغة وتاكيدا * وقوله سبحانه ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام الآية هذه الآية مخاطبة للكفار الذين حرموا البحائر والسوائب قال ابن العربي فى احكامه ومعنى الآية لا تصفوا الاعيان بانها حلال او حرام من قبل انفسكم انما المحرم والمحلل هو الله سبحانه قال ابن وهب قال مالك لم يكن من فتيا الناس ان يقال لهم هذا حلال وهذا حرام ولكن يقول انا اكره هذا ولم اكن لاصنع هذا فكان الناس يطيعون ذلك ويرضونه ومعنى هذا ان التحليل والتحريم انما هو لله كما تقدم بيانه فليس لاحد ان يصرح بهذا فى عين من الاعيان الا ان يكون البارى تعالى يخبر بذلك عنه وما يؤدى اليه الاجتهاد انه حرام يقول فيه انى اكره كذا وكذلك كان مالك يفعل اقتداء بمن تقدم من اهل الفتوى انتهى * وقوله متاع قليل اشارة الى عيشهم فى الدنيا ولهم عذاب اليم بعد ذلك فى الآخرة * وقوله ما قصصنا عليك من قبل اشارة الى ما فى سورة الانعام من ذى الظفر والشحوم * وقوله سبحانه ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم هذه ءاية تانيس لجميع العالم فهي تتناول كل كافر وعاص تاب من سوء حاله قالت فرقة الجهالة هنا العمد والجهالة عندى فى هذا الموضع ليست ضد

العلم بـل هي تعدى الطور وركـوب الرأس ومنـه قوله صلى الله عليه وسلم
او اجهل او يجهل علي وقد تقدم بيان هذا وقلما يوجد فى العصاة من لم يتقدم
له علم بحظر المعصية التى يواقع * وقوله سبحانـه ان ابراهيم كان امة قانتا لله
الآيـة لما كشف الله فعل اليهود وتحكمهم فى شرعهم بذكر مـا حرم عليهم
اراد ان يبـين بُعدهم عن شرع ابراهيم عليه السلام والامـة فى اللغـة لفظـة
مشتركـة تقع للحين وللجمع الكثير وللرجل المنفرد بطريقـة وحـده وعلى
هذا الوجه سمي ابراهيم عليه السلام امة قال مجاهد سمي ابراهيم امة لانفراده
بالايمـان فى وقته مـدة مـا وفى البخاري انـه قال لسـارة ليس على الارض
اليوم مومن غيرى وغيرك وفى البخاري قال ابن مسعود الامة معلم الخير والقانت
المطيع الدائم على العبادة والحنيف المائل الى الخير والصلاح * وقوله سبحانه
وءاتيناه فى الدنيا حسنـة الآيـة الحسنـة لسان الصدق وامامتـه لجميع الخلق
هذا قول جميع المفسرين وذلك ان كل امة متشرعة فهي مقرة ان ايمانها ايمان
ابراهيم وانـه قدوتهـا وانـه كان على الصواب (ت) وهـذا كلام فيـه بعض
اجمال وقد تقدم فى غير هذا الموضع بيانه فلا نطول بسرده * وقوله سبحانه
ان اتبع ملة ابراهيم الآيـة الملة الطريقـة فى عقائـد الشرع * وقوله سبحانـه
انمـا جعل السبت الآيـة اي لم يكن من مـلة ابراهيم وانما جعله الله فرضا
عاقب بـه القوم المختلفين فيـه قاله ابن زيـد وذلك ان موسى عليه السلام امر
بنى اسراءيل ان يجعلوا من الجمعة يوما مختصا بالعبادة وامرهم ان يكون الجمعة
فقال جمهورهم بل يكون يوم السبت لان الله تعالى فرغ فيـه من خلق مخلوقاته
وقال غيرهم بـل نقبل مـا امر به موسى فراجعهم الجمهور فتابعهم الآخرون
فالزمهم الله يوم السبت الزامـا قويا عقوبـة لهم ثم لم يكن منهم ثبوت بـل
عصوا فيـه وتعدوا فاهلكهم وورد فى الحديث الصحيح ان اليهود والنصارى

اختلفوا فى اليوم الذى يختص من الجمعـة فاخذ هؤلاء السبت واخذ هؤلاء الاحد فهدانا الله نحن الى يوم الجمعة قال صلى الله عليـه وسلم فهذا يومهم الذى اختلفـوا فيـه فليس الاختـلاف المـذكـور فى الآيـة هو الاختـلاف فى هذا الحديث (ت) يعنى ان الاختـلاف المذكـور فى الآيـة هو بـين اليهود فيما بينهم والاختلاف المذكور فى الحديث الصحيح هو فيما بـين اليهود والنصارى * وقـوله سبحانه ادع الى سبيل ربك بالحـكمة والموعظة الحسنة هـذه الآيـة نزلت بمكة امر عليـه السلام ان يدعـو الى دين الله وشرعـه بتلطف وهكذا ينبغى ان يوعظ المسلمون الى يوم القيامة * وقوله سبحانـه وان عاقبتم فعاقبوا بمثـل ما عوقبتم به الآيـة اطبق اهل التفسير ان هذه الآية مدنيـة نزلت فى شأن التمثيل بحمزة وغيره فى يوم اُحد ووقع ذلك فى صحيح البخاري وغيره وقال النبي صلى الله عليـه وسلم لـئن اظفرنى الله بهم لامثلـن بثلاثين وفى كتاب النحاس وغيره بسبعين منهم فقال النـاس ان ظفرنا لنفعلن ولنفعلن فنزلت هـذه الآيـة ثم عزم على النبي صلى الله عليـه وسلم فى الصبر عن المجازاة بالتمثيـل فى القتلى ويروى انـه عليه السلام قال لاصحابـه اما انا فاصبر كما امرت فما ذا تصنعون فقالوا نصبر يا رسول الله كما ندبنا * وقوله وما صبرك الا بالله اي بمعونـة الله وتاييده على ذلك * وقوله سبحانـه ولا تحزن عليهم قيل الضمير فى قوله عليهم يعود على الكفار اي لا تتـأسف على ان لم يسلموا وقالت فرقـة بل يعود على القتلى حمزة واصحابـه الذين حزن عليهم صلى الله عليه وسلم والاول اصوب * ولا تك فى ضيق مما يمكرون قرأ الجمهور فى ضيق بفتح الضاد وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان * ان الله مع الذين اتقوا اي بالنصروالمعونة واتقوا يريد المعاصى * ومحسنون هم الذين يتزيدون فيما ندب اليه من فعل الخير وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم



☆ تفسير سورة سبحان ☆

هذه السورة مكية الا ثلاث ءايات قال ابن مسعود فى بنى اسرائيل والكهف انهما من العتاق الاول وهن من تلادى يريد انهن من قديم كسبه ☆ قوله عز وجل سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام جل العلماء على ان الاسراء كان بشخصه صلى الله عليه وسلم وانه ركب البراق من مكة ووصل الى بيت المقدس وصلى فيه وقالت عائشة ومعاوية انما اسري بروحه والصحيح ما ذهب اليه الجمهور ولوكانت منامة ما امكن قريشا التشنيع ولا فضل ابو بكر بالتصديق ولا قالت له ام هانئ لاتحدث الناس بهذا فيكذبوك الى غيرهذا من الدلائل واما قول عائشة فانها كانت صغيرة ولا حدثت عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك معاوية قال ابن العربي قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا قال علماؤنا لوكان للنبي صلى الله عليه وسلم اسم هو اشرف منه لسماه الله تعالى به فى تلك الحالة العلية وقد قال الاستاذ جمال الاسلام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن لما رفعه الله الى حضرته السنية وارقاه فوق الكواكب العلوية الزمه اسم العبودية تواضعا واجلالا للالوهية انتهى من الاحكام وسبحان مصدر معناه تنزيها لله وروى طلحة بن عبيد الله الفياض احد العشرة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما معنى سبحان الله قال تنزيه الله من كل سوء وكان الاسراء فيما قال مقاتل وقتادة قبل الهجره بعام وقيل بعام ونصف والمتحقق ان ذلك كان بعد شق الصحيفة

وقبل بيعة العقبة ووقع فى الصحيحين لشريك بن ابى نمر وهم فى هـذا المعنى فانـه روى حديث الاسراء فقال فيه وذلك قبل ان يوحى اليه ولا خلاف بين المحدثين ان هذا وهم من شريك قال (ص) اسرى بعبده بمعنى سرى وليست همزتـه للتعدية بل كسقى واسقى والباء للتعديـة وليـلا ظرف للتاكيد لان السرى لا يكون لغة الا بليل وقيل يعنى بـه فى جوف الليل فلم يكن ادْلاجا ولا ادّلاجا انتهى والمسجد الاقصى بيت المقدس والاقصى البعيد والبركـة حوله من وجهين احدهما النبوءة والشرائع والرسـل الذين كانوا فى ذلك القطر وفى نواحيه والآخر النعم من الاشجار والمياه والارض المفيدة * وقوله سبحانه لنريه يريد لنري محمدا بعينه ءاياتنا فى السموات والملائكة والجنة والسدرة وغير ذلك من العجائب مما رءاه تلك الليلة ولا خلاف ان فى هـذا الاسـراء فرضت الصلوات الخمس على هذه الامة * وقوله سبحانـه انـه هو السميع البصير وعيد للمكذبين بامر الاسراء اي هو السميع لما تقولون البصير بافعالكم * وءاتينا موسى الكتاب اي التوراة * وقوله الا تتخذوا مـن دونى وكيـلا الايـة التقدير فعلنا ذلك ليلا تتخـذوا يا ذرية فذريـة منصوب على النـداء وهذه مخاطبة للعالم ويتجه نصب ذريـة على انـه مفعول بتتخـذوا ويكون المعنى ان لا يتخذوا بشرا الاها من دون الله وقرأ ابوعمرو وحده الا يتخذوا بالياء على لفظ الغائب والوكيل هنا من التوكيل اي متوكَّلا عليه فى الامور فهو ند لله بهذا الوجه وقال مجاهد وكيلا شريكا ووصف نوح بالشكر لانه كان يحمد الله فى كل حال وعلى كل نعمة من المطعم والمشرب والملبس والبراز وغير ذلك صلى الله عليـه وسلم قاله سلمان الفـارسي وغيره قال ابن المبـارك فى رقائقـه اخبرنا ابن ابى ذيب عن سعيد المقبري عن ابيه عن عبد الله بن سلام ان موسى عليه السلام قال يا رب مـا الشكر الذى ينبغى لك قال يا مـوسى لا يزال

لسانك رطبا من ذكرى انتهى وقد رويناه مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم اعنى قوله لايزال لسانك رطبا من ذكر الله * وقوله سبحانه وقضينا الى بنى اسراءيل الآية قالت فرقة قضينا معناه فى ام الكتاب قال (ع) وانما يلبس فى هذا المكان تعدية قضينا بالى وتلخيص المعنى عندى ان هذا الامر هو مما قضاه الله عز وجل فى ام الكتاب على بنى اسراءيل والزمهم اياه ثم اخبرهم به فى التوراة على لسان موسى فلما اراد هنا الاعلام لنا بالامرين جميعا فى ايجاز جعل قضينا دالة على النفوذ فى ام الكتاب وقرن بها الى دالة على انزال الخبر بذلك الى بنى اسراءيل والمعنى المقصود مفهوم خلال هذه الالفاظ ولهذا فسر ابن عباس مرة بان قال قضينا الى بنى اسراءيل معناه اعلمناهم وقال مرة قضينا عليهم والكتاب هنا التوراة لان القسم فى قوله لتفسدن غير متوجه مع ان نجعل الكتاب هو اللوح المحفوظ وقال (ص) وقضينا مضمن معنى اوحينا ولذلك تعدى بالى واصله ان يتعدى بنفسه الى مفعول واحد كقوله سبحانه فلما قضى موسى الاجل انتهى وهو حسن موافق لكلام (ع) وقوله ولتعلن اي لتتجبرن وتطلبون فى الارض العلو ومقتضى الآيات ان الله سبحانه اعلم بنى اسراءيل فى التوراة انه سيقع منهم عصيان وكفر لنعم الله وانه سيرسل عليهم امة تغلبهم وتذلهم ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم الى حالهم من الظهور ثم تقع منهم ايضا تلك المعاصى والقبائح فيبعث الله تعالى عليهم امة اخرى تخرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرحا واعطى الوجود بعد ذلك هذا الامر كله قيل كان بين المرتين مائتا سنة وعشر سنين ملكا مؤيدا بانبياء وقيل سبعون سنة * وقوله سبحانه فاذا جاء وعد اولاهما الضمير فى قوله اولاهما عائد على قوله مرتين وعبر عن الشر بالوعد لانه قد صرح بذكر المعاقبة قال (ص) وعد اولاهما اي موعود وهو العقاب لان الوعد سبق بذلك

وقيل هو على حذف مضاف اي وعد عقاب اولاهما انتهى وهو معنى ما تقدم
واختلف الناس فى العبيد المبعوثين وفى صورة الحال اختلافا شديدا متباعدا
عيونه ان بنى اسراءيل عصوا وقتلوا زكرياء عليه السلام فغزاهم سنجاريب ملك
بابل قاله ابن اسحاق وابن جبير وقال ابن عباس غزاهم جالوت من اهل الجزيرة
وقيل غزاهم بخت نصر وروي انه دخل قبل فى جيش من الفرس وهو خامل
يسير فى مطبخ الملك فاطلع من جور بنى اسراءيل على ما لم تعلمه الفرس فلما
انصرف الجيش ذكر ذلك للملك الاعظم فلما كان بعد مدة جعله الملك رءيس
جيش وبعثه فخرب بيت المقدس وقتلهم واجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قد
مات فملك موضعه واستمرت حاله حتى ملك الارض بعد ذلك وقالت فرقة
انما غزاهم بخت نصر فى المرة الاخيرة حين عصوا وقتلوا يحي بن زكرياء وصورة
قتله ان الملك اراد ان يتزوج بنت امرأته فنهاه يحي عنها فعز ذلك على امرأته
فزينت بنتها وجعلتها تسقى الملك الخمر وقالت لها اذا راودك عن نفسك
فتمنعى حتى يعطيك الملك ما تتمنين فاذا قال لك تمنى علي ما اردت فقولى رأس
يحي بن زكرياء ففعلت الجارية ذلك فردها الملك مرتين واجابها فى الثالثة
فجيء بالرأس فى طست ولسانه يتكلم وهو يقول لاتحل لك وجرى دم يحي
فلم ينقطع فجعل الملك عليه التراب حتى ساوى سور المدينة والدم ينبعث فلما
غزاهم الملك الذى بعث عليهم بحسب الخلاف الذى فيه قتل منهم على الدم
سبعين الفا حتى سكن هذا مقتضى خبرهم وفى بعض الروايات زيادة ونقص
وقرأ الناس فجاسوا وقرأ ابو السمال بالحاء وهما بمعنى الغلبة والدخول قهرا وقال موٴرج
جاسوا خلال الازقة (ت) قال (ص) جاسوا مضارعه يجوس ومصدره جوس
وجوسان ومعناه التردد وخلال ظرف اي وسط الديار انتهى * وقوله سبحانه ثم
رددنا لكم الكرة عليهم الآية عبارة عما قاله سبحانه لبنى اسراءيل فى التوراة وجعل

رددنا موضع نرد لما كان وعد الله فى غاية الثقة وانه واقع لامحالة فعبر عن المستقبل بالماضى وهذه الكرة هى بعد الجلوة الاولى كما وصفنا فغلبت بنو اسراءيل على بيت المقدس وملكوا فيه وحسنت حالهم برهة من الدهر واعطاهم الله الاموال والاولاد وجعلهم اذا نفروا الى امر اكثر الناس فلما قال الله انى سأفعل بكم هكذا عقب بوصيتهم فى قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الآية المعنى انكم بعملكم تجازون ووعد الآخرة معناه من المرتين * وقوله ليسوءوا اللام لام امر وقيل المعنى بعثناهم ليسوءوا وليدخلوا فهي لام كي كلها والضمير للعباد اولى البأس الشديد والمسجد مسجد بيت المقدس وتبر معناه افسد بغشم وركوب رأس * وقوله ما علوا اي ما علوا عليه من الاقطار وملكوه من البلاد وقيل ما ظرفية والمعنى مدة علوهم وغلبتهم على البلاد * وقوله سبحانه عسى ربكم ان يرحمكم الآية يقول الله عز وجل لبقية بنى اسراءيل عسى ربكم ان اطعتم فى انفسكم واستقمتم ان يرحمكم وهذه العدة ليست برجوع دولة وانما هي بان يرحم المطيع منهم وكان من الطاعة اتباعهم لعيسى ومحمد عليهما السلام فلم يفعلوا وعادوا الى الكفر والمعصية فعاد عقاب الله عليهم بضرب الذلة عليهم وقتلهم واذلالهم بيد كل امة والحصير من الحصر بمعنى السجن وبنحو هذا فسره مجاهد وغيره وقال الحسن الحصير فى الآية اراد به ما يفترش ويبسط كالحصير المعروف عند الناس قال (ع) وذلك الحصير ايضا هو ماخوذ من الحصر * وقوله سبحانه ان هذا القرءان يهدى للتى هي اقوم الآية يهدى فى هذه الآية بمعنى يرشد ويتوجه فيها ان تكون بمعنى يدعو والتى يريد بها الحالة والطريقة وقالت فرقة التى هي اقوم لا اله الا الله والاول اعم والاجر الكبير الجنة وكذلك حيث وقع فى كتاب الله فضل كبير واجر كبير فهو الجنة قال الباجي قال ابن وهب سمعت مالكا يقول ان استطعت

ان تجعل القرءان اماما فافعل فهو الامام الذى يهدى الى الجنة قال ابو سليمان الداراني ربما اقمت فى الآية الواحدة خمس ليال ولولا انى ادع التفكر فيها ما جزتها وقال انما يوتى على احدكم من انه اذا ابتدأ السورة اراد ءاخرها قال الباجي وروى ابن لبابة عن العتبي عن سحنون انه رأى عبد الرحمن بن القاسم فى النوم فقال له ما فعل الله بك قال وجدت عنده ما احببت قال له فاي اعمالك وجدت افضل قال تلاوة القرءان قال قلت له فالمسائل فكان يشير باصبعه كانه يلشيها فكنت اسأله عن ابن وهب فيقول لى هو فى عليين انتهى من سنن الصالحين * وقوله سبحانه ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا سقطت الواو من يدع فى خط المصحف قال ابن عباس وقتادة ومجاهد هذه الآية نزلت ذامة لما يفعله الناس من الدعاء على اموالهم فى وقت الغضب والضجر فاخبر سبحانه انهم يدعون بالشر فى ذلك الوقت كما يدعون بالخير فى وقت التثبت فلو اجاب الله دعاءهم اهلكهم لكنه سبحانه يصفح ولايجيب دعاء الضجر المستعجل ثم عذر سبحانه بعض العذر فى ان الانسان له عجلة فطرية والانسان هنا يراد به الجنس قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس وسلمان الاشارة الى ءادم لما نفخ الروح فى رأسه عطس وابصر فلما مشى الروح فى بدنه قبل ساقيه اعجبته نفسه فذهب ليمشي مستعجلا لذلك فلم يقدر والمعنى على هذا فانتم ذووا عجلة موروثة من ابيكم وقالت فرقة معنى الآية معاتبة الناس فى دعائهم بالشر مكان ما يجب ان يدعوه بالخير (ت) قول هذه الفرقة نقله (ع) غير ملخص فانالخصته * وقوله سبحانه وجعلنا الليل والنهار ءايتين الآية هنا العلامة المنصوبة للنظر والعبرة * وقوله سبحانه فمحونا ءاية الليل قالت فيه فرقة سبب تعقيب الفاء ان الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين فمحا بعد ذلك القمر محاه جبريل بجناحه ثلاث مرات

فمن هنالك كلفه وقالت فرقة ان قوله فمحونا ءاية الليل انما يريد فى اصل خلقته * وجعلنا ءاية النهار مبصرة اي يبصر بها ومعها ليبتغي الناس الرزق وفضل الله وجعل سبحانه القمر مخالفا لحال الشمس ليعلم به العدد من السنين والحساب للاشهر والايام ومعرفة ذلك فى الشرع انما هو من جهة القمر لا من جهة الشمس وحكى عياض فى المدارك فى ترجمة الغازى بن قيس قال روي عن الغازى بن قيس انه كان يقول ما من يوم ياتى الاويقول انا خلق جديد وعلى ما يفعل في شهيد فخذوا مني قبل ان ابيد فاذا امسى ذلك اليوم خر لله ساجدا وقال الحمد لله الذى لم يجعلني اليوم العقيم انتهى والتفصيل البيان * وقوله سبحانه وكل انسان الزمناه طائره قال ابن عباس طائره ما قدر له وعليه وخاطب الله العرب فى هذه الاية بما تعرف وذلك انه كان من عادتها التيمن والتشاؤم بالطير فى كونها سانحة وبارحة وكثر ذلك حتى فعلته بالظباء وحيوان الفلا وسمت ذلك كله تطيرا وكانت تعتقد ان تلك الطيرة قاضية بما يلقى الانسان من خير وشر فاخبرهم الله تعالى فى هذه الآية باوجز لفظ وابلغ اشارة ان جميع ما يلقى الانسان من خير وشر قد سبق به القضاء والزم حظه وعمله وتكسبه فى عنقه وذلك فى قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه فعبر عن الحظ والعمل اذهما متلازمان بالطائر قاله مجاهد وقتادة بحسب معتقد العرب فى التطير ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا هذا الكتاب هو عمل الانسان وخطيآته اقرأ كتابك اي يقال له اقرأ كتابك واسند الطبري عن الحسن انه قال يا ابن ءادم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان احدهما عن يمينك يكتب حسناتك والآخر عن شمالك يحفظ سيئاتك فاملل ما شئت واقلل او اكثر حتى اذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قد عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك قال (ع) فعلى هذه الالفاظ التى ذكر الحسن يكون الطائر ما يتحصل مع ابن ءادم من عمله فى قبره فتأمل لفظه وهذا قول ابن عباس وقال قتادة فى قوله اقرأ كتابك انه سيقرأ يومئذ من لم يكن يقرأ * وقوله سبحانه واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها قرأ الجمهور امرنا على صيغة الماضى وعن نافع وابن كثير فى بعض ما روي عنهما ءامرنا بمد الهمزة بمعنى كثرنا وقرأ ابو عمرو بخلاف عنه امرنا بتشديد الميم وهي قراءة ابى عثمان النهدي وابي العالية وابن عباس ورويت عن علي قال الطبري القرءاة الاولى معناها امرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها وهو قول ابن عباس وابن جبير والثانية معناها كثرناهم والثالثة هي من الامارة اي ملكناهم على الناس قال الثعلبي واختار ابو عبيد وابو حاتم قرءاة الجمهور قال ابو عبيد وانما اخترت هذه القراءة لان المعاني الثلاثة مجتمعة فيها وهي معنى الامر والامارة والكثرة انتهى (ت) وعبارة ابن العربي امرنا مترفيها يعنى بالطاعة ففسقوا بالمخالفة انتهى من كلامه على الافعال الواقعة فى القرءان والمترف الغني من المال المتنعم والتُرْفة النعمة وفى مصحف ابي بن كعب قرية بعثنا اكابر مجرميها فمكروا فيها * وقوله سبحانه فحق عليها القول اي وعيد الله لها الذى قاله رسولهم والتدمير الاهلاك مع طمس الآثار وهدم البناء * وكم اهلكنا من القرون الآية مثال لقريش ووعيد لهم اي لستم ببعيد مما حصلوا فيه ان كذبتم واختلف فى القرن وقد روى محمد بن القاسم فى ختنه عبد الله بن بُسر قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قلت كم القرن قال مائة سنة قال محمد بن القاسم فمازلنا نعد له حتى كمل مائة سنة ثم مات رحمه الله والباء فى قوله بربك

زائدة التقدير وكفى ربك وهذه الباء انما تجيء في الاغلب فى مدح او ذم وقد يجىء كفى دون باء كقول الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * وكقول الآخر

ويخبرنى عن غائب المرء هديه * كفى الهدي عما غيب المرء مخبرا

وقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الآية المعنى فان الله يعجل لمن يريد من هؤلاء ما يشاء سبحانه على قراءة النون اوما يشاء هذا المريد على قراءة الياء وقوله لمن نريد شرط كاف على القراءتين وقال ابن اسحاق الفزاري المعنى لمن نريد هلكته والمدحور المهان المبعد المذلل المسخوط عليه * وقوله سبحانه ومن اراد الآخرة اي ارادة يقين وايمان بها وبالله ورسالاته ثم شرط سبحانه فى مريد الآخرة ان يسعى لها سعيها وهو ملازمة اعمال الخير على حكم الشرع * فاولائك كان سعيهم مشكورا ولا يشكر الله سعيا ولا عملا الا اثاب عليه وغفر بسببه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الرجل الذى سقى الكلب العاطش فشكر الله له فغفر له * وقوله سبحانه كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك يحتمل ان يريد بالعطاء الطاعات لمريد الآخرة والمعاصى لمريد العاجلة وروي هذا التاويل عن ابن عباس ويحتمل ان يريد بالعطاء رزق الدنيا وهو تاويل الحسن بن ابى الحسن وقتادة المعنى انه سبحانه يرزق فى الدنيا من يريد العاجلة ومريد الآخرة وانما يقع التفاضل والتباين فى الآخرة ويتناسب هذا المعنى مع قوله وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا وقل ما تصلح هذه العبارة لمن يمد بالمعاصى * وقوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض الآية تدل دلالة ما على ان العطاء فى التي قبلها الرزق وباقى الآية معناه اوضح من ان يبين * وقوله سبحانه لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا هذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد لجميع الخلق قاله الطبري وغيره

ولا مرية فى ذم من نُحت عودا اوحجرا واشركه فى عبادة ربه قال (ص) فتقعد
اي فتصير بهذا فسره الفراء وغيره اه والخذلان فى هذا باسلام الله لعبده وان لا
يتكفل له بنصر والمخذول الذى اسلمه ناصروه والخاذل من الظباء التى تترك
ولدها * وقوله سبحانه وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الآية قضى فى هذه الآية
هي بمعنى امر والزم واوجب عليكم وهكذا قال الناس واقول ان المعنى وقضى ربك
امره فالمقضي هنا هو الامر وفى مصحف ابن مسعود ووصى ربك وهي قراءة
ابن عباس وغيره والضمير فى تعبدوا لجميع الخلق وعلى هذا التاويل مضى السلف
والجمهور ويحتمل ان يكون قضى على مشهورها فى الكلام ويكون الضمير فى
تعبدوا للمومنين من الناس الى يوم القيامة * وقوله فلا تقل لهما اف معنى اللفظة
انها اسم فعل كأن الذى يريد ان يقول اضجر او اتقذر او اكره ونحو هذا يعبر
ايجازا بهذه اللفظة فتعطى معنى الفعل المذكور واذا كان النهي عن التافيف فما
فوقه من باب احرى وهذا هو مفهوم الخطاب الذى المسكوت عنه حكمه حكم
المذكور قال (ص) وقرأ الجمهور الذل بضم الذال وهو ضد العز وقرأ ابن عباس
وغيره بكسرها وهو الانقياد ضد الصعوبة انتهى وباقى الآية بين قال ابن
الحاجب فى منتهى الوصول وهو المختصر الكبير المفهوم ما دل عليه اللفظ فى
غير محل النطق وهو مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة فالاول ان يكون حكم المفهوم
موافقا للمنطوق فى الحكم ويسمى فحوى الخطاب ولحن الخطاب كتحريم الضرب
من قوله تعالى فلا تقل لهما اف وكالجزاء بما فوق المثقال من قوله تعالى ومن
يعمل مثقال ذرة وكتأدية ما دون القنطار من قوله تعالى ومن اهل الكتاب
من ان تامنه بقنطار يؤده اليك وعدم تأدية ما فوق الدينار من قوله تعالى بدينار
لا يؤده اليك وهو من قبيل التنبيه بالادنى على الاعلى والاعلى على الادنى فلذلك
كان الحكم فى المسكوت اولى وانما يكون ذلك اذا عرف المقصود من الحكم

وانه اشد مناسبة فى المسكوت كهذه الامثلة ومفهوم المخالفة ان يكون المسكوت عنه مخالفا للمنطوق به فى الحكم ويسمى دليل الخطاب وهو اقسام مفهوم الصفة مثل فى الغنم السائمة الزكاة ومفهوم الشرط مثل وان كن اولات حمل ومفهوم الغاية مثل حتى تنكح زوجا غيره ومفهوم انما مثل انما الربا فى النسيئة ومفهوم الاستثناء مثل لا اله الا الله ومفهوم العدد الخاص مثل فاجلدوهم ثمانين جلدة ومفهوم حصر المبتدإ مثل العالم زيد وشرط مفهوم المخالفة عند قائله ان لا يظهر ان المسكوت عنه اولى ولا مساويا كمفهوم الموافقة ولا خرج مخرج الاعم الاغلب مثل وربائبكم اللتى فى حجوركم فاما مفهوم الصفة فقال به الشافعي ونفاه الغزالي وغيره انتهى وفسر الجمهور الاوابين بالرجاعين الى الخير وهي لفظة لزم عرفها اهل الصلاح (ت) قال عبد الحق الاشبيلي واعلم ان الميت كالحي فيما يعطاه ويهدى اليه بل الميت اكثر واكثر لان الحي قد يستقل ما يهدى اليه ويستحقر ما يتحف به والميت لا يستحقر شيأ من ذلك ولو كان مقدار جناح بعوضة او وزن مثقال ذرة لانه يعلم قيمته وقد كان يقدر عليه فضيعه وقد قال عليه السلام اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث الا من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له فهذا دعاء الولد يصل الى والده وينتفع به وكذلك امره عليه السلام بالسلام على اهل القبور والدعاء لهم ما ذاك الا لكون ذلك الدعاء لهم والسلام عليهم يصل اليهم وياتيهم والله اعلم وروي عنه عليه السلام انه قال الميت فى قبره كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابنه او اخيه او صديقه فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها والاخبار فى هذا الباب كثيرة انتهى من العاقبة (ت) وروى مالك فى الموطإ عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال كان يقال ان الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده واشار بيده نحو السماء قال ابو عمرو وقد رويناه باسناد جيد ثم اسند عن ابى

هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع العبد الدرجة فيقول اي رب انى لى هذه الدرجة فيقال باستغفار ولدك لك انتهى من التمهيد وروينا فى سنن ابى داود ان رجلا من بنى سلمة قال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما واكرام صديقهما انتهى * وقوله سبحانه وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل الآية قال الجمهور الآية وصية للناس كلهم بصلة قرابتهم خوطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة والحق فى هذه الآية ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه قال بنحو هذا الحسن وابن عباس وعكرمة وغيرهم والتبذير انفاق المال فى فساد او فى سرف فى مباح * وقوله تعالى واما تعرضن عنهم اي عن من تقدم ذكره من المساكين وابن السبيل فقل لهم قولا ميسورا اي فيه ترجية بفضل الله وتانيس بالميعاد الحسن ودعاء فى توسعة الله وعطائه وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد نزول هذه الآية اذا لم يكن عنده ما يعطى يرزقنا الله واياكم من فضله والرحمة على هذا التاويل الرزق المنتظر وهذا قول ابن عباس وغيره والميسور من اليسر * وقوله سبحانه ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك استعارة لليد المقبوضة عن الانفاق جملة واستعير لليد التى تستنفد جميع ما عندها غاية البسط ضد الغل وكل هذا فى انفاق الخير واما انفاق الفساد فقليله وكثيره حرام والملامة هنا لاحقة ممن يطلب من المستحقين فلا يجد ما يعطى والمحسور الذى قد استنفدت قوته تقول حسرت البعير اذا اتعبته حتى لم تبق له قوة ومنه البصر الحسير قال ابن العربي وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وكثيرا ما جاء هذا المعنى فى القرءان فان النبي صلى الله عليه

وسلم لما كان سيدهم وواسطتهم الى ربهم عبر به عنهم على عادة العرب فى ذلك انتهى من الاحكام والحسير هو الكال * ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر معنى يقدر يضيق * وقوله سبحانه انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي يعلم مصلحة قوم فى الفقر ومصلحة ءاخرين فى الغنى وقال بعض المفسرين الآية اشارة الى حال العرب التى كانت يصلحها الفقر وكانت اذا شبعت طغت (ت) وهذا التاويل يعضده قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض الآية ولا خصوصية لذكر العرب الامن حيث ضرب المثل * وقوله سبحانه ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق الاية نهي عن الوأد الذى كانت العرب تفعله والاملاق الفقر وعدم المال وروى ابو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنة فلم يئدها ولم يهنها ولم يوثر ولده عليها قال يعنى الذكور ادخله الله الجنة انتهى والحق الذى تقتل به النفس قد فسره النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله لا يحل دم المسلم الا احدى ثلاث خصال كفر بعد ايمان اوزنى بعد احصان او قتل نفس اي وما فى هذا المعنى من حرابة او زندقة ونحو ذلك * ومن قتل مظلوما اي بغير الوجوه المذكورة فقد جعلنا لوليه سلطانا ولا مدخل للنساء فى ولاية الدم عند جماعة من العلماء ولهن ذلك عند ءاخرين والسلطان الحجة والملك الذى جعل اليه من التخيير فى قبول الدية او العفو قاله ابن عباس قال البخاري قال ابن عباس كل سلطان فى القرءان فهو حجة انتهى وقال قتادة السلطان القود * وقوله سبحانه فلا يسرف فى القتل المعنى فلا يتعدى الولي امر الله بان يقتل غير قاتل وليه او يقتل اثنين بواحد الى غير ذلك من وجوه التعدى وقرأ حمزة والكساءي وابن عامر فلا تسرف بالتاء من فوق قال الطبري على معنى الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والائمة بعده قال (ع) ويصح ان يراد به

الولي اي فلا تسرف اي الولي والضمير فى انه عائد على الولي وقيل على المقتول وفى قراءة ابي بن كعب فلا تسرفوا فى القتال ان ولي المقتول كان منصورا وباقى الآية تقدم بيانه قال الحسن القسطاس هو القبان وهو القرسطون وقيل القسطاس هو الميزان صغيرا كان اوكبيرا قال (ع) وسمعت ابى رحمه الله تعالى يقول رأيت الواعظ ابا الفضل الجوهري رحمه الله فى جامع عمرو بن العاصى يعظ الناس فى الوزن فقال فى جملة كلامه ان فى هيئة اليد بالميزان عظة وذلك ان الاصابع يجيء منها صورة المكتوبة الف ولامان وهاء فكأن الميزان يقول الله الله قال (ع) وهذا وعظ جميل والتاويل فى هذه الآية المآل قاله قتادة ويحتمل ان يكون التاويل مصدر تأول اي يتأول عليكم الخير فى جميع اموركم اذا احسنتم الكيل والوزن وقال (ص) تاويلا اي عاقبة انتهى * وقوله سبحانه ولا تقف معناه لا تقل ولا تتبع واللفظة تستعمل فى القذف ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا واصل هذه اللفظة من اتباع الاثر تقول قفوت الاثر وحكى الطبري عن فرقة انها قالت قفا وقاف مثل عثا وعاث فمعنى الآية ولا تتبع لسانك من القول ما لا علم لك به وبالجملة فهذه الاية تنهى عن قول الزور والقذف وما اشبه ذلك من الاقوال الكاذبة والمردية * ان السمع والبصر والفؤاد كل اولائك كان عنه مسؤلا عبر عن هذه الحواس باولائك لان لها ادراكا وجعلها فى هذه الآية مسؤلة فهى حالة من يعقل (ت) قال (ص) وما توهمه ابن عطية من اولائك تختص بمن يعقل ليس كذلك اذ لا خلاف بين النحاة فى جواز اطلاق اولاء واولائك على من لا يعقل (ت) وقد نقل (ع) الجواز عن الزجاج وفى الفية ابن مالك * وباولى اشر لجمع مطلقا * فقال ولده بدر الدين اي سواء كان مذكرا او مؤنثا واكثر ما يستعمل

فيمن يعقل وقد يجيء لغيره كقوله

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد اولائك الايام

وقد حكى (ع) البيت وقال الرواية فيه الاقوام والله اعلم انتهى والضمير في عنه يعود على ما ليس للانسان به علم ويكون المعنى ان الله تعالى يسئل سمع الانسان وبصره وفؤاده عما قال مما لاعلم له به فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي ويحتمل ان يعود على كل التى هي السمع والبصر والفؤاد والمعنى ان الله تعالى يسئل الانسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده قال صاحب الكلم الفارقيه لاتدع جدول سمعك يجرى فيه اجاج الباطل فيهلب باطنك بناء الحرص على العاجل السمع قمع تغورفيه المعانى المسموعة الى قرار وعاء القلب فان كانت شريفة لطيفة شرفته ولطفته وهذبته وزكته وان كانت رذيلة دنية رذلته وخبثته وكذلك البصر منفذ من منافذ القلب فالحواس الخمس كالجداول والرواضع ترضع من اثداء الاشياء التى تلابسها وتاخذ ما فيها من معانيها واوصافها وتؤديها الى القلب وتنهيها انتهى * وقوله سبحانه ولاتمش فى الارض مرحا قرأ الجمهور مرحا بفتح الحاء مصدر مرح يمرح اذا تسيب مسرورا بدنياه مقبلا على راحته فنهي الانسان ان يكون مشيه فى الارض على هذا الوجه وقرأت فرقة مرحا بكسر الراء ثم قيل له انك ايها المرح المختال الفخور لن تخرق الارض ولن تطاول الجبال بفخرك وكبرك وخرق الارض قطعها ومسحها واستيفاؤها بالمشي * وقوله سبحانه كل ذلك كان سيئة قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو سيئة فالاشارة بذلك على هذه القراءة الى ما تقدم ذكره مما نهي عنه كقوله اف وقذف الناس والمرح وغير ذلك وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكساءي سيئه على اضافة سيء الى الضمير فتكون الاشارة

على هذه القراءة الى جميع مـا ذكر فى هذه الآيات من بر ومعصيـة ثم اختص ذكر السيء منه بانـه مكروه عند الله تعالى * وقوله سبحانـه ذلك مما اوحى اليك ربك الآيـة الاشارة بذلك الى هذه الآداب التى تضمنتها هذه الآيات المتقدمة والحكمـة قوانـين المعانى المحكمة والافعال الفاضلة (ت) فينبغى للعاقل ان يتأدب بآداب الشريعـة وان يحسن العشرة مع عباد الله قال الامام فخر الدين بن الخطيب فى شرح اسماء الله الحسنى كان بعض المشـائخ يقـول مجامع الخيرات محصورة فى امرين صدق مـع الحق وخُلق مـع الخلق انتهى وذكر هشام بن عبـد الله القرطبي فى تاريخـه المسمى ببهجـة النفس قال دخـل عبد الملك بن مروان على معاويـة وعنده عمرو بن العاصى فلم يلبث ان نهض فقـال معاويـة لعمـرو مـا اكمل مـروءة هـذا الفتى فقـال له عمرو انـه اخذ باخـلاق اربعـة وترك اخلاقا ثلاثـة اخـذ باحسن البشر اذا لقي وباحسن الاستماع اذا حُدث وباحسن الحديث اذا حدث وباحسن الرد اذا خولف وترك مزاح من لا يوثـق بعقله وترك مخالطـة لئام النـاس وترك من الحديث مـا يعتذر منـه انتهى * وقوله سبحانه ولا تجعل مع الله الها آخر الآيـة خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره والمدحور المهـان المبعد * وقـوله سبحانـه افاصفاكم الآيـة خطـاب للعرب وتشنيع عليهم فساد قولهم * وقوله سبحانـه ولقد صرفنـا فى هذا القرءان ليذكروا اي صرفنـا فيـه الحكم والمواعظ * وقـوله سبحانـه اذا لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا قال سعيد بن جبير وغيره معنى الكلام لا بتغوا اليـه سبيـلا فى افساد ملكه ومضاهاتـه فى قدرتـه وعلى هذا فالآيـة بيـان للتمانع وجارية مع قوله تعالى لوكان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا قال (ع) ونقتضب شيأ من الدليـل على انـه لا يجوز ان يكون مـع الله تبـارك وتعـالى اله غيره على مـا قال ابو المعـالى وغيره انا لو

فرضناه لفرضنا ان يريد احدهما تسكين جسم والآخر تحريكه ومستحيل ان تنفذ الارادتان ومستحيل الا تنفذا جميعا فيكون الجسم لا متحركا ولا ساكنا فان صحت ارادة احدهما دون الآخر فالذى لم تتم ارادته ليس باله فان قيل نفرضهما لايختلفان قلنا اختلافهما جائز غير ممتنع عقلا والجائز فى حكم الواقع ودليل آخر انه لوكان الاثنان لم يمتنع ان يكونوا ثلاثة وكذلك ويتسلسل الى ما لا نهاية له ودليل آخر ان الجزء الذى لا يتجزأ من المخترعات لا تتعلق به الاقدرة واحدة لا يصح فيها اشتراك والآخر كذلك دأبا فكل جزء انما يخترعه واحد وهذه نبذة شرحها بحسب التقصى يطول * وقوله سبحانه وان من شيء الايسبح بجمده الآية اختلف فى هذا التسبيح هل هو حقيقة اومجاز (ت) والصواب انه حقيقة ولولا خشية الاطالة لاتينا من الدلائل على ذلك بما يثلج له الصدر * وقوله سبحانه واذا قرأت القرءان جعلنا بينك وبين الذين لايومنون بالآخرة يعنى كفار مكة وحجابا مستورا يحتمل ان يريد به حماية نبيه منهم وقت قراءته وصلاته بالمسجد الحرام كما هو معلوم مشهور ويحتمل انه اراد انه جعل بين فهم الكفرة وبين فهم ما يقرأه صلى الله عليه وسلم حجابا فالآية على هذا التاويل فى معنى التى بعدها وقال الواحدي قوله تعالى واذا قرأت القرءان الآية نزلت فى قوم كانوا يوذون النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرءان فحجبه الله عن اعينهم عند قراءة القرءان حتى يكونوا يمرون به ولا يرونه * وقوله مستورا معناه ساترا انتهى والاكنة جمع كنان وهو ما غطى الشيء والوقر الثقل فى الاذن المانع من السمع وهذه كلها استعارات للاضلال الذى حفهم الله به * وقوله سبحانه نحن اعلم بما يستمعون به الآية هذا كما تقول فلان يستمع باعراض وتغافل واستخفاف وما بمعنى الذى قيل المراد بقوله واذ هم نجوى اجتماعهم فى دار

الندوة ثم انتشرت عنهم * وقوله سبحانه انظر كيف ضربوا لك الامثال الآيـة حكى الطبري انها نزلت فى الوليد بن المغيرة واصحابه * وقوله سبحانه فلا يستطيعون سبيلا اي الى افساد امرك واطفاء نورك وقولهم ائذا كنا عظاما ورفاتا الآية فى انكارهم البعث وهذا منهم تعجب وانكار واستبعاد والرفات من الاشيـاء مامر عليـه الزمان حتى بلغ غايـة البِلَى وقربه من حالة التراب وقال ابن عباس رفاتا غبارا وقال مجاهد ترابا * وقوله سبحانه قل كونوا حجارة اوحديدا الآيـة المعنى قل لهم يا محمد كونوا ان استطعتم هذه الاشياء الصعبة الممتنعـة التأتى لا بد من بعثكم ثم احتج عليهم سبحانه فى الاعادة بالفطرة الاولى من حيث خلقهم واختراعهم من تراب * وقوله سبحانه فسينغضون معناه يرفعون ويخفضون يريد على جهـة التكذيب والاستهزاء قال الزجاج وهو تحريك من يبطل الشيء ويستبطيـه ومنه قول الشـاعر

انغض نحوى رأسه واقنعـــا * كانما ابصر شيأ اطمعـــا

ويقال انغضت السن اذا تحركت قال الطبري وابن سلام عسى من الله واجبة فالمعنى هوقريب وفى ضمن اللفظ توعد * وقوله سبحانه يوم يدعوكم بدل من قوله قريبا ويظهر ان يكون المعنى هو يوم جوابا لقولهم متى هو ويريد يدعوكم من قبوركم بالنفخ فى الصور لقيام الساعـة * وقوله فتستجيبون اي بالقيام والعودة والنهوض نحو الدعوة * وقوله بحمده قال ابن جبير ان جميع العالمين يقومـون وهم يحمـدون الله ويمجدونـه لمـا يظهر لهم من قدرتـه (ص) ابو البقاء بحمده اي حامدين وقيل بحمده من قول الرسول اي وذلك بحمـد الله على صدق خبرى ووقع فى لفظ (ع) حين قرر هذا المعنى عسى ان الساعـة قريبـة وهو تركيب لا يجوز لاتقول عسى ان زيدا قائم انتهى * وقوله سبحانـه وتظنون ان لبثـتم الا قليلا يحتمل معنيـين احدهما انهم لما رجعوا الى

حالة الحياة وتصرف الاجساد وقع لهم ظن انهم لم ينفصلوا عن حال الدنيا الا قليلا لمغيب علم مقدار الزمان عنهم اذ من فى الآخرة لايقدر زمن الدنيا اذهم لامحالة اشد مفارقة لها من النائمين وعلى هذا التاويل عول الطبري والآخر ان يكون الظن بمعنى اليقين فكانه قال يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتتيقنون انكم انما لبثتم قليلا من حيث هو منقض منحصر وحكى الطبري عن قتادة انهم لما رأوا هول يوم القيامة احتقروا الدنيا فظنوا انهم لبثوا فيها قليلا * وقوله سبحانه وقل لعبادى يقولوا التي هي احسن اختلف الناس فى التي هي احسن فقالت فرقة هي لا اله الا الله وعلى هذا فالعباد جميع الخلق وقال الجمهور التي هي احسن هي المحاورة الحسنة بحسب معنى معنى قال الحسن يقول يغفر الله لك يرحمك الله وقوله لعبادى خاص بالمومنين قالت فرقة امر الله المومنين فيما بينهم بحسن الادب وخفض الجناح والانة القول واطراح نزغات الشيطان ومعنى النزغ حركات الشيطان بسرعة ليوجب فسادا وعداوة الشيطان البينة هي من قصة ءادم عليه السلام فما بعد وقالت فرقة انما امر الله فى هذه الآية المومنين بالانة القول للمشركين بمكة ايام المهادنة ثم نسخت بآية السيف * وقوله سبحانه ربكم اعلم بكم يقوى هذا التاويل اذ هو مخاطبة لكفار مكة بدليل قوله وما ارسلناك عليهم وكيلا فكان الله عز وجل امر المومنين ان لا يخاشنوا الكفار فى الدين ثم قال للكفار انه اعلم بهم ورجاهم وخوفهم ومعنى يرحمكم بالتوبة عليكم من الكفر قاله ابن جريج وغيره * وقوله سبحانه وءاتينا داود زبورا قرأ الجمهور زبورا بفتح الزاي وهو فعول بمعنى مفعول وهو قليل لم يجئ الا فى قدوع وركوب وحلوب وقرأ حمزة بضم الزاي قال قتادة زبور داود مواعظ ودعاء وليس فيه حلال ولاحرام * وقوله سبحانه قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا

يملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا هذه الآيـة ليست فى عبدة الاصنام
وانما هي فى عبدة من يعقل كعيسى وامه وعزير وغيرهم قاله ابن عباس فلا
يملكون كشف الضر ولاتحويله ثم اخبر تعـالى ان هؤلاء المعبودين يطلبـون
التـقرب الى الله والتزلف اليـه وان هذه حقيقـة حالهم * وقـوله سبحانـه
ويرجون رحمته الآيـة قال عز الدين بن عبد السلام فى اختصاره لرعاية المحاسبي
الخوف والرجـاء وسيلتـان الى فعـل الواجبات والمندوبات وترك المحرمـات
والمكروهات ولكن لابد من الاكباب على استحضار ذلك واستدامته فى اكثر
الاوقات حتى يصير الثواب والعقاب نصب عينيـه فيحثـاه على فعل الطاعات
وترك المخالفات ولن يحصل له ذلك الا بتفريغ القلب من كل شيء سوى ما
يفكر فيـه او يعينه على الفكر وقد مثل القلب المريض بالشهوات بالثوب المتسخ
الذى لا تزول ادرانـه الا بتكرير غسله وحتـه وقرضه انتهى وباقى الآيـة
بـين * وقوله سبحانه وان من قرية الا نحن مهلكوها الآيـة اخبر سبحانه
فى هذه الآيـة انـه ليس مدينـة من المدن الاهي هالكة قبل يوم القيامـة
بالموت والفناء هـذا مع السلامة واخذها جزأ جزأ او هي معذبـة ماخوذة
مرة واحدة * وقوله فى الكتاب يريد فى سابق القضاء وما خطه القلم فى
اللوح المحفوظ والمسطور المكتوب اسطارا * وقوله سبحانـه ومـا منعنا ان
نرسل بالآيات الآية هذه العبارة فى منعنا هي على ظاهرما تفهم العرب فسمى
سبحانـه سبق قضائه بتكذيب من كذب وتعذيبـه منعـا وسبب هـذه
الآيـة ان قريشا اقترحوا على النبي صلى الله عليـه وسلم ان يجعـل لهم الصفـا
ذهبا ونحو هذا من الاقتراحات فاوحى الله الى نبيه عليه السـلام ان شئت
افعـل لهم ذلك ثم ان لم يومنـوا عاجلتهم بالعقوبـة وان شئت استـأنيت بهم
عسى ان اجتبي منهم مومنين فقال عليه السـلام بل استـأنى بهم يا رب فاخبر

سبحانـه فى هذه الآية انـه لم يمنعه جل وعلا من ارسـال الآيات المقترحـة الا الاستثناء اذ قد سلفت عادته سبحانـه بمعاجلة الامم الذين جاءتهم الآيات المقترحة فلم يومنوا كثمود وغيرهم قال الزجاج اخبر تعالى ان موعـد كفار هذه الامة الساعة بقوله سبحانـه بـل الساعة موعدهم فهذه الآيـة تنظر الى ذلك ومبصرة اي ذات ابصـار وهي عبـارة عن بيـان امر الناقـة ووضوح اعجازها * وقوله فظلموا بها اي بعقرها وبالكفر فى امرهـا ثم اخبر تعـالى انـه انمـا يرسل بالآيات غير المقترحة تخويفا للعباد وهي ءايات معها امهال فمن ذلك الكسوف والرعد والزلزلة وقوس قزح وغير ذلك وءايات الله المعتبر بها ثلاثـة اقسام فقسم عام فى كل شيء اذ حيث ما وضعت نظرك وجـدت ءايـة وهنا فكرة للعلماء وقسم معتاد غالبا كالكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوءة وانمـا يعتبر بـه توهما لما سلف منـه * وقوله سبحانه واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس هذه الآيـة اخبار للنبي صلى الله عليـه وسلم بانـه محفوظ من الكفرة ءامن اي فلتبلـغ رسـالة ربك ولا تتهيب احدا من المخلوقين قاله الطبري ونحوه للحسن والسـدي * وقوله سبحانـه ومـا جعلنـا الرؤيا التى اريناك الآيـة الجمهـور ان هـذه الرؤيا رؤيا عين ويقظة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لمـا كان صبيحـة الاسـراء واخبر بمـا رأى فى تلك الليلة من العجائب قال الكفـار ان هـذا لعجب واستبعدوا ذلك فافتتن بهذا قوم من ضعفة المسلمين فارتدوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليـه وسلم فنزلت هذه الآيـة فعلى هـذا يحسـن ان يكون معنى قوله احاط بالناس فى اضلالهم وهدايتهم اي فـلا تهتم يا محمـد بكفر من كفر وقال ابن عباس الرؤيا فى هـذه الآيـة هي رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم انـه يدخل مكة فعجل فى سنـة الحديبيـة فصـد فافتتن المسلمون

لذلك يعنى بعضهم وليس بفتنة كفر * وقوله والشجرة الملعونة فى القرءان معطوفة على قوله الرؤيا اي جعلنا الرؤيا والشجرة فتنة والشجرة الملعونة فى قول الجمهور هي شجرة الزقوم وذلك ان امرها لما نزل فى سورة والصافات قال ابو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تاكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم احضر تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا فافتتن ايضا بهذه المقالة بعض الضعفاء قال الطبري عن ابن عباس ان الشجرة الملعونة يريد الملعون اكلها لانها لم يجر لها ذكر قال (ع) ويصح ان يريد الملعونة هنا فاكد الامر بقوله فى القرءان وقالت فرقة الملعونة اي المبعدة المكروهة وهذا قريب فى المعنى من الذى قبله ولا شك ان ما ينبت فى اصل الجحيم هو فى نهاية البعد من رحمة الله سبحانه * وقوله سبحانه ونخوفهم يريد كفار مكة * وقوله ارأيتك هذا الذى كرمت علي الكاف فى ارأيتك هي كاف خطاب ومبالغة فى التنبيه لا موضع لها من الاعراب فهي زائدة ومعنى ارأيت اتأملت ونحوه كان المخاطب بها ينبه المخاطب ليستجمع لما ينصه بعد * وقوله لاحتنكن معناه لاميلن ولاجُرّن وهو ماخوذ من تحنيك الدابة وهو ان يشد على حنكها بحبل او غيره فتنقاد والسنة تحتنك المال اي تجتره وقال الطبري لاحتنكن معناه لاستأصلن وعن ابن عباس لاستولين وقال ابن زيد لاضلن قال (ع) وهذا بدل اللفظ لا تفسير * وقوله اذهب فمن تبعك منهم وما بعده من الاوامر هي صيغة افعل بمعنى التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم والموفور المكمل واستفزز معناه استخف واخدع * وقوله بصوتك قيل هو الغناء والمزامير والملاهي لانها اصوات كلها مختصة بالمعاصى فهي مضافة الى الشيطان قاله مجاهد وقيل بدعائك اياهم الى طاعتك قال ابن عباس صوته دعاء كل من دعا الى معصية الله والصواب ان يكون

الصوت يعم جميع ذلك * وقوله واجلب اي هول والجلبة الصوت الكثير المختلط الهائل * وقوله بخيلك ورجلك قيل هذا مجاز واستعارة بمعنى اسع سعيك وابلغ جهدك وقيل حقيقة وان له خيلا ورجلا من الجن قاله قتادة وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون فى الباطل فانهم كلهم اعوان لابليس على غيرهم قاله مجاهد * وشاركهم فى الاموال والاولاد عام لكل معصية يصنعها الناس بالمال ولكل ما يصنع فى امر الذرية من المعاصى كالايلاد بالزنا وكتسميتهم عبد شمس وابا الكويفر وعبد الحارث وكل اسم مكروه ومن ذلك وأد البنات ومن ذلك صبغهم فى اديان الكفر وغير هذا وما ادخله النقاش من وطء الجن وانه يحبل المرأة من الانس فضعيف كله (ت) اما ما ذكره من الحبل فلا شك فى ضعفه وفساد قول ناقله ولم ار فى ذلك حديثا لاصحيحا ولا سقيما ولو امكن ان يكون الحبل من الجن كما زعم ناقله لكان ذلك شبهة يدرأ بها الحد عن من ظهر بها حبل من النساء اللواتى لا ازواج لهن لاحتمال ان يكون حبلها من الجن كما زعم هذا القائل وهو باطل واما ما ذكره من الوطء فقد قيل ذلك وظواهر الاحاديث تدل عليه وقد خرج البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنساءي وابن ماجه عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان ابدا فظاهر قوله عليه السلام اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا يقتضى ان لهذا اللعين مشاركة ما فى هذا الشأن وقد سمعت من شيخنا ابى الحسن علي بن عثمان الزواوي المانجلاتي سيد علماء بجاية فى وقته قال حدثنى بعض الناس ممن يوثق به يخبر عن زوجته انها تجد هذا الامر قال المخبر واصغيت الى ما اخبرت به الزوجة

فسمعت حس ذلك الشيء والله اعلم * وقوله سبحانه ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر ازجاء الفلك سوقه بالريح اللينة والمجاذيف ولتبتغوا من فضله لفظ يعم التجر وغيره وهذه الآية المباركة توقيف على ءالاء الله وفضله ورحمته بعباده والضر هنا لفظ يعم الغرق وغيره واهوال حالات البحر واضطرابه وتموجه وضل معناه تلف وفقد * وقوله اعرضتم اي فلم تفكروا فى جميل صنع الله بكم * وقوله كفورا اي بالنعم والانسان هنا الجنس والحاصب العارض الرامى بالبرد والحجارة ومنه الحاصب الذى اصاب قوم لوط والحصب الرمي بالحصباء والقاصف الذى يكسر كل ما يلقى ويقصفه وتارة معناه مرة اخرى والتبيع الذى يطلب ثارا اودينا ومن هذه اللفظة قوله صلى الله عليه وسلم اذا أُتْبِع احدكم على ملي فليتبِع فالمعنى لاتجدون من يتتبع فعلنا بكم ويطلب نصرتكم وهذه لآيات انوارها واضحة للمهتدين * وقوله جلت عظمته ولقد كرمنا بنى ءادم الآية عدد الله سبحانه على بنى ءادم ما خصهم به من المزايا من بين سائر الحيوان ومن افضل ما اكرم به الآدمي العقل الذى به يعرف الله تعالى ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه * وقوله سبحانه على كثير ممن خلقنا المراد بالكثير المفضول الحيوان والجن واما الملائكة فهم الخارجون عن الكثير المفضول وليس فى الآية ما يقتضى أن الملائكة افضل من الانس كما زعمت فرقة بل الامر محتمل ان يكونوا افضل من الانس ويحتمل التساوى * وقوله سبحانه يوم ندعوا كل اناس بامامهم يحتمل ان يريد باسم امامهم فيقول يا امة محمد ويا اتباع فرعون ونحو هذا ويحتمل ان يريد مع امامهم ان تجيء كل امة معها امامها من هاد ومضل واختلف فى الامام فقال ابن عباس والحسن كتابهم الذى فيه اعمالهم وقال قتادة ومجاهد نبيهم وقال ابن زيد كتابهم الذى نزل عليهم وقالت فرقة متبعهم من هاد

او مضل ولفظة الامام تعم هذا كله * وقوله سبحانه فمن اوتي كتابه بيمينه حقيقة في ان في القيامة صحائف تتطاير وتوضع في الايمان لاهل الايمان وفي الشمائل لاهل الكفر والخذلان وتوضع في ايمان المذنبين الذين ينفذ عليهم الوعيد فيستفيدون منها انهم غير مخلدين في النار * وقوله سبحانه يقرءون كتابهم عبارة عن السرور بها اي يرددونها ويتأملونها * وقوله سبحانه ولا يظلمون فتيلا اي ولا اقل وقوله سبحانه ومن كان في هذه اعمى قال ابن عباس ومجاهد وقتاده وابن زيد الاشاره بهذه الى الدنيا اي من كان في هذه الدار اعمى عن النظر في ءايات الله وعبره والايمان بانبيائه فهو في الآخرة اعمى على معنى انه حيران لا يتوجه لصواب ولا يلوح له نجح قال مجاهد فهو في الآخرة اعمى عن حجته ويحتمل ان يكون صفة تفضيل اي اشد عمى وحيرة لانه قد باشر الخيبة ورأى مخايل العذاب ويقوى هذا التاويل قوله عطفا عليه واضل سبيلا الذى هو افعل من كذا والعمى في هذه الآية هو عمى القلب وقول سيبويه لا يقال اعمى من كذا انما هو في عمى العين الذى لا تفاضل فيه واما في عمى القلب فيقال ذلك لانه يقع فيه التفاضل (ت) وكذا قال (ص) وقوله سبحانه وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفتري علينا غيره الآية الضمير في قوله كادوا هو لقريش وقيل لثقيف فاما لقريش فقال ابن جبير ومجاهد نزلت الآية لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندعك تستلم الحجر الاسود حتى تمس ايضا اوثاننا على معنى التشرع وقال ابن اسحاق وغيره انهم اجتمعوا اليه ليلة فعظموه وقالوا له انت سيدنا ولكن اقبل على بعض امرنا ونقبل على بعض امرك فنزلت الآية في ذلك قال (ع) فهي في معنى قوله ودوا لو تدهن فيدهنون واما لثقيف فقال ابن عباس وغيره لانهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوخرهم بعد اسلامهم سنة يعبدون فيها اللات

وقالوا انما نريد ان ناخذ ما يهدى لها ولكن ان خفت ان تنكر ذلك عليك العرب فقل اوحى الله ذلك الي فنزلت الآية فى ذلك (ت) والله اعلم بصحة هذه التاويلات وقد تقدم ما يجب اعتقاده فى حق النبي صلى الله عليه وسلم فالتزمه تفلح * وقوله واذا لاتخذوك خليلا توقيف على ما نجاه الله منه من مخالة الكفار والولاية لهم * وقوله سبحانه ولولا ان ثبتناك الآية تعديد نعمة على النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اللهم لاتكلني الى نفسي طرفة عين وقرأ الجمهور تركن بفتح الكاف والنبي صلى الله عليه وسلم لم يركن لكنه كاد بحسب همه بموافقتهم طمعا منه فى استيلافهم وذهب ابن الانباري الى ان معنى الآية لقد كادوا ان يخبروا عنك انك ركنت ونحو هذا ذهب فى ذلك الى نفي الهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فحمل اللفظ ما لا يحتمل وقوله شيأ قليلا يبطل ذلك (ت) وجزى الله ابن الانباري خيرا وان تنزيه سائر الانبياء لواجب فكيف بسيد ولد ءادم صلى الله عليه وعليهم اجمعين قال ابو الفضل عياض فى الشفا قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى نبينا عليه السلام قبل وقوع ما يوجب العتاب ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه وفى اثناء عتبه براءته وفى طي تخويفه تامينه قال عياض رحمه الله ويجب على المومن المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب بآداب القرءان فى قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية انتهى قال (ع) وهذا الهم من النبي صلى الله عليه وسلم انما كان خطرة مما لايمكن دفعه ولذلك قيل كدت وهي تعطى انه لم يقع ركون ثم قيل شيأ

قليلا اذ كانت المقاربة التى تضمنتها كدت قليلة خطرة لم تتأكد فى النفس * وقوله اذا لاذقناك الآية يبطل ايضا ما ذهب اليه ابن الانباري (ت) وما ذكره (ع) رحمه الله تعالى من البطلان لايصح وما قدمناه عن عياض حسن فتأمله * وقوله ضعف الحيوة قال ابن عباس وغيره يريد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات * وقوله سبحانه وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الآية قال الحضرمي الضمير فى كادوا ليهود المدينة وناحيتها ذهبوا الى المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان هذه الارض ليست بارض الانبياء فان كنت نبيا فاخرج الى الشام فانها ارض الانبياء فنزلت الآية واخبر سبحانه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو خرج لم يلبثوا بعده الاقليلا وقالت فرقة الضمير لقريش قال ابن عباس وقد وقع استفزازهم واخراجهم له فلم يلبثوا خلفه الا قليلا يوم بدر وقال مجاهد ذهبت قريش الى هذا ولكنه لم يقع منها لانه لما اراد الله سبحانه استبقاء قريش وان لا يستأصلها اذن لرسوله فى الهجرة فخرج من الارض باذن الله لا بقهر قريش واستبقيت قريش ليسلم منها ومن اعقابها من اسلم (ت) قال (ص) قوله لا يلبثون جواب قسم محذوف اي والله ان استفززت فخرجت لا يلبثون خلفك الا قليلا انتهى * وقوله سبحانه سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا الآية معنى الآية الاخبار ان سنة الله تعالى فى الامم الخالية وعادته انها اذا اخرجت نبيها من بين اظهرها نالها العذاب واستأصلها فلم تلبث خلفه الا قليلا * وقوله سبحانه اقم الصلوة لدلوك الشمس الآية اجماع المفسرين على ان الاشارة هنا الى الصلوات المفروضة والجمهور ان دلوك الشمس زوالها والاشارة الى الظهر والعصر وغسق الليل اشير به الى المغرب والعشاء وقرءان الفجر يريد به صلاة الصبح فالآية تعم جميع الصلوات والدلوك فى اللغة هو الميل فاول الدلوك هو الزوال واخره هو

الغـروب قال ابو حيان والـلام فى لدلوك الشمس للظرفيـة بمعنى بعـد انتهى
وغسق الليـل اجتماعه وتكاثف ظلمتـه وعبر عن صلاة الصبح خاصة بالقرءان
لان القرءان هو عظمها اذ قراءتهـا طويلة مجهور بها * وقوله سبحانه ان قرءان
الفجركان مشهودا معناه يشهده حفظـة النهـار وحفظـة الليل من الملائكة
حسبما ورد فى الحديث الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكـة بالليل وملائكـة بالنهار
فيجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر الحديث بطوله وفى مسند البزار عن
النبي صلى الله عليه وسلم انـه قال ان افضل الصلوات صلاة الصبح يوم الجمعة
فى جماعـة وما احسب شاهدهـا منكم الا مغفورا له انتهى من الكوكب
الدري * ومن الليل فتهجد بـه من للتبعيض التقدير ووقتا من الليل اي قم
وقتا والضمير فى بـه عائد على هذا المقدر ويحتمل ان يعود على القرءان وتهجد
معناه اطرح الهجود عنـك والهجود النوم المعنى ووقتا من الليـل اسهر بـه فى
صلاة وقراءة وقال علقمة وغيره التهجـد بعد نومـة وقال الحجاج بن عمرو انمـا
التهجد بعد رقدة وقال الحسن التهجد ما كان بعد العشاء الآخرة * وقوله نافلة
لك قال ابن عباس معناه زيادة لك فى الفرض قال وكان قيام الليـل فرضا على
النبي صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد انمـا هي نافلة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه
مغفور له والناس يحطون بمثل ذلك خطاياهم يعني ويجبرون بهـا فرائضهم حسبما
ورد فى الحديث قال صاحب المدخل وهو ابو عبد الله بن الحاج وقد قالوا ان من
كان يتفلت منـه القرءان فليقم بـه فى الليل فان ذلك يثبتـه له ببركة امتثال
السنة سيما الثلث الاخير من الليل لما ورد فى ذلك من البركات والخيرات وفى
قيـام الليل من الفوائد جملة فلا ينبغى لطالب العلم ان يفوتـه منهـا شيء فمنها
انـه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة الثانى انه
ينور القلب الثالث انه يحسن الوجه الرابع انه يذهب الكسل وينشط البدن

الخامس ان موضعه تراه الملائكة من السماء كما يتراءى الكوكب الدري لنا فى السماء وقد روى الترمذي عن ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه من دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله تعالى ومنهاة عن الآثام وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد وروى ابو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام بعشر ءايات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة ءاية كتب من القانتين ومن قام بالف ءاية كتب من المقنطرين انتهى من المدخل * وقوله سبحانه عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا عدة من الله عز وجل لنبيه وهو امر الشفاعة الذى يتدافعه الانبياء حتى ينتهي اليه صلى الله عليه وسلم والحديث بطوله فى البخاري ومسلم قال ابن العربي فى احكامه واختلف فى وجه كون قيام الليل سببا للمقام المحمود على قولين للعلماء احدهما ان البارى تعالى يجعل ما يشاء من فضله سببا لفضله من غير معرفة لنا بوجه الحكمة الثانى ان قيام الليل فيه الخلوة بالبارى تعالى والمناجات معه دون الناس فيعطى الخلوة به ومناجاته فى القيامة فيكون مقاما محمودا ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم واجلهم فيه درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيعطى من المحامد ما لم يعط احد ويشفع فيشفع انتهى * وقوله سبحانه وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق الآية ظاهر الآية والاحسن ان يكون دعا عليه السلام فى ان يحسن الله حالته فى كل ما يتناول من الامور ويحاول من الاسفار والاعمال وينتظر من تصرف المقادير فى الموت والحياة فهي على اتم عموم معناه رب اصلح لى وردى فى كل الامور وصدَرى وذهب المفسرون الى تخصيص اللفظ فقال ابن عباس وغيره ادخلنى المدينة واخرجنى من مكة وقال ابن عباس ايضا الادخال بالموت فى القبر والاخراج البعث

وقيل غير هذا ومـا قدمت من العموم التـام الذى يتناول هـذا كله اصوب والصدق هنا صفة تقتضى رفع المذام واستيعاب المدح * واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال مجاهد يعنى حجة تنصرنى بها على الكفار * وقوله سبحانـه وقل جاء الحق الآية قال قتادة الحق القرءان والباطل الشيطان وقالت فرقة الحق الايمان والباطل الكفران وقيل غير هذا والصواب تعميم اللفظ بالغايـة الممكنة فيكون التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه وزهق الكفر بجميع ما انطوى فيه وهذه الآية نزلت بمكة وكان يستشهد بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت طعنه الاصنام وسقوطها لطعنه اياهـا بالمخصرة * وقوله سبحانـه وننزل من القرءان ما هو شفاء الآية اي شفاء بحسب ازالته للريب وكشفه غطاء القلب وشفاء ايضا من الامراض بالرقى والتعويذ ونحوه * وقوله سبحانـه واذا انعمنا على الانسان اعرض ونئا بجانبه يحتمل ان يكون الانسان عاما للجنس فالكافر يبالغ فى الاعراض والعاصى ياخذ بحظ منه ونئا اي بعد * قل كل يعمل على شاكلته اي على ما يليق به قال ابن عباس على شاكلته معناه على ناحيته وقال قتادة معناه على ناحيته وعلى ما ينوى * وقوله سبحانه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا توعـد بـين * وقوله سبحانـه ويسئـلونـك عن الروح روى ابن مسعود ان اليهود قال بعضهم لبعض سلوا محمدا عن الروح فان اجاب فيـه عرفتم انه ليس بنبي قال (ع) وذلك انه كان عندهم فى التوراة ان الروح مما انفرد الله بعلمه ولا يطلع عليه احد من عباده فسألوه فنزلت الآية وقيل ان الآية مكية والسائلون هم قريش باشارة اليهود واختلف الناس فى الروح المسئول عنـه اي روح هو فقال الجمهور وقع السؤال عن الارواح التى فى الاشخاص الحيوانيـة مـا هي فالروح اسم جنس على هذا وهذا هو الصواب وهو المشكل الذى لا تفسير له * وقوله سبحانـه من امر ربى يحتمل ان يريد ان الروح من جملة امور الله التى

استاثر سبحانه بعلمها وهي اضافة خلق الى خالق قال ابن راشد فى مرقبته اخبرنى شيخى شهاب الدين القرافي عن ابن دقيق العيد انه رأى كتابا لبعض الحكماء فى حقيقة النفس وفيه ثلاثمائة قول قال رحمه الله وكثرة الخلاف توذن بكثرة الجهالات ثم علماء الاسلام اختلفوا فى جواز الخوض فيها على قولين ولكل حجج يطول بنا سردها ثم القائلون بالجواز اختلفوا هل هي عرض او جوهر او ليست بجوهر ولا عرض ولا توصف بانها داخل الجسم ولا خارجه واليه ميل الامام ابى حامد وغيره والذى عليه المحققون من المتأخرين انها جسم نوراني شفاف سار فى الجسم سريان النار فى الفحم والدليل على انها فى الجسم قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم فلو لم تكن فى الجسم لما قال ذلك وقدا خبرنى الفقيه الخطيب ابو محمد البرجيني رحمه الله عن الشيخ الصالح ابى الطاهر الركراكي رحمه الله قال حضرت عند ولي من الاولياء حين النزع فشاهدت نفسه قد خرجت من مواضع من جسده ثم تشكلت على رأسه بشكله وصورته ثم صعدت الى السماء وصعدت نفسى معها فلما انتهينا الى السماء الدنيا شاهدت بابا ورجل ملك ممدودة عليه فازال ذلك الملك رجله وقال لنفس ذلك الولي اصعدى فصعدت فارادت نفسى ان تصعد معها فقال لها ارجعى فقد بقي لك وقت قال فرجعت فشاهدت الناس دائرين على جسمي وقائل يقول مات وءاخر يقول لم يمت فدخلت من انفى او قال من عينى وقمت انتهى (ت) وهذه الحكاية صحيحة ورجال اسنادها ثقات معروفون بالفضل فابن راشد هو شارح ابن الحاجب الفرعي والبرجيني معروف عند اهل افريقية وابو الطاهر من اكابر الاولياء معظم عند اهل تونس مزاره وقبره بالزلاج معروف زرته رحمه الله وقرأ الجمهور وما او تيتم واختلف فيمن خوطب بذلك فقالت فرقة السائلون فقط وقالت

فرقة العالم كله وقد نص على ذلك صلى الله عليه وسلم على ما حكاه الطبري * وقوله ولئن شئنا لنذهبن الاية المعنى وما او تيتم انت يا محمد وجميع الخلائق من العلم الا قليلا فالله يعلم من علمه بما شاء ويدع ما شاء ولو شاء لذهب بالوحي الذى ءاتاك * وقوله الا رحمة استثناء منقطع اي لكن رحمة من ربك تمسك عليك قال الداودي وما روي عن ابن مسعود من انه سينزع القرءان من الصدور وترفع المصاحف لا يصبح وانما قال سبحانه ولئن شئنا فلم يشأ سبحانه وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون قال البخاري وهم اهل العلم ولا يكون العلم مع فقد القرءان انتهى كلام الداودي وهو حسن جدا وقد جاء فى الصحيح ما هو ابين من هذا وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا ولكن يقبض العلم بقبض العلماء الحديث * وقوله سبحانه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرءان الاية سبب هذه الاية ان جماعة من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو جئتنا بءاية غريبة غير هذا القرءان فانا نقدر نحن على المجيء بمثله فنزلت هذه الاية المصرحة بالتعجيز لجميع الخلائق قال (ص) واللام فى لئن اجتمعت اللام الموطئة للقسم وهي الداخلة على الشرط كقوله لئن اخرجوا ولئن قوتلوا والجواب بعد للقسم لتقدمه اذا لم يسبق ذو خبره لا للشرط هذا مذهب البصريين خلافا للفراء فى اجازته الامرين الا ان الاكثر ان يجيء جواب قسم والظهير المعين قال (ع) وفهمت العرب الفصحاء بخلوص فهمها فى ميز الكلام ودربتها به ما لا نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ففهموا العجز عنه ضرورة ومشاهدة وعلمه الناس بعدهم استدلالا ونظرا ولكل حصل علم قطعي لكن ليس فى مرتبة واحدة * وقوله سبحانه وقالوا لن نومن

لـك حتى تفجر لنـا من الارض ينبوعا الآيـة روي فى قول هذه المقـالة للنبي صلى الله عليه وسلم حديث طويل مقتضاه ان عتبـة وشيبة ابني ربيعة وعبد الله بن ابي اميـة والنضر بن الحـارث وغـيرهم من مشيخـة قريش وساداتهـا اجتمعوا عليه فعرضوا عليه ان يملكوه ان اراد الملـك او يجمعوا له كثيرا من المـال ان اراد الغنى ونحو هـذا مـن الاقاويـل فدعاهم صلى الله عليـه وسلم عند ذلك الى الله وقال انما جئتكم بامر من الله فيـه صلاح دنيا كم ودينـكم فان اطعتم فحسن والاصبرت حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا له حينئـذ فان كان مـا تزعم حقا ففجر لنـا من الارض ينبوعا الحديث بطوله والينبوع الماء النـابع وخلالها ظرف ومعناه اثناءها وفى داخلها * وقوله كما زعمت اشارة الى ماتلا عليهم قبل ذلك فى قوله سبحانـه ان نشـأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء الآية والكسف الشيء المقطوع وقال الزجاج المعنى او تسقط السماء علينا طبقا * وقوله قبيلا قيل معناه مقابلة وعيانا وقيل معناه ضامنا وزعيما بتصديقك ومنـه القبالة وهي الضمان وقيل معناه نوعا وجنسا لا نظير له عندنا * او يكون لـك بيت من زخرف قال المفسرون الزخرف الذهب فى هذا الموضع * او ترقى فى السماء اي فى الهواء علوا ويحتمل ان يريـد السماء المعروفـة وهو اظهر (ت) وذكر (ع) هنـا كلمات الواجب طرحهـا ولهذا اعرضت عنها وترقى معناه تصعد ويروى ان قائـل هذه المقالة هو عبد الله بن ابي اميـة ويروى ان جماعتهم طلبت هذا النحو منـه فامره عز وجل ان يقول سبحان ربى اي تنزيها له من الاتيان اليكم مع الملائكة قبيلا ومن اقتراحى انا عليه هذه الاشيـاء وهل انا الابشر انمـا علي البلاغ المبين فقط * وقوله مطمئـنـين اي وادعين فيها مقيمين * وقـوله سبحانـه قـل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم روي ان من تقدم الآن ذكرهم من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فى اخر قولهم

فلتجئ معك بطائفة من الملائكة تشهد لك بصدقك فى نبوءتك وروي انهم قالوا فمن يشهد لك فى ذلك نزلت الآية اي الله يشهد بيني وبينكم ثم اخبر سبحانه انه يحشرهم على الوجوه حقيقة وفى هذا المعنى حديث قيل يارسول الله كيف يمشى الكافر على وجهه قال اليس الذى امشاه فى الدنيا على رجلين قادرا على ان يمشيه فى الآخرة على وجهه قال قتادة بلى وعزة ربنا (ت) وهذا الحديث قد خرجه الترمذي من طريق ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم الحديث * وقوله كلما خبت اي كلما فرغت من احراقهم فسكن اللهيب القائم عليهم قدر ما يعادون ثم يثور فتلك زيادة السعير قاله ابن عباس قال (ع) فالزيادة فى حيزهم واما جهنم فعلى حالها من الشدة لافتور وخبت النار معناه سكن اللهيب والجمر على حاله وخمدت معناه سكن الجمر وضعف وهمدت معناه طفئت جملة * وقوله سبحانه ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا الآية الاشارة بذلك الى الوعيد المتقدم بجهنم * قوله عز وجل اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض الآية الرؤية فى هذه الآية هي رؤية القلب وهذه الآية احتجاج عليهم فيما استبعدوه من البعث والاجل هاهنا يحتمل ان يريد به القيامة ويحتمل ان يريد اجل الموت * وقوله سبحانه قل لوانتم تملكون خزائن رحمة ربي الآية الرحمة فى هذه الآية المال والنعم التى تصرف فى الارزاق * وقوله خشية الانفاق المعنى خشية عاقبة الانفاق وهو الفقر وقال بعض اللغويين انفق الرجل معناه افتقر كما تقول اترب واقتر * وقوله وكان الانسان قتورا اي ممسكا يريد ان فى طبعه ومنتهى نظره ان الاشياء تتناهى وتفنى فهو لو ملك خزائن رحمة الله لامسك خشية الفقر وكذلك يظن ان قدرة الله تقف دون البعث والامر ليس

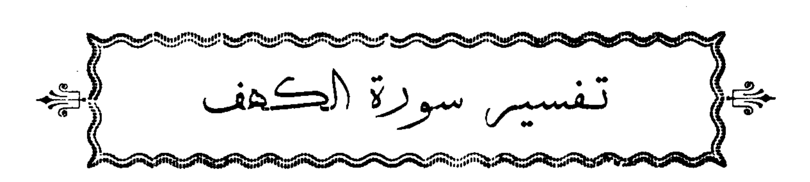
كذلك بل قدرته لا تتناهى * وقوله سبحانه ولقد آتينا موسى تسع ايات بينات الآية اتفق المتأولون والرواة ان الآيات الخمس التى فى سورة الاعراف هي من هذه التسع وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم واختلفوا فى الاربع (ت) وفى هذا الاتفاق نظر وروى فى هذا صفوان بن عسال ان يهوديا من يهود المدينة قال لآخر سر بنا الى هذا النبي نسأله عن آيات موسى فقال له الآخر لا تقل له انه نبي فانه لو سمعها صار له اربعة اعين قال فسارا الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال هي لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببريء الى السلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة معشر اليهود ان لا تعدوا فى السبت انتهى وقد ذكر (ع) هذا الحديث * وقوله سبحانه فسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم اي اذ جاءهم موسى واختلف فى قوله مسحورا فقالت فرقة هو مفعول على بابه وقال الطبري هو بمعنى ساحر كما قال حجابا مستورا وقرأ الجمهور لقد علمت وقرأ الكسائي لقد علمت بتاء المتكلم مضمومة وهي قراءة علي بن ابى طالب وغيره وقال ما علم عدو الله قط وانما علم موسى والاشارة بهؤلاء الى التسع * وقوله بصائر جمع بصيرة وهي الطريقة اي طرائق يهتدى بها والمثبور المهلك قاله مجاهد * فاراد ان يستفزهم من الارض اي يستخفهم ويقتلهم والارض هنا ارض مصر ومتى ذكرت الارض عموما فانما يراد بها ما يناسب القصة المتكلم فيها واقتضبت هذه الآية قصص بنى اسرائيل مع فرعون وانما ذكرت عظم الامر وخطيره وذلك طرفاه اراد فرعون غلبتهم وقتلهم وهذا كان بدء الامر فاغرقه الله وجنوده وهذا كان نهاية الامر ثم ذكر سبحانه امر بنى اسرائيل بعد اغراق فرعون بسكنى ارض الشام ووعد الآخرة هو

يوم القيامة واللفيف الجمع المختلط الذى قد لف بعضه الى بعض * وقوله سبحانه وبالحق انزلناه يعنى القرءان نزل بالمصالح والسداد للناس وبالحق نزل يريد بالحق فى اوامره ونواهيه واخباره وقرأ جمهور الناس فرقناه بتخفيف الراء ومعناه بيناه واوضحناه وجعلناه فرقانا وقرأ جماعة خارج السبع فرقناه بتشديد الراء اي انزلناه شيأ بعد شيء لاجملة واحدة ويتناسق هذا المعنى مع قوله لتقرأه على الناس على مكث وتأولت فرقة قوله على مكث اي على ترسل فى التلاوة وترتل هذا قول مجاهد وابن عباس وابن جريج وابن زيد والتاويل الآخر اي على مكث وتطاول فى المدة شيأ بعد شيء * وقوله سبحانه قل آمنوا به او لاتومنوا فيه تحقير للكفار وضرب من التوعد والذين اوتوا العلم من قبله قالت فرقة هم مومنو اهل الكتاب والاذقان اسافل الوجوه حيث يجتمع اللحيان قال الواحدي ان كان وعد ربنا اي بانزال القرءان وبعث محمد لمفعولا انتهى * وقوله سبحانه ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا هذه مبالغة فى صفتهم ومدح لهم وحض لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيأ ان يجري الى هذه الرتبة النفيسة وحكى الطبري عن التميمي ان من اوتي من العلم مالم يبكه لخليق ان لا يكون اوتي علما ينفعه لان الله سبحانه نعت العلماء ثم تلا هذه الآية كلها (ت) وانه والله لكذلك وانما يخشى الله من عباده العلماء اللهم انفعنا بما علمتنا ولا تجعله علينا حجة بفضلك ونقل الغزالي عن ابن عباس انه قال اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه قال الغزالي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك من اعظم المصائب قال الغزالي واعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بعظمة الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا فى الصلاة وغيرها

فان موجب الخشوع استشعار عظمة الله ومعرفـة اطلاعـه على العبـد ومعرفـة تـقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ثم قال وقد دلت الاخبـار على ان الاصل فى الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجـرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى فى المعاد قال واعلم ان المعاني التى بهـا تتم حياة الصلاة تجمعهـا ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبـة والرجاء والحياء فحضور القلب ان يفرغـه من غير مـا هو ملابس له والتفهم امر زائد على الحضور واما التعظيم فهو امر وراء الحضور والفهم واما الهيبـة فامر زائـد على التعظيم وهي عبارة عن خوف منشأه التعظيم واما التعظيم فهو حالة للقلب تتولد من معرفتـين احداهما معرفـة جلال الله سبحانـه وعظمتـه والثانيـة معرفـة حقارة النفس واعلم ان حضور القلب سببـه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما اهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شـاء ام ابى والقلب اذا لم يحضر فى الصـلاة لم يكن متعطلا بـل يكون حاضرا فيما الهمة مصروفـة اليـه انتهى من الاحيـاء * وقوله سبحانه قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن الآيـة سبب نزول هذه الآيـة ان بعض المشركين سمع النبي صلى الله عليـه وسلم يدعو يا الله يا رحمن فـقالوا كان محمد يامرنا بدعاء اله واحد وهو يدعو الهين قاله ابن عباس فنزلت الآيـة مبينة انها اسماء لمسمى واحد وتقـدير الآيـة اي الاسمـاء تدعو بـه فانت مصيب فله الاسماء الحسنى وفى صحيـح البخاري بسنده عن ابن عباس فى قوله سبحانـه ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بهـا قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة كان اذا صلى باصحابه رفع صوتـه بالقرءان فاذا سمعـه المشركون سبوا القرءان ومن انزله ومن جـاء بـه فـقال الله تبـارك وتعالى لنبيـه صلى الله عليـه وسلم ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرءان ولا تخافت بهـا عن اصحابك فـلا

تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا واسند البخاري عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت انزل ذلك فى الدعاء انتهى قال الغزالي فى الاحياء وقد جاءت احاديث تقتضى استحباب السر بالقرءان واحاديث تقتضى استحباب الجهر به والجمع بينهما ان يقال ان التالي اذا خاف على نفسه الرياء والتصنع او تشويش مصل فالسر افضل وان امن ذلك فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته ايضا تتعدى الى غيره والخير المتعدى افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همته الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ويطرد عنه النوم برفع صوته ولانه يزيد فى نشاطه فى القراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون سببا فى اعانته على الخير ويسمعه بطال غافل فينشط بسببه ويشتاق لخدمة خالقه فمهما حضرت نية من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكو عمل الابرار وتتضاعف اجورهم انتهى ☆ وقوله سبحانه ولم يكن له ولي من الذل هذه الآية رادة على كفرة العرب فى قولهم لولا اولياء الله لذل تعالى الله عن قولهم وقيد سبحانه نفي الولاية له بطريق الذل وعلى جهة الانتصار اذ ولايته سبحانه موجودة بفضله ورحمته لمن والى من صالح عباده قال مجاهد المعنى لم يخالف احدا ولا ابتغى نصر احد سبحانه لا اله الا هو وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم



تفسير سورة الكهف

هذه السورة مكية فى قول جميع المفسرين وروي عن قتادة ان اول السورة نزل بالمدينة الى قوله جرزا والاول اصح وهي من افضل سور القرءان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بسورة عظمها ما بين السموات والارض ولمن جاء بها من الاجر مثل ذلك قالوا اي سورة هي يا رسول الله قال سورة الكهف من قرأ بها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام وفى رواية انس من قرأ بها اعطي نورا بين السماء والارض ووقي بها فتنة القبر (ت) وعن البراء بن عازب قال كان رجل يقرأ سورة الكهف والى جانبه فرس مربوط بشطَنين فغشيته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة نزلت بالقرءان رواه البخاري واللفظ له ومسلم والترمذي والنساءي والرجل المبهم فى الحديث هو اسيد بن حضير وفى الحديث الصحيح من طريق النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن ادرك الدجال منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف وذكر الحديث رواه مسلم وغيره زاد ابو داود فانها جِوارکم من فتنته وعن ابى الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ عشر ءايات من اول سورة الكهف عصم من الدجال رواه مسلم وابو داود والترمذي والنساءي واللفظ لمسلم وفى رواية لمسلم وابى داود من ءاخر الكهف وعن ابى سعيد

الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف كما انزلت كانت له نورا من مقامه الى مكة ومن قرأ بعشر ءايات من ءاخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه رواه الترمذي والحاكم فى المستدرك والنساءي وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وله فى رواية من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة اضاء له من النور ما بين الجمعتين وقال صحيح الاسناد واخرجه الدارمي فى مسنده موقوفا ورواته متفق على الاحتجاج بهم الا اباهاشم يحي ابن دينار الرماني وقد وثقه احمد ويحي وابو زرعة وابو حاتم انتهى من السلاح * قوله تعالى الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب كان حفص عن عاصم يسكت عند قوله عوجا سكتة خفيفة وعند مرقدنا فى يس وسبب هذه البداءة فى هذه السورة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سألته قريش عن المسائل الثلاث الروح واصحاب الكهف وذى القرنين حسب ما امرتهم به يهود قال لهم صلى الله عليه وسلم غدا اخبركم بجواب ما سألتم ولم يقل ان شاء الله فعاتبه الله عز وجل وامسك عنه الوحي خمسة عشر يوما وارجف به كفار قريش وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ منه فلما انقضى الامد الذى اراد الله عتاب نبيه جاءه الوحي بجواب ما سألوه عنه وغير ذلك فافتتح الوحي بالحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب وهو القرءان * وقوله ولم يجعل له عوجا اي لم ينزله عن طريق الاستقامة والعوجُ فقد الاستقامة ومعنى قيما اي مستقيما قاله ابن عباس وغيره وقيل معناه انه قيم على سائر الكتب بتصديقها ولم يرتضه (ع) قال ويصح ان يكون معني قيم قيامه بامر الله على العالم وهذا معنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة اللتين عمتا العالم والبأس الشديد عذاب الآخرة ويحتمل ان يندرج معه فى النذارة عذاب الدنيا ببدر وغيرها ومن لدنه اي من عنده والمعنى لينذر العالم والاجر

الحسن نعيم الجنة ويتقدمه خير الدنيا * وقوله تعالى ان يقولون الا كذبا
اي ما يقولون فهي النافية * وقوله سبحانه فلعلك باخع نفسك هذه
ءاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والباخع نفسه هو مهلكها قال (ص)
لعل للترجي فى المحبوب وللاشفاق فى المحذور وهي هنا للاشفاق انتهى *
وقوله على ءاثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم ادبار وتباعد عن الايمان
فكانهم من فرط ادبارهم قد بعدوا فهو فى ءاثارهم يحزن عليهم * وقوله بهذا
الحديث اي بالقرءان والاسف المبالغة فى حزن او غضب وهو فى هذا الموضع
الحزن لانه على من لايملك ولا هو تحت يد الآسف ولوكان الاسف من
مقتدر على من هو فى قبضته وملكه لكان غضبا كقوله تعالى فلما
ءاسفونا اي اغضبونا قال قتادة اسفا حزنا * وقوله سبحانه انا جعلنا ما على
الارض زينة لها الآية بسط فى التسلية اي لاتهتم بالدنيا واهلها فان امرها
وامرهم اقل لفناء ذلك وذهابه فانا انما جعلنا ما على الارض زينة وامتحانا
واختبارا وفى معنى هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة وان
الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء *
لنبلوهم اي لنختبرهم وفى هذا وعيد ما قال سفيان الثوري احسنهم عملا
ازهدهم فيها وقال ابو عاصم العسقلاني احسن عملا الترك لها قال (ع) وكان
ابى رحمه الله يقول احسن العمل اخذ بحق وانفاق فى حق واداء الفرائض
واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه * وقوله سبحانه وانا لجاعلون
ما عليها صعيدا جرزا اي يرجع ذلك كله ترابا والجرز الارض التى لا
شيء فيها من عمارة وزينة فهي البلقع وهذه حالة الارض العامرة لابد لها
من هذا فى الدنيا جزءا جزءا من الارض ثم يعمها ذلك باجمعها عند القيامة
والصعيد وجه الارض وقيل الصعيد التراب خاصة * وقوله سبحانه ام

حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اي ليسوا بعجب من آيات الله اي فلا يعظم ذلك عليك بحسب ما عظمه السائلون فان سائر ايات الله اعظم من قصتهم وهو قول ابن عباس وغيره واختلف الناس فى الرقيم ما هو اختلافا كثيرا فقيل الرقيم كتاب فى لوح نحاس وقيل فى لوح رصاص وقيل فى لوح حجارة كتبوا فيه قصة اهل الكهف وقيل غير هذا وروي عن ابن عباس انه قال ما ادرى ما الرقيم قال (ع) ويظهر من هذه الروايات انهم كانوا قوما مؤرخين وذلك من نبل المملكة وهو امر مفيد * وقوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف الفتية فيما روي قوم من ابناء اشراف مدينة دقيوس الملك الكافر ويقال فيه دقيانوس وروي انهم كانوا مطوقين مسورين بالذهب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل عيسى واختلف الرواة فى قصصهم ونذكر من الخلاف عيونه وما لا تستغنى الآية عنه فروي عن مجاهد عن ابن عباس ان هؤلاء الفتية كانوا فى دين ملك يعبد الاصنام فوقع للفتية علم من بعض الحواريين حسبما ذكره النقاش او من مومنى الامم قبلهم فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فرفع امرهم الى الملك فاستحضرهم وامرهم بالرجوع الى دينه فقالوا له فيما روي ربنا رب السموات والارض الآية فقال لهم الملك انكم شبان اغمار لا عقل لكم وانا لا اعجل عليكم وضرب لهم اجلا ثم سافر خلال الاجل فتشاور الفتية فى الهروب باديانهم فقال لهم احدهم انى اعرف كهفا فى جبل كذا فلنذهب اليه وروت فرقة ان امر اصحاب الكهف انما كان انهم من ابناء الاشراف فحضر عيد لاهل المدينة فرأى الفتية ما ينتحله الناس فى ذلك العيد من الكفر وعبادة الاصنام فوقع الايمان فى قلوبهم واجمعوا على مفارقة دين الكفرة وروي انهم خرجوا وهم يلعبون بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها

الى نحو طريقهم ليلا يشعر الناس بهم حتى وصلوا الى الكهف واما الكلب فروي انه كان كلب صيد لبعضهم وروي انهم وجدوا فى طريقهم راعيا له كلب فاتبعهم الراعى على رأيهم وذهب الكلب معهم فدخلوا الغار فروت فرقة ان الله سبحانه ضرب على ءاذانهم عند ذلك لما اراد من سترهم وخفي على اهل المملكة مكانهم وعجب الناس من غرابة فقدهم فارخوا ذلك ورقموه فى لوحين من رصاص اونحاس وجعلوه على باب المدينة وقيل على الرواية ان الملك بنى باب الغار وانهم دفنوا ذلك فى بناء الملك على الغار وروت فرقة ان الملك لما علم بذهاب الفتية امر بقص ءاثارهم الى باب الغار وامر بالدخول عليهم فهاب الرجال ذلك فقال له بعض وزرائه الست ايها الملك ان اخرجتهم قتلتهم قال نعم قال فاي قتلة ابلغ من الجوع والعطش ابن عليهم باب الغار ودعهم يموتوا فيه ففعل وقد ضرب الله على ءاذانهم كما تقدم ثم اخبر الله سبحانه عن الفتية انهم لما اووا الى الكهف اي دخلوه وجعلوه مأوى لهم وموضع اعتصام دعوا الله تعالى بان يوتيهم من عنده رحمة وهي الرزق فيما ذكره المفسرون وان يهيئ لهم من امرهم رشدا خلاصا جميلا وهذا الدعاء منهم كان فى امر دنياهم والفاظهم تقتضى ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها وينبغى لكل مومن ان يجعل دعاءه فى امر دنياه بهذه الآية الكريمة فقط فانها كافية ويحتمل ذكر الرحمة ان يراد بها امر الآخرة * وقوله تعالى فضربنا على ءاذانهم الآية عبارة عن القاء الله تعالى النوم عليهم * وقوله عددا نعت للسنين والقصد به العبارة عن التكثير * وقوله لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود اي لنعلم ذلك موجودا والا فقد كان سبحانه علم اي الحزبين احصى الامد والحزبان الفريقان والظاهر من الآية ان الحزب الواحد هم الفتية اذ ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثانى هم اهل المدينة

الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بامر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين واما قوله احصى فالظاهر الجيد فيه انه فعل ماض وامدا منصوب به على المفعول والامد الغاية وياتى عبارة عن المدة وقال الزجاج أحصى هو افعل ويعترض بان افعل لا يكون من فعل رباعي الا فى الشاذ واحصى فعل رباعي ويحتج لقول الزجاج بان افعل من الرباعي قد كثر كقولك ما اعطاه للمال وكقوله عليه الصلاة والسلام فى صفة جهنم اسود من القار وفى صفة حوضه ابيض من اللبن (ت) وقد تقدم ان اسود من سود وما فى ذلك من النقد وقال مجاهد امدا معناه عددا وهذا تفسير بالمعنى * وقوله سبحانه وزدناهم هدى اي يسرناهم للعمل الصالح والانقطاع الى الله عز وجل ومباعدة الناس والزهد فى الدنيا وهذه زيادات على الايمان * وقوله سبحانه وربطنا على قلوبهم عبارة عن شدة عزم وقوة صبر ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب الانحلال حسن فى شدة النفس وقوة التصميم ان يشبه الربط ومنه يقال فلان رابط الجاش اذا كان لا تفرق نفسه عند الفزع والحروب وغيرها ومنه الربط على قلب ام موسى * وقوله تعالى اذ قاموا يحتمل ان يكون وصف قيامهم بين يدي الملك الكافر فانه مقام يحتاج الى الربط على القلب ويحتمل ان يعبر بالقيام على انبعاثهم بالعزم على الهروب الى الله ومنابذة الناس كما تقول قام فلان الى امر كذا اذا اعتزم عليه بغاية الجد وبهذه الالفاظ التى هي قاموا فقالوا تعلقت الصوفية فى القيام والقول والشطط الجور وتعدى الحد والحق بحسب امر امر والسلطان الحجة وقال قتادة المعنى بعذر بين ثم عظموا جرم الداعين مع الله غيره وظلمهم بقولهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقولهم واذ اعتزلتموهم الآية المعنى قال بعضهم لبعض وبهذا يترجح ان قوله تعالى اذ قاموا فقالوا انما المراد به اذ عزموا ونفذوا لامرهم وفى مصحف ابن مسعود وما

يعبدون من دون الله ومضمن هذه الآية الكريمة ان بعضهم قال لبعض اذ قد فارقنا الكفار وانفردنا بالله تعالى فلنجعل الكهف مأوى ونتكل على الله تعالى فانه سيبسط علينا رحمته وينشرها علينا ويهيئ لنا من امرنا مرفقا وهذا كله دعاء بحسب الدنيا وهم على ثقة من الله فى امر ءاخرتهم وقرأ نافع وغيره مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وقرأ حمزة وغيره بكسر الميم وفتح الناء ويقالان معا فى الامر وفى الجارحة حكاه الزجاج وقوله سبحانه وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وتزاور اي تميل وتقرضهم معناه تتركهم والمعنى انهم كانوا لا تصيبهم شمس البتة وهو قول ابن عباس وحكى الزجاج وغيره قال كان باب الكهف ينظر الى بنات نعش وذهب الزجاج الى ان فعل الشمس كان ءاية من الله تعالى دون ان يكون باب الكهف الى جهة توجب ذلك والفجوة المتسع قال قتادة فى فضاء منه ومنه الحديث فاذا وجد فجوة نص * وقوله سبحانه ذلك من آيات الله الاشارة الى الامر بجملته * وقوله سبحانه ونقلبهم ذات اليمين الآية ذكر بعض المفسرين ان تقليبهم انما كان حفظا من الارض وروي عن ابن عباس انه قال لومستهم الشمس لاحرقتهم ولولا التقليب لاكلتهم الارض وظاهر كلام المفسرين ان التقليب كان بامر الله وفعل ملائكته ويحتمل ان يكون ذلك باقدار الله اياهم على ذلك وهم فى غمرة النوم * وقوله وكلبهم اكثر المفسرين على انه كلب حقيقة قال (ع) وحدثنى ابى رحمه الله قال سمعت ابا الفضل بن الجوهري فى جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين واربعمائة من احب اهل الخير نال من بركتهم كلب احب اهل الفضل وصحبهم فذكره الله فى محكم تنزيله والوصيد العتبة التى لباب الكهف او موضعها ان لم تكن وقال ابن عباس الوصيد الباب والاول اصح والباب الموصد هو

المغلق ثم ذكر سبحانه ما حفهم به من الرعب واكتنفهم من الهيبة حفظا منه سبحانه لهم فقال لو اطلعت عليهم الآية * وقوله سبحانه وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الاشارة بذلك الى الامر الذى ذكره الله فى جهتهم والعبرة التى فعلها فيهم والبعث التحريك عن سكون واللام فى قوله ليتساءلوا لام الصيرورة وقول القائل كم لبثتم يقتضى انه هجس فى خاطره طول نومهم واستشعر ان امرهم خرج عن العادة بعض الخروج وظاهر امرهم انهم انتبهوا فى حال من الوقت والهواء الزماني لا يباين الحالة التى ناموا عليها وقولهم فابعثوا احدكم بورقكم يروى انهم انتبهوا وهم جياع وان المبعوث هو تمليخا وروي ان باب الكهف انهدم بناء الكفار منه لطول السنين ويروى ان راعيا هدمه ليدخل فيه غنمه فاخذ تمليخا ثيابا رثة منكرة ولبسها وخرج من الكهف فانكر ذلك البناء المهدوم اذ لم يعرفه بالامس ثم مشى فجعل ينكر الطريق والمعالم ويتحير وهو فى ذلك لا يشعر شعورا تاما بل يكذب ظنه فيما تغير عنده حتى بلغ باب المدينة فرأى على بابها امارة الاسلام فزادت حيرته وقال كيف هذا ببلد دقيوس وبالامس كنا معه تحت ما كنا فنهض الى باب آخر فرأى نحوا من ذلك حتى مشى الابواب كلها فزادت حيرته ولم يميز بشرا وسمع الناس يقسمون باسم عيسى فاستراب بنفسه وظن انه جن او انفسد عقله فبقي حيران يدعو الله تعالى ثم نهض الى باب الطعام الذى اراد اشتراءه فقال ياعبد الله بعنى من طعامك بهذا الورق فدفع اليه دراهم كاخفاف الربع فيما ذكر فعجب لها البائع ودفعها الى آخر يعجبه وتعاطاها الناس وقالوا له هذه دراهم عهد فلان الملك من اين انت وكيف وجدت هذا الكنز فجعل يبهت ويعجب وقد كان بالبلد مشهورا هو وبيته فقال ما اعرف غيرانى واصحابى خرجنا بالامس

من هذه المدينـة فقال النـاس هذا مجنون اذهبوا بـه الى الملك ففزع عند ذلك فذهب بـه حتى جيء به الى الملك فلما لم ير دقيوس الكافر تأنس وكان ذلك الملك مومنـا فاضلا يسمى تبدوسيس فقال له الملك اين وجدت هذا الكنز فقال له انمـا خرجت انا واصحابي امس من هذه المدينة فاوينـا الى الكهف الذى فى جبل انجلوس فلما سمع الملك ذلك قال فى بعض ما روي لعل الله قد بعث لكم ايهـا الناس ءاية فلنسر الى الكهف حتى نرى اصحابه فسـاروا وروي انه او بعض جلسائـه قال هؤلاء هم الفتية الذين ورخ امرهم على عهد دقيوس الملك وكتب على لوح النحاس بباب المدينـة فسار الملك اليهم وسار الناس معه فلما انتهوا الى الكهف قال تمليخا ادخل عليهم ليلا يرعبوا فدخل عليهم فاعلمهم بالامر وان الامـة امة اسـلام فروي انهم سروا وخرجـوا الى الملك وعظموه وعظمهم ثم رجعـوا الى الكهف واكثر الروايات على انهم ماتوا حين حدثهم تمليخا فانتظرهم الناس فلما ابطأ خروجهم دخل النـاس اليهم فرعب كل من دخل ثم اقدموا فوجدوهم موتى فتـنازعوا بحسب مـا ياتى وفى هذا القصص من الاختلاف مـا تضيق بـه الصحف فاختصرته وذكرت المهم الذى بـه تتفسر الفاظ الآيـة واعتمـدت الاصح والله المعـين برحمتـه وفى هـذا البعث بالورق جواز الوكالة وصحتهـا وازكى معنـاه اكثر فـيما ذكر عكرمة وقال ابن جبير المراد احل وقولهم يرجموكم قال الزجاج بالحجارة وهو الاصح وقال حجاج يرجموكم معنـاه بالقول وقوله سبحانـه وكذلك اعثرنا عليهم الاشارة فى قوله وكذلك الى بعثهم ليتساءلوا اي كما بعثنـاهم اعثرنا عليهم والضمير فى قوله ليعلموا يحتمل ان يعـود على الامـة المسلمـة الذين بعث اهل الكهف على عهدهم والى هذا ذهب الطبري وذلك انهم فـيما روي دخلتهم حينئذ فتـنة فى امر الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك فى ذلك

بعض الناس واستبعدوه وقالوا انما تحشر الارواح فشق ذلك على ملكهم وبقي حيران لايدرى كيف يبين امره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع الى الله فى حجة وبيان فاعثرهم الله على اهل الكهف فلما بعثهم الله وتبين الناس امرهم سر الملك ورجع من كان شك فى بعث الاجساد الى اليقين به والى هذا وقعت الاشارة بقوله اذ يتنازعون بينهم امرهم على هذا التاويل ويحتمل ان يعود الضمير فى يعلموا على اصحاب الكهف وقوله اذ يتنازعون على هذا التاويل ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم والتنازع على هذا التاويل انما هو فى امر البناء او المسجد لا فى امر القيامة وقد قيل ان التنازع انما هو فى ان اطلعوا عليهم فقال بعضهم هم اموات وبعض هم احياء وروي ان بعض القوم ذهبوا الى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مغيبين فقالت الطائفة الغالبة على الامر لنتخذن عليهم مسجدا فاتخذوه قال قتادة الذين غلبوا هم الولاة * وقوله سبحانه سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الآية الضمير فى سيقولون يراد به اهل التوراة من معاصرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا فى عدد اهل الكهف * وقوله رجما بالغيب معناه ظنا وهو مستعار من الرجم كأن الانسان يرمى الموضع المشكل المجهول عنده بظنه المرة بعد المرة يرجمه به عسي ان يصيبه والواو فى قوله وثامنهم كلبهم طريق النحاة فيها انها واو عطف دخلت فى ءاخر الكلام اخبارا عن عددهم لتفصل امرهم وتدل على ان هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام وتقول فرقة منهم ابن خالويه هي واو الثمانية وذكر ذلك الثعلبي عن ابى بكر بن عياش وان قريشا كانت تقول فى عددها ستة سبعة وثمانية تسعة فتدخل الواو فى الثمانية قال (ع) وهي فى القرءان فى قوله والناهون عن المنكر وفى قوله وفتحت ابوابها واما قوله وابكارا وقوله وثمانية ايام فليست بواو الثمانية بل هي لازمة

اذ لا يستغنى الكلام عنها وقد امر الله سبحانه نبيه فى هذه الآية ان يرد علم عدتهم اليه ثم قال ما يعلمهم الا قليل يعنى من اهل الكتاب وكان ابن عباس يقول انا من ذلك القليل وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم قال (ع) ويدل على هذا من الآية انه سبحانه لما حكى قول من قال ثلاثة وخمسة قرن بالقول انه رجم بالغيب ثم حكى هذه المقالة ولم يقدح فيها بشيء وايضا فيقوى ذلك على القول بواو الثمانية لانها انما تكون حيث عدد الثمانية صحيح * وقوله سبحانه فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا معناه على بعض الاقوال اي بظاهر ما اوحينا اليك وهو رد علم عدتهم الى الله تعالى وقيل معنى الظاهر ان يقول ليس كما تقولون ونحو هذا ولا يحتج هو على امر مقرر فى ذلك وقال التبريزي ظاهرا معناه ذاهبا وانشد * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * ولم يبح له فى هذه الآية ان يماري ولكن قوله الا مراء مجاز من حيث يماريه اهل الكتاب سميت مراجعته لهم مراء ثم قيد بانه ظاهر ففارق المراء الحقيقي المذموم والمراء مشتق من المرية وهو الشك فكانه المشاككة (ت) وفى سماع ابن القاسم قال كان سليمان بن يسار اذا ارتفع الصوت فى مجلسه اوكان مراء اخذ نعليه ثم قام قال ابن رشد هذا من ورعه وفضله والمراء فى العلم منهى عنه فقد جاء انه لا تومن فتنته ولا تفهم حكمته انتهى من البيان والضمير فى قوله ولا تستفت فيهم عائد على اهل الكهف وفى قوله منهم عائد على اهل الكتاب * وقوله فلا تمار فيهم اي فى عدتهم * وقوله سبحانه ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله قد تقدم ان هذه الآية عتاب من الله تعالى لنبيه حيث لم يستثن والتقدير الا ان تقول الا ان يشاء الله او الا ان تقول ان شاء الله والمعنى الا ان تذكر مشيئة الله * وقوله سبحانه واذكر ربك اذا نسيت قال ابن عباس والحسن معناه الاشارة به الى الاستثناء اي ولتستثن

بعد مدة اذا نسيت اولا لتخرج من جملة من لم يعلق فعله بمشيئة الله وقال
عكرمة واذكر ربك اذا غضبت وعبارة الواحدي واذكر ربك اذا نسيت اي اذا
نسيت الاستثناء بمشيئة الله فاذكره وقله اذا تذكرت اه * وقوله سبحانه
وقل عسى ان يهدينى ربى الآية الجمهور ان هذا دعاء مامور به والمعنى
عسى ان يرشدنى ربى فيما استقبل من امرى والآية خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم وهي بعد تعم جميع امته وقال الواحدي وقل عسى ان
يهدينى اي يعطينى ربى الآيات من الدلالات على النبوءة ما يكون
اقرب فى الرشد وادل من قصة اصحاب الكهف ثم فعل الله له ذلك
حيث اتاه علم غيوب المرسلين وخبرهم انتهى * وقوله سبحانه ولبثوا
فى كهفهم ثلاثمائة سنين الآية قال قتادة وغيره الآية حكاية عن
بنى اسراءيل انهم قالوا ذلك واحتجوا بقراءة ابن مسعود وفى مصحفه وقالوا
لبثوا فى كهفهم ثم امر الله نبيه بان يرد العلم اليه ردا على مقالهم وتفنيدا لهم
وقال المحققون بل قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم الآية خبر من الله تعالى
عن مدة لبثهم وقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اي فليزل اختلافكم ايها
المخرصون وظاهر قوله سبحانه وازدادوا تسعا انها اعوام * وقوله سبحانه ابصر
به واسمع اي ما اسمعه سبحانه وما ابصره قال قتادة لا احد ابصر من الله ولا
اسمع قال (ع)- وهذه عبارة عن الادراك ويحتمل ان يكون المعنى ابصر به
اي بوحيه وارشاده هداك وحججك والحقّ من الامور واسمع به العالم فتكون
اللفظتان امرين لا على وجه التعجب * وقوله سبحانه ما لهم من دونه من
ولي الضمير فى لهم يحتمل ان يرجع الى اهل الكهف ويحتمل ان يرجع الى
معاصرى النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار ويكون فى الآية تهديد لهم *
وقوله سبحانه اتل ما اوحي اليك اي اتبع وقيل اسرد بتلاوتك ما اوحي

اليك من كتاب ربك لا نقض فى قوله ولا مبدل لكلماته وليس لك سواه جانب تميل اليه وتستند والملتحد الجانب الذى يمال اليه ومنه اللحد (ت) قال النووي يستحب لتالى القرءان اذا كان منفردا ان يكون ختمه فى الصلاة ويستحب ان يكون ختمه اول الليل اواول النهار وروينا فى مسند الامام المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته ابى محمد الدارمي رحمه الله تعالى عن سعد بن ابى وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرءان اول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وان وافق ختمه اول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الترمذي هذا حديث حسن وعن طلحة بن مطرف قال من ختم القرءان اية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي واية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وعن مجاهد نحوه انتهى * وقوله سبحانه واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية تقدم تفسيرها * وقوله سبحانه ولا تعد عيناك عنهم اي لا تتجاوز عنهم الى ابناء الدنيا وقرأ الجمهور من اغفلنا قلبه بنصب الباء على معنى جعلناه غافلا والفرط يحتمل ان يكون بمعنى التفريط ويحتمل ان يكون بمعنى الافراط والاسراف وقد فسره المتأولون بالعبارتين * وقوله سبحانه وقل الحق من ربكم المعنى وقل لهم يا محمد هذا القرءان هو الحق (ت) وقد ذم الله تعالى الغافلين عن ذكره والمعرضين عن آياته فى غير ما ءاية من كتابه فيجب الحذر مما وقع فيه اولائك ولقد احسن العارف فى قوله غفلة ساعة عن ربك مكدرة لمرءاة قلبك فكيف بغفلتك جميع عمرك وقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم رواه ابوداود والترمذي والنساءي والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وهذا لفظ الترمذي وقال حديث حسن وقال الحاكم صحيح على

شرط مسلم والترة بكسر التاء المثناة من فوق وتخفيف الراء النقص وقيل التبعة ولفظ ابن حبان الاكان عليهم حسرة يوم القيامة وان دخلوا الجنة انتهى من السلاح * وقوله فمن شاء فليومن الآية توعد وتهديد اي فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله عز وجل وقال الداودي عن ابن عباس فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر يقول من شاء الله له الايمان ءامن ومن شاء له الكفر كفر هو كقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين وقال غيره هو كقوله اعملوا ما شئتم بمعنى الوعيد والقولان معا صحيحان انتهى واعتدنا ماخوذ من العتاد وهو الشيء المعد الحاضر والسرادق هو الجدار المحيط كالحجرة التي تدور وتحيط بالفسطاط قد تكون من نوع الفسطاط اديما او ثوبا او نحوه وقال الزجاج السرادق كل ما احاط بشيء واختلف فى سرادق النار فقال ابن عباس سرادقها حائط من نار وقالت فرقة سرادقها دخان يحيط بالكفار وهو قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب وقيل غير هذا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ابى سعيد الخدري انه قال سرادق النار اربعة جدر كثف عرض كل جدار مسيرة اربعين سنة والمهل قال ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم هو دردي الزيت اذا انتهى حره وقال ابو سعيد وغيره هو كل ما اذيب من ذهب او فضة وقالت فرقة المهل هو الصديد والدم اذا اختلطا ومنه قول ابى بكر رضي الله عنه فى الكفن انما هو للمهلة يريد لما يسيل من الميت فى قبره ويقوى هذا بقوله سبحانه ويسقى من ماء صديد والمرتفق الشيء الذى يطلب رفقه * وقوله سبحانه ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا تقدم تفسير نظيره والله الموفق بفضله واساور جمع اسوار وهي ما كان من الحلي فى الذراع وقيل اساور جمع اسورة واسورة جمع اسوار

والسندس رقيق الديباج والاستبرق ما غلظ منه قيل فهو استبرق من البريق والارائك جمع اريكة وهي السرير فى الحجال والضمير فى قوله وحسنت للجنات وحكى النقاش عن ابى عمران الجوني انه قال الاستبرق الحرير المنسوج بالذهب * وقوله سبحانه واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب الآية الضمير فى لهم عائد على الطائفة المتجبرة التى ارادت من النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرد فقراء المومنين فالمثل مضروب للطائفتين اذ الرجل الكافر صاحب الجنتين هو بازاء متجبرى قريش او بنى تميم على الخلاف فى ذلك والرجل المومن المقر بالربوبية هو بازاء فقراء المومنين وحففنا بمعنى جعلنا ذلك لهما من كل جهة وظاهر هذا المثل انه بامر وقع فى الوجود وعلى ذلك فسره اكثر المتأولين فروي فى ذلك انهما كانا اخوين من بنى اسراءيل ورثا اربعة ءالاف دينار فصنع احدهما بما له ما ذكر واشترى عبيدا وتزوج واثرى وانفق الآخر ماله فى طاعة الله عز وجل حتى افتقر والتقيا فافتخر الغني ووبخ المومن فجرت بينهما هذه المحاورة وروي انهما كانا شريكين حدادين كسبا مالا كثيرا وصنعا نحو ما روي فى امر الاخوين فكان من امرهما ما قص الله فى كتابه قال السهيلي وذكر ان هذين الرجلين هما المذكوران فى والصافات فى قوله تعالى قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول ائنك لمن المصدقين الى قوله فاطلع فرءاه فى سواء الجحيم والى قوله لمثل هذا فليعمل العاملون انتهى * وقوله سبحانه كلتا الجنتين ءاتت اكلها الأكل ثمرها الذى يوكل ولم تظلم منه شيأ اي لم تنقص عن العرف الاتم الذى يشبه فيها ومنه قول الشاعر

ويظلمنى مالى كذا ولوى يدى * لوى يده الله الذى هو غالبه

وقرأ الجمهور ثمر وبثمره بضم الثاء والميم جمع ثمار وقرأ ابو عمرو بسكون الميم

فيهما واختلف المتأولون فى الثمر بضم الثاء والميم فقال ابن عباس وغيره الثمر جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال ابن زيد هي الاصول والمحاورة مراجعة القول وهو من حار يحور * وقوله انا اكثر منك مالا واعز نفرا هذه المقالة بازاء مقالة متجبرى قريش او بنى تميم على ما تقدم فى سورة الانعام (ت) وقوله واعز نفرا يضعف قول من قال انهما اخوان فتأمله والله اعلم بما صح من ذلك * وقوله سبحانه ودخل جنته وهو ظالم لنفسه الآية افرد الجنة من حيث الوجود كذلك اذ لا يدخلهما معا فى وقت واحد وظلمه لنفسه هو كفره وعقائده الفاسدة فى الشك فى البعث وفى شكه فى حدوث العالم ان كانت اشارته بهذه الى الهيئة من السموات والارض وانواع المخلوقات وان كانت اشارته الى جنته فقط فانما الكلام تساخف واغترار مفرط وقلة تحصيل كانه من شدة العجب بها والسرور افرط فى وصفها بهذا القول ثم قاس ايضا الآخرة على الدنيا وظن انه لم يمل له فى دنياه الا لكرامة يستوجبها فى نفسه فقال فان كان ثم رجوع فستكون حالى كذا وكذا * وقوله قال له صاحبه يعنى المومن * وقوله خلقك من تراب اشارة إلى ءادم عليه السلام * وقوله لكنا هو الله ربى معناه لكن انا اقول هو الله ربى وروى هارون عن ابى عمرو لكنه هو الله ربى وباقى الآية بين * وقوله ولولا اذ دخلت جنتك الآية وصية من المومن للكافر ولولا تحضيض بمعنى هلا وما تحتمل ان تكون بمعنى الذى بتقدير الذى شاء الله كائن وفى شاء ضمير عائد على ما ويحتمل ان تكون شرطية بتقدير ما شاء الله كان او خبر مبتدإ محذوف تقديره هو ما شاء الله او الامر ما شاء الله * وقوله لاقوة الا بالله تسليم وضد لقول الكافر ما اظن ان تبيد هذه ابدا وفى الحديث ان هذه الكلمة كنز من كنوز الجنة اذا قالها العبد قال الله

عز وجل اسلم عبدى واستسلم قال النووي وروينا فى سنن ابى داود والترمذي والنساءي وغيرهما عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال يعنى اذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولاحول ولاقوة الابالله يقال له هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنك الشيطان قال الترمذي حديث حسن زاد ابو داود فى روايته فيقول يعنى الشيطان لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي انتهى وروى الترمذي عن ابى هريرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من قول لاحول والاقوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة انتهى قال المحاسبي فى رعايته واذا عزم العبد فى القيام بجميع حقوق الله سبحانه فليرغب اليه فى المعونة من عنده على اداء حقوقه ورعايتها وناجاه بقلب راغب راهب انى انسى ان لم تذكرنى واعجز ان لم تقونى واجزع ان لم تصبرنى وعزم وتوكل واستغاث واستعان وتبرأ من الحول والقوة الا بربه وقطع رجاءه من نفسه ووجه رجاءه كله الى خالقه فانه سيجد الله عز وجل قريبا مجيبا متفضلا متحننا انتهى قال ابن العربي فى احكامه قال مالك ينبغى لكل من دخل منزله ان يقول كما قال الله تعالى ما شاء الله لاقوة الا بالله انتهى * وقوله فعسى ربي ان يوتينى خيرا من جنتك هذا الترجى بعسى يحتمل ان يريد به فى الدنيا ويحتمل ان يريد به فى الآخرة وتمنى ذلك فى الآخرة اشرف واذهب مع الخير والصلاح وان يكون ذلك يراد به الدنيا اذهب فى نكاية هذا المخاطب والحسبان العذاب كالبرد والصر ونحوه والصعيد وجه الارض والزلق الذى لا تثبت فيه قدم يعنى تذهب منافعها حتى منفعة المشي فهي وحل لاتثبت فيه قدم * وقوله سبحانه واحيط بثمره الآية هذا خبر من الله عزوجل عن احاطة العذاب بحال هذا الممثل به ويقلب كفيه يريد يضع بطن احداهما على ظهر الاخرى وذلك فعل المتلهف المتأسف *

وقوله خاوية على عروشهـا يريد ان السقوف وقعت وهي العروش ثم تهدمت الحيطان عليها فهي خاوية والحيطان على العروش (ت) فسر (ع) رحمه الله لفظ خاويـة فى سورة الحج والنمـل بخاليـة والاحسن ان تفسرهنـا وفى الحـج بساقطة واما التى فى النمل فيتجه ان تفسر بخالية وبساقطة قال الزبيدي فى مختصر العين خوت الدار باد اهلها وخوت تهدمت انتهى وقال الجوهري فى كتابه المسمى بتاج اللغة وصحاح العربية خوت النجوم خيا المحلت وذلك اذا سقطت ولم تمطر فى نوئهـا واخوت مثله وخوت الدار خواء ممدودا اقوت وكذلك اذا سقطت ومنـه قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اي خالية ويقال ساقطة كما قال فهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها انتهى وهو تفسير بارع وبـه اقول وقد تقدم ايضاح هـذا المعنى فى سورة البقرة *

وقوله ياليتنى لم اشرك بربي احدا قال بعض المفسرين هي حكـاية عن مقالة هذا الكـافر فى الآخرة ويحتمل ان يكون قالها فى الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة ويكـون فيهـا زجر لكفرة قريش وغيرهم والفئة الجماعة التى يلجأ الى نصرهـا * وقوله سبحانـه هنالك يحتمـل ان تكـون ظرفا لقـوله منتصرا ويحتمل ان يكـون الولاية مبتدأ وهنالك خبره وقرأ حمزة والكساءي الولاية بكسر الواو وهي بمعنى الرياسة ونحوه وقرأ الباقون الولاية بفتح الواو وهي بمعنى الموالاة والصلة ونحوه وقرأ ابو عمرو والكساءي الحق بالرفع على النعت للولاية وقرأ الباقون بالخفض على النعت لله عز وجل وقرأ الجمهور عقبا بضم العين والقاف وقرأ حمزة وعاصم بسكـون القاف والعقب والعُقْب بمعنى العاقبة *

واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا يريد حياة الانسان كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي فاختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء فاصبح هشيما اصبح عبارة عن صيرورته الى ذلك والهشيم المتفتت من يابس العشب وتذروه بمعنى تفرقـه

فمعنى هذا المثل تشبيه حال المرء فى حياته وماله وعزته وبطره با لنبات الذى له خضرة ونضرة عن الماء النازل ثم يعود بعد ذلك هشيما ويصير الى عدم فمن كان له عمل صالح يبقى فى الآخرة فهو الفائز * وقوله سبحانه المال والبنون زينة الحيوة الدنيا لفظه لفظ الخبر لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين لانه فى المثل قبلُ حقّر امر الدنيا وبينه فكانه يقول المال والبنون زينة هذه الحياة الدنيا المحقرة فلا تتبعوها نفوسَكم والجمهور ان الباقيات الصالحات هي الكلمات المذكور فضلها فى الاحاديث سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد جاء ذلك مصرحا به من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله وهن الباقيات الصالحات * وقوله سبحانه خير عندك ربك ثوابا وخير املا اي صاحبها ينتظر الثواب وينبسط امله فهو خير من حال ذى المال والبنين دون عمل صالح وعن ابى سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله رواه النساءي وابن حبان فى صحيحه انتهى من السلاح وفى صحيح مسلم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احب الكلام الى الله تعالى اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدأت وفى صحيح مسلم عن ابى مالك الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الطُّهور شطر الايمان والحد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملأ ما بين السموات والارض الحديث انتهى قال ابن العربي فى احكامه وروى مالك عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات قول العبد الله اكبر وسبحان الله والحمدلله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله وروي عن ابن عباس وغيره ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس انتهى

(ت) ومـا تقدم اولى ومن كلام الشيخ الولي العـارف ابى الحسن الشـاذلي رضي الله عنه قال عليك بالمطهرات الخمس فى الاقـوال والمطهرات الخمس فى الافعال والتبرى من الحول والقوة فى جميع الاحوال وغص بعقلك الى المعانى القائمة بالقلب واخرج عنها وعنه الى الرب واحفظ الله يحفظك واحفظ الله تجده امامك واعبد الله بها وكن من الشاكرين فالمطهرات الخمس فى الاقوال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله والمطهرات الخمس فى الافعال الصلوات الخمس والتبرى من الحول والقوة هو قـولك لا حول ولا قوة الا بالله انتهى * وقوله سبحانـه وترى الارض بارزة يحتمل ان الارض لذهاب الجبال والضراب والشجر برزت وانكشفت ويحتمل ان يريـد بروز اهلها من بطنها للحشر والمغادرة الترك وعرضوا على ربك صفـا اي صفوفا وفى الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد صفوفا يسمعهم الداعى وينفذهم البصر الحديث بطوله وفى حديث آخر اهل الجنة يوم القيامـة مائة وعشرون صفا انتم منها ثمانون صفا * وقوله سبحانه لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة يفسره قـول النبي صلى الله عليه وسلم انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وقوله سبحانه ووضع الكتاب فترى المجرمـين مشفقين مما فيه الآيـة الكتاب اسم جنس يراد بـه كتب الناس التى احصتها الحفظة لواحد واحد ويحتمل ان يكون الموضوع كتابا واحدا حاضرا وباقى الآيـة بين * وقوله سبحانه الا ابليس كان من الجن قالت فرقـة ابليس لم يكن من الملائكة بل هو من الجن وهم الشياطين المخلوقون من مارج من نار وجميع الملائكة انمـا خلقوا من نور واختلفت هذه الفرقـة فقال بعضهم ابليس من الجن وهو اولهم وبدأتهم كـآدم من الانس وقالت فرقـة بـل كان ابليس وقبيله جنـا لكن جميع الشياطـين اليوم من ذريتـه فهو كنوح فى الانس

واحتجوا بهذه الآية * وقوله ففسق معناه فخرج عن امر ربه وطاعته * وقوله عز وجل افتتخذونه يريد افتتخذون ابليس * وقوله وذريته ظاهر اللفظ يقتضى الموسوسين من الشياطين الذين يامرون بالمنكر ويحملون على الاباطيل * وقوله تعالى بيس للظالمين بدلا اي بدل ولاية الله عز وجل بولاية ابليس وذريته وذلك هو التعوض من الحق بالباطل * وقوله سبحانه ما اشهدتهم خلق السموات والارض الآية الضمير فى اشهدتهم عائد على الكفار وعلى الناس بالجملة فتتضمن الآية الرد على طوائف من المنجمين واهل الطبائع والمتحكمين من الاطباء وسواهم من كل من يتخرص فى هذه الاشياء وقيل عائد على ذرية ابليس فالآية على هذا تتضمن تحقيرهم والقول الاول اعظم فائدة واقول ان الغرض اولا بالآية هم ابليس وذريته وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوائف المذكورة وعلى الكهان والعرب المصدقين لهم والمعظمين للجن حين يقولون اعوذ بعزيز هذا الوادى اذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بابليس وذريته وهم اضل الجميع فهم المراد الاول بالمضلين وتندرج هذه الطوائف فى معناهم وقرأ الجمهور وماكنت وقرأ ابو جعفر والجحدري والحسن بخلاف وماكنت والعضد استعارة للمعين والموازر * ويوم يقول نادو اشركاءي اي على جهة الاستغاثة بهم واختلف فى قوله موبقا فقال ابن عباس معناه مهلكا وقال عبد الله بن عمر وانس بن مالك ومجاهد موبقا هو واد فى جهنم يجرى بدم وصديد قال انس يحجز بين اهل النار وبين المومنين * وقوله سبحانه فظنوا انهم مواقعوها اي مباشروها واطلق الناس ان الظن هنا بمعنى اليقين قال (ع) والعبارة بالظن لاتجيء ابدا فى موضع يقين تام قد ناله الحس بل اعظم درجاته ان يجيء فى موضع متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون والا فمذ يقع ويحس لايكاد توجد فى

كلام العرب العبارة عنه بالظن وتأمل هذه الآية وتأمل كلام العرب وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمصرف المعدل والمراغ وهو ماخوذ من الانصراف من شيء الى شيء * وقوله تعالى ولقد صرفنا فى هذا القرءان للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا الانسان هنا يراد به الجنس وقد استعمل صلى الله عليه وسلم الآية على العموم فى مروره بعلي ليلا وامره له بالصلاة بالليل فقال علي انما انفسنا يا رسول الله بيد الله او كما قال فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يضرب فخذه بيده ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا * وقوله سبحانه وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الآية الناس هنا يراد بهم كفار عصر النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الاولين هي عذاب الامم المذكورة فى القرءان * اوياتيهم العذاب قبلا اى مقابلة عيانا والمعنى عذابا غير المعهود فتظهر فائدة التقسيم وقد وقع ذلك بهم يوم بدر وكأن حالهم تقتضى التأسف عليهم وعلى ضلالهم ومصيرهم بآرائهم الى الخسران عافانا الله من ذلك * ويدحضوا معناه يزهقوا والدحض الطين * وقوله فلن يهتدوا اذا ابدا لفظ عام يراد به الخاص ممن حتم الله عليه انه لا يومن ولا يهتدى ابدا كابي جهل وغيره * وقوله بل لهم موعد قالت فرقة هو اجل الموت وقالت فرقة هو عذاب الآخرة وقال الطبري هو يوم بدر والحشر * وقوله سبحانه لن يجدوا من دونه موئلا اي لايجدون عنه منجى يقال وَأَلَ الرجل يئِل اذا نجا ثم عقب سبحانه توعدهم بذكر الامثلة من القرى التى نزل بها ما توعد هؤلاء بمثله والقرى المدن والاشارة الى عاد وثمود وغيرهم وباقى الآية بين قال (ص) وقوله لما ظلموا فى لما اشعار بعلة الاهلاك وبهذا استدل ابن عصفور على حرفية لما لان الظرف لادلالة فيه على

العلية * وقوله سبحانه واذ قال موسى لفتاه لاابرح الآية موسى هو ابن عمران وفتاه هو يوشع بن نون وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام جاس يوما فى مجلس لبنى اسرايل وخطب فابلغ فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك قال لا فاوحى الله اليه بلى عبدنا خضر فقال يارب دلنى على السبيل الى لقيه فاوحى الله اليه ان يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فاذا فقد الحوت فانه هنالك وامر ان يتزود حوتا ويرتقب زواله عنه ففعل موسى ذلك وقال لفتاه على جهة امضاء العزيمة لاابرح اسير اي لاازال وانما قال هذه المقالة وهو سائر قال السهيلي كان موسى عليه السلام اعلم بعلم الظاهر وكان الخضر اعلم بعلم الباطن واسرار الملكوت فكانا بحرين اجتمعا بمجمع البحرين والخضر شرب من عين الحياة فهو حي الى ان يخرج الدجال وانه الرجل الذى يقتله الدجال وقال البخاري وطائفة من اهل الحديث منهم شيخنا ابو بكر بن العربي رحمه الله مات الخضر قبل انقضاء المائة من قوله صلى الله عليه وسلم ارأيتكم ليلتكم هذه فان الى رأس مائة عام منها لايبقى على الارض ممن هو عليها احد يعنى من كان حيا حين قال هذه المقالة واما اجتماع الخضر مع النبي صلى الله عليه وسلم وتعزيته لاهل بيته فروي من طرق صحاح وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء قال الخطابي الفروة وجه الارض ثم انشد على ذلك شاهدا انتهى واختلف الناس فى مجمع البحرين فقال مجاهد وقتادة هو مجمع بحر فارس وبحر الروم وقالت فرقة مجمع البحرين هو عند طنجة وقيل غير هذا واختلف فى الحقب فقال ابن عباس وغيره الحقب ازمان غير محدودة وقال عبد الله بن عمر ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون وقيل سنة * وقوله سبحانه فلما بلغا مجمع بينهما الضمير

فى بينهما للبحرين قاله مجاهد وفى الحديث الصحيح ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر واتخذ سبيله فى البحر سربا اي مسلكا فى جوف الماء وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه ءاتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ويعنى بالنصب تعب الطريق قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى امره الله به قال له فتاه ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت يريد ذكرما جرى فيه وما انسانيه اي ان اذكره الا الشيطان واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على ءاثارهما قصصا قال فرجعا يقصان ءاثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بنى اسراءيل قال نعم اتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا يعنى لاتطيق ان تصبر على ما تراه من عملى لان الظواهر التى هي علمك لا تعطيه وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه يريد علم الباطن وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه يريد علم الظاهر فقال له موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى اشرح لك ما ينبغى شرحه فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول يقول بغير اجر فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم

فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيأ امرا اي شنيعا من الامور وقال مجاهد الامر المنكر قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امرى عسرا قال بن ابي كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم فكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الامثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر وفى رواية والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله الاكما اخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر وفى رواية ما علمى وعلمك وعلم الخلائق فى علم الله الامقدار ما غمس هذا العصفور منقاره قال (ع) وهذا التشبيه فيه تجوز اذ لا يوجد فى المحسوسات اقوى فى القلة من نقطة بالاضافة الى البحر فكانها لاشيء ولم يتعرض الخضر لتحرير موازنة بين المثال وبين علم الله تعالى اذ علمه سبحانه غير متناه ونقط البحر متناهية ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية قال (ع) قيل كان هذا الغلام لم يبلغ الحلم فلهذا قال موسى نفسا زاكية وقالت فرقة بل كان بالغا * وقوله بغير نفس يقتضى انه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس وهذا يدل على كبر الغلام والا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس (ت) وهذا اذا كان شرعهم كشرعنا وقد يكون شرعهم ان النفس بالنفس عموما فى البالغ وغيره وفى العمد والخطأ فلا يلزم من الآية ما ذكر * وقوله لقد جئت شيأ نكرا معناه شيأ ينكر قال (ع) ونصف القرءان بعد الحروف انتهى الى النون من قوله نكرا * قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال وهذه اشد من الاولى * قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية

استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض قال مائل فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال سعيد بن جبير اجرا ناكله قال هذا فراق بيني وبينك الى قوله ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددنا ان موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد فكان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين وفى رواية للبخاري يزعمون عن غير سعيد بن جبير ان اسم الملك هُدَدُ بن بُدَدٍ والغلام المقتول اسمه يزعمون حَيْسور ويقال جَيسور ملك ياخذ كل سفينة غصبا فاردت اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا اصلحوها فانتفعوا بها ومنهم من يقول سدوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار كان ابواه مومنين وكان كافرا فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ان يحملهما حبه على ان يتابعاه على دينه * فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة لقوله اقتلت نفسا زاكية واقرب رحما هما به ارحم منهما بالاول الذى قتله خضر وزعم غير سعيد انهما ابدلا جارية واما داود بن ابي عاصم فقال عن غير واحد انها جارية انتهى لفظ البخاري (ت) وقد تحرينا فى هذا المختصر بحمد الله التحقيق فيما علقناه جهد الاستطاعة والله المستعان وهو المسئول ان ينفع به بجوده وكرمه قال (ع) ويشبه ان تكون هذه القصة ايضا اصلا للآجال فى الاحكام التى هي ثلاثة وايام التلوم ثلاثة فتأمله * وقوله سبحانه فابوا ان يضيفوهما وفى الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس اولائك القوم يستطعمانهم قال (ع) وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله عز وجل (ص) وقوله فراق بيني الجمهور باضافة فراق ابو البقاء اي تفريق وصلنا وقرأ ابن ابي عبلة فراق بالتنوين ابو البقاء فبين منصوب على الظرف انتهى

قال (ع) ووراءهم هو عندى على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجيء مراعى بها الزمان وذلك ان الحادث المقدم الوجود هو الامام والذى ياتى بعد هو الوراء وتأمل هذه الالفاظ فى مواضعها حيث وردت تجدها تطرد ومن قرأ امامهم اراد فى المكان قال (ع) وفى الحديث ان هذا الغلام طبع يوم طبع كافرا والضمير فى خشينا للخضر قال الداودي قوله فخشينا ان يرهقهما اي علمنا انتهى والزكاة شرف الخُلق والوقار والسكينة المنطوية على خير ونية والرحم الرحمة وروي عن ابن جريج انهما بدلا غلاما مسلما وروي عنه انهما بدلا جارية وحكى النقاش انها ولدت هي وذريتها سبعين نبيا وذكره المهدوي عن ابن عباس وهذا بعيد ولا تعرف كثرة الانبياء الا فى بنى اسراءيل وهذه المرأة لم تكن فيهم واختلف الناس فى هذا الكنز المذكور هنا فقال ابن عباس كان علما فى صحف مدفونة وقال عمر مولى غفرة كان لوحا من ذهب قد كتب فيه عجبا للموقن بالرزق كيف يتعب وعجبا للموقن بالحساب كيف يغفل وعجبا للموقن بالموت كيف يفرح وروي نحو هذا مما هو فى معناه وقال الداودي وكان تحته كنز لهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذهب وفضة انتهى فان صح هذا الحديث فلا نظر لاحد معه فالله اعلم اي ذلك كان * وقوله سبحانه وكان ابوهما صالحا ظاهر اللفظ والسابق منه الى الذهن انه والدهما دنية وقيل هو الاب السابع وقيل العاشر فحفظا فيه وفى الحديث ان الله تعالى يحفظ الرجل الصالح فى ذريته وقول الخضر وما فعلته عن امرى يقتضى انه نبي وقد اختلف فيه فقيل هو نبي وقيل عبد صالح وليس بنبي وكذلك اختلف فى موته وحياته والله اعلم بجميع ذلك ومما يقضى بموت الخضر قوله صلى الله عليه وسلم ارأيتكم ليلتكم هذه فان الى رأس مائة منها لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد قال القرطبي فى تذكرته وذكر عن عمرو بن دينار الخضر والياس عليهما السلام حيان فاذا

رفع القرءان ماتا قال القرطبي وهذا هو الصحيح انتهى وحكايات من رأى الخضر من الاولياء لاتحصى كثرة فلا نطيل بسردها وانظر لطائف المنن لابن عطاء الله * وقوله ذلك تاويل اي مثال وحكى السهيلي انه لما حان للخضر وموسى ان يفترقا قال له الخضر لو صبرت لاتيت على الف عجب كلها اعجب مما رأيت فبكى موسى وقال للخضر اوصني يرحمك الله فقال يا موسى اجعل همك في معادك ولا تخض فيما لا يعنيك ولا تامن من الخوف في امنك ولا تيأس من الامن في خوفك وتدبر الامور في علانيتك ولا تذر الاحسان في قدرتك فقال له موسى زدني يرحمك الله فقال له الخضر يا موسى اياك واللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير احدا وابك على خطيئتك يا ابن عمران انتهى * وقوله سبحانه ويسألونك عن ذى القرنين الآية ذو القرنين هو الملك الاسكندر اليوناني واختلف في وجه تسميته بذى القرنين واحسن ما قيل فيه انه كان ذا ظفيرتين من شعرهما قرناه والتمكين له في الارض انه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها وروي ان جميع من ملك الدنيا كلها اربعة مومنان وكافران فالمومنان سليمان بن داود عليهما السلام والاسكندر والكافران نمرود وبخت نصر * وقوله سبحانه وءاتيناه من كل شيء سببا معناه علما في كل امر واقيسة يتوصل بها الى معرفة الاشياء وقوله كل شيء عموم معناه الخصوص في كل ما يمكنه ان يعلمه ويحتاج اليه * وقوله فاتبع سببا اي طريقا مسلوكة وقرأ نافع وابن كثير وحفص عن عاصم في عين حمئة اي ذات حمأة وقرأ الباقون في عين حامية اي حارة وذهب الطبري الى الجمع بين الامرين فقال يحتمل ان تكون العين حارة ذات حمأة واستدل بعض الناس على ان ذا القرنين نبي بقوله تعالى قلنا ياذا القرنين ومن قال انه ليس بنبي قال كانت هذه المقالة من الله له بالهام قال (ع) والقول بانه نبي ضعيف واما

ان تعذب معناه بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم حسنا اي ان امنوا وذهب الطبري الى ان اتخاذه الحسن هو الاسر مع كفرهم ويحتمل ان يكون الاتخاذ ضرب الجزية ولكن تقسيم ذى القرنين بعد هذا الامر الى كفر وايمان يرد هذا القول بعض الرد وظلم فى هذه الآية بمعنى كفر * وقوله عذابا نكرا اي تنكره الاوهام لعظمه وتستهوله والحسنى يراد بها الجنة * وقوله تعالى ثم اتبع سببا المعنى ثم سلك ذو القرنين الطرق المؤدية الى مقصده وكان ذو القرنين على ما وقع فى كتب التاريخ يدوس الارض بالجيوش الثقال والسيرة الحميدة والحزم المستيقظ والتاييد المتواصل وتقوى الله عز وجل فالقي امة ولامر بمدينة الاذلت ودخلت فى طاعته وكل من عارضه او توقف عن امره جعله عظة وءاية لغيره وله فى هذا المعنى اخبار كثيرة وغرائب محل ذكرها كتب التاريخ * وقوله وجدها تطلع على قوم المراد بالقوم الزنج قاله قتادة وهم الهنود وما وراءهم وقال الناس فى قوله سبحانه لم نجعل لهم من دونها سترا معناه انهم ليس لهم بنيان اذ لاتحتمل ارضهم البناء وانما يدخلون من حر الشمس فى اسراب وقيل يدخلون فى ماء البحر قاله الحسن وغيره واكثر المفسرون فى هذا المعنى والظاهر من اللفظ انها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم ولوكان لهم اسراب تغنى لكان سترا كثيفا * وقوله كذلك معناه فعل معهم كفعله مع الاولين اهل المغرب فاوجز بقوله كذلك * وقوله حتى اذا بلغ بين السدين الآية السدان فيما ذكر اهل التفسير جبلان سدا مسالك تلك الناحية وبين طرفي الجبلين فتح هو موضع الردم وهذان الجبلان فى طرف الارض مما يلى المشرق ويظهر من الفاظ التواريخ انهما الى ناحية الشمال * وقوله تعالى ووجد عندها قوما قال السهيلي هم اهل جابلص ويقال لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم

الذين ءامنوا بصالح * وقوله تعالى ووجدها تطلع على قوم هم اهل جابَلَق وهم من نسل مومنى قوم عاد الذين ءامنوا بهود ويقال لها بالسريانية مرقيسيا ولكل واحدة من المدينتين عشرة ءالاف باب بين كل بابين فرسخ ومر بهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فدعاهم فاجابوه وءامنوا به ودعا من ورائهم من الامم فلم يجيبوه فى حديث طويل رواه الطبري عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم انتهى والله اعلم بصحته * وياجوج وماجوج قبيلان من بنى ءادم لكنهم ينقسمون انواعا كثيرة اختلف الناس فى عددها واختلف فى افسادهم الذى وصفوهم به فقيل اكل بنى ءادم وقالت فرقة افسادهم هو الظلم والغشم وسائر وجوه الافساد المعلوم من البشر وهذا اظهر الاقوال وقولهم فهل نجعل لك خرجا استفهام على جهة حسن الادب والخرج المجبى وهو الخراج وقرأ عاصم وحمزة والكساءي خراجا وروي فى امر ياجوج وماجوج ان ارزاقهم هي من التنين يمطرون به ونحو هذا مما لم يصح وروي ايضا ان الذكر منهم لا يموت حتى يولد له الف والانثى كذلك وروي انهم يتسافدون فى الطرق كالبهائم واخبارهم تضيق بها الصحف فاختصرت ذلك لعدم صحته (ت) والذى يصح من ذلك كثرة عددهم على الجملة على ما هو معلوم من حديث اخرج بعث النار وغيره من الاحاديث * وقوله ما مكنى فيه ربى خير المعنى قال لهم ذوالقرنين ما بسطه الله لى من القدرة والملك خير من خراجكم ولكن اعينونى بقوة الابدان وهذا من تاييد الله تعالى له فانه تهدّى فى هذه المحاورة الى الانفع الانزه فان القوم لوجمعوا له الخراج الذى هو المال لم يعنه منهم احد ولوكلوه الى البنيان ومعونتهم بالقوة اجمل به * وقوله ءاتونى زبر الحديد الآية قرأ حمزة وغيره ائتونى بمعنى جيئونى وقرأ نافع وغيره ءاتونى بمعنى اعطونى وهذا

كله انما هو استدعاء المناولة واعمال القوة والزبر جمع زبرة وهي القطعة العظيمة منه والمعنى فرصفه وبناه حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما الجبلان * وقوله قال انفخوا الى ءاخر الآية معناه انه كان يامر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها حتى تحمى ثم يوتى بالنحاس المذاب او بالرصاص او بالحديد بحسب الخلاف فى القطر فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة فاذا التأم واشتد استانف رصف طاقة اخرى الى ان استوى العمل وقال اكثر المفسرين القطر النحاس المذاب ويؤيد هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله انى رأيت سد ياجوج وماجوج فقال كيف رأيته قال رأيته كالبرد المحبر طريقة صفراء وطريقة حمراء وطريقة سوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد رأيته ويظهروه معناه يعلونه بصعود فيه ومنه قوله فى الموطإ والشمس فى حجرتها قبل ان تظهر وما استطاعوا له نقبا لبعد عرضه وقوته ولا سبيل سوى هذين اما ارتقاء واما نقب وروي ان فى طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ وفى عرضه خمسين فرسخا وروي غير هذا مما لم نقف على صحته فاختصرناه اذ لا غاية للتخرص وقوله فى الآية انفخوا يريد بالاكيار * وقوله هذا رحمة من ربى الآية القائل ذو القرنين واشار بهذا الى الردم والقوة عليه والانتفاع به والوعد يحتمل ان يريد به يوم القيامة ويحتمل ان يريد به وقت خروج ياجوج وماجوج وقرأ نافع وغيره دكا مصدر دك يدك اذا هدم ورض وناقة دكاء لاسنام لها والضمير فى تركنا لله عز وجل * وقوله يومئذ يحتمل ان يريد به يوم القيامة ويحتمل ان يريد به يوم كمال السد والضمير فى قوله بعضهم على هذا لياجوج وماجوج واستعارة الموج لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم فى بعض كالمولهين من هم وخوف ونحوه فشبههم بموج البحر الذى يضطرب بعضه فى بعض * وقوله ونفخ فى

الصور الى ءاخر الآية يعنى به يوم القيامة بلا احتمال لغيره والصور فى قول الجمهور وظاهر الاحاديث الصحاح هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل للقيامة * وقوله سبحانه وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا معناه ابرزناها لهم لتجمعهم وتحطمهم ثم اكد بالمصدر عبارة عن شدة الحال * وقوله اعينهم كناية عن البصائر والمعنى الذين كانت فكرهم بينها وبين ذكرى والنظر فى شرعى حجاب وعليها غطاء * وكانوا لا يستطيعون سمعا يريد لاعراضهم ونفارهم عن دعوة الحق وقرأ الجمهور افحسب الذين كفروا بكسر السين بمعنى اظنوا وقرأ علي بن ابى طالب وغيره وابن كثير بخلاف عنه افحسب بسكون السين وضم الباء بمعنى أكافيهم ومنتهى غرضهم وفى مصحف ابن مسعود افظن الذين كفروا وهذه حجة لقراءة الجمهور * وقوله ان يتخذوا عبادى قال جمهور المفسرين يريد كل من عبد من دون الله كالملائكة وعزير وعيسى والمعنى ان الامر ليس كما ظنوا بل ليس لهم من ولاية هؤلاء المذكورين شيء ولا يجدون عندهم منتفعا واعتدنا معناه يسرنا والنزل موضع النزول والنزل ايضا ما يقدم للضيف اوالقادم من الطعام عند نزوله ويحتمل ان يريد بالآية هذا المعنى ان المعد لهؤلاء بدل النزل جهنم والآية تحتمل الوجهين ثم قال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية المعنى قل لهؤلاء الكفرة على جهة التوبيخ هل نخبركم بالذين خسر عملهم وضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم مع ذلك يظنون انهم يحسنون فيما يصنعوه فاذا طلبوا ذلك فقل لهم اولائك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه وعن سعد بن ابى وقاص فى معنى قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال هم عباد اليهود والنصارى واهل الصوامع والديارات وعن علي هم الخوارج ويضعف هذا كله قوله تعالى بعد ذلك اولائك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه وليس هذه الطوائف ممن

يكفر بالله ولقائه وانما هذه صفة مشركى عبدة الاوثان وعلي وسعد رضي الله عنهما ذكرا قوما اخذوا بحظهم من صدر الآية * وقوله سبحانه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا يريد انهم لاحسنة لهم توزن لان اعمالهم قد حبطت اي بطلت ويحتمل المجاز والاستعارة كأنه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ وهذا معنى الآية عندى وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتى بالاكول الشروب الطويل فلا يزن جناح بعوضة ثم قرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا * وقوله ذلك اشارة الى ترك اقامة الوزن * وقوله سبحانه ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس اختلف المفسرون فى الفردوس فقال قتادة انه اعلى الجنة وربوتها وقال ابو هريرة انه جبل تتفجر منه انهار الجنة وقال ابو امامة انه سرة الجنة ووسطها وروى ابو سعيد الخدري انه تتفجر منه انهار الجنة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس (ت) فى البخاري من حديث ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة انتهى * وقوله تعالى لا يبغون عنها حولا الحول بمعنى المتحول قال مجاهد متحولا واما قوله سبحانه قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الآية فروي ان سبب الآية ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم كيف ترعم انك نبي الامم كلها وانك اعطيت ما يحتاجه الناس من العلم وانت مقصر قد سئلت عن الروح فلم تجب فيه ونحو هذا من القول فانزل الله الآية معلمة باتساع معلومات الله عز وجل وانها غير متناهية وان الوقوف دونها ليس ببدع فالمعنى لو كان البحر مدادا تكتب به معلوماته تعالى لنفد قبل ان يستوفيها وكلمات ربى هي المعانى القائمة بالنفس وهي

المعلومات ومعلومات الله عز وجل لا تتناهى والبحر متناه ضرورة وذكر الغزالي في اخر المنهاج ان المفسرين يقولون في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان هذه هي الكلمات التى يقول الله عز وجل لاهل الجنة في الجنة باللطف والاكرام مما لا تكيفه الاوهام ولا يحيط به علم مخلوق وحق ان يكون ذلك كذلك وهو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم والجود الكريم الا لمثل هذا فليعمل العاملون انتهى * وقوله مددا اي زيادة (ت) وكذا فسره الهروي ولفظه وقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اي زيادة انتهى * وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم اي انا بشر ينتهى علمي الى حيث يوحى الي ومهم ما يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وباقي الآية بين في الشرك بالله تعالى وقال ابن جبير في تفسيرها لا يرائي في عمله وقد ورد حديث انها نزلت في الرياء (ت) وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه انه كان يصف امر الرياء فيقول ما كان من نفسك فرضيته نفسك لها فانه من نفسك فعاتبها وما كان من نفسك فكرهته نفسك لها فانه من الشيطان فتعوذ بالله منه وكان ابو حازم يقول ذلك واسند ابن المبارك عن عبد الرحمن بن ابي امية قال كل ما كرهه العبد فليس منه انتهى وخرج الترمذي عن ابي سعيد ابن ابي فضالة الانصاري وكان من الصحابة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لاريب فيه نادى مناد من كان اشرك في عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله اغنى الشركاء عن الشرك قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب انتهى وقد خرج مسلم معناه (ت) ومما جربته وصح من خواص هذه السورة ان من اراد ان يستيقظ اي وقت شاء من الليل فليقرأ عند نومه قوله سبحانه افحسب الذين كفروا ان

يتخذوا عبادى من دوني اولياء الى ءاخر السورة فانه يستيقظ باذن الله فى الوقت الذى نواه ولتكن قراءته عند ءاخر ما يغلب عليه النعاس بحيث لا يتجدد له عقب القراءة خواطر هذا مما لاشك فيه وهو من عجائب القرءان المقطوع بها والله الموفق بفضله تنبيه روينا فى صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من امر الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة فان اردت ان تعرف هذه الساعة فاقرأ عند نومك من قوله تعالى ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس الى ءاخر السورة فانك تستيقظ فى تلك الساعة ان شاء الله تعالى بفضله ويتكرر تيقظك ومهما استيقظت فادع لى ولك وهذا مما الهمنيه الله سبحانه فاستفده وما كتبته الا بعد استخارة واياك ان تدعو هنا على مسلم ولوكان ظالما فان خالفتنى فالله حسيبك وبين يديه اكون خصيمك وانا ارغب اليك ان تشركنى فى دعائك اذ افدتك هذه الفائدة العظيمة وكنت شيخك فيها وللقرءان العظيم اسرار يطلع الله عليها من يشاء من اوليائه جعلنا الله منهم بفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

فهرست الجزء الثانى من كتاب الجواهر الحسان فى تفسير القرءان

٢	سورة الاعراف	٢٦٣	سورة الرعد
٨٠	سورة الانفال	٢٧٤	سورة ابراهيم
١١٤	سورة براءة	٢٨٩	سورة الحجر
١٦٨	سورة يونس	٣٠٢	سورة النحل
١٩٦	سورة هود	٣٢٨	سورة الاسراء
٢٢٤	سورة يوسف	٣٦٦	سورة الكهف